الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

الملتقى السابع للتعرف على

الفكر الإسلامي

تيزي وزو

10_22 جمادى الثانية 1393 هـ

10_22 يوليو 1973 م

المجلد الخامس

ة التعليم الأصلى والشؤون الدينية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

الملتقى السابع للتعرف على

الفكر الإسلامي

تيزي وزو

10ـ22 جمادى الثانية 1393 هـ

10ـ22 يوليو 1973 م

المجلد الخامس

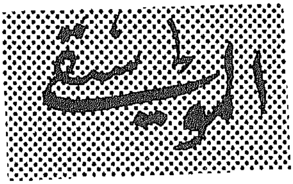
منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من وحي

الملتقى السابع للتعرف على

الفكر الإسلامي



كلمة السيد مولود قاسم نايت بلقاسم

وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية

في الحفلة الموسيقية الكلاسيكية العالمية المدرجة في برنامج الملتقى

القطعة ما قبل الاخيرتين ، هي موسيقى صامتة من تأليف الدكتور حكيم بن عطية ، رئيس الفرقة ، وهي مستوحاة من قصيدة معروفة للامير عبد القادر ، ومنقولة من ديوانه بعنـــوان (دموع ونار) .

والقطعتان الاخـيرتان هما : PARTITA N° 1 EN SI b MAJ. de J.S. BACH
TOCCATA de KATCHATURIAN (1)

---

1) ندرج هذه الكلمات باللغة الاجنبية لعدم توفر هذه الاصطلاحات بالعربية حاليا ، ونبشر القارئ ـ وخاصة الطالب ـ ان كتيبا بالعربية عن الموسيقى الكلاسيكية العالمية هو الآن تحت الطبع ، كمحاولة اولى نرجو ان تتبعها اخرى في هذا المجال الهام من تكوين الانســـان اي انسان .

بعد هذا البرنامج الحافل الذى امتعتنا به هذه الفرقة ، لا يسعنا الا أن نشكر أعضاءها ، ولا ننسى لهم هذه المتعة التى غمرونا بها هذا المساء ، وهم بالترتيب :

الآنسة نادية بلال ، طالبة بكلية الطب عازفة البيانو

الاستاذ احمد مالك ، الاستاذ بالمعهد الموسيقى البلدى لمدينة الجزائر عازف الناى

الدكتور عبد الحميد داود ، وهو طبيب ، عازف القيثارة

السيد عزيز عمران ، بالسنةالنهائية من الثانوى ، عازفالكمانجة

السيد مبارك عبابسة ، عازف البيانو ، واستاذ بالمعهد الموسيقى البلدى للجزائر العاصمة ·

وأخيرا الدكتور حكيم بن عطية ، وهو طبيب ، ورئيس الفرقة ومدير المعهد البلدى الموسيقى بالجزائر ·

ومرة أخرى أظن أننى استطيع بدون اى شك ان اشكرهم باسمكم جميعا هنا ، ولا يسعنى ايضا الا أن أنصح الاخوان الطلبة ، النشء الذين هم فى امكانهم ان يمرنوا اصابعهم وايديهم ، وفى امكانهم ان يتعلموا العزف ، ولا يصح أبدا ، ولا يمكن أبدا ان يقال لاحد « انك فاتك الوقت » ، هناك كثيرون ، موسورفسكى مثلا من الاعلام فى المجال الموسيقى ، تعلم بعد ما تجاوز سن الاربعين – فاتت اربعين سنة – من عمره ، فلا ننسى ان ننصح الاخوان ان يحاولوا ان يلحقوا بهذا الركب ، ركب الفن الموسيقى العالمى ، هذه الموسيقى الرائعة الممتعة ، هذه النفحة الروحية التى استمتعنا بها هذا المساء ، هذه الموسيقى التى ليس فيها دربكة ، وكلام ناب وغراميات وخمريات الخ من كلام لا يستطيع الانسان ان يسمعه مع اسرته ، ولربما يشعر بسخط وغضب ، ومرة اخرى شكرا للاخوان ، ونرجو ان نلتقى معهم فى فرص أخرى · والسلام عليكم ·



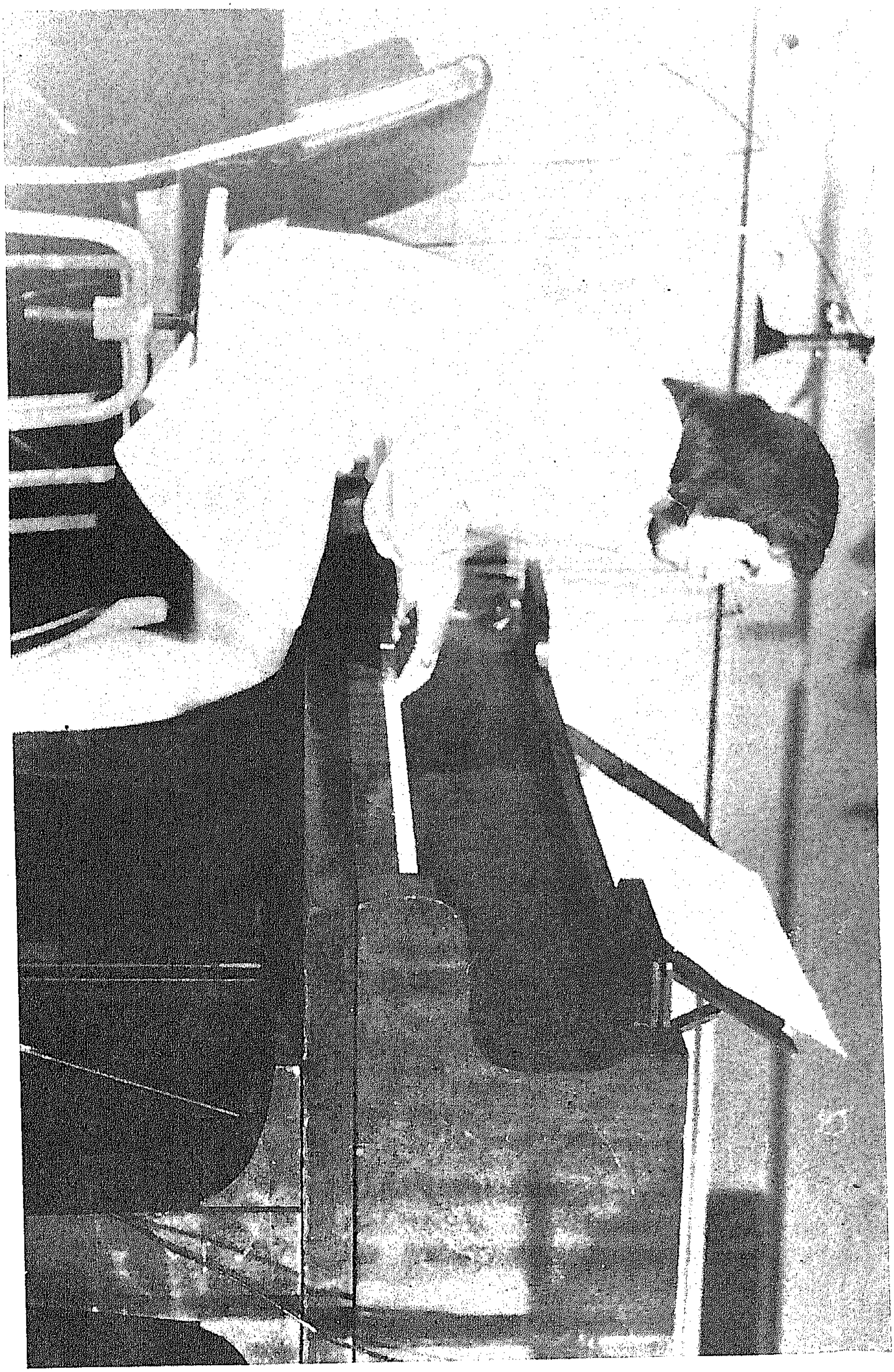
السيد مولود قاسم نايت بلقاسم يصافح عازفة البيانو الآنسة نادية بلال (الطالبة فى كلية الطب) بعد انتهاء العزف .

ويرى فى الصورة من اليمين الى اليسار : د. حكيم بن عطية ، رئيس الفـــرقة السيمفونية الجزائرية ومدير المعهد الموسيقى البلدى للعاصمة ، و د. عبد الحميد داود عازف على القيثارة (طبيب) وأحمد مالك ، عازف على النـــاى (أستاذ فى المعهد) وعزيز





الفرقة الموسيقية المتكونة من : عزيز عمران ، عازف على الكمانجة (طالب) ومراد بلحسين ، عازف على البيانو (أستاذ بالمعهد الموسيقى البلدى للعاصمة) ونادية بلال ، عازفة على البيانو (طالبة بكلية الطب) بصدد عزف قطعة موسيقية عالمية ٠





عبد الحميد داود يعزف على القيثارة ، وأحمد مالك يعزف على الناى
فى الحفلة الموسيقية الكلاسيكية العالمية .



مراد بن حسين يعزف على البيانو
فى الحفلة الموسيقية الكلاسيكية العالمية ٠

الشِّعْر

تحية وترحيب

للأستاذ حسن حموتن - الجزائر

حى الوفود تحيـــة الاكـــرام حى اللقـــاء وملتقى الافهـــام
أهلا وســهلا بالوفود ومرحبـــا بذوى النهى فى الملتقى الاسلامى
جمع اللقاء أئمة العـــرفان من كل الجهات وأبـــرز الاعـــلام
فى العلم فى التاريخ فى الآداب فى مدينـــة العـــربان والاســـلام

* * *

هذى الزواوة تزدهى بحضوركم وتتيه فخرا باللقاء الســـامى
تســـــتقبل الضيفان فى كل الجهات بمنتهى التقدير والاكـــرام
تســـتقبل العرفان والمجد التليد بقلبـــها وبوجهها البســـــام
ان الزواوة فى الجـــزائر درة خضراء ذات محاســـــن ومقام
كالروضة الغناء من بعـــد ترى توحى الى الفنـــان بالالهـــام
فيها الطبيعة بالجمـــال تسربلت وتطيبت بروائع الانســـــام

طف في المدائن والمداشر والقرى   طف في الربى والغاب والاجام
تر يا أخي سحر الجمال مجسما   في ذى الجبال الخضر والاكام
تر في حقول التين أروع حلة   من سندس مخضرة الاكمام
بجوارها الزيتون يطفح خضرة   تسبى النهى ونواظر الانام
تر في القرى والمدن كل عجيبة   فتانة الابصار والاحلام
فيها الطهارة والكرامة والتقى   وتمسك بالعلم والاسلام
وابحث عن الآثار آثار الألى   نشروا الهدى في سالف الاعوام
نشروا الثقافة والهداية فاغتدت   هذى الديار ديار عز سام
هذى الزوايا في القديم معاهد   العلم المنير ومورد الافهام
واسأل تخبرك البقايا عنهم   في كل ربع أو بكل مقام
تجد البطولة والزعامة والندى   في عزة وأصالة وسلام
باشر ضن تجد البطولة سطرت   بدم المسبل في دفاع دامي
يوم التقى الجمعان فيوهج الوغى   وضريم رمى المدفع الهدام
واصعد الى سومر وسائل ربعه   عن ذات حسن بارع وحسام
ذات التقى ذات النضارة والهدى   بنت الكرام وربة الصمصام
واذكر لفاطمة الزعيمة صفحة   حمراء ذات قداسة ووسام
واستفسر التاريخ عن هجماتها   ضد المغير بشعبها المقدام
في واضية في بوغنى في آث على   وتمسقدا وعلى ذرى الحمام
خاضت غمار الحرب مثل لباءة   مشفوعة بجراءة الضرغام
«بوبغلة»ليث الوغى في جرجرا   ورفيقها في الزحف والاقدام
قد شددت طوق الحصار على العدى   بالاربعاء بنى ارثن بنظام
ما فكه «رندون»لا«فرشو»ولا   « كور » المدافع طيلة الايام
حتى أتى خمسون الف مقاتل   متعطش للدم والاجرام
فكوا الحصار وأضرموا النيران في   تلك القرى والسيف في الاقوام
بقروا البطون وأخرجوا أرحامها   وقضوا على الآلاف بالاعدام
تركوا الخرائب والفجائع خلفهم   تركوا الديار تعج بالايتام
ما سلمت هذى الجبال ولا عنت   لقوى المغير سوى لرفع حسام
فتوالت الثورات ضد المعتدى   ثورات تحرير وفك لجام
حتى أتى بالفتح شهر«نوفمبر»   يوم انطلاق رصاصة الاعلام

فتحرر الشعب الجرىء وأرضه من بعد سبع فى الجهاد دوامى
والفضل فى النصر المبين على العدى فضل اتباع شريعة الاسلام

* * *

فالعود يا أولى البصائر والنهى بالمسلمين الى التراث السامى
هدى الكتاب وروح سنة أحمد خير السبيل الى أعز مقام
فعلى بنى الاسلام ان يتمسكوا بكتابهم فى سائر الاحكام
أن ينهجوا نهج النبى محمد لا نهج « ماركس » ولا « ويليام »
ان يجمعوا الرأى المشتت بينهم هم فى نزاع بينهم وخصام
أن يرأبوا باسم الاخوة خرقهم هم اخوة فى الدين والارحام
أن يفخروا بلسانهم فى عزة يا قوم لا برطانة الاروام
ان يستمدوا قوة من وحدة متبوعة بالفعل لا بكلام
أو كلما اجتاح العدو ديارنا رحنا نطالب هيئة الاقزام ؟..
ثم اكتفينا باحتجاج صارخ وابادة العدوان بالاقلام ...
ولنا الرجال لنا السلاح لنا القوى لو وحدت محقت قوى الاجرام ..

* * *

ما ضر بالعربان الا تركهم للعزة القعساء والاقدام
بالدين عزوا فى القديم فدوخوا أقوى جيوش الروم والاعجام
سادوا الورى سادوا الشعوب بحكمة وعدالة وأخوة وسلام
ثم استكانوا بعد عز شامخ بحيادهم عن عزة الاسلام
وتفرغوا للهو والغض الرطيب ورنة الاوتار والانغام
بقصورهم وديارهم وخيامهم طرب ورقص فى خرير مدام
لا العرض محترم ولا أمن على أكياسهم فى شارع و«ترام»
هذا الذى أودى بمجد جدودهم وهوى بهم فى مزلق الاقدام
جاحت شعوب المسلمين جوائح ورمت بهم فى غمر بحر طامى
والشرق مثل الغرب فى هذا البلاء كلاهما فى عارم الآثام
ان التفرق والعداوة والخنى عادت على العربان بالاسقام
فالمسلمون اليوم فى عهد القوى عهد اكتشاف عوالم الاجرام
ما زال دأبهم الكلام وخصمهم ما زال فى عدوانه المترامى
لا البحث يجدى لا لقاء أئمة يجدى ولا يغنى غليظ كلام

فلقد مضى دهـــر علينا حافل	بالقول لكن دون نيــل مــرام
لم يجـــد وعظ لا ولا نهى ولا	ردع بذكـــر الآى والاحـــكام
لم ترفع الاقـــلام ظلما لا ولا	عادت بحق دون رفع حســـام
هيا اتبعوا الاسـلام فى احكامه	ولكم كتـاب الله خـــير امــام
والسنة الغراء أوضح مســلك	نحو الـرقى وأســعد الايـــام
يا عرب ان العــز بالاســلام	لا عز يجـــديكم بلا اســـلام

رجاء وأمل

للأستاذ حسني حوتي - الجزائر

علماء دين الله دين محمد ... وحراس دستور الاله الممجد

امناء اسلام صحيح وعزة ... الاهية شماء فى اليوم والغد

درستم كتاب الله دينا وحكمة ... وأوضحتم للفكر شرعة أحمد

ونقبتمو عن وضع اتباع أحمد ... وحالتهم فى كل صقع مبدد

بكيتم عليهم بل رثيتم لحالهم ... وفكرتمو فى حل وضع معقد

وقيل فلا تنسوا شباب بلادكم ... كثيرهم بالغرب فى الفكر مقتد

فاولى بكم أولى بتبليغ دينكم ... لهذا الشباب القارىء المتمرد

وانى ارى الاولى بهدى شبابنا ... الى دينه الاسمى شباب محمد

شباب تغذى بالمعارف والتقى ... ولم يخش دجالا وسطوة ملحد

فلم يبق الا أن تـؤدوا رسـالة مقدسـة في ثوب عصر مجـدد
تؤدونها في كل ناد ومسـجد بأخلص ايمان وأطهـر مقصـد
بكل مكان تسـلكون الى النهى طـريق ائتلاف لا طـريق تشرد
طريق يضم الاصل من كل مذهب كفانا افتـراقا ما نرى من تبدد
أما دعوة الاسلام من عهد أحمد تنادى بتوحيد لقصـد موحد ؟
لنا في كتاب الله أسطع حجـة وفي سنة المختار أصـدق مرشد
على أن روح الـدين روح موحـد هو العروة الوثقى وأجدى موحد
وهل ضرنا الا اختـلاف مذاهب ولا خير في هذا الخلاف المبـدد
نرى طرقا في الدين في كل موطن وليست من الدين الحنيف المحمدى
نرى قطبها يدعو الى الزهد في الدنا يكره للاتبـاع كل مجـدد
ويزعم كل انـه ذو كرامـة وانه مهدى وهادى ومهتـدى
تولد من ذا ريبـة وتشـكك فزدنا ابتعادا عن شريعة احمـد
وأصبح فينا من تصدى لدينـه يرميه في عصر الضـيا بالتجمد
غزا دورنا التبشير في كل بقعة لتمسيحنا أو خلق عاص وملحد
دفعنا لهم ابنـاءنا وبناتنـا لتعليمهم في كل ديـر ومعهـد
وفينا رجال أهل علم وحـكمة وأسلامنا دين الرقى والتجـدد
فلا عيب ان أنتم سمعتـم بمارد على الدين من داع لفسق ومفسد
فهذى ديار الفلم أغوت شـبابنا بأفلام سراق وجسـم مجـرد
وهذى ديار اللهو ألهت شـبابنا إناثا وذكـرانا برقص معـربد
وهذى ديار الخمر تجرى عيـونها بداء عضـال بالخراب مهـدد
وهذا اختلاط الجنس في كل مرقص وفي كل شط بالحسـان مزود
وأمثال ذى الآفات لم يحص عدها هي العنصر الانكى لعيش منـكد
ألا عالجوا داء تأصل في الحشـا ومورده يا قـوم أخبث مورد
أجل كان تبشـير وجنبه فكرة شـيوعية لا ترتضى بمحمـد
أيـا خلفاء الله بعـد محمـد وحراس ميراث مجيـد محمـد
عليكم بحفظ الدين من كل ملحد ومن كل دجـال عنيد ومعتـد
وخلفكم جنـد عتيـد مجنـد ورايته القرآن في كل مشـهد
فسعيا لضم الشمل في كل موطن ونشر هدى الله وسـنة أحمد
سلام عليكم ما عملتم لدينـكم وفوقـكم الرحمن خـير مؤيد

غنيت للفرحة الخضراء

مصطفى محمد الغماري - طالب بكلية الآداب
جامعة الجزائر

اخواني ، اساتذتي ، بفضل الاسلام نالت الجزائر استقلالهـا ، وحاربت فرنسا والمبشرين الذين تستروا وراء الاستعمار السياسي لتحقيق اهدافهم الاستعمارية • والاستقلال الجزائـــري ، وذكـرى الاستقلال ، ذكرى عزيزة على كل مسلم • وعندي قصيدة فسأقرأها وسألقيها على مسامع اساتذتنا :

غنيـت للفرحـة الخضراء ألحـاني للنصر للفجـر أهـواه ويهـواني
للذارعين عـلى درب النضـال دما يجوب في غمرات البأس أوطاني
للطالعين مــن الآفـاق ألويــة يبرعـم الضـوء فيهـا سر ايماني
للضاحكين وفي اشراق بسمتهـم نهر يروي احساسي ووجــداني
اعجوبة الدهر كنا ما نزال عـلى نهج العروبة في عـــز وسلطان
قضى لنا الحـق اذ كنا له حرسا والذائـدين بـأرواح وأبـــدان
وصانعين عـلى دنيــا ملامحـــه حمـراء في منهل للموت ضمان
جزائري صرخة الابطال ثـائـرة على طريق الهدى يزهـــو بقرآن
يا صيحة الحق انت سفر نقـرأه للعالمـــين ونـــرويه باتقـــان
كم فيك للنصر آيـات أرددهـــا فتنتشي مـــن ثناها البكر اكواني
مليو نَنجم هوى في ساح ملحمتي فدا لك الروح روحي بعضقرباني
ما مات منا شجاع انت شاهــدة الا لتطبيق اسـلامي وقـــرآني

الله اكبر ... عشناها مجلجلة كصاعقة تبيد الظالم الجاني
الله اكبر ... ما أحلى تلاوتها على القلوب اذا جالت بميداني
على مسامعنا أنس ومرحمة ودفقة من سنى تسرى باحضاني
فذاك منا صدور ما جرى دمها لحمد رجس ولا تسبيح أوثاني
من كل احمر في جهل وفي دنس وفيلسوف اذا رأى ببهتان
يلوك لفظا سقيما ما له قيم سوى التنطع في حقد وشنآن
يرى التراث جمودا في تقدمنا بل انت يا شانىء رجس بأوطان
ان يجحدوا الحق أنوارا مقدسة فهل تراهم سوى عور وعميان ؟
جزائرى جددى عهدا نعيد به فجر العروبة من أبناء عدنان
من الذين يشيدون العلى قمما عرباء تحنو على أرضي واكواني
عروبتي اصبحت لفظا نموجه على الاثير بأنغام وأوزان
عروبتي اصبحت سترا ندبجه على جرائد من زيغ وبهتان
جزائرى ضمدى جرحا بمشرقنا جرح العروبة اضناني وأدماني
جرح الكرامة في أرض تمزقني ذكراه تقذفني في ألف بركان

محمد الوحدوي

للأستاذ صالح جودت - جمهورية مصر العربية

وعبقـــرى ملهـــم فنــــــه　　من عالم فوق نهى الآخــــره
ما علمـوه الشــــعر ، لكنــه　　لألأه من روحـــه الشـــاعرة
حديثـه السـحر ســـوى أنه　　من غير وهم الفئـــة الســاحره
من العبـــير القدسى افتنــه　　ومن رؤى الهامه العاطــــــره

* * *

يارب ، ما أجمل هذا الوليــــد　　يارب ، ما أكمله فى الصــــور
بأى وعد فى الورى أو وعيــــد　　يهز فى المهــد صروح القـــدر
مزلـــــزلا ايوان كسرى العتيد　　وشاطرا فى الليل وجه القمــــر
هل بارك الارض نبى جـــديد　　فى راحتيـــه رحمـــة للبشر ؟

* * *

قـام الى قـوم عفاة نيـام بدعـوة الحـق ودين السماح
ينشر في الارض لواء السـلام ويمحق الظلم بحـد السـلاح
شريعة الاحـرار تمحو الظلام وترسـل الروح طليق السراح
الا لوجه الخـير هـذا القيـام وفي سـبيل الله هـذا الكفاح

* * *

في زمـر مختلفات القبيـل قلـوبها شـتى فلا تلـتقي
لم يك للمجـد اليها سـبيل ينهض في تاريخـها المملـق
طافت بها معجـزة للرسـول تعقد تـاج الارض للمشـرق
وتنزع الحـق من المسـتحيل بالوحـدة الزاهـرة الرونـق

* * *

من ذلك الأمي مـن يعـرب يحلم في الارض بمجد السماء
ويبعث الصـيحة في يثـرب فيحشـد الامة حول اللـواء
يا عجبا من سـحر هـذا النبي العبقـري الفـرد في الانبياء
كيف سما بالبـلد المجـدب للمـكوت بين قـرني ذكـاء

* * *

وتابع الزحف القـوي العتيـد سـبيله بعـد النبي الحبيب
وسـار والله عليه شـهيد ينشيء ملكا شمسـه لا تغيب
وطالع الدنيـا دعـاء مجيـد يرقى الى سمت السميع المجيب
في آية تشـدو بأعلى نشـيد نصر من اللـه وفتـح قريب

* * *

أي والضحى والليل اذا سـجا قـد حـق نصر الله للمؤمنـين
واشرق الفجـر وغاب الدجى وانهـزم الشك وعـز اليقين
وهـل يفل الامـل المرتجى من عزمات الشرك والمشـركين
الا بنـور الحـق ان أبلجا وهزة السـيف على الظالمين ؟

* * *

يا سـيرة من غابـر الاعصر خفاقة خلف حجاب السـنين
لم تخف عـن كسرى ولا قيصر وان طوتها غفلة الحـاضرين
عودي الى اقوامنا وانظـري ما تصنع الفرقة بالهاجـرين
لم تبق الا دعـوة تنبـري صيحتها من ملتقى الثـائرين

* * *

انهض اليــــها يا ابا مــدين   وحرك العـــزم وهــز البنـــود
ولتنطلـــق من قلبك المـــؤمن   صيحة جبار يهز الحــــــدود
فبينـــنـــا شــعب بــلا موطـــن   قد ضاق بالصبر ومل الوعـــود
ازرى بـــــه فى الـــزمن الارعن   تخــاذل العرب وغـــدر اليهود

* * *

انهض بشيرا أو فقم منــــــذرا   وقل لأصحاب الكتـــــاب المبين
يا خير من اخرجتمو للـــــورى   كيف انتهيتم للمصـــير المهين
فبعضكم مســـــتغرق فى الكرى   وبعضـــكم يبـكى حماه الطعين
وبعضكم هامتـــــه فى الثـــرى   وبعضكم شـــعب من اللاجئين

* * *

لوذوا بحبل الله واســتعصموا   بالعروة الوثقى ولموا الشـــتات
ولينتظمكم محـــــور مســـلم   تســــــمو امانيه بأم اللغات
لا تعرفوا اليأس فتستســـــلموا له فان اليــــأس صنـــو الممـات
ان لم تفـــز بالمجـــد ايديكمو   فلن تنالوا المجـــد بالمعجزات

حبٌ من السّماء

للأستاذ صالح جودت - جمهورية مصر العربية

لى حبيب لست أخشى فيـــه عين الرقبـــاء

أتمنـــاه ولا يملعنى عنــــه حيــــائى

هو فى الشدة عونى وهو فى الليـل ضيائى

وعليــه صـــلواتى ولغنـــاه دعـائى

* * *

يا حبيب الله والناس ويا نــــور الســماء

يا مجـيرى من مصـــــيرى يا أمـير الانبياء

يا شفيعى يوم لا يســـأل عنى شـــفعائى

أنــا غنيت بذكــراك صبــاحى ومســـائى

وبذكراك انتشت روحى وأبدعت غنـــــائى

وبنجواك ازدهت نفسى وتاهت خيـــلائى

وعــلى بابك يــا أحمـــــد القيت رجـــائى

كلما عانيت ناديتك فانـــزاح شـــــقائى

يا بشـــير المســـلمين المؤمنين الاتقيـــاء

ان تكن عنى رضيا فأنا فى الســـــعداء

يا حبيب الله والناس ويا نـــور الســـماء

دعاء، أناديك يا من تلبي النداء

للأستاذ صالح جودت - جمهورية مصر العربية

أناديك يا من تلبى النـداء وأدعوك يا مستجيب الدعاء

أنلنـا الامـان وسـدد خطـانـا

وطهـر حمـانـا مـن الاشـقياء

بحـق حبيـبك فى الانبيـاء

* * *

تقـول لك الـروح : يـا خالـقى

حملـت الجهـاد عـلى عاتـقى

وأوليتـه همـة الواثـق

ورمـت الحيـاة بـلا عـائق

ورددت للخـير أغنيتى فغالت قـوى الشر أمنيتى

وأنـت تبـارك حـريتى

فباسم الصغير اليتيم الوليد
وباسم الشهيد وأم الشهيد
وباسم الطموح لفجر جديد
وباسم الكرامة واسم الفداء

أناديك يا من تلبى النداء وأدعوك يا مستجيب الدعاء

انلنا الامان وسدد خطانا
وطهر حمانا من الاشقياء
بحق حبيبك فى الانبياء

ايرضيك يا صاحب القبلتين
قيام اليهود على الحرمين
مسار المسيح وجد الحسين
ونحن نلبيك فى المشرقين

ونعنوا لذاتك يا ذا الجلال ونبذل أرواحنا في النضال

لنحمى حماك ونمحو الضلال
باسم محمد واسم المسيح
وباسم الاسير وباسم الجريح
وبالثأر أقسم لا يستريح
الى أن يجىء انتقام السماء

أناديك يا من تلبى النداء وأدعوك يا مستجيب الدعاء

انلنا الامان وسدد خطانا
وطهر حمانا من الاشقياء
بحق حبيبك فى الانبياء

أين المنطق السليم

للدكتور وصفي أبو مغلي ـ فلسطين

أقول الى الجهاد الى الجهاد   لدفع الظلم أو رد الاعادى
يقول الاذكياء لم التنادى ؟   وما يجنى الخلائق بالتمادى ؟

أليس « المسلمون » من « الاسلام » ؟
دعاؤك للوغى شر الاثام

أقول طغى اليهود على البلاد   وسال دما غزيرا كل واد
يقولون المصيبة فى العناد   وفى نشر العداء بكل ناد

فـــان تخفض جنـــاحك بالمـــذله

تجـــد عنـــد الغـــزاة الخير كله

أقول بيـــوتنا باتت جـذاذا وما فى الارض من شـبر ملاذا

يقولون التبجح ذا لمـــاذا ؟ أليس لكم من الصحرا معاذا ؟

ألسـتم فى الكهوف وفى الخيـــام ؟

فذكـــرك للبيـــوت من التـــعامى

أقول جيوشنا قهـرت مرارا جنينا من معاركها شنـــارا

يقولون التقهقر ليس عـــارا وينجى الجيش نصرا وانـــكارا

رأوا ان النبـــــات رحى دمـــار

وخوف الفقـــر لاذوا بالفـــــرار

أقول الموت للأحـــرار خـير ولا يرضى ذليل العيش حـــر

يقولون اصبرن فالموت مـــر وترك مبـاهج الدنيـــا أمـــر

لو أن الموت يحلـــو فى الحلـــوق

لـــكان من التجـــارة كالعقيـــق

أقول طغىالفساد على المصائر وامعن فى المظالم كل فاجـــر

يقولون انتهز موت الضـــمائر والا كنت فى دنيـــاك خاسر

فان ضــــــمائر الاجنـــاد نحس

وان ضــــــمائر الحـــكام بخس

أقول وكيف نصـــنع بالفقير أيترك والشـــقاء على حصـــير

يقولون الفقـــير على الحصير لأهنأ منك ترفل فى الحـــرير

أتطمع أن يكون لـــــكل فـــرد

من الفقـــراء قصر دون جهـــــد

أقول وكيف تحقيق العـــدالة وبعض الشعب يحلم بالنخالة ؟

يقولون اتركن تلك المقـــالة والا كنت من بعض الحثـــالة

فتـــلك مقـــالة الســــفهاء حتى

يصـــير الناس فى الاهـــواء شـتى

أقول نريد للاسلام وحده　　　فمن هذا التفرق كل شده

يقولون التنافس فى جدة　　　قديما كان للاسلام وحده

ولن نشقى عبيدا للقديم

مضى ألف على العهد القديم

أقول بشرعة الله الغناء　　　بها من ذل وهدتنا شفاء

يقولون ادعاؤك ذا غباء　　　يزيد به التناحر والعداء

نصارانا سترفض أو تحارب

فيشقى الناس فى وهج المصائب

أقول حديثكم بالحق فج　　　يقول الله «واعتصموا» لتنجوا

يقولون انتهجنا ذاك نهج　　　لكل مقالة دخل وخرج

دعاؤك ينزل الخسران فينا

وداعا سوف ترضى ما رضينا

الشرع والوحدة

للأستاذ القاضي عبدالله المجاهد الشماحي - الجمهورية العربية اليمنية

عرى الشرع شدت بالصـلاة وحكمه
فـان أهملا لم يبـق الا التنـاثر

وقوتنـا فى وحـدة لا يشـوبها
ريـاء ولا يوهى فـواها منـاجر

ألا هكذا للشرع تبنى القناطـر ويمضى عليها بالشعوب الاكابر
لقاء سيجنى المسلمون غراسـه فيا حبذا ما مهـدته الجـزائر
أ (نيزى وزو) انك اليوم نجمة اليك باكبار تشـر الحواضر

تشير اليها من بلادى جبالها ... ومن (عدن صنعا) تشير العشائر
تشـــير بحمد لابن مدين انه ... بأبطال هذا القطر حقا يفاخر
الى أرضها الشماء الرحال تواخذت ... بكل عليم للعلوم مسامر
خبـــير بأسرار الشريعة ، أنها ... لأرفع ما تسمو اليه السرائر
عرى الشرع شدت بالصلاة وحكمه ... فان أهملا لم يبق الا التناثر
وقد عق شرع الله فى العصر قومه ... فضاعوا وكل فى المتاهة سادر
وان لنا فى ملتقى اليوم نظرة ... فتبعث من قبر السبات الضمائر
وغاياتنا احياء شرعة أحمد ... فمنهجها للأرض حام وعامر
بتطبيقه فى الامس عز جنابنا ... وفاض على الدنيا الهدى والبشائر
هو الصرح ، والايمان أس ثباته ... ولما وهى الايمان عم التنافر
وصاح غراب البين بين صفوفنا ... وداس ذرانا فاجر ثم كافر
ومزق شمل المسلمين وأصبحوا ... عثاء لهم يصطاد يوم وصافر
وليس كهول اليوم (يا قوم) انه
بفكيه فى قلب العروبة فاغر
فجولان شرم الشيخ سيناء غزة ... وقبلتنا الاولى بها طار طائر
تولت الى كف اليهود برغمنا ... تصرفها بالنهي والامر (مائر)
ولم يغن عنا ألف قيل وجمعنا ... وان كان مليارا ولم يغن هادر
ثلاث سويعات بها جيشنا انقضى ... ولا جيش الا بالعقيدة ظافر
بطولاتنا فى القول مل ضجيجها ... محيط ، خليج هادر ، متشاور
فيا قادة الاسلام حكما وحكمة ... أصيخوا لصوت رددته المصائر
اعيدوا الى شرع القرآن نفوذه ... ففى بحره للحاكمين مصادر
مصادر فيها العدل والخير والهدى ... على عقد جيد الشرع بيض ازاهر
بتطبيقها فى ظلنا الارض عمرت ... ولما انحرفنا جرعنا الفواقر
تناوشنا الاهوال من كل جانب ... وطال علينا أنذل الناس ماكر
ولم نلق اسرائيل فينا مناعة ... ولا يدفع العدوان من لا يخاطر
وما كان جيش العرب ينقص عدة ... ولا عددا لما دعته البواتر
ولكنما فقدانه لعقيدة ... هو السر اذا دارت عليه الدوائر
فولى بعبر الريح رحلان ظهره ... وضمت الوف القاذفات الحفائر
فلن تنفعن دبابة وقذائف ... اذا لم يكن فوق المدافع ثائر

له زود القرآن نفســـا وفكرة ورود من علمه اليـــوم حاضر

فربوا على القـــرآن (قادة عصرنا)
شبابا بهم ينفي دخيـــل وماكـــر

شباب من الايمان صيغت نفوسهم فما منـــهم الا الكمي المغامـــر
شـــباب تقى طامح متـــوثب عليم لعرفان الزمـــان مســـاير
رضا الله مهواهم وتطبيق شرعه لهم هدف لم يثنهم عنه قاهـــر
ترى فهم الدنيا شـــباب محمد شباب أبى للتفاهات هاجـــر
هم فى الوغى اسد وفى السلم صنع وللعلم زهر للســـلام مزاهر
شباب اذا نادى الجهـــاد فانهم نجوم وشهب والصقور الكواسر
هنا وبهذا الملتقى اليـــوم رمزهم وهم لغـــد وراثنا والذخـــائر
بهم يزدهى فى ملتقى اليوم جمعنا كما يزدهى فـــوق الخميلة ماطر
وقوتنا فى وحـــدة لا يشوبها رياء ولا يوهى قواها متاجـــر

ستبقى يا جزائر في فؤادي

للأستاذ القاضي عبدالله المجاهد الشماحي - الجمهورية العربية اليمنية

ستبقى يا جـــزائر فى فؤادى نشيد المجـــد يتلى فى بلادى
فمن وطنى الجزائر سوف أغـدو غـــداة غـــد الى وطنى التلاد
الى صـــنعاء الى عـــدن وأب أجى عن جـزائرنا نجـــادى
واحمل للجـــزائر عن رباها جلال جمالها فـــوق الوهـــاد
تذكـــرنى مناظـــرها بأرضى مغانى حدة وربى البـوادى (I)
وما كانت لمارب من ســـدود وفى ارم لنـــا ذات العمـــاد
هنـــا وهنـــاك فتيان ليـــوث اذا الاســـلام نادى للجهـــاد
يلاقـــون المنـــايا بابتســـام ويحمون المـــكارم بالحـــداد
أأبناء الجـــزائر ســـوف نعلى منـــار غد على السبع الشـــداد
اذا انتظمت ايادينـــا جميـــعا وللغايات سرنا باجتـــهاد
سأحمل هـــذه الافكار عنـــكم لنمضى فى ثبـــات فى اتحـــاد
واغدو تاركا فيـــكم شـــعورى
ســـجلا مودعا فيـــه ودادى

I) حدة احد منتزهات ورياض صنعاء .



الشيخ القاضى عبد الله المجاهد الشماحى فى طريقه الى مقعده

هنا يالقومي

للأستاذ القاضي عبد الله المجاهد الشماحي - الجمهورية العربية اليمنية

في الجلسة الثانية من الملتقى وقف الشعر ليأخذ مكانه ، وفي هذه الوقفة عبر القاضي عبد الله المجاهد الشماحي عن أحاسيسه في هـذه القصيـــدة :

هنا يالقومي ، بالجزائـر مظهـــر　　بأنا بجـد قـد بـدأنا نفكـــر
بانا بدأنا نحـــو شرعـة أحمـد　　نسـير بايمـان به سوف ننصر
فنرفـع للاسـلام اعـلام شرعـة　　ونمضي ، ونمضي ثـــم لا نتقهقر
واني أرى في ذا اللقـاء هــلاله　　بما يتمنى المسلمـــون سيسفـر
بوحدتنا الكبرى التي الشرع نبعها　　فانعم به من مورد عنه تصـــدر
وبحث هـلال الصوم في مستقرنا　　له وحـــدة الاسلام حقـا تقـرر
وليس مجال البحث فيه بتافـــه　　له غاية اسمى من البدر ابـــدر
فان صغـيرات الامـــور وافــد　　بها يربط التاريـخ ما هو أكبـر
وما وحدة الاوقـــات الا عناصر　　بها الوحدة الكبرى تشد وتؤطر
ونحن بها في الامس تحت قراعنا　　هوى تاج كسرى وامتطى الفر قيصر
وشاد بها الفاروق للعـــدل دولة　　سواء بها سـود وبيض وأصفـر
لهم نسب الاسلام وحـــد مابهم　　هنا عـــربي أو هنالـك بربـــر

فكلهم القــرآن ولــد فكرهــم   وكلهم فى الشرع آهــل ومعشر
وكلهــم للشرع أمــة أحمـــد   لــه حكمــوا فيما يريد ويأمــر
واكرمهــم اتقــاهم وابرهـــم   بأمتــه للصالحـــات مثمـــر
فهذا هو الاسلام دينــا وفكـــرة   فما ذا عرى أهليه ، هــذا المحير
لقَد فرقتهم نعــرة ومذاهـــب   وفى العصر افكار من الشرك أخطر
علينا اعناها بســـوء تصــرف   وفى كــل قطــر مترف ومتبـــر
بطاقاتنــا ، روادنـــا لهــداتنــا   تبيد ويتلـــو أول الهلك آخر
خلايا هى الزلزال طى وجـــودنا   لها كــل عــام انقلاب يفجــر
خــلايا بناها الجاهلــون بطيهـــا   « يهودى » على شرق القناة يزمجر
يمـــد حبـــالا للفــرات وفارس   ومرماه ســودان ومصر وخيبـــر
يشاركه اطماعــه الكفــر كلــه   فماذا يصد الهول عنا ويدحـــر
رجوع الى القرآن والعلم رجعــة   توحــد اقطــارا لنـــا وتعمـــر
وليس محالا من هنا نبدأ الخطى   جزائرنا بالبـــدء احرى واجــدر
تكــون بالتوحيد للــــه وحـــدة   فوحدتنا للعدل فى الارض محور
بنا الوحدة الكبرى التى نحن نبعها   اذا نحن اخلصنا لها تتبلـــور
وتبرز عمــلاقــا وتصرع كل مــن   يصارعهـــا فى ســـيرها ويوخــر
ويسقط فى تيارها كـــل مارق   وفى لجها ينهى الشقاق ويقبـــر
لنـــا وعلينـــا واجبــات بحفظهـــا   سنحفظ للاســلام روحـــا وننشر
فنحن لهـــا روادهـــا ولقومهـــا   هداة ولا يهدى الى النصر مدبــر
ولا من تعالى عن احاسيس شعبه   ولا من له الحقــد الدفين مســـير
ولا من عليه البعض ســد طريقه   ولا متــرف فى شخصـــه متحجر
ومن بالمبادىء والحقوق متاجـــر   وهذا هو الداء الــذى منه ينفــر
ولا من عميل ذاب فى غير شعبه   فهذا من الغازى على الدين أخطر
هو الجد ياقومى فكونوا لروحــه   مثالا به روح الشريعـــة يسفــر
ولا تخدعــونا بالثنــــاء فننثــنى   ونحــن الصحــراء والبحر نمطر

مشـــاكلنا شتى واعمقهـــا اسى مواقف ننسى بعـــدها ما تقـرر
فنرجع فى دوامـــة مـــن مطامع تفرقنـا مثـل الحصى حين ينثـر
فهـــذا لـــردعه وذاك لغـــيره وذاك (لنـين) بين عينيه ينظـر
وهـــذا اشتراكى وذلـــك ضده وما هى الا ضجـــة ليس أكثـر
فواقعنا من فـــوق ذلك كلـــه فهل فيه عن جد وعلم مفكـــر
فتأتى حلول المشكلات كما يـرى طبيب بادواء الشعـوب مـــدكتر
وقـــوتنا فى وحـــدة لايشوبها نفـاق ولا يوهى عراها مـــوجر
يكونها القـــرآن فهو الذى بـــه نحقق ما نصبـــو اليه ونظفـر
ونصـــدر من ذا الملتقاء بخطـة ونحن على تنفيذها بعد اقـــدر
فنمضى بتوفيق الى اوج وحـــدة يبـــاركها قـــرآننا ويكبـــر

انطباعات ومشاعر

للأستاذ القاضي عبد الله المجاهد الشماحي - الجمهورية العربية اليمنية

في رحلة سياحية كانت ممتعة وقد جمعنا فيها بين مناظر الطبيعة في أجمل واكمل مباهجها بحر تتلاطم امواجه وجبال بقممها تناطح النجوم ، وسهول بالمصانع والمزارع ، والرياض والقرى تعج ، تشقها الانهار ، والطرق ، ومن هذه المشاهد جاءت ونحن تسير بنا السيارات هذه الابيات :

رياض لنشوتها نسطح   وفي ظلها جمعنا يمرح
تناجي البحار وتحوى الجبال   على السهل أفنانها تسبح
رياض يغطي الربى سرحها   وللاسد في غابها مسرح
تسيل المياه بوديانها   وبالجود أطوادها تسمح
بـ (تيزي وزو) ارباضها   تحيط شجيراتها تمنح
اليها ذهبنا وفي نزهة   لها كل شيء لنا ممرح
أ (بني يني) على ملكها   يحييك من يحصب يفسح
فيا للجزائر ما انبتت   بها للعلا كلنا نطمح
وفيها عقدنا لاجيالنا   مجالس في فكرها نسبح
بها الشرع معتمد للذكا   فانتاجنا مثمر مربح
جزائرنا ، هذه أرضها   باطوادها للسما تنطح
وابناؤها شهب فوقها   فمن رام اذلالها تلفح
نجوم تضيء لأجيالنا   رجوم لأعدائنا تمسح
فحي الجزائر حي اللقاء   فهذا اللقا مرشد مصلح

انطباعات ومشاعر

للأستاذ مصطفى الزرقاء - الأردن

في نهاية الملتقى السابع للفكر الاسلامي في مدينة تيزي وزو في الجزائر نظمت رحلة ممتعة صعودا الى منطقة بنى ينى في الجبال ، ثم انحدارا من أعالى القمم الى ساحل البحر في طريق العودة مساء الى تيزي وزو • وكانت الرحلة بصحبة معالى وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية الاستاذ مولود قاسم الداعى الى هذا الملتقى •

وكان دليل الرحلة الاستاذ حسن حموتن الخبير بالمواقع والوقائع يقوم بمهمة التعريف بالمواقع والقرى والغابات ، ويروى اخبارالثورة الجزائرية والمعارك التي خاضها الثوار المجاهدون الميامين ضد الجيش الفرنسي الغاشم في كل موقع تمر به هذه الرحلة • وشوهدت فيها بعض الغابات الجبلية التي أحرقها الفرنسيون بقنابل النابالم ليمنعوا الثوار المجاهدين من اتخاذها مكامن وملاجىء لهم •

وكانت تلك المناظر الخلابة بجمالها الطبيعى ، والمثيرة للمشاعر بأخبارها النضالية ، وطرقها الجبلية بين الوديان السحيقة والجبال الشاهقة ، مبعث ايحاء أوحت الى الاستاذ مصطفى احمد الزرقاء (الاستاذ فى الجامعة الاردنية) فى اثناء الرحلة بالابيات التالية سجلها فى الطريق وأنشدها فى استراحة الغداء الذى هيأته العائلات هناك لجميع المشاركين فى هذا الملتقى من أساتذة وطلبة جاوز عددهم الالف ، وحملتهم خمس وعشرون حافلة من السيارات الكبيرة سوى بعض السيارات الصغيرة :

ويوم صعدنا فيه نحو بنى ينى … تحث خطاها الحافلات السوابق
تشق بنا قلب الغمام وترتقى … جبالا ذراها بالسماء عوالق
تسير على مثل الصراط وتنحنى … فتخفق منا فى الصدور الخوافق
على جانبينا من يمين ويسرة … سحيقات وديان ، وشم شواهق
كستها يد الرحمن أبهى خمائل … وقامت من الاشجار غيد سوامق
عرائسها غلوية الصنع صاغها … من المزن ودق هاطل متلاحق
عرائس خضر قد اظلت خدورها … جنود جهاد للعلا تتسابق
لكل عروس ذكريات حبيبة : … عناق شهيد لم تعقه العوائق
معاقل للثوار فيها مرابض … وكان لجيش الظلم فيها بوائق
كمائنهم منبثة فى شعابها … تخر على الاعداء منها صواعق
بطولات قوم خالدات شواهد … وآثار مجد بالنضال نواطق
وما نفع الاعداء حرق لغابها … وأشعلت الايمان تلك الحرائق
سقتك الغوادى يا جزائر مثلما … غذتك العوادى، وازدهتك الحقائق(I)
ولا بطرت نعماك ان دروبها … اذا بطرت للهاويات مزالق (I)
ويا ملتقانا بالجزائر بوركت … بك القسمات الغر ما ذر شارق
عليك وزير للأصالة حارس … ويحيا رئيس فيك للشعب عاشق

I) هذان البيتان اضيفتا بعد العودة من هذه الرحلة فى الجبال .

الرسم

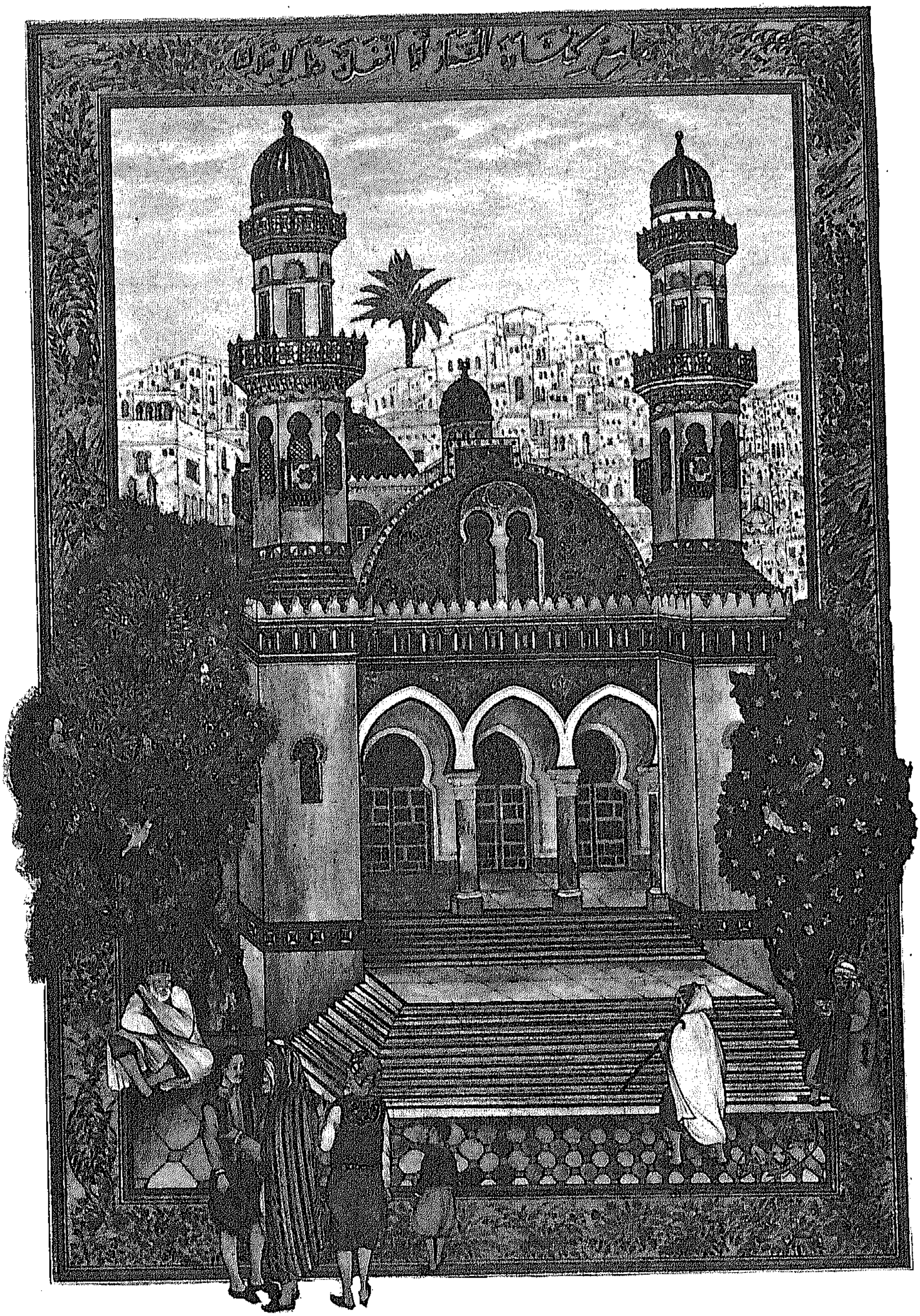
رسوم عرضت في قاعات
الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي



صورة عن معركة قسنطينة بين المقاومين الجزائريين والغزاب الفرنسيين سنة 1837
تحت قيادة كل من أحمد باى والجنرال فاليه ٠







جامع كتشاوة بالعاصمة



الجزائر ـ نهج القصبة

مُلحق

دراسات وزعت أثناء الملتقى

القرآن الكريم والفكر

للدكتور أحمد الحوفي

رئيس لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
ورئيس قسم الأدب العربي بكلية العلوم - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية

(1) اشادة القرآن بالعلم والفكر :

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكمل به الاديان ، ويختتم به الشرائع ، وينير للناس مسالك الحق والعدل والخير وما يكفل لهم صلاح شؤونهم أفرادا وجماعات .

وما كان لاحد ان يعجب لو ان القـــــرآن الكريم نزل كله نصحا وتشريعا وقصصا وتوجيها فى صيغ من الامر والنهى والارشاد ليست مقرونة بالحض على التفكير والتدبر والاشادة بالعلم والتقدير للعلماء ، وتقريع الجهال وذوى الغفلة ، والسخرية ممن لا يفكرون .

ولكن القرآن الكريم حفل بهذا كله ، وأشاد بالعلم ، ورفع من شأن الفكر ، وليس العلم الذى اشاد به مقصورا على نوع من المعرفة معين ، وليس التفكير الذى أهاب به محصورا فى نطاق من الفكر محدد ، فان

العلم الذى ينوه به القرآن الكريم عام يشمل العلوم كلها ، والتفكير الذى يدعو اليه القرآن فسيح يتسع لالوان التفكير كله ، حتى ان نحو ثمن القرآن الكريم آيات متصلة بالعلوم عامة ، وما عـداها عقائد وعبادات وتشريع وتاريخ واخلاق ·

ولا غرابة فى عناية القرآن الكريم بالعلم والفكر الى هذه الدرجة ، لان العقل هبة من الله ينميها التفكير ، ويغذيها العلم ، ويرقيها استخدامها فيما خلقت له ، لتهدى الى الحق والخير ، ولتدفع الى اليقين بوحدانية الله وقدرته وحكمته ، ولتمكن للناس ان ينتفعوا بما خلق الله فى الارض والسماء ، ولتكفل لهم حياة أرقى واسعد وارغد ·

فلو ان العلماء قدروا ما منحهم الله من عقل وعلم وفكر حق قدره لخلص علمهم للحق ،وتمخض علمهم للخير ، ونزهوا هبة المولى سبحانه وتعالى عما لا يصح ان تستخدم فيه من افساد وعـدوان وتخريب وطغيان ·

لو ان العلماء اصاخوا الى هتاف عقولهم وعلومهم لايقنـوا بأن الكون كله ينطق بأنه وليد قدرة لا تدانيها قدرة ، وخاضـع لتدبير محكم لا يشابهه تدبير ، ومسير بحكمة ليس لها شبيه أو نظير ·

أما الذين يلحدون بعد علم ، او يكفرون بعد معرفة ، فـان علمهم كالعين بغير بصر ، وكالجسد بغير روح ·

وأما الذين يسيؤون الى العلم فسيتخدمونه فى التدمير فانهم قـد ضلوا وأضلوا ، وحكموا فى علاقات البشـر،وهم اخـوة ، شريعة الغاب وطبيعة المخلب والناب ·

وهيهات للناس ان ينعموا بطمأنينة،وعلى ظهر الارض من يعيثون فيها فسادا ، ويبغون علوا واستكبارا ·

وانه ليسترعى الانظار والانتباه ان القرآن الكريم يزخر بمئـات الآيات التى تشيد بالعلم ، وتحض على التفكير ، وتسـخر بالجهل ، وتسفه العقول المعطلة ·

وحسبنا ان نمثل بهذه الكلمات ومشتقاتها :

جاءت مادة العلم مرادا بها علم الناس لا علم الله فى نحو ستمائة آية ، والرأى بمعنى العلم فى نحو ثمانين ، والنظر بمعنى العلم فى نحو ثلاث وعشرين ، والابصار بمعنى التفكير فى نحو ستين ، وترددت مادة العقل فى نحو خمسين ، والقلب بمعنى العقل فى نحو مائة وثلاث وثلاثين،والنهى بمعنى العقل فى اثنتين،والفؤاد بمعنى العقل فى ست عشرة ، والالباب بمعنى العقول فى ست عشرة ، ووردت مادة الفكر فى ثمانى عشرة ، والفقه بمعنى الفهم فى عشرين، والفهم فى واحدة ، والتدبير فى تسع ، والرشد فى تسع عشرة ، والحكمة فى عشرين ، والعبرة فى سبع ، والرشد فى تسع عشرة ، وذكر القرآن الكريم مادة الذكر فى نيف ومائتين ، والقراءة فى سبع عشرة ، والتلاوة فى اثنتين وستين ، والكتابة بمعنى الخط فى نحو ثلاثمائة ، والقلم فى اربع ، والصحف فى ثمان ، والسطر ومادته فى خمس،والدرس ومادته فى ست .

(2) تقدير العلماء والمفكرين :

يتردد فى القرآن الكريم الثناء على العلماء ، والتنويه بشأن المفكرين واختصاصهم بالتدبر والتأمل ، كما يتردد تقدير العلم ووسائل العلم .

I) وحسب العلماء تقديرا ان الله سبحانه وتعالى قرنهم بالملائكة فى الاقرار بوحدانيته وعدله ، لانهم هم الذين يفكرون فيهديهم تفكيرهم الى الحق ، وهم الذين يستطيعون ان يثبتوا بالادلة ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وما يتنزه عنه من صفات النقص ، ويوقنون بأنه القوى العزيز الذى لا يغالبه أحد ، العليم الحكيم الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه ، ودبره فأحكم تدبيره .

قال تعالى : « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم » (I) .

I) سورة آل عمران I8

2) والعلماء هم أولو المعرفة والتجربة والخبرة ، وهم القادرون على الفهم الصحيح والتوجيه الرشيد ، وهم أهل المشورة والفتيا .

قال سبحانه : « مثل الذين اتخــذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهـن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمــــون . ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ؛ وهو العزيز الحكيم . وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » (2) .

وقال تعالى : « واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطــونـه منهم » (3) .

فقد كان بعض الاغرار من المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وســلامة وظفر أو خوف وضعف وخلل أذاعوه ، وكانت اذاعتهم ضارة بالمسلمين ، كاشفة لما ينبغي ألا يكشفه ، وكان على هؤلاء المذيعين ألا يشيعوا ما سمعوه ، وأن يسألوا رسول الله وكبار الصحابة ليعرفوا الحقيقة من ذوى المعرفة والتدبير والعلم بمكائد الحروب .

وهنا توجيه كريم يجدر بالمسلمين اليوم ان يمعنوا انظارهم فيه ، وان يهتدوا به وهم يناضــلون اعداءهم ، ولهــذا علق ابن المنير الاسكندرى على تفسير الزمخشرى للآية بقوله : « فى هذه الآية تأديب لكل من يحدث بكل ما يسمع ، وكفى به كذبا ، وخصوصا عن مثــل السرايا والمناصبين للاعداء والمقيمين فى نحور العــدو ، وما اعظم المفسدة فى لهج العامة بكل ما يسمعون من اخبارهم خيرا أو غيره » .

وقد جربنا ذلك فى زماننا هذا — القرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى أيام الحروب الصليبية — منذ طرق العدو المخذول البلاد ، طهرها الله من دنسه ، وصانها عن رجسه ونجسه ، وعجل للمسلمين الفتح ، وأنزل عليهم السكينة والنصر (4) .

2) سورة العنكبوت 41 — 43
3) سورة النساء 83
4) هامش الكشاف للزمخشرى 1 — 285

3) والعلماء هم الذين يتفقهون في الدين ، وهم الذين يرشدون قومهم ، ويبصرونهم بالحق ليتبعوه ، ويحذرونهم الشر ليجتنبوه ٠

قال تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحـذرون » (1) ٠

وذلك انه بعد غزوة تبوك ، وبعد ان انزل الله تقـريع المتخلفين جعل المسلمون يتسابقون الى الجهاد ، فانقطعت طائفة منهم عن الفقـه في الدين ، فنزلت الآية الكريمة تبين لهم انه ليس من الصواب ان يشخصوا جميعا الى الجهاد ، بل يجب ان يشخص بعضهم ، ويبـقى آخرون ، ليتعلموا وليعلموا اخوانهم المجاهدين بعد عودتهم ٠

4) والعلماء هم الذين يخافون الله ويقدرونه حق قدره ، لانهـم يوقنون بوحدانيته وقدرته وعدله وحكمته وكماله المطلق ٠

قال تعالى : « ألم تر ان الله أنزل من السماء مـاء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعـام ، مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور » (2) ٠

5) لهذا كان العلم درجـات ، وليس له حد ينتهي اليه ، وكان العلماء والمفكرون اصحاب مكانة عالية عند الله تعالى ٠

قال سبحانه : « نرفع درجات من نشـاء ، وفوق كل ذى علم عليم » (3) ٠

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم ، واذا قيل انشزوا فانشزوا ، يرفع اللـه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجـات ، والله بما تعملون خبـير » (4) ٠

1) سورة التوبة 122
2) فاطر 27 ـ 28 ٠ جدد : خطط وطرائق مفرده جد ٠ غرابيب سود : مفرده غريب ٠
3) سورة يونس 76
4) سورة المجادلة 11 ، انشزوا : انهضوا للتوسعة على المقبلين او من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

6) ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى العلم من اســـباب التفوق والامتياز والجدارة بالريادة والرياسة •

فقد طلب بنو اسرائيل بعد موسى عليه السلام من نبيهم يوشع — شمعون أو شموئيل — أن يبعث للقتال معهم أميرا يقودهم فى الحــرب ويأتمرون بأمره ، فقال لهم : اننى أتوقع جبنكم عن القتال ، فقالوا : كيف نجبن وقد طردنا من ديارنا وابعدنا عن ابنــائنا ، يريدون ان قوم جالوت الذين كانوا يسكنون ساحل البحر الابيض المتوسط بين مصر وفلسطين قد أسروا مئات من بنى اسرائيل ، ثم صح ما توقعه يوشع ، فانهم بعد ان فرض عليهم القتال فروا الا قليلا منهم •

وقال لهم يوشع : ان الله بعث لكم طالوت ليكون ملكا عليكم ، فأنفوا ان يتملك عليهم وهو فقير ، ولابد للملك في نظرهم ان يكون غنيا ذا مال كثير ، وزعموا انهم احق بالملك منه •

فقال لهم يوشع : ان الله قد اختاره،والله أعلم منكم بما يصلحكم ، وليس لاحد ان يعارض اختيار الله ، وقد منح الله طالوت قـــوة فى الجسم ، وسعة فى العلم ، سواء أكان علم الدين ام علم الحرب ام هما معا ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، وهو سبحانه واسع الفضل والعطاء عليــم بمن يختار •

ومعنى هذا ان العلم من اسباب التميز والعلاء •

قال تعالى : « وقال لهم نبيهم : ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا : أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟

قال : ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم » (1) •

7) وشتان ما بين العلماء والجهال ، لان العلماء أولو بصر والجهال ذوو عمى ، ولن يستوى الذى يعلم ان القرآن حق والجاهل الجاحــد الذى عمى عن هذا الحق •

---

1) سورة البقرة 247

قال تعالى : « أفمن يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ انما يتذكر أولو الالباب » (1) ·

وقال سبحانه : « قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر أولو الالباب » (2) ·

(3) التفكير يهدى الى الايمان :

ما أيسر على الناس اذا تدبروا فى خلق السموات والارض ان يهتدوا الى ان ربهم واحد لا شريك له ، قادر لا يعجزه شىء ، حكيم لا فطور فيما خلق ، عليم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة ، فليس يصح ان يسمى غيره الها ، لأن الله تعالى هو الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه ، فأحكم تقديره ، وهو الذى يغدق النعم كلها ، وجميع من سواه وما سواه لا يعدو ان يكون نعمة من الله او منعما عليه من الله ·

وهؤلاء الذين يفكرون ويتدبرون هم الذين يستحقون وصف الله تعالى لهم بأنهم أولو الالباب ، لانهم يفتحون ابصارهم وبصائرهم للنظر والتدبر والاستدلال والاعتبار ، فيعرفون ربهم ، ويذكرونه ذكرا دائبا ·

وهم الذين يفكرون فيما أبدع الله فى الارض وفى السماء ، وفيما دبر من عجائب تنطق بقدرته وحكمته وعظمته ، وتعجز العقول عن ادراك أسرارها ·

وهم الذين ينزهونه عن أى نقص ، ويعبدونه ، ويطيعونه ويرجون ثوابه ، ويخشون عقابه ·

قال تعالى : « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب · الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » (3) ·

والحق ان نظرة واحدة فى الكون تملأ النفس بهرا بما فيه من روعة ودقة ومقدرة وقوانين ثابتة مطردة بعيدة حكيمة · يتجلى هذا فى

---

1) سورة الرعد 19
2) سورة الزمر 19
3) سورة آل عمران 190 ــ 191

كل شيء ، من قطرة الماء الى المحيط ، ومن ذرة الرمل الى الجبل ، ومن النملة الى أضخم حيوان ، ومن ورقة الشجرة الى الغابة ، ومن الجنين فى بطن أمه الى الرجل ، ومن أصغر نجم الى أكبر مجموعة شمسية ·

ومن العبث بالعقل وبالوجدان ، ومن الضلال المغـــرق فى العمى والجحود ان يعزى شيء مما فى الكون الى المصادفة ، لأن المصادفة أعجز من أن تحقق أضأل شيء مما فى الكون أو تهيمن على أيسر قانون مما يسير عليه الكون ·

وقد صدق بالى BALEY فى قوله ان عدد الساعة الدقيقة أقل اثارة للدهشة بمراحل من دقة القوانين التى نراها فى الطبيعة ، وان دقة الساعة تثبت لاكثر الناس شكا ان وراء هـــذه الدقة عقلية ميكانيكية ·

ثم قال اننا لو فرضنا ان هذه الساعة قد منحت قدرة على ايجــاد ساعات أخرى فان هذا لا يكون معجزة تفوق معجزة توالد الانســان والحيــوان (١) ·

ولقد رفض المصادفة كثير من الفلاسفة القدمــاء والمحــدثين مثل سقراط،ولابلاس،وبوانكارى،وكميل فلاماريون ·

ويكفى لابطال المصادفة ان اسوق هذا المثال : لو أخذنا عشر قطع متساوية الحجم من الورق ، ورقمناها من واحد الى عشرة ، ووضعناها فى كيس وخلطناها ، ثم حاولنا ان نســـحب الاوراق كترتيبها من الاولى الى العاشرة فان فرصة خروج الورقة ألاولى تكون بنسبة واحد الى عشرة ، وخروج الورقة الاولى والثانية متتابعين يكون بنســـبة واحد الى مائة ، وخروج الاوراق الاولى والثانية والثالثة متتاليـــة يكون بنسبة واحد الى الف ، وخروج الاوراق الاربع متلاحقة يكون بنسبة واحد الى عشرة آلاف ، وخروج الخمس الاربع متتابعة بنسبة واحد الى مائة الف ، وهكذا ، حتى تصبح فرصة خـــروج الاوراق العشر بترتيبها التصاعدى بنسبة واحد الى عشرة ملايين ·

I) العلم يهدى الى الايمان 4I كاريسى موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكى .

ومن هذا يتضح ان المصادفة لا يمكن ان تضع قانونا ، ولا يمكن ان تكفل شيئا من هذه المعجزات المذهلة التى تتبدى فى كل ما نراه فى الـــكون .

ثم أنه من حقنا ان نسأل :

لماذا لم تصنع المصادفة الاحياء كلهم أناسى أو نباتات أو حيوانات؟

ولماذا تنوعت أجناس الناس ذكرانا واناثا ، وتعددت أنواع الحيوان وأصناف النبات الى ما لا يكاد يحصى ؟ لماذا تغايرت الخلايا ، فصارت هذه انسانا ، وأصبحت تلك حيوانا ، وأوجدت الثالثة نباتا ؟

أليس هذا التقسيم الحكيم مقصودا أيما قصد ؟

يكفى أن نتصور للارض حالتين ليتجلى هذا القصد المدبر :

الحالة الاولى معمورة بالانسان والحيوان ولا نبات بها .

والحالة الثانية أنها عامرة بالنباتات وحدها وليس عليها حيوان .

فماذا نجــد ؟

لا شك أن الاوكسجين ينفد فى الحالة الاولى ، اذ يستهلكه الحيوان والانسان ، فلا يبقى انسان ولا حيوان .

ولا شك ان ثانى اوكسيد الكربون ينفد فى الحالة الثانية فيموت النبات كله ، وتعتبر الارض حصيدا كأنها لم تغن بنبات من قبل .

فمن الذى كفل هذا التعادل ودبره وسيطر عليه غير الخالق الحكيم العليم المدبر سبحانه وتعالى ؟

واذا كان القول بالمصادفة لغوا فانه لغو أيضا ان يقال ان البيئة أو المادة نفسها أو أى تفاعل طبيعى أو كيميائى أو هذه كلها مجتمعة هى التى صنعت الحياة .

ولست أدرى كيف غفل اصحاب هذه المزاعم عن أن يســـــألوا أنفسهم : ومن الذى أوجد البيئة ؟ ومن الذى صنع المادة ؟ ومن الذى مكن للتفاعل ان يتم ؟

ومن أين للمصادفة أو للبيئة أو للتفاعل المادى ان يصنع المعجزات التى يقوم عليها الخلق كله ؟

ان أذن الانسان وحدها مكونة من أجزاء ، في جزء واحد منها قرابة أربعة آلاف خلية دقيقة معقدة متدرجة في حجمها وشكلها بأدق نظام، لتلتقط وتنقل الى المخ ما خفت وعلا من النغمات والاصوات .

ولقد زرع الناس منذ عشرات الالوف من السنين ، زرعوا قمحا وزرعوا شعيرا وزرعوا فولا وزرعوا عدسا وبصلا ، وغرسوا أنواعا شتى من الشجر والفاكهة ، ولكن لم يحدث قط ـ ولن يحدث ـ أن بذر فلاح حنطة فنبت عدس ، أو بذر حبة فول فصارت عود ذرة ، أو غرس فسيلة نخل فصارت شجرة رمان ، أو وضع فى التربة كرمة فاذا هي شجرة برتقال ، مع أنها كلها فى مكان واحد ، وتسقى بماء واحد ، وتتنفس من هواء واحد .

فأين البيئة ؟ وأين التفاعل ؟ وأين المصادفة ؟

قال تعالى : « وفي الارض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، تسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الاكل،ان فيذلك لآيات لقوم يعقلون » (I) .

لقد أدرك الرجل البدوى بفطرته السليمة بطلان المصادفة ، ولغو البيئة ، وضلال النشوء والارتقاء ، وما شاكل ذلك من اباطيل الالحاد ، واهتدى بمنطقه الفكرى ان للكون الها عظيما خلقه بقدرته ، وسيره بحكمته فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل ذلك كله على الله اللطيف الخبير ؟

وان القرآن الكريم ليزخر بالاستدلال على وجود الله ووحدانيته وقدرته من عجائب الكون فى الارض وفى السماء ومما خلق الله من حيوان ونبات وجماد ، ويعقب على هذا التوجيه أو يقدم له بأن فى هذه المظاهر الادلة المقنعة للعقلاء وللعلماء المفكرين والمتدبرين وأولى الالباب .

فلله سبحانه وتعالى قدرة وحكمة تتجليان لاولى الالباب فى انه خلق الرجال والنساء من جنس واحد ، ليسكن الرجل الى زوجته ،

I) سورة الرعد 3 ـ 4 صنوان : جمع صنو وهو النخلة تخرج فى اصل نخلة أخرى .

ولتسكن الزوجة الى زوجها ، وربطهما بألفة ومحبة ومودة ورحمة ، ولو كان الرجال والنساء من جنسين مختلفين ما تم الف وما تحقق تـراحم ٠

وهو الذى برأ الناس ، وأقدرهم على النطق بلغات شتى ، وميزهم بهذا النطق على سائر الحيوان ، وجعل أصواتهم تتباين همسا وجهارة، وحدة ورخاوة ، وجعل بيانهم يختلف لكنة وفصاحة ٠

وهو الذى ذرأ البشر مختلفة صورهم وأشكالهم وألوانهم : ولهذا الاختلاف فى اللغات والالوان والاصوات حكمة يعلمها سبحانه وتعالى، فربما كان الاتفاق فيها والوحـــــدة مدعاة الى الالتباس والاختلاط والاضطراب والفوضى وفقدان التعارف وذهاب المصالح والمنافع ٠

والله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الناس مســـتعدين للاعمال قادرين عليها بما منحهم من أعضاء ملائمة ، وقوى موائمـــة ، وتفكير موجه ، وبما فسح لهم من ميادين العمل واسبابه ، وخلقهم مستعدين للنوم وللراحة والاستجمام من عناء الاعمال ٠

قال تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنـوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ٠ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألـوانكـم ، ان فى ذلك لآيـات للعالمـين ، ومن آيـاته منامكم باليـل والنهـار وابتغاؤكم من فضله ، ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون» ٠ (1)

وكثيرة جدا الآيات القرآنية الكريمة التى عـــلى هذا الغــــرار ، مثل قوله تعالى : « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ٠ ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من الســـماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » (2) ٠

1) سورة الروم 21 ـ 23
2) البقرة 163 ـ 164

وقوله سبحانه : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون •

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون •

وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ، ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون » (1)

(4) التفكير للعظة بالسابقين :

كذلك اختص القرآن الكريم بالحض على التفكير للعظة بالسابقين ، ولهذا ذكر قصص الرسل السابقين ، وقصص الامم الخالية ، وما أفاض الله من نعم على الذين اهتدوا واتبعوا ما دعاهم اليه أنبياؤهم ، وما حاق من نقم بالذين عصوا وكذبوا رسلهم واستكبروا استكبارا ، ليسلك الذين دعاهم محمد عليه الصلاة والسلام طريق الطائعين ، فيسعدوا برضوان الله ، وليجتنبوا سبيل العاصين ، فينجوا من سخطه وعقابه •

وكثيرا ما عقب على القصة أو قرن بها الدعوة الى التفكير للعظة والاعتبار •

وحسبنا هذه الامثلة :

1) قال تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (2) •

فما هذه القصة ؟

انها قصة عالم من بنى اسرائيل ، آتاه الله علم بعض الكتب ، فكفر بها ، فصار الشيطان له قرينا أضله وأغواه ، ولو انه عمل بما

---

1) النحل 10 ــ 13 • تسيمون : ترعون ماشيتكم • ذرأ : خلق
2) الاعراف 175 ــ 176

منحه الله من آيات لرفعه الى منزلة الابرار من العلماء ، ولكنه مال الى الدنيا ، ورغب فيها ، وآثرها ، فصار كالكلب فى خسته وضعنه ، لان الكلب يلهث دائما ، سواء حمل عليه الناس أم لم يحملوا ، على حين أن الحيوانات لا تلهث الا اذا ثارت وهاجت .

وهذا التمثيل يصدق على اليهود الذين كذبوا بآيات الله بعد ان قرأوا فى التوراة الصحيحةوصف رسول اللهووصف القرآن المعجز ، وبعد أن بشروا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وباقتراب بعثته ، وكانوا يتشوقون الى الانتصار به على الذين كفروا .

فاقصص يا محمد هذا القصص ، لعل سامعيه يفكرون ، فيحذروا عقاب الله الذى يصيب من ساروا سيرة ذلك العالم ، وزاغوا مثل زيغه .

2) وذكر القرآن الكريم قصة ثمود وتمردهم على نبيهم صالح عليه السلام ، واهلاك الله لهم ، وختمها بقوله : «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون » (1) .

3) وذكر قصة قوم لوط وعصيانهم له ، وتدمير الله لهم ، وعقب عليها بقوله : « ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » (2) .

(5) تمثيل موقظ للفكر :

فى القرآن الكريم ضروب من التمثيل والتصوير يسوقها للتدليل على وحدانية الله تعالى وقدرته ، ويوضح بها امكان البعث ، ويكشف عن حقائق يجب ألا يشك فى صدقها عاقل ، ويبين ما غشاه الجهل والعناد ، ويوردها للعظة والاعتبار .

قال تعالى : « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون » (3) .

وقد جاء بعض هذا التمثيل مقرونا بالحض على التفكير ، أو مقرونا بتقدير العلماء والمفكرين،أو مصحوبا بالسخرية من الجهال والاغبياء .

1) سورة النمل 52
2) العنكبوت 35
3) الزمر 27

1 – من هذا قوله تعالى : « أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار ، له فيها من كل الثمرات ، واصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت ؟ كذلك يبين لكم الآيات لعلكم تتفكرون » (1)

ففي هذه الآية تمثيل حال من عمل اعمالا طيبة لا يبتغى بها وجه الله فصارت عاقبتها وبالا عليه بحال من يمتلك حديقة ذات خصب وماء جار وثمرات ، وقد كبر سنه ، وله ابناء صغار ، فهو في أشد الحاجة الى حديقته ، ثم حاقت بالحديقة صاعقة أحرقتها .

أرأيتم هذا المثل ؟

ان الله تعالى يضربه ويضرب اشباهه ، ويبين لكم الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته ، عسى ان تفكروا لتهتدوا الى الحق وتؤمنوا به وتذعنوا له .

2 – وقال سبحانه : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ، اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار » (2) .

فصور كلمة الحق طيبة ، وكلمة الباطل خبيثة ، فجعل الاولى كالشجرة الحسنة المثمرة المظلة النافعة الراسخة السامقة تسخو بثمرها في حينه باذن الله .

وأما الثانية فانها كالشجرة القبيحة الكريهة التي استؤصلت من مكانها ، فلا حياة فيها ، ولا رعاية لها ، ولا نفع منها ، كذلك التوحيد يعمر قلب المؤمن ، ويهديه الى طاعة الله ، والى العمل الصالح ، فينال الثواب في دنياه وفي أخراه .

وكذلك الشرك ، فانه باطل وقبيح ، وليس له خير ولا بقاء .

---

1) سورة البقرة 266

2) ابراهيم 24 – 26

وهكذا يوضح الله الامثال للناس ، ويشبه لهم المعنويات بالمحسوسات ليفهموا ويعلموا ويؤمنوا .

3 ـ وقال سبحانه وتعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ، وهو العزيز الحكيم .

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » (4) .

فمثل آلهتهم التى اتخذوها من دونه بما تعارف الناس على وهنه وضعف قوته وسهولة القضاء عليه ، وهو نسيج العنكبوت ، وأكد هذا الضعف ، وعقب عليه بأنهم عمى ضالون ، فلو علموا ان دينهم بلغ هذا المبلغ من الوهن لنبذوه وبرئوا منه .

وهو سبحانه وتعالى يعلم ان الآلهة التى يعبدونها لا قيمة لها ، ويعلم أنهم يعبدون ما ليس بشيء ، وتركوا عبادة القادر القاهر الذى لا يفعل شيئا الا بتدبير وحكمة .

وعقب على هذا بأنه يضرب الامثال للناس ، ولكن لا يدرك مرماها، ولا يتبين صدقها الا العلماء ، لانها تبرز المعانى المحجبة ، وتكشف عن الخفايا وتوضحها للافهام .

(6) أحكام مقرونة بالتفكير :

وكثيرا ما حض القرآن الكريم على الاحكام الشرعية ، وعلى الاوامر والدعوة الى العلم بأسرارها ، والتفكير فى آثارها ، والمعرفة بحكمتها، ليستبين الناس ما فيها من خير لهم أفرادا وجماعات ، وليزدادوا يقينا بأن الله تعالى قد فرضها عليهم وهو العليم بنفوس عباده ، الخبير بما يلائم طباعهم ، المحيط بما يصلحهم ويصلح لهم ، الغنى عن طاعتهم ، الذى لا تضره معصيتهم ، فالخير لهم فى ان يتبعوا ما أمرهم به ، وان يجتنبوا ما نهاهم عنه من عقيدة ويقين ، وألا يحتكموا فيما أمرهم الله أو نهاهم عنه الى أهوائهم ، لان الاهواء تصرف عن الحق وتزين الشر ،

---

4) سورة العنكبوت 41 ـ 43

ولانها تتغاير وتتنافر وتتبدل وتفرق المجتمع ، وتشيع فيه البلبلة والاضطراب والفوضى ، فيفقد الوحدة والالفة والانسجام والاطمئنان .

وهى الى هذا كله موقوتة لا دوام لها ، ضعيفة ليس لها من القوة الذاتية والوازع النفسى ما لشرع الله «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم»

1) من هذا الضرب قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو أزكى لكم،والله بما تعملون عليم » (1)

فلا يصح ان يقتحم اجنبى دارا غير داره قبل ان يستأذن ، ويحيى من فيها ، فان لم يجد بها أحدا فليس يصح له أن يدخل ، وان كان بها أحد ولم يأذن له بالدخول فعليه ان يرجع ، لان هذا من الآداب الاجتماعية التى ينبغى على المسلمين أن يراعوها ، حتى لا يؤذوا غيرهم بالمفاجأة أو الاطلاع على ما لا يصح ان يطلعوا عليه من شؤون الناس ودخائلهم واسرارهم ، وحتى يشعر كل انسان ، أنه فى مسكنه حر آمن طليق ، يستريح اذا شاء ، ويتصرف كما يشاء ، ويلبس ما يريد ، ويعمل ما يشتهى ، وينام كما يحب .

ولا شك بأن الاستئذان يمهد للقاء بين الزائر والمزور،ويعد الحالة النفسية الملائمة للمجالسة والحديث والمؤانسة .

2) ومنه نهيه تعالى المؤمنين عن اتخاذ الكفار اصفياء لهم ، لأن الكفار لا يألون جهدا فى ايذاء المؤمنين والكيد لهم ، ليحيق الهلاك بهم ، وان المسلمين ليستطيعون ان يتبينوا هذا فى بعض ما يبدر فى ألسنة هؤلاء الاعداء على الرغم من حرصهم الشديد على كتمان ما فى نفوسهم ، وليس من شك فى أن ما تخفيه صدورهم اكبر .

وهذه حقيقة كشف الله تعالى عنها للمؤمنين العقلاء الذين يتدبرون فيما بينه لهم ليعملوا به ، فيخلصوا لدينهم ، ويوالوا أحباء الله ، ويعادوا أعداءه .

---

1) النور 27 ــ 28

قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخـــذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضــاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » (1) .

3) ومن هذا الضرب انه تعالى بعد ان بين أحـــكام الطلاق قال : « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » (2) .

(7) سخريته ممن لا يفكرون :

طالما سخر القرآن الكريم بمن حبسوا عقولهم عن التفكير وغلوها عن العمل فضلوا عن الاهتداء الى الحق والخير ، وعموا عن البصر فى الدلائل على وحدانية الخالق وقدرته ، وعطلوا اسمى هبة منحهم الله اياها ، فهم أناسى صورة لا حقيقة ، لانهـــم بتعطيل عقولهم وحبس تفكيرهم صاروا كالانعام أو أضل سبيلا .

1) فأولئك الذين تظاهروا بدعوة الناس الى الخير والبر ، وهم لا يأخذون أنفسهم بخير ولا بر ، ويقرأون التوراة ويعلمون ما فيـــها ولا يعملون بها . أولئك أناس عطلوا عقولهم ، وجهلوا كتابهم ،وكانوا قدوة سيئة لغيرهم ، فاستحقوا ان يهزأ القرآن الكريم بهم .

قال تعالى : « أتأمرون الناس بالبر ، وتنسون أنفسكم ، وأنتـــم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون » (3) .

2) وهم زعموا مزاعم يأباها الحق والتفكير الســـليم ، فادعوا أن ابراهيم عليه السلام كان يهوديا ، وادعى النصارى انه كان نصرانيا، وجعل هؤلاء واولئك يجادلون رسول الله فيـــه ، فـكان الرد عليه السخرية من تفكيرهم الضال ، لأن اليهودية والنصرانية كانتا بعـــد ابراهيم فكيف كان ابراهيم على دين لم ينزل الا بعـــده ؟ ولو انهم عقلوا لأدركوا بهتانهم ، ولم يجادلوا مثل هذا الجدال . قال تعالى : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ، أفلا تعقلون ؟ » (4) .

3) والذين عطلوا تفكيرهم فلم يستجيبوا للحق ، وقد خلق الله

---

1) سورة آل عمران 118

2) سورة البقرة 229

3) البقرة 44

4) آل عمران 65

لهم عقولا ولكنهم لم يفكروا بها في المظاهر التي تدل على قدرة الله وحكمته ، وخلق لهم عيونا ولكنهم لم ينظروا بها نظرة اعتبار ، وخلق لهم آذانا ولكنهم لم يستمعوا بها استماع تدبر فيما يتلى عليهم من آيات الله ، هؤلاء كأنما حرموا فهم القلوب ، وفقدوا ابصار العيون ، وسلبوا استماع الآذان ، فهم كالبهائم ، بل هم أضل ، لأن البهائم ترى الطريق السهل فتسلكه ، وترى المنحدر والوعر فتتجنبه ، وتسمع الصيحة فتستجيب لها ، وتعرف بالغريزة ما ينفعها وما يضرها ، وهؤلاء يعلم اكثرهم الحق ولكنهم يصرون على العناد المهلك لهم .

قال تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » (1) .

النتائج العامة

أما بعد :

فماذا نستوحي من هذه اللمحات ؟

اننا نستوحي منها عدة نتائج :

(1) ان القرآن الكريم قدر الفكر ، وأشاد به ، وحض عليه ، وحفزه الى ما ينفع الفرد والامة في الدنيا وفي الآخرة ، واحتكم اليه في كثير من القضايا ، وبرىء من تسخيره في معاندة الحق ، وفي مؤازرة الباطل ، ونزهه عن استغلاله في التضليل واشاعة الفوضى ، وتأييد الفساد .

نعم ، هكذا قدر القرآن الكريم العلم .

وهكذا أيقظ العقل .

وبهذه الوسائل أثار الفكر .

وبتلك المصابيح أنار الطريق .

---

1) الاعراف 179

(2) وقد أراد الله عز وجل أن يكون الاسلام دين العقل والفكر والعلم ، لأنه الدين العام للبشر جميعا ، فلا ينحصر في اقليم ، ولا يقتصر على لون ، ولا يختص بجنس ، ولا يحده زمن .

فهو دين الوحدة الانسانية ، ودين الخير المطلق ، ودين القوة المادية والروحية معا .

هو الدين الذى يربى النفوس تربية الهية تقوى عزيمتها وتفكيرها ووجدانها ، ويغذيها بما يسمو بها فى عقائدها وعباداتها ومعاملاتها وأخلاقها .

(3) فلا عجب فى ان وثب المسلمون الاولون وثباتهم المذهلة ، ولا غرابة فى أن قفزوا قفزات لم يعرف التاريخ لها مثيلا فى سابق من عصوره أو لاحق ، لأنهم اهتدوا بكتاب الله ، فبلغوا من القوى المادية والروحية أوجها ، وعمروا الارض بعلومهم وبحضارتهم فى أحقاب مجدهم وفيما بعدها .

ولا يستطيع باحث منصف ان ينكر فضلهم فى مجالى العلوم والحضارات والنهضات .

(4) فعلى اصحاب الاقلام وارباب الالسن ان يجاهدوا بأقلامهم وبألسنتهم فى دعم الفضائل ، وتقويض الرذائل ، وفى هداية الامة الى الحق والخير والعزة والمجد .

وعليهم ان يتساموا بأقلامهم وبألسنتهم عن الدعوة الى الشر ، أو الدعاية الى انحراف ، أو مجاراة الاهواء لأن البيان هبة الهية كما قال تعالى : « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان »[1] ، فمن حقه ان يصان عن الدنس .

ولأن القلم والعلم من المنح الربانية ، كما قال سبحانه : « اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »[2] فمن حقهما أن ينزها عن الشر ، ليكون العلم والادب ينابيع عذبة يستقى منها العطاش الى المعرفة ، وليكون الادباء والعلماء نورا يهتدى به الناس .

1) سورة الرحمن . 2) سورة العلق .

التشريع في العالم الإسلامي اليوم
حائر بين الفقه والقانون

للأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة
محامي - عمان - المملكة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان القانون هو العقل الاجتماعى للامة التى تحتكم اليه فى حل خصوماتها وتعتمد عليه فى التخطيط لمختلف شؤون حياتها ، وهو من أهم العوامل الفعالة فى بناء كيان المجتمع وتحديد هويته وتثبيت صفاته،كان من واجب الباحثين الاجتماعيين الذين يهمهم التعرف على أحوال العالم الاسلامى اليوم ان يمعنوا النظر فى القوانين واللوائح والانظمة السائدة فيه ويحددوا موضعها ـ قربها أو بعدها ـ من الشريعة الاسلامية.فان مثل هذه الدراسة تعينهم على الوقوف على أسباب التأخر المعيب الذى تعانى منه حكومات البلاد الاسلامية فى

ارجائها الفسيحة ومجتمعاتها المختلفة،وتساعدهم على معرفة العوامل الهدامة التى تعمل على اضعاف المجتمع بروحانياته واقتصادياته وكريم صفاته •

الحكام المنحرفون يتآمرون على شعوبهم :

وهذه العوامل المدمرة للعقيدة يرعاها اعداء الاسلام ويباركونها ويسعون جاهدين لتوفير الحكام المنحرفين فى اخلاقهم وعقيدتهم وفرضهم على شعوبهم ويساعدونهم بالمؤامرات والاساليب الخفية الملتوية — على السيطرة التامة على جميع اجهزة الحكم ويرغمونهم على خنق الحريات والاخذ بالوسائل التى تهدم الاخلاق وتحرف السلوك العام بزعم التقدم ومحاربة الجمود والتعصب ويحطمون الاقتصاد ويفقرون البلاد بزعم التنمية وتوفير الرخاء ويحاربون العقيدة والايمان فيما يضعونه من مناهج للتربية والتعليم ويزعمون محاربة الرجعية والتخلف وبالتالى فانهم ينغصون الحياة على شعوبهم ويحرمونهم العيش الكريم وهم يزعمون التخطيط للاصلاح ويسبغون على أنفسهم القاب المصلحين وتأخذهم العزة بالانم اذا سمعوا أصوات الناصحين •

« واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » (البقرة آية II و I2) •

رد عن الاسلام :

ان الذين يمعنون النظر فى مثل هذه الدراسات الاجتماعية فى مختلف ارجاء الوطن الاسلامى الكبير يصلون الى نتيجة حتمية واحدة وهى،ان العالم الاسلامى اليوم تهب عليه رياح الردة عن الاسلام ويعانى تنكرا معيبا لروح الشريعة الاسلامية فى انظمته وقوانينه وتنظيم حياته ، يتنكر للتشريع الاسلامى الذى هو مصدر فخره واعتزازه ، والذى يتفوق على كل التشاريع والقوانين الوضعية السائدة عند أهل الارض بميزات فريدة نادرة •

وقد بدأت هذه الردة عن الاسلام والتنكر للتشريع الاسلامى والافتتان بالغرب وبكل ما يصدر عن الغرب — من خير أو شر — أول ما بدأت فى الطبقة الحاكمة من ابناء الشعوب الاسلامية المختلفة،حينما

ساد بينهم الجهل فى الاسلام فتنكروا للشريعة الاســـلامية وانكروا عليها ان تكون نظام حكم ومنهاج حياة ، وقد تدرج هذا الفساد حتى عم وشمل أغلب المثقفين من شباب المسلمين الذين بهرتهم حضــــارة الغرب المادية فاغشى بريقها عيونهم الكليلة ولطخت بمفاســـــدها طهرهم وعفافهم ، فعموا عن حقيقتها وخلطوا بين العلم والتكنولوجيا المتقدمين عند الغرب والواجب اخذه واقتباسه ، وبين مفاسد المجتمع الغربى النابع من انحراف العقيدة وانتشار الزيغ والضلال وذميم الصفات الواجب تجنبها وعدم تقليدهم فيها ٠

الشريعة تصوغ نماذج الانسانية الكاملة :

ان كل أمة من الامم تصوغ من القوانين ما يلائم احوالها ويتماشى مع أهدافها،فهى تضع من القوانين والانظمة ما يتناسب مع احوالها فى زمان معين وتحت ضغط ظروف معينة،فاذا تغيرت هذه الظروف وتبدلت هذه الاحوال عمدت الى التعديل والتبديل فهى تضع القانون وتقيد نفسها بــه حتى تصبح اسيرة لــه تشكو من ضيقه وتقييده لحريتها،أى ان السلطة التى تشرع لرعاياها من ذاتها تصنع القيـــود وتحتفل بوضعها فى يديها حتى اذا ضاقت هـــــذه القيود وجرحت معصميها لجأت الى تحطيم هذه الاغلال بصياغة قيود جديدة تتناسب مع أحوالها الجديدة ٠٠ هذا شأن القوانين الوضعية التى يصـوغها الانسان لنفسه وليس الامر كذلك فى التشريع الاسلامى.فقد انزل الله هذه الشريعة الغراء بواسطة الوحى على نبينا محمد صـــلى الله عليه وسلم كاملة مكملة،فجعل من المسلمين أمة قوية فى اخلاقها وتفكيرها ومثلها العليا السامية والتى ما زالت هذه الامة تتطاول اليها وتتسامى حتى شرفت فى الانسانية كلها وجعل الله منها خير أمة اخرجت للناس

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ٠

فالاسلام الحنيف صنع من المسلمين نماذج للانسانية الكاملة وجعل منهم أمة قوية عزيزة ، والتشريع الاسلامى جاء مستقلا بذاته لاصلاح الناس كافة ورعاية شؤون الانسانية فى معاشها ومعادها وســــائر شؤون حياتها مكملا لمن يحتكم اليه القوة فى العقيدة والسماحة فى

الاخلاق والهداية والصلاح فى كل نواحى الحيــــــاة،ولذلك كانت الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع السماوية لاهــــل الارض لها من صفات الشــــــمول والاحاطة ما جعلها عامة صالحة لجميع الناس فى مختلف الديار والامصار على مر الدهور والعصور .

اهمال الشريعة هو سبب الشقاء :

ومما لا مراء فيه ان العالم الغربى اليوم رغم تقدمه المحسوس فى جميع وســـائل العيش الهنىء ، ورغم وصـــــوله القمة فى العلوم والاكتشافات وشتى الاختراعات حتى وصــــل القمر وجاس خلال النجوم وعاش فى الفضاء اللا متناهى فانه ما زال عاجزا فى تحقيق الرخاء والامن والسلام للانسانية المعذبة فى هذه الارض ، وان الذى لا ريب فيه ان الاسباب المباشرة لهذا الاضطراب والشـــقاء اللذان يعمان العالم اليوم ترجع لاهمال شريعة الله التى تتمثل فيها قدرته وكماله وعظمته واحاطته بما كان وما هو كائن وما سيكون.واذا كان يصعب على الضالين من الناس ان يؤمنوا بان الشريعة من عند اللــه فان مميزات هذه الشريعة الغراء لا يصعب الوصول اليها والتسليم بها عند كل ذى عين مبصرة وقلب واع وفهم صحيح .

وان الذى لا ريب فيه ان الاسباب المباشرة للاضطراب والشـــقاء اللذان يسودان العالم اليوم ترجع للقوانين الوضعية الجائرة والنظم الاجتماعية المنحرفة والتى لم يثبت لحد الآن صلاحها واهليتها لحــل مشاكل الانسانية على وجه الارض، فما قيمة المال الوفير والاقتصــاد المستنير والعلم الغزير اذا لم ينتظم كله صفا واحدا على اســـتقامة المثل الانسانية الرفيعة بحيث تصــــوغ من ذلك كله مجتمعا فاضلا تحكمه قوانين وانظمة علوية سماوية في منشئها ومبنــــاها من لدن حكيم خبير ، وهو الله الحكيم في تصريف شؤون الخلق والخبــير فيما ينفعهم ويؤمن العدالة بينهم ولا يرتبط فى ذلك كله بالاهواء البشرية ــ وهى كثيرة ومختلفة ومتنافرة ومتغيرة ــ ولا تتصل بالمصالح الخاصة لشعب دون شعب ولا يخضع لاهواء قائد أو أمير، انها رسالة السماء من لدن حكيم خبير .

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة آية 212 .

« الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » (البقرة آية 257) .

العودة الى الاسلام من جديد :

اننا نعتقد نحن المسلمين، ان لا مناص للعالم اليوم ان أراد توفير السعادة والهناء وسط ربوعه وبين ابنائه على مختلف ألوانهم وأجناسهم، لا مناص من بذل الجهد لرفع مستواهم الفكري والخلقي والانساني حتى يستمرئوا الاخذ بقواعد الشرع كمصدر رئيسي من مصادر التشريع وان يعودوا الى شريعة الله وهي الصافية الخالصة المنزهة عن التبديل والتغيير بالنسبة لتلاعب الاهواء والرغبات ، والمتسامية عن وجوه الانحراف والتضليل، والتي جاءت متممة للرسالات السماوية التي سبقتها ومحققة لارادة الله في توفير السعادة والهناء لجميع بني الانسان على وجه الارض في كل زمان ومكان، وعلى اختلاف النزعات والعادات والامصار، وكل ذلك بمرونة وشمول وكفاءة، بحيث تؤدي حتما الى تأمين قواعد العدل وتوطيد دعائم الامن وتنصر الحق وتحقق كامل الرخاء .

فكيف يرضى المسلمون اليوم في شتى اقطارهم ان يستبدلوا حكم الطاغوت – المتمثل بالقوانين الوضعية – بالتشريع الاسلامي العظيم، وكيف يقبلون الاحتكام الى القوانين المقتبسة من قوانين الامم الكافرة في الشرق أو الغرب وهي من وضع البشر، ويتركون قانونا علويا ساميا هو من لدن حكيم خبير .

كيف يرضى المسلمون اليوم العيش في واقع يكذب دينهم ويتنافى مع توحيد الله في عقيدتهم باشراك طواغيت الحكم من البشر مع الله في العبودية ولا يتفق مع الاقرار بالحاكمية لله وحده. وانه لا يجوز ان يعبدوا المخلوق ويشركوه مع الله باعطائه حق تحريم الحلال وتحليل الحرام متى شاء .

روى الامام احمد والترمذى وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم فى قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة فدخل عليه وهو يقرأ الآية :

« اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » قال عدى فقلت انهم لم يعبدوهم ، فقال « بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم » (تفسير بن كثير، سورة التوبة آية 31 ص 348) .

وكيف يوفق المسلمون اليوم بين زعمهم بانهم يؤمنون بما انزل الله على رسوله الامين، وبين قبولهم بالاحتكام الى الطاغوت وترك ما انزل الله .

« ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا » . (النساء آية 60) .

وقد اقسم الله عز وجل فى كتابه الكريم مؤكدا ان هؤلاء المسلمين الذين يرضون بالقوانين الوضعية بديلا عن الشريعة الاسلامية التى جاءهم بها ليسوا مؤمنين وأكد انهم لن يؤمنوا حتى يعودوا للاحتكام الى الشرع الشريف برضى واقتناع وتسليم .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء آية 65) .

ولم ينف عنهم صفة الايمان فحسب وانما دمغ الذين يقبلون بالقوانين الوضعية بديلا عما انزل الله بالكفر ووصفهم بالفسق والظلم فقال عز وجل :

(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) .

(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) .

(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) .

فما الذى جعل المسلمين يخرجون على اسلامهم وينزلقون فى متاهات الحيرة والضلال فى تقليد الغرب بالضار المهلك من عاداته واخذوا عنه تشاريعه ونظم حياته ؟ هل هو ضعفهم فى الدين وانقسامهم على بعضهم فى الحياة وانشغال كل دويلة بهمومها دون

التفكير في مناصرة الدولة الاخرى؟وهل هو الفقر في المال والعلم والاخلاق وتأخرهم عن ركب الحضارة ؟ أم يرجع ذلك كله الى اختلاط جميع هذه الاسباب عليهم مع سبب آخر هام هو غلبة الدول الاستعمارية الفاتحة والتى هيمنت على اقطار المسلمين ؟ ان من طبيعة الدول الفاتحة ان تؤثر بالبلاد التى تقع فى قبضتها وتصير تحت حكمها،ولما كانت اكثر البلاد الاسلامية وقعت تحت حكم الدول الكافرة،فقد صار لزاما ان ندرك كيف اثر ذلك على اسلوب الحكم فيها وكيف ربت مدارس الغرب اجيالا بهرتها مدنية الغرب فراحوا يدعون للاقتباس منهم بدون تمييز بين الغث والسمين وبدون ادراك مدى خطورة اخذهم التقنين عنهم بلا روية ولا ضرورة،واهمالهم الشريعة الاسلامية جزئيا أو كليا وابعادها عن دور التشريع والقضاء ، زاعمين بان الشريعة الاسلامية ان صلحت فى الماضى فانها لا تصلح للحاضر ولا للمستقبل ولو أردت مناقشتهم الرأى ومطالبتهم بالحساب يتضح لك انهم لا يبنون رأيهم هذا على دراسة علمية او حجج منطقية بل ان العلم والمنطق يثبتان عكس مزاعمهم ويظهران بان الشريعة الاسلامية تتفوق على جميع القوانين الوضعية،وان الفقه الاسلامى يصلح لهذا العصر ولما يتلوه من العصور المقبلة .

حجة القائلين بعدمصلاحية الشريعة :

هناك فريق من الناس اليوم يقولون بعدم صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق ، ويزعمون انها لا تصلح ان تكون نظام حكم ولا منهاج حياة وانما يجب ان تحبس على الصلاة فى المساجد وتحديد مناسك العبادة فى الحياة ، اما الفريق الاول فمن الذين درسوا القانون دون الشريعة والفريق الآخر لم يدرس القانون ولا الشريعة وانما يهرف بما لا يعرف وكلا الفريقين ليسا اهلا للحكم على صلاحية الشريعة للحكم والحياة لانهم يجهلون الاسلام ومن جهل شيئا لا يصلح للحكم عليه . اما الفريق الاول الذين درسوا القانون فقد بنوا رأيهم على فهم خاطىء وقياس غير صحيح ولم يتبعوا اساليب البحث العلمى والدراسة المنظمة فى ابحاثهم ومؤلفاتهم،فقد تعلم هؤلاء ان القوانين الوضعية الآن قد تطورت واستكملت شرائط صحتها وبلغت غاية

النضج والحكمة من تجارب الماضي ومتطلبات العصر حتى أصبحت تختلف كل الاختلاف عن القوانين القديمة.كما درسوا ايضا ان القوانين الوضعية الحديثة قامت على نظريات فلسفية واعتبارات اجتماعية وانسانية راقية حديثة تكاد تفتقدها فى القوانين القديمة فلا تجد لها وجودا ولا اثرا وبذلك يتوصلون الى نتيجة طبيعية ومنطقية وهو ان هذه القوانين القديمة أصبحت لا تصلح للعصر الحاضر وهو اعتقاد صحيح فيما يتعلق بالقوانين الوضعية ، ومن هذا المنطق وبدون تفريق بين القانون الذى وضعه الناس الذين من صفاتهم الخطأ والتقصير والتأثر بالاهواء وعوامل البيئة والزمن،وبين الشريعة المطهرة التى انزلها الله العلى القدير والذى حاشا ان يخطىء ولا يؤثر فى علمه عامل بيئة او تقدم زمن.وهم من خطل المنطق الخاطىء وبالجهل الفاضح فى أمور الشرع يقيسون الشريعة بالقوانين الوضعية ويقولون:ما دام كل قانون قديم لا يصلح لعصرنا فكذلك الشريعة الاسلامية لانها قديمة لا تصلح لعصرنا.وفى هذا القياس الباطل خطأ فادح وجهل فاضح لانهم سووا بين القوانين التى وضعها الانسان بالشريعة السماوية التى وضعها خالق الانسان ولكى يكون القياس صالحا يقتضى مساواة المقيس بالمقيس عليه فاذا انعدمت المساواة فلا قياس أو كان القياس باطلا ٠

هوية القائلين بعدم صلاحية الشريعة للحكم :

كان البلاء ينصب على الاسلام وأهله من اعداء الاسلام الذين يجهلون الاسلام واحكامه فتعصبوا ضده ويذكرون الحروب السابقة الطويلة بين الاسلام والكفر وغلبة المسلمين عليهم ودحرهم فى عقر دورهم فملأت قلوبهم الضغائن وباتت تتأجج نيران الحقد فى نفوسهم لانهم اعداء للاسلام واهله ولكن ما عذر المسلمين الذين اهملوا احكام القرآن وسنة رسولهم واعتقدوا خطأ ان الشريعة لا تصلح للتطبيق فى عصرهم الحاضر ؟ وهل علموا ان قولهم هذا لا يتفق مع عقيدتهم اذا كانوا مسلمين ؟ ان اكثر القائلين بعدم صلاحية التشريع الاسلامى مصدرا رئيسيا للتشريع وقانونا اساسيا للحكم هم من المسلمين الذين ينتسبون الى الاسلام ويتظاهرون بالغيرة عليه،انهم لا يعارضون

ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة اذا كان ذلك يتعلق بالصلاة او الصوم او الحج او الزكاة ويردون ما سوى ذلك ، أى انهم يأخذون من الكتاب الكريم ما يروق لهم ويتركون ما لا يروق لهم ولا يذكرون قول الله عز وجل : « **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا،ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب،وما الله بغافل عما تعملون** » (البقرة آية 84) .

كيف ابتعد المسلمون عن الشريعة :

اذا كان العمل بالشريعة الاسلامية هو جزء من العقيدة ولا يتم ايمان المرء الا بتحكيم كتاب الله تعالى فى كل أمر من أمور حياته فكيف ابتعد المسلمون عن الشرع وأهملوا العمل به في دواوين الحكم والقضاء وكيف حصروه فى العبادات والاحوال الشخصية والاوقاف.

اذا امعنا النظر في أسباب تأخر المسلمين وانحطاط شأنهم نجد انهم قد انحرفوا عن تطبيق الشريعة تطبيقا عادلا فى عهودهم القديمة المظلمة وان حكامهم الجهلاء كانوا يحكمون أهواءهم فى كل ما يهتمون به ، ويتركون الامور التى لا تعنيهم ولا تضرهم ولا تنفعهم للشريعة الاسلامية فحدثت فجوة واسعة بين الشريعة والقانون ، بين احكام الله راجية التطبيق وبين الاعراف والتقاليد التى تتفق مع اهواء الحاكمين الجهلاء الطغاة ولا تتفق مع شريعة الله .

لقد طبق المسلمون فى بلاد الاسلام بعض احكام الشريعة دون البعض الآخر وآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه فماذا كانت النتيجة غير الذى نراه ، خزى فى الدنيا وعذاب وذل ما وراءه ذل وقد سلط الله علينا فى الحاضر كما سلط عليهم فى الماضى اعداء لا يرحمون، وجعلنا معهم عبرة لاولى الالباب . اللهم انا قد ظلمنا انفسنا بالانحراف عن شريعتك واهمال احكامك وترك سنة نبيك فسلطت علينا الظالمين من شراذم الارض وشذاذ الافاق ينسلون علينا من كل حدب وصوب فجاسوا خلال الديار فامتلكوها وتحكموا برقاب المسلمين فاذلوها وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **الظالم سوط الله فى الارض يسلطه على الظالمين فينتقم به ثم ينتقم منه** » .

وهنا نتساءل ما الذى يخشاه المســـلمون من تطبيق الشريعة فى الحكـــم ؟ ايخشون حكـم الله ؟ « **أفى قلوبهم مرض أم ارتابـــوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله** » (النور آية 50) ٠

كان العرب مضرب المثل بالفرقة والشـــتات والضعف حتى جـاء الاسلام وامنوا به وحسن ايمانهم فمكن الله لهم فى الارض واستخلفهم عليها وجعل منهم هداة للناس اجمعين وان الذى اعزهم من بعـــد ضعف ولكن لهم من بعد ضياع وتيه وضـــــلال لقادر ان يمكن لهم ويعزهم اذا آمنوا وحسن ايمانهم وعملوا وحسن عملهم ذلك وعـد الله لعباده المؤمنين ٠

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليســـتخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم** » (النور آية 55) ٠

التشريع الاسلامى سبق القوانين الوضعية بقرون طويلة :

ليس أبلغ من تقرير الحقائق والدلالة على ثبوتها من ضرب الامثـلة عليها، وانما سوف استعرض بعضها بايجاز ووضـــــوح هناك قواعد أساسية فى القوانين الوضعية يعتز بها المشرعون اعتزازا كبيرا ومنها قاعدة (لا جريمة ولا عقوبة بلا نص)٠ فمتى عرفتها القوانين الوضعية ومتى قررها الاسلام ؟ اما تاريخ التشريع فيقرر ان القوانين الوضعية لم تعرف هذه القاعدة الا فى أواخر القرن الثامن عشر لانها وليـــدة الثورة الفرنسية حيث دخلت فى اعلان حقوق الانسان سنة 1789 اما قبل ذلك فكان القضاة يتحكمون فى تحديد الجرائم وتعيين عقوباتهـا فيعتبرون الفعل جريمة، ولو لم يكن هناك نص على تحريمه ٠ ويعاقبون عليه بأية عقوبة شاءوا ولو لم يكن منصوصا عليها وقد كانت هـذه السلطة التحـــكيمية هى الدافع الاول الذى يدفع الى تقرير هذه القاعدة والعمل بها ٠ (شرح قانون العقوبات للدكتورين كامل مرسى والسعيد مصطفى ص 101 والقانون الجنـــائى لعلى بدوى ص 102 ٠ الموسوعة الجنائية للاستاذ عبد القادر عوده ص 156 ج 1) ومن القانون الفرنسى اخذت اكثر القوانين الوضعية ثم انتقلت قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة بلا نص » من القانون الفرنسى الى القوانين الوضعية الاخرى ثم اخذت تتطور تحت تأثير التجربة والاختيار وحاجات الجماعة وبقيت

هذه القاعدة سليمة محترمة زمنا طويلا فيما يختص بتعيين الجـــرائم حتى اذا جاء مطلع القرن العشرين اخذت هـــذه القاعدة تصبح محلا للانتقاد وهاجمها الكثيرون من الشراح بحجة انها لا تصلح لمواجهـة الضرورات الاجتماعية وانها تؤدى الى ضياع مصـــلحة الجماعة،وان المجـــرمين يتفننون فى الهروب والتملص من الوقوع تحت ســـلطان النصوص ويعبثون ما شاء لهم العبث وهم آمنـــون من العقاب فاذا صدرت قوانين جديدة لتحريم الافعال الجديدة التى أدى ارتـــكابها للعبث بالمصلحة العامة عاد المجرمون يعملون على التهرب من نصوصها القاصرة وعادوا الى الجريمة آمنـين من العقوبة •

ولم يسع اكثر القوانين الوضعية الا ان تستجيب للنقد الشديد الذى وجهه شراح القانون الى هذه القاعدة فيما يختص بتعيين الجريمة وتحديد العقوبة،وقد عرض هذا الموضوع على المؤتمر الدولى الرابـع لقانون العقوبات فى سنة 1937 ولكن المؤتمر لم يسعه الا ان يقـــرر الابقاء على القاعدة ونحن اليـــــوم نلاحظ ان بعض العلماء والشراح يحاولون الخروج على هذه القاعدة من ناحيتين •

1 ـ من ناحية الجريمة يرون الاكتفاء بتعيين الافعال المحرمة تعيينا عاما بحيث يدخل تحت النص الواحد اكثر من حالة واحدة،وبحيث لا يستطيع المجرم ان يفلت من مثل هذا النص العام المرن •

2 ـ ومن ناحية العقوبة يرون الاكتفاء بتحديد الحد الاقصى للعقوبة دون الحد الادنى ليكون للقاضى سلطة واسعة فى تطبيق العقوبة-وان هناك رأى آخر لبعض كبار المشرعين يرون ان يترك تحـديد العقوبة بمقدارها ونوعها الى اختيـــار القاضى وتقـــديره(التشريع الجنائى الاسلامى للسيد عبد القادر عوده ج 1 ص 159 والقانون الجنائى لعلى بدوى ص 103) •

كيف طبقت الشريعة الاسلامية هذه القاعدة :

ان المدقق فى تاريخ العمل فى قاعدة (لا جريمة ولا عقـــوبة بلا نص) يجد ان الشريعة الاسلامية قد طبقت هذه القاعدة قبـــل ان تعرفها القوانين الوضعية بأكثر من ثلاثة عشر قرنا حيث جاءت بهـــا نصوص القرآن فى مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى :

« **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** » (الاسراء آية 15) •

وقوله : « **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم آياتنا** » (القصص ـ 59) • وقوله : « **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** » (الانعام 19) • وقوله : « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها**» (البقرة 286) • وقوله : «**قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** » (الانفال 38) •

فهذه النصوص من كتاب الله الكريم قاطعة فى ان لا جـريمة الا بعد انذار،وان الله لا يأخذ الناس بعقـاب الا بعـد ان يبين لهـم وينذرهم على لسان رسله،وانه ما كان ليكلف نفسا الا بما تطيقـه• (التشريع الجنائى ج 1 عبد القادر عوده ـ ص 117 و 118) •

ومع ان القوانين الوضعية اقتبست هذه القاعدة الاصـولية فى التشريع وطبقتها تطبيقا خاطئا افقدها مرونتها وميزانها فان التشريع الاسلامى لم يطبق القاعدة على غرار واحد فى كل الجرائم بل ان كيفية التطبيق جعلها تختلف باختلاف الجريمة فيما اذا كانت من جـرائم الحدود أوجـرائم القصاص والدية أو جرائم التعزيز ، ونجـد ان الشريعة قد حددت الجريمة والعقوبة فى جرائم معينة بحيث لم تترك للقاضى اية حرية فى اختيار نوع العقوبة او تقدير كمها لانها محددة كما جاءت فى كتاب الله وقد اطلق على هذه العقوبات اسم،الحـدود، واشترطت لعقوبة الحد ان تكون الجريمة تامة وعدم وجـود المانع الشرعى من توقيع العقوبة ، وهى عقوبات محددة النوع والمقـدار ولا يمكن العفو فيها أو المساس فى كيفية تنفيذها لانها حق لله تعالى فهى مقيدة بالامر الصريح بظاهر النص من الكتاب الكريم والسـنة المطهـرة •

قال الله تعالى : « **ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا** » (الاسراء آية 33) •

« **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » (النور آيـة 2) •

وما جاء فى الحديث الشريف « **خذوا عنى فقد جعله لهن سبيـلا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام،والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة** » •

فهذه النصوص تحرم الزنا وتعاقب عليه بالتغريب والجلد والرجم وهى كل العقوباب المقررة للزنا فى الشريعة ·

وفى جريمة القذف يقول الله عز وجل :

« **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا واولئك هـم الفاسقـون** » (النور آية 4) ·

فهذا النص يحرم القذف ويعاقب عليه بالجلد والحرمان من حق أداء الشهادة وليس فى الشريعة عقوبة للقذف الا فى غير هاتين العقوبتين·

وفى شرب الخمر جاء التحريم بنص الكتاب والحديث ·

قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**» (آية 90) ·

وقال صلى الله عليه وسلم : « **كل مسكر حرام** » ، وقال صلى الله عليه وسلم فى تعيين العقوبة « **اضربوه** » وقد روى عنه انه ضرب أربعين فى الخمر وفى عهد عمر رضى الله عنه أجمع الصحابة على ان يضرب الشارب للخمر ثمانين جلدة قياسا على القاذف ·

وفى جريمة السرقة ورد النص فى التحريم وتحـديد العقوبة من كتاب الله :

« **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبـا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » (المائدة آية 38) ·

وحرم الحرابة والسعى بالفساد فى أرض وحـــدد فيها العقوبة بصريح الآية «**انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وارجلهـم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخـرة عـذاب عظيم** » (المائدة آية 33) ·

وفى جريمة الردة ورد التحريم لها وحددالعقوبة عليها بالقتل بما ورد فى كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » (آلعمران آية 85) ·

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « **من بدل دينه فاقتلوه** » ·

وفى جريمة البغي ورد التحريم وتحديد العقوبة عليها بالقتل ، قال تعالى : « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغي حتى تفيء الى أمر الله** » (الحجرات آية 9) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه** » •

واما في جرائم القصاص والدية فان الشريعة قد طبقت عليها قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة بلا نص » تطبيقا دقيقا وعينت العقوبات عليها تعيينا دقيقا والزمت القاضى ان يوقع العقوبة المقررة اذا ثبت لديه ان الجاني هو الذى ارتكب الجريمة • وبذلك فان الشريعة تكون قد حددت سلطة القاضى فى جرائم القصاص والدية كما حددتها له فى جرائم الحدود ولا تفترق عنها الا فى ان القاضى ملزم ان لا يطبق عقوبة القصاص او الدية اذا عفا عنها المجنى عليه او وليه لان العقوبة فى هذه الجرائم،وان كانت محددة النوع والمقدار كما فى الحدود الا انها مقدرة حقا للافراد وصاحب الحق يستطيع ان يستوفيه او يتركه •

وقد قسم الفقهاء الحقوق التى تنشأ عن الجرائم الى نوعين :

1 ـ حقوق لله تعالى وهى التى تنشأ عن الجرائم التى تمس مصالح الجماعة ونظامها •

2 ـ حقوق للآدميين،وهى تنشأ من الجرائم التى تمس حياة الافراد وحقوقهم • وبما ان كل جريمة تمس مصلحة الجماعة انما تمس فى النهاية مصلحة الافراد،وكل جريمة تمس مصلحة الافراد تمس فى النهاية مصلحة الجماعة •

ويجرى تحديدها بالنسبة للصفة الغالبة عليها فينسب الحق لله كلما كان خالصا لمصلحة الجماعة او غلبت عليه مصلحة الجماعة ونسبة الحق لله لا تفيده جل شأنه شيئا وانما تمنع الجماعة والافراد من اسقاط الحق لان حق الله تعالى لا يملك احد اسقاطه •

واما فى الصنف الثالث من الجرائم التى طبقت الشريعة الاسلامية عليها قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة بلا نص » وهى جرائم التعازير وقد جاء التطبيق عليها بصورة موسعة لان المصلحة العامة وطبيعة هذه

الجرائم تقتضى هذا التوسع وبصورة مجملة فان الشريعة تركت للقاضى ان يختار العقوبة الملائمة للجريمة بالنسبة لحال المجرم ونفسيته وسوابقه والظروف التى وقعت فيها الجريمة بخلاف ما ورد فى جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية . وقد جاء هذا التوسع على حساب العقوبة. كما ان الشريعة عرفت التعزير (وهو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود) أى هو عقوبة على جرائم لم تضع الشريعة لها عقوبات معينة فهو يتفق مع الحدود بان العقوبة للتأديب والاصلاح والزجر بحسب اختلاف الذنب ولكنه يختلف عنها من وجهين :

1 ـ لكل حد من الحدود عقوبة معينة لا مناص من توقيعها على الجانى ، أما فى التعزير فهناك مجموعة من العقوبات تبدأ من النصح وتنتهى بالحبس او الجلد، وقد تصل للقتل فى الجرائم الخطيرة .

2 ـ لا يجوز لولى الامر فى عقوبة الحد ان يصدر العفو عن الجانى بينما له مثل هذا الحق فى جرائم التعازير .

واذا كان المجال فى هذه المحاضرة الموجزة لا يساعد على استقصاء هذه الجرائم والحدود وانما تعرضنا لها بما يفيد التطبيق للقواعد التى ترعاها الشريعة وتختلف فيها عن القوانين الوضعية فانه لابد ان نتعرض بايجاز الى المميزات الخاصة التى تفضل فيها الشريعة الاسلامية غيرها من الشرائع والقوانين الوضعية فما هى مميزات الشريعة الاسلامية التى تختلف فيها عن غيرها ؟

لا شك ان التشريع الاسلامى يتميز عن القوانين الوضعية بصفات كثيرة لا يحتاج الوصول اليها كثير نظر ولا وافر تدبر لظهورها ظهور الشمس فى وضح النهار ولا يغيب أمرها عن كل ذى عين مبصرة وقلب متفتح لحقائق الامور، وانى سوف اوجز هذه المميزات حسب اطلاعى المحدود والمراجع القليلة التى توفرت لى .

مميزات التشريع الاسلامى :

1 ـ التشريع الاسلامى منزه عن الخطا والهوى لانه من عند الله تعالى المنزه عن كل خطإ أو هوى . بخلاف القوانين التى يضعها البشر فهى انبعاث عن أحوالهم ـ واحوال البشر متقلبة حسب تقلب

أهوائهم ـ وتفكيرهم المحدود بما فيه من نقص وامكانية الوقوع تحت سيطرة الهوى المؤدية بالنتيجة الى الخطإ والابتعاد عن جادة الصواب ·

2 ـ في الشريعة صفة الشمول والعموم والاحاطة بكل شؤون الناس وحاجاتهم دون قصور أو نقص فجاءت تامة سامية منزهة عن كل شوائب العيب وقد ختم الله بها جميع الشرائع السماوية بخلاف القوانين الوضعية التي يضعها البشر بالفكر المحدود والتعميم الناقص والعجز عن فض اختمام الغيب مهما بلغ هؤلاء المشرعون من الحكمة والمقدرة والكفاءة ·

3 ـ يمتاز التشريع الاسلامي بالاهتمام المطلق في التوجيه الروحي للكمال والتهذيب النفسي ليقظة الضمير ، وصفاء القلب وطهر السريرة ، وهو منبعث بهذه الصفات كلها الى حب الخير ومقاومة الشر · بينما تقتصر القوانين الوضعية على توجيه الناس بالخوف وخشية العقاب من السلطة الحاكمة فحسب · من غير اعتماد ـ بصراحة أو بتلميح ـ الى الخلق او الضمير · ولا تحريك القلب الى مبعث النور والهدى في خشية الله او رجاء ما عنده ·

4 ـ اعتمد التشريع الاسلامي على العقاب والثواب فوضع لكل عمل يعمله الانسان جزائين جزاءا عاجلا في الدنيا يردع فيه المذنبين من الناس وجزاءا مؤجلا غير منظور وهو جزاء الآخرة تساس به النفوس الخيرة والاوساط الرفيعة المهذبة من الناس ، بخلاف القانون الوضعي الذي يعتمد على سوط العقوبة العاجلة في هذه الحياة الدنيا كرادع ومانع لكل خلاف ·

5 ـ التشريع الاسلامي يكافىء المحسن على احسانه كما يحدد العقوبة على المسيء فيجعل الناس يتسابقون الى اعمال الخير متمسكين بأهداف الفضيلة واصلين ما أمر الله به ان يوصل رجاء ثواب الله زاجرين النفس والهوى عن محارم الله خشية العقاب الذي توعد به المذنبين · بينما اقتصرت القوانين الوضعية على وضع الجزاء أو العقوبة على ناحية الشر وجدير بمثل هذه القوانين الا تحفز النفوس الى المسابقة في اعمال الخير او التنافس فيه ·

6 ـ الحكمية في الاسلام لله،وينص التشريع الاسلامي على وضع سلطة التقنين وصياغتها كما وضعها الله في اهل الذكر من العلماء

والمجتهدين،وهؤلاء تنحصر مهمتهم فى تخريج احـــكام من نصوص الشريعة او صياغة الاوامر والبلاغات والتدابير وفق انظمة الاسـلام وقواعده من غير ظلم او حيف على الناس.بخلاف ألسلطة التشريعية فى القوانين الوضعية التى تتولاها هيئات معينة يحددها دستور كل دولة بما يلائم اوضاعها الخاصة ٠

7 ـ يهدف التشريع الاسلامى ـ وهو خاتم الرسالات السماوية ـ الى أمرين رئيسيين فى تنظيم روابط الإنسان مع ربه وتنظيم علاقاته مع الآخرين بينما يقتصر شأن القوانين الوضعية فى تنظيم أمر الناس مع بعضهم فقط،وهذا وحده كاف للاســـتدلال على نقص القانون الوضعى وعدم توصيله الانسان الى كمال المقصود فى التســـامى والطهر والحياة الافضل للناس أجمعين ٠

8 ـ يمتاز التشريع الاسلامى بقوة التنفيـــذ وهيبة القانون حيث تسهر (بموجبه) على اعمال كل فرد قوتان رادعتان هما قوة السلطة الحاكمة بوسائلها الظاهرة،وقوة الضمير المؤمن والوجدان الطاهر الذى يردع صاحبه عن مخالفة القانون ولو كان فى ادق حالات التســـتر والخفاء عن أعين الناس،بينما يتفلت الجانى فى القوانين الوضعية فى ارتكاب المخالفات كلما استأنس غفلة السلطة الحاكمة عن مراقبته ٠

9 ـ ان التشريع الاسلامى،وهو من عند الله تعـالى،يفرض أوامره ومذاهبه على الجميع دون ان يشعر أى فرد بـــالغضاضة من الخضوع اليه لانه من عند الله والطاعة له طاعة للخالق الكبير وليس طاعـــة لمخلوق مثله فهو فى اشد حالات القسوة فى القمع والعقوبة يحتفظ بحرية الانسان وكرامته فلا يمتهن لمخلوق مثله ولا يشعر اى غضاضة من رضوخه للخالق العظيم الذى خلقه وكرمه حتى وهو يعاقبه لانـه يطهره بهذا العقاب ٠

10 ـ جاءت الشريعة الاسلامية موحدة للانسانية كلها حيث ختم الله بها جميع الرسالات السماوية،وجاءت الى عموم الناس فهى تدعو الى وحدة الانسانية المتكافلة على وجـــه الارض وتنظر اليهم أجمعين كأنهم أمة واحدة تدعوهم ان يعيشوا بسلام وهناء ورخاء موحـدين لله لا يشركون به شيئا ، بينما جاءت القوانين الوضـــعية مراعية

مصلحة واضعيها وتكاد تحصر همها بتأمين مصلحة فئة دون فئة وتحقيق اهداف الحزب أو الافراد الذين وضعوها فهى ـ بهذه الصفة ـ تنبت الفرقة والتمييز بين فئات ـ الشعب الواحد وتثير بذلك الاحقاد وتورث العداوة والبغضاء بين الناس بما اوجدته من تفريق فى تأمين المصالح الخاصة لفريق معين من الناس ·

II ـ جاءت الشريعة الاسلامية رحمة للناس أجمعين « **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » وجاء التكليف بها للناس كافة وقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذه الرسالة الى اعظم حكام الارض، فى ذلك الوقت ارسل الى هرقل امبراطور الروم، والى كسرى شاهنشاه الفرس، والى المقوقس حاكم مصر، والى الحارث الغسانى ملك الحيرة، والى الحارث الحميرى ملك اليمن، والى النجاشى ملك الحبشة ، فلم تأت الشريعة لجماعة دون جماعة أو لقوم دون قوم أو لدولة دون دولة كما هو الحال فى القوانين الوضعية، وانما جاءت الشريعة للناس كافة على اختلاف مشاربهم وتباين عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم حتى يمكن ان يطلق عليها بحق اسم، الشريعة العالمية، التى تخيلها علماء القانون الوضعى ولكنهم لم يستطيعوا ايجادها لحد الآن ·

I2 ـ يختلف التشريع الاسلامى ويتميز عن القوانين الوضعية فى تقريره حقوق الافراد فى المجتمع والنزعة الاجتماعية التى ينهج اليها ويؤكد السير عليها فلا تعتبر الشريعة الحقوق الخاصة بالفرد طبيعية مقررة له وانما هى منح الهية مقيدة بعدم الاضرار بالآخرين وبمراعاة الصالح العام وان المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة، ولان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « **لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام** » ومعنى هذا انه يجب مقاومة كل عمل يترتب عليه الاضرار بالآخرين وان كان فى الاصل مباحا. وهناك احاديث تورد بعض تفصيلات لهذه القاعدة كنهى النبى صلى الله عليه وسلم ان يبيع أحد على بيع أخيه أو يخطب على خطبته الا ان يأذن له. ومن هذا جاء تشريع الشفعة يقيد حرية المتبايعين بحيث يمنع ضرر الشريك او الجار وعدم المضارة بالافراد الآخرين مما يوفر الطمأنينة ويحقق ناحية من السعادة والصلاح للمجتمع ·

I3 ـ مزج التشريع الاسلامى العقيدة بالحياة فأعطى كل عمل من أعمال الدنيا منزلته الرفيعة فى الدين وثوابه الجزيل عند الله وقرر حقيقة سامية قدس فيها العمل وحث على الانتاج فى سبيل الصالح العام ورعاية لمصلحة الجماعة،وان كل عمل من اعمال الدنيا يعتبر عبادة وقربة عند الله ما دام الباعث اليه حب الخير والحرص على مصلحة الجماعة وبالصورة ذاتها قرر ان العبادة بالنوافل اذا شغلت صاحبها عن العمل المنتج وتدبير شؤون الدنيا ليست عبادة،وقد دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى رجلا منقطعا للنسك والزهد وسمع من اصحابه ثناء عاطرا عليه من تلك الناحية فقال لهم:من ينفق عليه؟ قالوا:أخوه،فقال:« **أخوه اعبد منه** » وفى الحديث « **الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل وصائم النهار** » • « **لان يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير له من ان يسأل احدا فيعطيه أو يمنعه** » « **ما أكل احد طعاما خيرا له من ان يأكل من عمل يده** » •

« **طلب الكسب بعد الصلاة المفروضة هي الفريضة بعد الفريضة** »•

«**ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة**» **قيل فما يكفرها يارسول الله ؟ قال** : « **الهموم فى طلب العيش** » •

I4 القوانين الوضعية لا تبحث فى علاقة الفرد بربه بل اقتصرت على بحث علاقة الافراد ببعضهم البعض ، علاقة الفرد بالفرد وعلاقة الفرد بالدولة وعلاقة الدول مع بعضها بعض. بينما يبحث الاسلام فى هذه الأمور جميعها ولم يغفل علاقة العبد بربه وهى ما تسمى قسم العبادات فى الشريعة ، والحق بها الاحكام المنظمة للاسرة لما فيها من تكاليف يحرص الشارع على تحقيقها حفظا لنظام المجتمع الانسانى المثالى والحياة الانسانية الرشيدة ، وهذا ما يعبر عنه فى عصرنا الحديث بالاحوال الشخصية •

I5 ـ جاءت احكام المعاملات فى الشريعة منظمة لشؤون المجتمع الانسانى في كل ما تدعو اليه مدنية الانسان الطبيعية حتى تكون على وجه يكفل الحياة الانسانية الرشيدة،وهذه الاحكام جاءت مجملة تشبه القواعد الكلية فى القوانين الوضعية،وقد تركت امر التفصيل لما يقتضيه العرف والعادة وما يتفق مع مصالح الناس ، وهذا القسم من

الشريعة قد تناول جميع النواحي التى تناولتها القوانين الوضعية فى العصر الحديث،وسوف نستعرض بعض الامثلة التى توضح لنا كيف ان الفقه.الاسلامى قد ألبس كل شيء من أمور المسلمين ثوب التشريع، وكيف ان فقهاء المسلمين قد توصلوا بالفهم الصحيح لروح الشريعة الإسلامية والاستنناج الحكيم البارع الى احكام متعددة لكل ما يجب من مسائل وشؤون لم يرد لها نص فى الكتاب والسنة حتى وصل الفقه الاسلامى الى بناء عظيم يقوم على أسس متينة تتحمل كل جديد وتستوعب ما عسى ان يجد من مشاكل واحداث.فالعلاقات الدولية قد نظمتها (بصورة مجملة) عدة سور من القرآن الكريم منها سورة الانفال،والتوبة،والفتح،والممتحنة،وبينت نواحى كبيرة منها معاهدات النبى صلى الله عليه وسلم وما ترتب عليها من وفاء او نقض: وفى كتب السيرة النبوية الشريفة نصوص على معاهدات عديدة صدرت بين النبى صلى الله عليه وسلم وعدة طوائف مثل معاهدته مع ملك ايله،وقد اعتبرها الفقهاء مصادر الاحكام فى موضوع العلاقات الدولية فتناولوا فى قسم المعاملات علاقة الامة الاسلامية بغيرها فى الحرب والسلم والحقوا فيها معاملات المسلمين مع غيرهم من الذميين والمستأمنين والحربية تحت اسم:السير والمغازى • كما بحثوا فى قسم المعاملات ايضا النواحى الدسورية والادارية تحت اسم:السياسة الشرعية كما تناولوا فيه بعض ما يتعلق بالشؤون المالية والاقتصادية فى ابواب العشور،والخراج،والجزية،والكنوز،والركاز، واحياء الموات • وتوصلوا الى قواعد اجتماعية غاية فى العدل استنبطوها من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة،بينوا فيها مدى حرية الاستثمار والتملك،وفصلوا احكام الصلات المالية بين الناس، وأبانوا الحقوق والاموال وطرق تملكها وما يتعلق بها من التزامات ومن هو أهل للالتزام والولاية.وادخلوا فى هذا القسم أيضا الشركات بأنواعها والحقوا به أبوابا متعددة تتعلق بالخصومات،كالقضاء،والدعوى والشهادة •

وهكذا نجد ان الفقه الاسلامى قد ألبس كل شيء من أمور المسلمين ثوب التشريع.واستنتج الفقهاء على تعاقب الاجيال احكاما لكل ما يجد من شؤون لم يرد عليها نص فى كتاب أو سنة حتى وصل الفقه الى

بناء عظيم يعتمد على أسس قوية صالحة لتحمل كل جديد • ان الفقه الاسلامى بمصادره الضخمة وطبيعته المرنة قد وضع لكل شأن من شؤون الناس وتصرفاتهم اصولا تتبع وقواعد يقاس عليها مما جعله مسايرا لكل زمان وصالحا لكل مكان •

16 ـ واخيرا يمكننا القول ان الشرائع السماوية وعلى رأسها شريعة الاسلام مصدرها علوى حاشا ان ينسب اليه خطأ او هوى او تقصير. بخلاف القوانين الوضعية التى مصدرها من المخلوقين وهم غير معصومين عن الخطإ مهما بلغوا من العلم والذكاء والفطنة وغير منزهين عن الهوى ومزالق الفتنة مهما بلغوا من التسامى والتجرد والتفانى فى سبيل الصالح العام •

وكما تميزت الشريعة الاسلامية من القوانين الوضعية فى مصدرها العلوى وانها جاءت خاتمة للشرائع السماوية كلها،فانها تتميز ايضا فى أهم مميزات التشريع من ناحية الاهداف،فبينما تقتصر القوانين الوضعية على تنظيم أمور الناس الدنيوية فقط وهذا يقعد بها عن الوصول الى كمال المقصود.فقد جاءت الشريعة مستكملة جميع الامور التى تنظم رابطة الانسان بربه وتنظيم رابطة الناس بعضهم ببعض وجعلت الرابطة الاولى المقدسة هى الاصل وهى الاساس للرابطة الثانية الدنيوية،ويتصل بتنظيم الرابطة بالله عز وجل ان هناك حياة أخرى لها حكمها الذى يرجع الى القلب وما حوى من اتجاه سديد ونية صادقة وهى اشياء خفية بين العبد وربه ولا يثاب على أعماله الظاهرة بدونها •

« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » •

بينما قد يختلف هذا الامر مع حكم القضاء الذى يقوم على الظاهر المكشوف والذى يشبه حكم القانون من هذه الناحية •

ان ارتباط التشريع الاسلامى بالعقيدة اعطى التشريع قوة وقداسة فى نفوس المؤمنين لا يبلغ منزلتها ولا يتطاول الى مكانتها اى قانون وضعى فى أمة من الامم مهما بلغ الوعى بينهم وتوفر الضمير الحى فى نفوسهم.فارتباط الفقه الاسلامى بالعقيدة جعل من هذه الشريعة قوة هائلة تسيطر على حياة المسلمين،فمن تنكر للفقه فقد تنكرللعقيدة

ومن لم يحكم بالشريعة او تنكر لها فقد خرج من الاسلام وكفر بالله،

« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » •

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » •

« آمنوا بالله ورسوله » •

ان الايمان بالله يستوجب العمل بما انزل الله ــ وهو فقه ــ ومن خالف الشريعة فقد خالف مستلزمات الايمان ــ وهو عقيدة ــ ومن خالف الايمان كان كافرا.وما اكثر الامثلة التى تتلازم فيها العقيدة مع الفقه فى الاسلام،ولولا العقيدة ما جرى تطبيق الفقه،ولولا الفقه ما سلمت العقيدة فى قلوب ابناء المسلمين من الانحراف والتغيير أو التبديل •

« ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها » •

ان امتثال هذا الامر توجيه العقيدة ويأتى دور التشريع الاسلامى فى كيفية اداء هذه الامانات،ومن هم اهلها الذين يجب ان تؤدى الامانات اليهم.وبهذا الفهم الصادق الصحيح للعقيدة طبق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين من بعدهم احكام الاسلام على أنفسهم فحاسبوها أى حساب واشتدوا على أنفسهم بالحساب وكانوا يشعرون برقابة الله القادر عليهم المحيط بما فى نفوسهم ولذلك عدوا التحايل على الشرع تحايلا على الله • قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « من يخدع الله يخدعه » وقال أيوب السختيانى عندما سئل عن الذين يحتالون على الحكم الفقهى « انهم ليخادعون الله كما يخادعون صبيا » •

اثر الفقه الاسلامى فى تربية المسلمين :

ان ارتباط العقيدة بالفقه الاسلامى طبع المسلمين على السمو فى الفكر وصادق النية ، والاستقامة والانقياد للحكم الفقهى برضى وطيب نفس ما يفوق الوصف ويصل الى درجة الغلو والمبالغة المنهى عنها ومن ابرز الامثلة على ذلك قصة المرأة الغامدية التى ارتكبت جرما يعاقب عليه القانون،انها ارتكبت فعل الزنا سرا وبالخفاء ولكنها شعرت بعظيم خطئها وذكرت حكم الله فى المحصنة وهو الرجم بعذابه وقسوته وخزيه وعاره منها لهذا الامر، ولكن عقيدتها وايمانها ذكرها

بما توعدها الله به من عقوبة وخزى فى الآخرة فآثرت الرضوخ لحكم الشرع كى يطهرها من الحرام ورضيت بعقوبة الرجم لتحوز رضى الله، فجاءت الى الرسول صلى الله عليه وسلم طالبة تطبيق حكم الشريعة عليها فردها رسول الله حتى تضع حملها،فذهبت ولما وضعت حملها عادت الى رسول الله طالبة منه تطبيق الشرع عليها فقال لها:اذهبى حتى يستغنى عنك طفلك ، وتمر الايام الطويلة ولا تنسى وجوب تنفيذ القانون عليها لانه ارتبط بالايمان فى قلبها.وتعود الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهى تحمل طفلها وفى يده كسرة من خبز يأكلها وهى تقول « يا رسول الله ها ان ابنى قد استغنى عنى فطهرنى . وما كان للرسول وهو العطوف الشفوق الرحيم ان يعفو عنها،لان الحكم هو حكم الله فى نص شريعته المطهرة الذى لا يسوغ لانسان اعفاء احد منه،وجرى تنفيذ الرجم على هذه المسلمة التى رضيت بتنفيذ الحكم عليها بل طلبته بالحاح واصرار لانها آمنت بهذه الشريعة المطهرة التى مصدرها الله عز وجل . وآمنت بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « **ومن عوقب فى هذه فهو كفارة له يوم القيامة** »؟

وهذا هو تأثير الفقه الاسلامى فى نفوس المؤمنين،فهل هناك قانون وضعى يماثله فى العدل والتنفيذ والرضى والتسليم فى جميع حالاته؟ وقد اقترن تطبيق احكام الله وحسن الانقياد لها من المسلمين فى مستوى تفكيرهم وسلوكهم وعزتهم وسلطانهم فى هذه الحياة .

اهمال الشريعة أدى الى ضعف المسلمين :

ان من أهم اسباب ضعف المسلمين اليوم واختلاف ميزان الحكم فى ديارهم هو عدم تطبيقهم ـ بصدق ـ لاحكام الشريعة الاسلامية المطهرة فى حياتهم ومجتمعاتهم رغم ميزاته العظيمة فى احقاق الحق وتأمين العدل وسهولة التطبيق فكان من جراء تهاونهم بتطبيق احكام الشريعة ضعف العقيدة فى قلوبهم،وهذا الضعف قادهم الى زيادة التهاون فى تطبيق احكام الاسلام ثم زاد الامر حتى صار التحايل على الاحكام بالحيل المكشوفة تارة والحيل الملفقة تارة اخرى حتى ادى الامر الى الجهل باحكام الاسلام ومن جهل شيئا عاداه فصاروا يعادون هذه الاحكام ويتنكرون لها وينادون بعدم اهليتها وعدم صلاحها للتطبيق

فى هذا العصر وهى رجعية وجمود وتأخر، وصار مشرعوهم يتقممون موائد الغرب والشرق يستجدون منها القوانين والانظمة لما يعرض لديهم من حاجات واحكام.وقد أدى اهمال التطبيق لاحكام الاسلام الى ضعف الايمان وبضعف الايمان فى قلوب المسلمين رضوا بالمهانة والذل وتنازلوا عن حقهم القيادى بين شعوب الارض، ورضوا بان تكون العزة والقوة والسيادة لغيرهم متناسين قول الله عز وجل :

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

محاولة ابعاد الاسلام عن الحكم :

بذل اعداء الاسلام كامل الجهد لابعاد التشريع الاسلامى عن الحكم، فاستعملوا سلطان القهر والكبت ووسائل الاعلام التى استعملتها الدول الاستعمارية (من غربية وشرقية) المتغلبة على ديار المسلمين وبتأثير جميع الوسائل من اعلامية وغيرها التى استعملتها هذه الدول ومن ورائها الهيئات التبشيرية والصهيونية العالمية ضمن مخططات طويلة الامد والتأثير لابعاد التشريع الاسلامى عن الحكم فى الدولة وعن الحياة العامة بين الشعوب ونجحت المحاولة ـ مع الاسف ـ وضعفت العقيدة تبعا لذلك وانقطع تأثيرها على سلوكهم وتنظيم شؤونهم حتى كرسوا هذا الانقطاع وثبتوه باستبدال القوانين الاسلامية والاعراف والعادات الإسلامية بالقوانين الوضعية المقتبسة ـ بتصرف أو بدون تصرف ـ من القوانين الاوروبية،ووقعت الكارثة بفصل الدين عن الدولة،أى بفصل الاسلام عن واقع الحياة فى المجتمع وفى دواوين الحكم على السواء ولم يعد بعد ذلك كله للقانون فى البلاد الاسلامية تلك القداسة التى كانت للشريعة الاسلامية المطهرة واجبة التطبيق والتنفيذ بموجب العقيدة والايمان،وأدى هذا كله الى ضعف الاخلاق والفوضى والانهزامية التى يعانى منها عالمنا الاسلامى اليوم .

سبيل الانقاذ :

وأخيرا لن ينقذ العالم العربى من المحيط الى الخليج من الفوضى والقلق والحيرة التى يعانى منها وليس من علاج لتضارب المذاهب والنظريات فى مناهج التربية والتعليم والثقافة وتخطيط التنمية

والاقتصاد وفى علاقات دوله مع بعضها البعض وعلاقاتها مع الدول الاجنبية الاخرى الا الاخذ بالشريعة الاسلامية عقيدة وحكما ونظام حياة وبها وحدها نستطيع ان نبدل الحيرة والقلق اللذان يلفان الوطن العربى، بل والعالم الاسلامى كله الى هدى،والضعف الى قوة ، والفرقة الى وحدة ، وبه نجد لكل مشكلة حلا ولكل معضلة فصلا،وللذل الذى خيم على شعوبنا عزة ورفعة ومجدا •

« ولله العـزة ولرســوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »
(المنافقون آية 8) •

ونقول بأسف وحزن الى هؤلاء المتنطعين المنقطعين عن تراث امتهم ويظنون بالله ظن السوء وينسبون النقص والجمود فى شريعتهم،نقول لهم كيف يمكن ان يكون التشريع الاسلامى ناقصا او جامدا وهو من صنع الله تعالى « **الذى اتقن كل شيء** » والذى « انزل كل شيء بقدر » والذى « **قدر فهدى** » ولا يزال علماء الفقه والقانون من مسلمين وغير مسلمين يكشفون فى التشريع الاسلامى عن معجزات وحسـنات لا تنتهى •

ولسنا بحاجة الى استشهادات نظرية للتدليل على قوة الاسـلام الديناميكية فى تحريك البشرية.ولدينا شواهد كثيرة من الماضى البعيد والقريب ومن الحاضر نصيبا • وكلها شـواهد حية على هذه القوة الهائلة التى حركت مختلف القوى منذ عهود الفتح الاسلامى الاول حتى العهود الاخيرة فى التحـرير من ربقة الدول الاسـتعمارية المتسلطة • وان معجزة الاسلام الخالدة فى تحريك الشعب الجزائرى فى الثورة التى قدمت مليون ونصف مليون شهيد،والتى ما قامت الا بالجهاد الاسلامى بعد ان وضع الاسس الاسلامية لها العالم الفقيـه ابن باديس وجمعية العلماء • ولقد كانت كل فرقة من ثوار الجـزائر خلال الثورة تحمل اسم صحابى جليل فى حربها الطويلة غير المتكافئة مع فرنسا،والتى كان يدعمها الحلف الاطلسى وبين ثوار الجزائر الذين كان يدعمهم ويحفزهم الاسلام الذى كانوا يعيشونه عقيدة وسـياسة ونظام حياة،وكذلك الحال فى ثورات بطل الريف الخطابى فى المغرب

والمهدى في السودان،والحسيني وعــز الدين القاسم فى فلسطـين وغيرها وغيرها كثير ٠

واما الثورات التى فشلت فانها هى الثورات التى قامت على العزة القومية والنظرة المادية ولكنها تخلت عن الله فتخلى الله عنها واعتزت بغيره فاذلها الله ٠ ومن اعتز بغير الله ذل ٠ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « **انا كنا اذل قوم فاعزنا الله بالاسلام فمهما نطلب العزة بغير ما اعزنا الله اذلنا الله** » ٠

وصدق عمر رضى الله عنه فقد ذل المســــلمون وفقدوا عزتهم واستقلالهم وحريتهم واستعبدهم اعداؤهم من دول الغرب والشرق الكافرة حين تخلوا عن اسلامهم وطلبوا العزة والكرامة بتقليد هـؤلاء الاعداء فى اخلاقهم وقبيح فعالهم « **ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن** » (المؤمنون آية 71) ٠

ان الحيرة والتخبط هما الصفتان البارزتان الآن فىالبلاد الاسلامية وذلك كله -كما اعتقد- نتج عن ضعف ايمانهم وتخليهم عن اســلامهم وفقدان الثقة بأنفسهم ٠ يقول ماســينيون المستشرق الفرنسى فى كتابه « المعجزة الاسلامية » :

« ان السوء الذى يقال عن المسلمين القدماء غايته نشر اليأس لدى المسلمين الحاليين » وغاية هذه الدعاية المذلة ان يتنازل المســلمون الحاليون عن شرفهم ومقدساتهم وتقاليدهم وتاريخهم وان يستسلموا امام القوة الاستعمارية التى تخفى فى طياتها الطغيان الصــهيونى وامام الرأسمالية والشيوعية اللتين تطلبان من المسلمين الانسجام مع طريقة تفكيرهم وعملهم فى هذه الحضارة الغربية الكاذبة،حضــارة الانسان الآلى (أى حضارة العبد) التى لم تعــد تؤمن بنفســها او بالذات الالهية والتى تحاول اخضاع البشرية لرقابة ثقافية امريكيــة بلهاء ٠ ان هذه الحضارة الصناعية المغشوشة المنعدمة الروح ستسقط عما قليل وما على المسلمين الا الصمود،فالعالم فى حاجة اليهم ٠

ان عودة المسلمين الى تبوء مكانهم فى العالم بفضل الاسلام وبقوة الاسلام هو العامل الاساسى فى اشاعة السلام بين الامم فى المستقبل كما اشاعه المسلمون فى الماضى » (1)

(1) عن استراتيجية العالم الاسلامى ، ص85

زوال الايمان يؤدى لزوال السلطان :

أغفى العالم الاسلامى اغفاءة الغنى الجاهل الذى ترك لشهواته العنان فخمدت جذوة الايمان فى لبه وران الجهل على ناظريه فابتعد عن الحاكم دينه القويم وترك قواعد التشريع المستقيم وغلب هواه على عقله وساد الظلم فى سلطان حكمه،ولم يصبح المسلمون الا على احتلال العدو لبلادهم بلدا بعد بلد،فقد احتل الانجليز الهند ومصر والسودان وجنوب الجزيرة العربية والملايو،واحتل الهولانديون اندونيسيا فى أقصى الشرق،والفرنسيون شمال افريقيا والسينغال ومالى والنيجر، واحتل الروس قفقاسيا وتركستان واذربيجان،واحتلت بلاد اسلامية كثيرة فى فترات متعاقبة حتى لم ينج شبر من ديار المسلمين من وطأة قدم لمستعمر غاز . أو طامع طامح . وكان الدفاع والمقاومة يتمان فى كل بلد من قبل أهله فقط دون معاونة المسلمين من البلاد الاخرى مخالفين بذلك نصوص الشريعة المطهرة التى تفرض النصرة على جميع المسلمين حتى يحرروا أى شبر احتله العدو من ديارهم.فحارب الشيخ شامل الروس فى قفقاسية،والامير عبد القادر فرنسا فى الجزائر، والامير محمد عبد الكريم الخطابى فرنسا واسبانيا فى الريف المغربى، والسنوسيون حاربوا ايطاليا فى ليبيه،والامام المهدى حارب الانجليز فى السودان،ثم كانت قضايا فلسطين،وكشمير،وارتيريا،والصومال، وزنجبار، ومسلمى الصين،ولا تزال تتوالى هذه النكبات على المسلمين، وما نكبة فلسطين ومصر وسوريا والاردن فى الخامس من حزيران سنة 1967 بعيدة عن الاذهان.وكذلك نكبة باكستان المسلمة ومسلمى الفيليبين المجاهدين ،.ورغم ان المسلمين ما زالوا يرددون فى مجالسهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « **مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر** » الا انهم مع الاسف الشديد لم يعلموا به بسبب خمود بذرة الايمان فى قلوبهم وتنكبهم الطريق التى هداهم اليها دينهم فأهملوا تشريع نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وتعلقت أمصارهم بحضارة الغرب فبهرتهم،وأهملوا تراثهم الفكرى وتشريعهم العلوى ففقدوا هويتهم.ولو انهم عملوا بهذا الحديث الذى هو اساس

متين من اسس التشريع الاسلامى القويم • لو كانوا عملوا به لما استطاع العدو مهما كانت قوته ان تغلبهم على أمرهم وتذلهم وتستبيح محارم أوطانهم ومقدساتهم •

كيف يكون التعاون بين المسلمين :

يجب أن لا ننسى ان المسلمين ما زالوا لحد اليوم لا يتعاونون التعاون المرجو منهم، مع ان التعاون أساس من اصول دينهم وقاعدة رئيسية من قواعد تشريعهم واحكامه وتعاليمه • فاذا استطعنا ان نعيد التعاون الى الحياة الاسلامية بتطبيق هذه القاعدة العظيمة الواردة فى الشريعة، وهى وجوب التعاون بين أجزاء الوطن الاسلامى الكبير، كما يتعاون اعضاء الجسد الواحد فى درء الاخطار التى تهدده واقامة الحضارة على أساس التفاهم والتعاون والثقة بين ابنائه اجمعين، وانهم حين يحلون مشاكلهم عن طريق الاسلام الذى يدعوهم الى التعاون والتكافؤ يحلون مشاكل البشرية ويخدمون الانسانية وينقذون الحضارة من كارثة الدمار التى تتهدده من جراء الصراع المرير المستمر بين كتلتى الرأسمالية فى الغرب والشيوعية والاشتراكية فى الشرق • ان الاخذ بالاسلام كتشريع وعقيدة ونظام حياة نتيجة حتمية لتحقيق التعاون بين جميع شعوب أهل الارض اذا وعوه وعملوا به لما يقدمه لهم من فرص وامكانيات للتفاهم والتعاون والمشاركة فى اطار التربية الروحية السامية التى تجعل كل عمل يقوم به الفرد او جماعة يبتغى به وجه الله ويطلب به رضاه مهما كان نوع هذا العمل الدنيوى من تجارة او زراعة او صناعة، يبتغى به مرضاة الله والحياة الاخرى •

« وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » •

« وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى » •

ان غاية ابناء الحضارة الغربية فى حياتهم هو المال الذى يحقق لهم ما يشتهون من ملذات وشهوات، وهذا التنافس على حيازته هو من اهم اسباب

الصراع والنزاع بين الافراد،والطبقات ، والشعوب · ان كل فـرد أو طبقة أو شعب منهم يجب ان يسـتأثر بالنصيب الاوفر والقسط الاكبر من المال على شتى انواعه،مواد أولية او سلع انتاجية · او ثمنا لهما ، كما يكون سببا للتنافس والصراع اللذان يؤديـان الى الحروب وما تجره عليهم من دمار وهلاك · بينما عالج الاسلام هده المشاكل فجعل المال فى خدمة الانسان · والعمل لخدمة بنى الانسـان،والغاية الاخيرة من وراء ذلك كله هو رضى الله ونفع عباده كما ورد فى الحديث الشريف : «**الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه انفعهم لعياله**» وانطلاقا من مفاهيم الشريعة السامية صقل الاسلام النفوس واعدها للتعارف والتعاون الانسانى الكريم وجعل رابطة العقيدة فى الاسلام أقـوى من رابطـة الدم والجنس.فاخرج الفرد من ضيق الانانية الفرديـة والعصبية القبلية او القومية الى صعيد اللقاء الانسانى السامى عـلى اساس مبادىء الحق والعدل والحرية،وعالج افات النفس وامراضـها التى تحول دون التعاون كالحسـد،والحقد،التى تثيرها دوافع المنفعة الذاتية للفرد او القبلية وتزيلها دوافع حب الخير وارضاء الله تعالى والرغبة فى حسن ثوابه · والامثلة كثيرة من كتاب الله ·

« **وقولوا للناس حسنا** » « **والعافين عن الناس** » « **واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** » « **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** » ·

ومن الحديث الشريف :

« **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** » رواه الترمذى ·

« **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم** » رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه واحمد ·

وقال عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : « **يا أيهـا الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد لا فضل لعربى على اعجمى ولا لأعجمى على عربى ولالأحمر على اسود ولالأسود على احمر الا بالتقوى** » ·

واعانوا على نشر المذاهب الفكرية المخالفة للاسلام ، وانتشرت بيننا شعارات غريبة كل الغرابة عن مجتمعنا وعن ماضينا وحاضرنا وهى ليست منا ولسنا منها، كاليسـار واليمين،والامبريالية والتقدمية،

والرجعية،وكلها شعارات اوجدها الغرب والشرق الحاقدان على الاسلام واهله ليفرق شمل المسلمين ويبعدهم عن الحكم بالشريعة المطهرة التى اعزهم بها الله وجعلهم جديرين بما وضعهم فيه رب العالمين جل من قائل : « **كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » •

الشريعة بين العالمية والاقليمية :

الاصل فى الشريعة الاسلامية انها عالمية لامكانية،فقد جاء الاسلام للعالم كله وللناس اجمعين،فهى شريعة الله لجميع خلقه لا يختص بها قوم دون قوم ولا جنس دون جنس،بل خاطب الله تبارك وتعالى بها المسلم وغير المسلم،وآمن بها من شرح الله صدورهم للايمان ويسرهم للخير من الانس والجن •

« **قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا** » •

وبما ان الناس لم يؤمنوا جميعهم بالاسلام ولا يمكن فرضه عليهم فرضا « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي** » •

فقد قضت عدالة الشريعة ان لا يجرى تطبيقها الا على البلاد التى دخلها الاسلام وصار له السلطان عليها دون غيرها من البلاد،فأصبح تطبيق الشريعة الاسلامية رهنا بوجود سلطان المسلمين.واما البلاد التى لا سلطان للمسلمين عليها فان الشريعة الاسلامية غير مطبقة فيها• أى ان الشريعة الاسلامية وان كانت لها صفة العالمية من حيث ارسلها الله الى الناس كافة •

« **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » •

فانها من الوجهة العملية ومن الوجهة التطبيقية تعتبر اقليمية،اى ان الظروف والضرورة هى التى جعلت من الشريعة الاسلامية شريعة اقليمية يجرى تطبيقها فى ديار المسلمين ، ومن هذا المنطلق قسم الفقهاء العالم كله الى قسمين فقط ، قسم يشمل كل بلاد الاسلام ويسمى دار الاسلام،والقسم الآخر يشمل كل البلاد الاخرى ويسمى دار الحرب •

دار الاسلام ودار الحرب :

اعتبر الفقهاء جميع البلاد التى تظهر فيها احكام الاسلام او يستطيع المسلمون الذين يسكنونها اظهار احكام الاسلام،اعتبروها دار الاسلام ، وهذه تشمل البلاد التى جميع سكانها مسلمون او الاغلبية العظمى من المسلمين او البلاد التى للمسلمين سلطان عليها ويحكمونها بموجب الشريعة الاسلامية،وان لم يكن اغلبية اهلها مسلمون ، ويدخل فى هذا الوصف البلاد التى يحكمها وينسلط عليها غير المسلمين مادام فيها سكان مسلمون ويظهرون احكام الاسلام او لا يوجد لديهم ما يمنعهم من اظهار احكام الاسلام والعمل بها .

كما ان العدل فى الشريعة الاسلامية قاعدة عامة فيها صفة الوجوب فى جميع الاحوال « **ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا،اعدلوا هو اقرب للتقوى** » والعلاقة مع غير المسلمين من المواطنين اذا لم يكونوا محاربين فى الدين والارض لا تقف عند تأمين العدالة لهم فحسب بل تتعداها الى وجوب البر والقسط اليهم كما جاء فى الآية الكريمة :

« **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون** » .

وقد توعدت الشريعة ما يفعله المسلم بالآخرين من ظلم او اذى او اهمال كظلم البائع للمشترى وغش الطبيب للمريض واهمال الموظف لصالح الناس وكآخذ الرشوة او اعطائها للسكوت عن حق الرعية وظلمهم،وجميع انواع الايذاء الموجه الى الافراد ، والجماعات توعدت الشريعة فاعليها بالعقاب الذى لا تكفره الصلوات والعبادات لانها تتعلق بحقوق العباد،ولا يكفرها عفو ولا غفران الا ان يغفرها او يسامح بها صاحبها .

وقررت الشريعة ان الاعمال التى يقوم بها المسلم لينفع المسلمين تفضل النوافل من العبادات . ورد فى الحديث « **من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين** » رواه الطبرانى والحاكم. وقد اعتبر الاسلام الاخلال بحقوق المسلم الاساسية اخلالا بأصل

الايمان،فقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم صفة الايمان عمن لا يتعاون مع اخوانه المسلمين فى حال اعسارهم ·

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **والله لا يؤمن،والله لا يؤمن، والله لا يؤمن،**» قالوا خاب وخسر، من يا رسول الله؟قال : « **من بات شبعانا وجاره جائع وهو يعلم** » ·

وقوله « **والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** » ·

وقوله «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه واحمد فى مسنده ·

عوائق فى سبيل التعاون :

ان اهمال الشريعة الاسلامية اليوم فى أكثر بلاد المسلمين واخذهم بالقوانين الوضعية المقتبسة من القوانين الاجنبية هو من اكبر العوائق التى تحول دون التعاون الاخوى المثمر بين الشعوب الاسلامية على صعيد التشريع الاسلامى · ان التبعية العقائدية للامم المعادية للاسلام من أهم العقبات التى تحول دون التعاون الوثيق بين الشعوب الاسلامية التى جعل منها الاسلام امة واحدة « **وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون** » وان هذه الفرقة أوجدها وحرص على استمرارها اعداء الاسلام · فقد عملوا جاهدين على ايجاد التيارات الفكرية المعادية للاسلام والمتصلة اتصالا وثيقا بالتيارات العقائدية المنتشرة فى الدول الغربية الاشتراكية منها،والديمقراطية على حد سواء،وكل ذلك لتكريس الفرقة التى اصطنعوها فى ديارنا خوفا من نهوضنا من جديد · وخوفا من التقاء الشعوب الاسلامية على وحدة الهدف والفكر كما جاءت به شريعة الاسلام وانتهى الامر بهم الى اقامة مناهج فكرية تخطط طريقا للمجتمع غير طريق الاسلام ، وتقيم روابط عقائدية تحل محل الروابط الاسلامية وسكان دار الاسلام،اما ان يكونوا مسلمين أو يكونوا ذميين،وهم غير المسلمين الذين لهم اقامة دائمة فى دار الاسلام ويلتزمون احكام الاسلام بما لا يتعارض مع معتقداتهم على اختلاف اديانهم-ومعتقداتهم وجميع سكان دار الاسلام من مسلمين وذميين معصومو الدم والمال ·

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أمرت أن أقاتل النـــاس حتى يقولوا : لا اله الا الله محمد رسول الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها** » •

اما دار الحرب فتشمل جميع البلاد غير الاســـلامية التى ليس للمسلمين سلطان عليها او لا تظهر فيها احكام الاسلام ولو كان فيها مسلمون ما داموا عاجزين عن اظهار احكام الاسلام فيها وسكان دار الحرب،اما ان يكونوا مسلمين،واما ان يكونوا حربيين أى غير المسلمين الذين يسكنون دار الحرب،وهؤلاء السكان تختلف معاملة الشريعة لهم فان الحربيين منهم غير معصومين ويعتبرهم الفقهاء مستباحة أموالهم ومهدورة دماؤهم الا ان يكون بينهم وبين دار الاسلام عهد يمنع ذلك فان لم يوجد لهم عهد او هدنة فليس لهم ان يدخلوا دار الاســـلام مطلقا ، فان دخلها احدهم بدون اذن او امان خاص فهو مباح الـــدم والمال ويجوز قتله ومصادرة امواله كما يجوز حبسه والعفو عنه ، اما اذا دخلها الحربى باذن او أمان خاص او بناء على عهد يصبح مستأمنا معصوم الدم والمال على المدة المؤقتة التى استأمن فيـــها،فاذا انتهى امانه عاد حربيا كما كان، ويرى بعض الفقهاء انه يصبح ذميا باختياره البقاء فى دار الاسلام ويصير حينئذ معصوم المال والدم وعصـــمة مؤبـــدة •

أما المسلم الذى يسكن دار الحرب ولم يهاجر الى دار الاسلام فان الامام الاعظم يعتبره غير معصوم لانه يرى العصمة لا تتم بالاســـلام وحده وانما يعصم المسلم عنده بعصمة الدار ومنعة الاسلام المستمدة من قوة المسلمين وسلطانهم، بينما هو فى دار الحرب لا منعة له ولا قوة فلا عصمة له • الا ان الامام مالك والشافعى واحمد يرون أن المســلم الذى يسكن دار الحرب ولم يهاجر منها الى دار الاســـلام يكون كأى مسلم فى دار الاسلام يعصم بالاسلام ماله ودمه ولو انه مقيم فى دار الحرب وبالوقت ذاته فان المسلم والذمى مباحى الدم والمال للحربيين اذا دخلا دار الحرب دون اذن أو أمان ، واذا تزوج المســـلم او الذمى حربية أو مستأمنة فانها تصبح بالزواج ذمية أما اذا تزوج الحـربى المستأمن من ذمية فانها لا تصبح بزواجه حربية •

الجنسية فى الشريعة :

كذلك فان الجنسية فى الشريعة الاسلامية تقوم على اساس الاسلام والتزام احكامه والكفر به فجميع أهل دار الاسلام لهم جنسية واحدة كما ان أهل دار الحرب لهم جنسية واحدة مهما تعددت بلادهم وحكوماتهم ومهما تميز الانجليزى عن الامريكى، أو الروسى فذلك تمييز داخلى بينهم،ولكن احكام الشريعة واحدة بالنسبة لهم مجتمعين او متفرقين . واساس الجنسية فى دار الاسلام هو اعتناق الاسلام او التزام احكامه،فجنسية المقيمين فى دار الاسلام واحدة سواء كانوا مسلمين او ذميين،وجنسية سكان دار الحرب واحدة ، وتتغير الجنسية فى الشريعة الاسلامية بتغيير الاساس الذى تقوم عليه،فالحربى تتغير جنسيته باعتناقه الاسلام او بالدخول فى ذمة المسلمين والتزام احكام الاسلام،ولا يكون داخلا فى ذمة المسلمين الا اذا ترك دار الحرب مهاجرا الى دار الاسلام ، وتتغير جنسية المسلم بالردة عن الاسلام كما تتغير جنسية الذمى بعدم التزام احكام الاسلام وبالاقامة الدائمة فى دار الحرب .

ويتبع الصغار ومن فى حكمهم كالمجنون أبويهم فى الجنسية على ان يكون التغيير من جنسية ادنى الى جنسية أعلى،والجنسية الاسلامية هى العليا لقوله عليه السلام :

« الاسلام يعلو ولا يعلى عليه » .

فاذا كان التغيير من الجنسية العليا الى الجنسية الدنيا فلا يتبع الاولاد من غير جنسية من الابوين،بل يبقون على جنسيتهم الاولى،فاذا ارتد الزوجان المسلمان واصبحا حربيين بقى اولادهما غير المميزين مسلمين،وكذلك الحكم لو ارتد أحد الابوين فقط .

نسأل الله تعالى ان يحقق للمسلمين ما يصبون اليه من عزة ومنعة ووحدة شاملة تعينهم على أداء الامانة الملقاة على عاتقهم فيقودوا ركب الانسانية الى الخير والفلاح من جديد كما قادوه أول مرة فسعد بهم العالم حين اقاموا احكام الاسلام بالعمل فى شريعته المطهرة وحققوا العدالة والمساواة بين الناس أجمعين .

الصراع بين الإسلام والاستعمار في جنوب السودان

للسيد أحمد البيلي
مدير مصلحة الدراسات الدينية ـ السودان

من الراجح لدى المؤرخين الذين عنوا بالحديث عن الاســـلام فى السودان ومن أى الجهات جاء اليه ، ان الاسلام دخل الســـودان من جهتين ، من الشمال ـ عن طريق مصر ـ ومن الشرق عن طريق البحر الاحمر . أما دخول الاسلام من ناحية الشمال ، فقد بدأ بعد ان استقر المسلمون فى مصر واستتب الامر لهم ، وكان ذلك فى سنة (احـدى وثلاثين) 31 هـ فى زمن ولاية عبد الله بن أبى السرح ، ففى عهـــده والعهود التالية بدأت هجرات المسلمين أفـــرادا وجماعات من مصر وغيرها تدخل الى السودان الشمالى ، تارة لغرض التجـــارة ، وتارة

فرارا من الاضطهاد السياسى ، وتارة رغبة فى ايجاد مراعى اكثر خصوبة واكبر مساحة وهذا (الاخير هو الذى كان يدفع بالقبائل العربية للتنقل فى شكل جماعات من اقليم الى اقليم ، ومن قطر الى قطر ٠

واما دخول الاسلام من جهة الشرق فقد كان فى عهد دولة (الفونج) وهى دولة أسسها المسلمون الهاربون من الاضطهاد السياسى في عهد دولة بنى العباس فقد كان الوضع السياسى دافعا لبنى امية ومن كان مؤيدا لهم ان يبتعدوا ما أمكن من سلطان الدولة العباسية ، فكما هاجر بعضهم الى الاندلس ، هاجر بعضهم الىالحبشة وواصلوا سيرهم حتى استقر بهم المقام في الجنوب الشرقى للسودان، وأقاموا دولة هناك فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ٠

ولما ترامى الى العلماء فى مصر والعراق والحجاز والشام نبأ هذه الدولة المسلمة بدأت أفواجهم تأتى وتستقر وتأخذ فى نشر الاسلام وعلومه بين المواطنين فى كل قرية يحل بها عالم مسلم ٠

الاسلام في جنوب السودان :

سكان جنوب السودان الاصليون قبائل زنجية وثنية وتختلف مظاهر الوثنية من قبيلة الى أخرى ، ولم تعرف هذه القبائل الاديان الكتابية الا بعد ان وصلهم الاسلام على أيدى الشماليين ، والمسيحية على أيدى القساوسة الاوروبيين خلال القرن التاسع عشر ٠

كان المتوقع من اللغة العربية والاسلام ـ وقد وصلا الى وسط السودان ـ ان يواصلا زحفهما حتى يبلغا المديرية الاستوائية جنوبا، فتصبح العربية لغة الخطاب والثقافة ، والاسلام دين السكان ، ولكن حالت دون ذلك الطبيعة ٠

فان طبيعة الجنوب لا تلائم العرب ولا حيوانهم من خيل وابل ، فالامطار تهطل هناك عشرة أشهر فى العام ، والحشرات الكثيرة تفتك بالخيل والابل وان هناك صعوبة كانت فى اجتياز السدود العشبية المنتشرة فى النيل التى تعوق حركة السفن الصاعدة،وهناك الغابات التى كانت تحول دون سير القوافل والدواب بالاضافة الى الحيوان المفترس،لهذا لم تتمكن الجماعات العربية من الهجرة الى الجنوب على

النحو الذى فعلته من حيث الهجرة من مصر الى شمال السـودان ووسطه · فلم يبق اذن الا هجرة الافراد اما طلبا للمال عن طريق التجارة أو رغبة فى الدعوة الى الاسلام ·

الفترة التى عرف فيها الجنوب :

ان الاسـلام ظل مجهولا لدى الشماليين وغيرهم لصعوبة الوصول اليه كما تقدم ولم تعرف أحواله ـ قبائله ولغاتهم ، وديانتهم الخ ·· الا بعد أن غزا الجيش المصرى السودان فى عهد محمد على سـنة 1820 م ·

وكان ذلك عندما بدأ العالم يهتم ويفكر فى الوصـول الى منابع النيل واستكشافها وفى خلال العهد التركى المصرى ، انتظمت البلاد كلها شمالها وجنوبها حكومة واحدة عاصمتها (الخـرطوم) وكانت حدود القطر الجنوبية تمتد الى بحيرة فكتوريا ··

العلاقة بين الشمال والجنوب :

والعلاقة بين العرب فى الشمال والقبـائل الجنوبية فى الجنوب ، كانت ـ بوجه عام ـ علاقة خصام وحروب من وقت لآخر · تغير قبيلة جنوبية على قبيلة عربية شمالية مجاورة ، للنزاع الذى كان ينشب بين حين وآخر ·· والقبـائل المتاخمة للعرب هى الشلك والدينكا والنـوير ·

ومما رواه المؤرخون ان قبيلة الشلك اغارت مرة على العرب المقيمين على شاطىء النيل الابيض فى المنطقة التى يطلـق عليها الآن منطقة مجلس ريفى كوستى وخربت جميع مدارس القرآن التى كانت قائمة يومئـذ ·

وعلى الرغم من القتـال الذى كان ينشب بين وقت وآخر ، فان فترات من السلام كانت تمر بالقبائل المتجاورة وتمتـد الى فترات طويلة لا يحدث فيها ما يعكر صفو الامن ·

ولذا فان لسانا طـويلا من قبيلة الرزيقات العربية ، المقيمة فى مديرية دارفور قد امتد طويلا داخل منطقة قبيلة الدينكا الجنوبية ، وقد وصل الى ما وراء بحـر العرب · كما فعلت نفس الامر قبيلة المسيرية العربية فتوغلت داخل مديرية بحر الغـزال حيث تنتشر قبيلة الدينكا أيضا ·

وكما كانت القبائل العربية تتوغل فى مناطق القبائل الجنوبية ، فان نفس الامر كان يحدث بالنسبة الى القبائل الجنوبية . فقد امتد لسان طويل من قبيلتى الدينكا والشلك داخل الجهة الجنوبية من مديرية كردفان وهى منطقة آهلة بالقبائل العربية كالرزيقات والمسيرية والحوازمة والهبانية ، والتعايشة والسلامات .

وبطبيعة الحال تحدث من هذا الاحتكاك الاثار الاجتماعية التى لابد منها حين تحتك مجموعة بشرية بمجموعة أخرى تختلف عنها عنصرا وحضارة ولغة ودينا وهى ان يتغلب العنصر ذو الحضارة الارقى فيؤثر فى العنصر الآخر ويفرض عليه لغته وكثيرا من عاداته ومظاهر حياته.

وقد حدث ان انتقلت عادات عربية كثيرة من القبائل العربية المجاورة الى الدينكا وغيرهم ، كعادة الختان والملابس العربية الخ ..

وقد ظل الحال هكذا ــ من حيث الاحتكاك وآثاره ــ الى يومنا هذا .

هذا ما كان من أمر الاحتكاك بين القبائل المتجاورة .

وهناك صور أخرى لاحتكاك الشماليين بالجنوبيين وذلك عن طريق الافراد الذين ينتقلون من الشمال الى الجنوب وبالعكس .

فمن الشماليين التاجر الذى يذهب الى الجنوب بغرض التجارة والربح ، ومنهم من يذهب بحكم وظيفته الرسمية ، وهم الموظفون والجنود وبعض العمال .

وعلى الرغم من ان الشمالى المسلم ــ تاجرا كان أو موظفا او جنديا لم يكن دافعه الاصلى الذى حمله على الذهاب الى الجنوب نشر الاسلام واللغة العربية ولكنه بمجرد استقراره فى الجنوب واختلاطه بالمواطنين الجنوبيين يجعل من نفسه داعية الى الاسلام وسط القوم ، وان مجرد وضوئه وصلاته امامهم دافع لهم على السؤال ثم التقليد ، ولهذا كان كل شمالى ذهب الى الجنوب ناشرا للاسلام والعربية على نحو من الانحاء .

أما بالنسبة للغة العربية فان انتشارها هناك يعود الى انه ليس للجنوبيين لغة يتحدثون بها جميعا ، وقد اتيح للغة العربية ان تأخذ فى الانتشار منذ الفتح التركى المصرى بين جميع القبائل مما جعلها

لغة التخاطب بين الجنوبيين على اختلاف قبائلهم ولغاتهم . فعندما يلتقى جنوبى من قبيلة (الدينكا) مثلا التى تنتشر بمديرية بحر الغزال ، بجنوبى من قبيلة (الباريا) المنتشرة فى المديريةالاستوائية فلا سبيل للتفاهم بينهما ، الا بالاشارة أو بالعربية الدارجة المتأثرة الى حد كبير بطريقة النطق عند الجنوبيين مما جعلنا فى السودان الشمالى نطلق على العامية المتعارفة فى الاقليم الجنوبى بـ (عامية جوبا) وهى عاصمة استوائية وملتقى لكل قبائل الجنوب تقريبا ، وقد اتخذت عاصمة للاقليم الجنوبى كله بعد « اتفاق اديس ابابا » .

ومن صور الاحتكاك ايضا ، انتقال بعض الجنوبيين للعمل بالمديريات الشمالية موظفين فى مصالح الحكومة المختلفة ، أو حرفيين فى المؤسسات العامة والخاصة ، أو عمال مياومة ، أو خدما بالمنازل . وان الفترات التى يقضونها بالشمال ، تمكنهم من تعلم اللغة العربية، أو اتقان الحديث والقراءة بها وتتيح لهم فرصة الحياة فى مجتمع مسلم ، يرون فيه انماطا من السلوك الراقى الذى يحث الاسلام عليه ، كالنظام والاجتماع فى صلاة الجمعة والجماعة والنظافة ، والتعاطف والبر بالفقراء ، واكرام الضيف والغيرة على العرض الخ.. تلك الظواهر التى لا يرونها فى المجتمعات الوثنية .

وعن طريق هذا الاحتكاك يرجع معظم العمال والجنود وخدم المنازل الى الجنوب وهم مسلمون ، وعن طريقهم ينتقل الاسلام الى أسرهم وجيرانهم .

محاولات الافراد والهيئات لنشر الاسلام

ان انتشار الاسلام عن طريق التجار والموظفين والعمال والاحتكاك بين القبائل لا يجعلنا نعين تاجرا بعينه أو عاملا بعينه ونصفه بانه كان داعية الى الاسلام قصدا اساسيا وتدبيرا . ولكن هناك اشخاصا بأعيانهم عرفوا بأنهم عملوا بصورة مقصودة وهادفة الى نشر الاسلام فى جنوب السودان وهم :

1) الشيخ محمد ابو صفية :

الاخبار المتناقلة عن هذا الشيخ انه كان يقطن مديرية كردفان ، وكان متطرقا بالطريقة السمانية ، وقد رأى ان يعمل على نشر الاسلام

فى القبيلة الوثنية القريبة من موطنه ، وهى قبيلة الدينكا التى تتاخم منطقتها الجزء الجنوبى الشرقى لمديرية كردفان . فقد كان يذهب على رأس اتباعه الى بلاد الدينكا بين حين وآخر عارضا عليهم الاسلام ومخيرا لهم بينه وبين القتال . وقد اسلم على يديه عدد من الدينكا وتوفى هذا الشيخ قبيل المهدية أواخر القرن التاسع عشر ، قبل عام (1882 م) ودفن بمدينة الابيض عاصمة كردفان وبنيت على قبره قبة . ولشهرة قبته سار المثل القائل « هو فى الابيض وما عارف ودا بوصفية وين » .

2) الشيخ محمد الامين القرشى :

يعتبر الشيخ القرشى رائد الدعوة الاسلامية الآن فى جنوب السودان وجبال النوبة ، كان الشيخ قاضيا شرعيا ، ولما تقاعد بالمعاش حملته غيرته الدينية على الا يخلد الى الراحة والدعة قانعا من الدنيا بمعاش شهرى ، منزويا فى احدى قرى الجزيرة ، منصرفا الى شؤونه الخاصة ، بل رأى انه مكلف دينيا ان يجاهد بنفسه وماله وفكره ، فى سبيل انتشار الاسلام بين المواطنين الوثنيين فى كل من جبال النوبة والمديريات الجنوبية .

فسعى أولا لتكوين جمعية أطلق عليها « جماعة التبشير الاسلامى » لكى تساعده على المشروع بجمع المال من المحسنين فى الشمال وغيره. وقد باشرت الجمعية نشاطها سنة 1950 م بعد ان حصلت على التصديق بقيامها من الادارة البريطانية التى تلكأت سنوات عدة ، قبل ان تمنح المشرفين على الجمعية الاذن بالعمل فى منطقة جبال النوبة والجنوب .

وقد ارتحل الشيخ الى منطقة جبال النوبة اولا وشرع فى بث الاسلام ، ونشر خلاوى القرآن وانشاء المساجد . وقد اسلم على يديه الجمع الغفير ممن يعدون بالآلاف .

ثم انتقل عام 1960 الى مديرية بحر الغزال ، واتخذ منطقة (اكوكا) مقرا له واقام هناك (3) ثلاث سنوات ، ادخل خلالها اعدادا كبيرة من ابناء الدينكا وغيرهم فى الاسلام ، يقدرهم بنحو (20) عشرين ألفا .

وهناك قضاة شرعيون وأئمة مساجد اسهموا الى حد كبير فى نشر الاسلام ومن ابرزهم :

الشيخ علي عبد الرحمن الامين السياسي المعروف الذي كان قاضيا شرعيا بملكال في الاربعينات . وهناك اسس (جمعية المؤلفة قلوبهم) واعضاؤها بعض التجار المسلمين المقيمين بملكال ، ولها فروع في غيرها من المدن عملت ولا تزال تعمل على نشر الاسلام ويعوق تقدم مشروعاتها قلة المال .

الهيئات :

1) اما الهيئات التي خطت خطوات لنشر الاسلام بالجنوب فان ابرزها مؤتمر الخريجين العام الذي كان مقره ام درمان ، فقد تقدم الخريجون بمذكرة للحكومة 1947 م إبان الحكم الثنائي يطلبون فيها السماح لهم لمزاولة الدعوة الى الاسلام في جبال النوبة والجنوب ، وقد تقدم المؤتمر بهذا الطلب بعد ان نشرت الصحف تصريحا منسوبا لسكرتير اتحاد المنظمات التبشيرية بلندن ونصه « انه لمن الضروري اتخاذ كل الخطوات اللازمة لوقف انتشار الاسلام في جنوب السودان» .

وقد رفض السكرتير الاداري الانجليزي الموافقة على هذا الطلب بدعوى ان المؤتمر لا يملك المؤهلات التي تجعله قادرا على نشر الاسلام هناك ولم يرد السكرتير الاداري على الطلب الا بعد ان عرض امره على رؤساء الهيئات التبشيرية بجنوب السودان .

2) جماعة التبشير الاسلامي التي انشأها الشيخ القرشي .

3) جماعة المؤلفة قلوبهم التي انشأها الشيخ علي عبد الرحمن بملكال .

4) الطرق الصوفية :

وكما تعمل الهيئات التي مر ذكرها على نشر الاسلام ، فان الطرق الصوفية تعمل كذلك على نشر الاسلام بأساليبها الخاصة والطرق الصوفية المنتشرة في الجنوب الآن هناك اربع هي :

1 ـ الطريقة الاسماعيلية .

2 ـ « « الختمية

3 ـ « « السمانية

4 ـ الطريقة البرهامية

الوسائل التي ينشر بها الاسلام :

ان الوسائل التى يلجأ اليها الدعاة الى الاسـلام هيئات كانوا أو أفرادا هى :

I ـ الخلوة : وهى مدرسة القرآن وبالجنوب عدد كبير منها تستقبل الاطفال من السن الخامسة ٠

2 ـ المسجد : لكى يتجمع فيه المصلون يوم الجمعة وغيره وفى ذلك مدعاة لتساؤل البدائيين عن سبب التجمع وتطلعهم الى معرفة الدين الذى يحث المسلمين على هذا الاجتماع ٠

3 ـ اللقاء والحوار الشخصى ٠

4 ـ حلقات الذكر التى يعقدها اصحاب الطـرق ليلتى الاثنين والجمعة ٠

النشاط الحكومى لعون الاسلام على الانتشار بالجنوب

لم يكن للحكومة أى نشاط فى الدعوة الى الاسلام وسط الجنوبيين خلال الحكم الثنائى (1898 ـ 1955) أى مدى (58) عاما ٠

ولكن لما حصلت البلاد على استقلالها سنة 1956 بدأت الانظـار تتجه الى ان تعمل الحكومة شيئا ما نحو المسلمين الجنوبيين ، ليعادل ما لقيه الجنوبيون المسيحيون من عون خلال سنوات الاحتلال ، فانعقد مؤتمر بالخرطوم اشترك فيه مديرو المديريات الجنوبية الثلاث وناقش المؤتمر وضع المسلمين والاسلام بالجنوب وانتهى الى اصدار قرار بأن تتوسع مصلحة الشؤون الدينية فى مشاريعها هناك ، وقد استجابت المصلحة يومئذ لهذا الطلب وتوسعت فى معاهدها الوسطى حتى بلغت (15) معهدا ٠

وانشأت معهدا دينيا ثانويا بجوبا ، كما أنشـأت (21) مركزا للوعظ والارشاد كما قامت الهيئة القضائية الشرعية بمجهود ضخم ، فقد بنت بعض المساجد وعينت لها أئمة ومؤذنين ، واسهم القضـاة الشرعيون بقدر كبير فى نشر الوعى الاسلامى هناك خلال هذه الفترة ٠

وقد انزعجت الهيئات التبشيرية لهذا العمل واعتبرته دعما للحركة الاسلامية وهدما لما كانوا قد بنوه من حواجز تحول دون انتشار الاسلام . على الرغم من ان هذه المعاهد ما كان يؤمها غير الطلاب المسلمين وكان من اثر هذا الانزعاج ان طالبت الهيئات التبشيرية بالجنوب الدول الاوروبية التى كانت تقدم معونات للسودان طالبتها بوقف تلك المعونات . بدعوى ان الحكومة تنفقها على المؤسسات الاسلامية .

عدد المسلمين بالجنوب :

يبلغ تعداد المسلمين فى المديريات الجنوبية 376ر738 موزعين كالآتى :

عدد المسلمين بمديرية اعالى النيل من الجنوبيين : 148ر241

عدد المسلمين بمديرية بحر الغزال من الجنوبيين : 216ر080

عدد المسلمين بالمديرية الاستوائية من الجنوبيين : 12ر417

الصعاب التى وضعت فى وجه الاسلام واللغة العربية

كانت السياسة البريطانية قد قررت اتخاذ الخطوات لفصل جنوب السودان عن شماله ، وضمه الى البلاد الافريقية المتاخمة له فى اتحاد فيدرالى .

وقد تبودلت مذكرات بهذا الشأن بين الحاكم العام فى الخرطوم ، ومجلس الوزراء بلندن . ولما أصبح فصل الجنوب سياسة مقررة شرعت الادارة البريطانية فى اتخاذ الخطوات التمهيدية لذلك . فقد تقرر :

1 ــ عدم استخدام الموظفين الشماليين بالجنوب ، وعدم استخدام الموظفين المصريين الا اذا كانوا مسيحيين .

2 ــ تغيير العطلة بالجنوب من الجمعة الى الاحد .

3 ــ لا يحضر مديرو المديريات الجنوبية اجتماعات مؤتمر المديرين بالخرطوم وقد وجهوا ان يكونوا على صلة بنظرائهم فى كينيا ويوغندا يومئذ .

ثم صدر قانون المناطق المقفولة وظل مطبقا 18 عاما من (1930 1948) ومن ابرز المواد التى يشتمل عليها ما يلى :

١ ـ يجوز لأى مدير او مفتش ان يعلن ان منطقة كذا مقفولة ٠

٢ ـ على من يريد الدخول فى منطقة دفع مبلغ 50 جنيها أمانة ترد له عند خروجه ، ما لم يرتكب ما يراه الانجليزى حاكم المنطقة مخالفا للأوامر والسياسة ٠

3 ـ للمدير أو المفتش سحب التصريح اذا شاء بدون ذكر اسباب٠

4 ـ يؤمر التجار الذين يمنحون تصاريح بالدخول فى الجنوب بالبقاء على جوانب الطرق الكبرى والمدن ، ولا يسمح لهم بالدخول فى الغابة والسكنى مع المواطنين المحليين ٠

5 ـ الا يستخدم الشماليون عمالا معهم من الجنوبيين ٠

6 ـ لا يجوز للشمالى الذى يتزوج بجنوبية ان يصحبها أو اطفالها للشمال ٠

7 ـ لا يسمح للمسلمين ان يظهروا الشعائر الاسلامية للجنوبيين كالصلاة امام الحوانيت ٠

وبالاضافة الى هذا القانون ، رأى الانجليز ان يحاربوا المظاهر الاسلامية البادية على بعض الجنوبيين :

١ ـ فقد وجهوا الاداريين ان يحاربوا الاسماء العربية ويغروا الذين تسموا بها ، الى تغييرها بأى اسم جنوبى أو أوروبى ٠

٢ ـ وحاربوا الملابس العربية التى بدأ بعض الجنوبيين فى استعمالها كالعمامة والجلابية،وصاروا يوجهونهم الى اللبس الاوروبى او البقاء عرايا ٠ وقد هدد الانجليز سنة 1935 م بعض التجار الاغريق بالجنوب بسحب رخصته لانه كان لا يزال يبيع (الجلاليب) العمائم والسراويل الخ ٠٠

وامعانا فى الاحتفاظ بجنوب السودان بعيدا عن رياح العربية والاسلام ، فقد عدل الانجليز عن فكرة انشاء خط حديدى يربط شرق افريقيا بجنوب السودان خوفا من ان يتسلل الاسلام والعربية من جهة الشرق ٠

3 ـ وخربوا القرى التى كان فيها مسلمون وتقع على الحدود بين دارفور وبحر الغزال حتى لا تكون هذه القري حلقات وصل بين الشمال المسلم والجنوب الوثنى •

وان يترك المجال للمبشرين وحدهم يمارسون الدعوة الى المسيحية •

وأمروا الجنوبيين المسلمين الذين كانوا فى هذه القرى ان ينزحوا الى دارفور وأمروا المسيحيين والوثنيين منهم ان يتوغلوا داخل مديرية بحر الغزال • وبذلك كانوا قد اطمأنوا الى انهم أقاموا حزاما عريضا من الفراغ السكانى يحول دون زحف الاسلام واللغة العربية من الشمال • لعلمهم ان للاسلام بساطة وقوة ، تجعلانه يكتسب كل يوم أرضا جديدة • ويشتد اندفاعه ويقوى تياره حين يكون هناك تسامح دينى ومناخ حر للصراع بين الاديان والافكار •

صعاب فى وجه اللغة العربية :

ان العلاقة بين الاسلام واللغة العربية غير خافية على الانجليز ولذلك اعتبروا تعلم العربية والتحدث بها مقدمة للاسلام ، ولذا فقد وجهوا جهودهم لمحاربة العربية بنفس القدر الذى وجهوه لمحاربة الاسلام • وقد ارسل السكرتير الادارى سنة 1930 م منشورا لحكام الجنوب من الانجليز يومئذ يقول فيه « ينبغى زحزحة اللغة العربية عن مكانتها الحالية ، اذ تعتبر عند كثير من الجنوبيين لغة رسمية بل ولغة حضارية يتطاول بعضهم باستعمالها » •

ثم صدرت التوجيهات التالية للمسؤولين بالجنوب :

1 ـ ان يتكلم المسؤول الى المواطن الجنوبى بلهجته المحلية ، أو اللغة الانجليزية على أن يكون بينهما مترجم ان كان المتحدث اليه لا يعرف الانجليزية •

2 ـ ان تكون لغة التعليم فى المرحلة الابتدائية اللغة المحلية المكتوبة بالاحرف الرومانية وفى المرحلة الوسطى جعلت للانجليزية لغة التعليم •

ومن أجل محاربة اللغة العربية على هذا النحو اصبح خريجو المدارس الارسالية بالجنوب ضئيلي الالمام باللغة العربية قراءة وكتابة وحديثا بحيث لا يستطيع خريجو هذا النوع من المدارس من اتخاذ العربية وسيلة لتصوير افكارهم وخواطرهم ومن هنا اضطررنا ان نقر فكرة اتخاذ الانجليزية لغة عمل فى اتفاقية اديس أبابا بالنسبة للجنوب على الرغم من ان العربية هى اللغة الرسمية للدولة •

روح الشريعة الإسلامية
وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي

للأستاذ القاضي عبدالله الشماحي
مستشار بوزارة العدل - الجمهورية العربية اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه

الموضوع :

1) روح الشريعة الاسلامية

2) واقع التشريع اليوم فى العالم الاسلامى

ان هذين الامرين يكونان موضوعا هاما بالنظر الى الواقع الاسلامى اليوم ، وما كان عليه فى الامس ، وبالنظر الى الحضارة المتسلسلة ومحل التشريع الاسلامى منها فى الامس وفى اليوم وتأثر الحضارة به، وتأثره بها ٠

1981

ومن هنا فأنى قبل ان ادخل فى صلب الموضـــوع ، واتوغل فى احشائه بنوعية ، أرى أن ابدى وجهة نظرى فى حقيقة روح الشريعة الاسلامية ، وما هى ، ثم نقف قليلا مع مدلول لفظى الشريعةوالقانون.

روح الشريعة الاسلامية

ان روح الشريعة الاسلامية هى العقيدة المعتبرة الجزء الاســاسى للشريعة الاسلامية ثم ربط الشريعة بها ربطا شاملا لنوعى الشريعة ، العبادات ، والمعاملات وكل حكم من احكام النوعين •

والعقيدة المربوطة بها كل احكام الشريعة ، هى الايمان بالله وحده وانه هو مصدر التشريع وان من اخضع نفسه وتصرفاته وعلاقاته بربه وبالناس والكون لهذا التشريع نال الثواب فى الدنيا والآخرة وان من تمرد على حكم من احكام هذا التشريع فله فى الدنيا خزى وعقاب وفى الآخرة شقاء وعذاب •

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعبـــاد » •

هذا الربط هو روح الشريعة الاسلامية والفكرة الاسلامية الخلاقة ، كما سنشرحه بعد مسيرتنا الفكرية التمهيدية الى الشريعة الاســلامية وروحها وواقع التشريع اليوم ، وخلال هذه المســـيرة نقف قليلا مع لفظى القانون والشريعة ومدلولهما •

لفظا القانون والشريعة

أيها الاخوة ان الشريعة والقانون عرفا ، كما تعرفون ـ عبـــارة عن مجموعة من الاحكام والنظم تفرضها أحـــوال المجتمع ثم تصبح عادات تقليدية كعقيدة ترتبط بها حياة المجتمع ارتباط مصالح •

وهذه العادات او العقيدة قد تلتقى بالمثـــل العليا فتتكاتفان فى انهاض المجتمع الا انه لا تلازم بينهما ، وذلك ان المثـــل العليا هى الحقائق والفضائل وقد يكتب لها البقاء والاستمرار •

اما العقيدة الآتية من جهة العادات فهى عبارة عن مجموعة نظريات وفلسفة اجتماعية ناشئة من واقع الحياة اليومية الواســـعة النطاق

الهائجة المتقلبة فهى عقيدة غير مستقرة ، وهذا لا ينطبق على الشريعة الاسلامية فهى ثابتة العقيدة والتشريع لانها صادرة من عالم الغيب والشهادة كما اشرنا اليه ونتكلم عنه ·

فنحن اذا ما ألقينا نظرة على سلسلة الحضارات منذ أول انسان الى يومنا نرى ان مايطلق عليه اسم الشرائع غالبا يكون اشمل مما يطلق عليه اسم القوانين فان القوانين لا تدخل فى الاغلب فى حسابها الاحكام المتعلقة بالدين سيما القوانين المعاصرة ·

اذا فالقانون مبنى على قاعدة انفصالية تفصل الدين وروحيته عن الدنيا ودولتها وعلومها واعمالها ·

ومن هذه القاعدة الانفصالية تفلتت القوانين المعاصرة عن العقيدة بالله واليوم الآخر ثم عن المثل العليا ، وانطلقت بانسانها الاوروبى الابيض ولا وازع له من دين ولا من خلق ومثل ، تدفعه قوانينه المادية هى ومزاجه المادى الى المادة واشيائها وشراستها وتكالبها ومغرياتها حولت الانسان الى وحش سلخته فتوحاته العلمية وتفوقه الصناعى بغرورها عن الانسانية فأصبح وحشا كاسرا سلخته العلوم المادية لا بالناب والمخلب والخنجر بل بالطائرة والصاروخ ثم الذرة ، ليدك الارض ومن عليها ، وما عليها من حضارة ·

ابى العلم الا أن يضربنا العلم ... فاعذبه مر وبلسمه سم
وللعلم فاعلم شوكه وزهوره ... فازهاره تذوى واشواكه تنمو
ايخفض ما اعلا ويهدم ما بنى ... اذا فبناء العلم كان به الهدم
وسخره الانسان للظلم والشقا ... فارداه والانسان شيمته الظلم
اغار به وحشا نهيما على الورى ... وغايته التخريب والفتك والرجم
فقل لدعاة السلم رفقا بعهده ... فما عهده الا التسامح والحلم
اذا ما حصرتم علمكم ونبوغكم ... على الشر لا كان النبوغ ولا العلم

هذا هو القانون ودولته اليوم التى اشقت بتفوقها العلمى الانسانية أكثر مما اسعدتها واستذلت الشرق فى الامس القريب ، وتكيده وتتآمر عليه اليوم، وهى التى محت من الوجود شعوب أمريكا الاصليين وغيرهم محت هذه الدول المادية تلك الشعوب المسالمة المتحضرة حضارة انسانية محتها باسم الحضارة الغربية الراقية حضارة الرجل

الابيض وقوانينه المادية الدائرة بفكرتها حول الوزن والكم والمـــال والمتعة لا حول حب الخير وكره الشر ·

بدأت هذه القوانين تنشر اجنحتها بروح مادية بلغت موجتــها الى الربا فى مبادىء القرن التاسع عشر ميلاديا ثم انحرفت نحو التطرف المادى نتيجة التفاوت المعيشى الفاحش فى المجتمع المادى الغربى نفسه فانشق الغرب مع قوانينه الى تكتلات :

1) كتلة برجوازية رأسمالية اهدرت الانسان وعبدت المال ·

2) كتلة جدلية شيوعية تجاهلت الفطرة وسنن الحياة وعلى الحقد والكراهية اعتمدت ·

3) كتلة عنصرية العرق والارض هى على الانسانية أمر وأطــغى طغيان ممثلة فى القرن العشرين فى الفاشية والنازية فى الامس وتمثله الصهيونية ومن يساندها اليوم ·

وهذا التطرف المادى وما نتج عنه من انشقاق جعل كل كتلة تضع لقوانينها ونظريتها قاعدة فكرية اخرجت القوانين من طبيعة التنظيم الى قوة العقيدة الموجهة للجماهير الى أهداف وأغراض معينة،وقد جلت هذه الصبغة التوجيهية للقوانين فى القـــرن العشرين،أى ان واضعى النظرة العقائدية للقوانين فى القرن العشرين ميلاديا بدأوا من حيث بدأ التشريع الاسلامى من قبل ثلاثة عشر قرنا يطلبون بقوانينهم فكرا وقاعدة يربطون بهما الجماهير كما فعل التشريع الاسلامى مع فــرق شاسع بين القاعدتين فهى فى التشريع الاسلامى روحية الهية تدور حول الخير والحب واسعاد البشرية · وهى فى التقنين المادى المعاصر مادية كأصلها تدور حول المادة وزينتها وما فيها من وزن وما فيها من كم ضاربة بالخير والحب والرحمة خلف الحائط · (وكل اناء بالذى فيه ينضح) ·

أما التشريع سيما الاسلامى فقد مزج بين الدين والدنيا وجعل كلا منهما مكملا للآخر ثم ربطهما بحقيقة هى الاسلام فى حقيقته الكاملة وهذه الحقيقة هى روح الشريعة الاسلامية وجزؤه الاساسى ·

روح الشريعة الاسلامية

(ان الدين عند الله الاسلام)

ان الشريعه الاسلامية كسائر الشرائع والقوانين ، جسم وروح ، وان الكل تكاد تتشابه فى الهيكل المكونة له المواد والأحكام والقواعد ٠

أما الروح فهى مظهر التفاوت وسر الاستمرار والديمومة أو الوقتية والظروف المرحلية ، فما هى روح الشريعة الاسلامية ؟ لنا ان نقول انها مرونة قواعدها وتفتحها لكل جديد صالح ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان وامة ، او انها انسانيتها الشاملة التى لا طبقية فيها ولا عصبية عنصرية ولا جمود ولا انغلاق ولا ضر ولا اضرار ولا احتكار ولا استغلال ولا استعلاء بحكم او مال ولا اهدار ولا اباحية ولا امعية ولا ميوعة ولا تكاسل ولا جبن ولا ملق ولا رياء ولا افراط ولا تفريط فى مطالب الدين والدنيا ولا سيد ولا مسود بنسب أو أصل أو دم ولا جور ولا استبداد فردى او حزبى ، أو انها لما تحمله تلك الشريعة من حب الخير وكره الشر وقصد اسعاد البشريه واقامة العدالة الاجتماعية وتحقيق التكافل الاجتماعى بأنواعه الادبى والعلمى والسياسى والدفاعى والجنائى والاخلاقى والاقتصادى والعبادى والحضارى والمعاشى الى غير ذلك ٠ هذا الشرح للروح فى الشريعة الاسلامية له دوافعه واعتباره الواقعى فى عظمة التشريع الاسلامى ومثاليته المشرقة من ثنايا احكامه ومصادره الكلية ٠

ولكن من القوانين والشرائع السابقة للتشريع الاسلامى ما يمكن القول معه بانها تشارك التشريع الاسلامى فى تلك الصفات او بعضها وفى ارادة الخير وكره الشر ٠

والذى أراه ان تلك الصفات تعد من مقومات الشريعة الاسلامية ومظاهر عظمتها وروعة قواعدها الكلية التى جعلتها خاتمة الشرائع وموردا يمكن فقهاء المسلمين من سن احكام لكل ما يتجدد من احداث ومعاملات وعلاقات تتولد من تطور الحياة الواسعة النطاق الدائمة الهيجان فيجعلون الشريعة الاسلامية دائمة الفيضان الذى به تواكب التقدم الحضارى والعلمى ولكن هذه الصفات والقواعد ، ليست هى روح الشريعة الاسلامية ٠

ان الروح الجوهرى الابدى للشريعة الاســـــلامية هى تلك الفكرة الاسلامية الخلاقة التى صاغتها الدعوة القرآنية فى مشاعر اتباعه المعبر عنهم بالمسلمين والمعبر عنها بالاسلام ·

فالاسلام فى حقيقته الكاملة اعتقاد بالعمل ووجــدان بالقلب والاخلاص في النية وعمل بالحواس ، والمسلم الحقيــقى (لا الجغرافى والتقليدى) هو الذى حقق فى نفسه معنى الاستسلام لله والانقيــاد لاوامره والخضــــوع لشريعته فكيف علاقاته بربه وبالناس وبالكون وبالحياة مطبق ما أمر الله ·

هذه الفكرة هي روح الشريعة الاسلامية وبها ربطت احــــــكام الشريعة . وبهذا الارتباط كانت الاحكام التى جاء بها الاسلام نوعين:

1) احكام يراد بها اقامة الدين واحكام العبادات واحكام العقائد وفي احكام العقائد تكمن روح الشريعة ·

2) النوع الثانى وهو موضوع القانون ـ احــكام يراد بها تنظيم الدولة والجماعات وتنظيم علاقات الافــراد والجماعات بعضهم ببعض وهى تتناول احــــكام المعاملات والعقوبات والاحــوال الشخصية والدستورية والدولية الخ ···

فالاسلام جمع بين الدين والدنيا واقام لهما تشريعا واحدا فرض على كل مسلم الاخذ بجميع احكام نوعيه الدينىوالدنيوى وبروح هذا التشريع وهو الاسلام وصفت الشريعة فقيل ربط احكامهما بالفكرة التى صاغها القرآن في مشاعر اتباعه المعبر عنها كما سبق بالاسلام : الشريعة الاسلامية، فالاسلام دين ودولة وعبادة وقيادة « **ملة ابراهيم وسائر النبيين** » ·

وهذه الروح هى النواة التى غرستها الدعوة الاسلامية فى القلوب قبل كل شىء ·

وهى المنطق الاول للشريعة الاسلامية وهى ما اعارها كل المرسلين اهتمامهم ·

« **ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** » · وهى أول ما اعارها سيد الرسل وخاتمهم « محمد صلوات الله وســـلامه عليه »

المزيد من اهتمامه ليرسخها فى النفوس شريعة وعقيدة وفكرة تدور حول حب الخير وكره الشر ، ونهدف الى اقامة حضـــــارة وسعادة، الانسانية لحمتها ومصلحة المجتمع الانسانى سداها ، والحب والاخوة والمساواة والعدالة اركانها ٠

وقد رسخت هذه الروح أول ما رسخت فى قلوب فئة قليلة عرفت بالمهاجرين والانصار ، حولتهم هذه الروح الى قـــوة حولت مجرى التاريخ والتفكير واخرجت الناس من عبادة الاوثان والملوك والرجال والمال والاوهام الى عبادة الله وحده ، ونقلتـــهم من ظلمات العادات الموغلة فى الفساد الاجتماعى الى النور نور الحرية والعزة والمساواة والعدالة والتكافل ٠ مجتمع تسوده المحبة والاخوة والايثار يلتقى فيه المحكوم والتابع بالحاكم والمتبوع فى الحرية والحقوق ـ والمسؤوليةامام الله وشريعته ـ شريعة من أروع ما خطته بتوجيه تلك الروح اعتبار الحاكم خادما وأجيرا للامة يرعى مصالحها وينفذ احكامها ، لا ملـــكا مسلطا يسخر الامة لمصالحه،واحكامها لنزوانه وشهواته ٠

ولعل الاسلام أول من قرر ان الحكم خدمة للمحـــكومين ، وأول من ربط مسائل الاجتماع بشؤون السياسة والاقتصاد ، فالحـكم خدمة للامة لا تحكم فيها ، يقوم على العدل والاحسان ، ثم هو امانة ثم يكل هذا الحكم الى الامة نفسها ويكلفها ان تسير فيه على نهج العدلالمتضمن خير الفرد والمجتمع وبرفض دواعى التحلل من العدالة فى تعبير الـهى بذكر العدل مرتين مقـــرونا بكلمة (**ان الله يأمركم** ٠٠٠) تأكيدا للحكم ورمزا الى روح التشريعة فيقول : « **ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الىأهلها واذا حكمتم بين الناسان تحكموا بالعدل** »«**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** » ٠

وأعطى الاسلام من السلطان ما لم يعطها أى دستور بشرى ، « **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار** » وجعل للامــة حــق اختيار حكامها اختيارا يقوم على الرضى لا القهر والتحايل،وفرض على الامــة مراقبة الحكام ومحاسبتهم ان انحرفوا عن منهج شريعة الاسلام ، الى غير ذلك مما يتعلق بالحكم فى الاسلام ، ولقد ارتبطت هذه المبادىء

والاحكام بروح الشريعة الاسلامية ، فطبقت عمليـــا ، ونجحت ايما نجاح سيما في العهد المحمدى وعهد الخلفاء الراشدين ابو بكر وعمر وعلى فيسلم محمد صلوات الله وســـــلامه عليه ظهره ليقتص منه، ويخاطبه اعرابى بقوله:اعطنى من مال الله الذى اعطاك لا من مـال ابيك،فيعطيه ، ويستوقف الفاروق عن الخطبة حتى يبين وجـــه تميزه بلبس بردين لا برد واحد كغيره ، ويشد على بطنه من الجوع وبيت المال يزخر بالاموال ، وينتزع الخليفة الراشد الصالح عمر بن عبد العزيز ابن عبد العزيز ـ وهو يخاطب ذويه ونفسه والمسلمين بقولـه : ان المال ويسميها المظالم ،فيفزع من ذلك أهـله بنو امية يراجعونه فيقول لهم كلمته الخالدة المستهلة بروح الشريعة ، فستسمع اذن الدنيا اليوم ابن عبد العزيـــز وهو يخاطب ذويه ونفسه والمسلمين بقـوله : **ان الله بعث محمدا رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة** ثم اختار الله له ما عنده فقبضه اليه ، وترك للناس نهرا يشربهم فيه سواء ثم قام ابو بكر فترك النهر على حاله ثم ولى عمر فعمل عمل صاحبه فلما ولى عثمان اشتق من ذلك النهر نهرا ثم ولى معاوية فاشتق منه الانهار ثم لم يزل ذلك النهر يشتق منه يزيد ومروان وعبـــــد الملك والوليد وسليمان حتى افضى الى الامر وقد يبس النهـــــر الاعظم ولن يروى أصحاب النهر حتى يعود اليهم النهر الاعظم الى ما كان عليه .

ان روح الشريعة التى هى حقيقة الاسلام بمعناه الكامل هى التى أعطت الشريعة حيوية احكامها وقواعدها واستقامة حـكامها ، وهى التى نفخت فى المسلم الكامل شعوره فى حماس بمســـــؤوليته فى المجتمع الاسلامى والانسانى شعورا جعله يتـــدفع فى حماس لاداء واجبه وله من نفسه على نفسه حارس ودافع وزاجر .

فياما اعظمها من روح منحها الله لشريعته الشريعة الاســـلامية ، شريعة هى فى ذاتها نظام محفوظ ما حفظ القرآن المتكفل بحفظه الذى انزله والذى بالمؤمنين به المتشــــبعين بروحه اظهره فى الامس على الدين كله .

واليه سترجع الانسانية مهما طال السرى فان تقلص ظل الشريعة الاسلامية ليس لضعف ذاتى فى الشريعة وروحها بل لعرض خارجى هو ضعف المسلمين الذين من عوامله انطفاء شعلة الايمان فى قلوبهم

فابتعدوا عن تعاليم الشريعة الصحيحة وعطلوا الكثير من احكامها فتفرقوا فذهبت ريحهم « وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . فغلبتهم الامم لبلدانهم مستعمرة ، ولشريعتهم محاربة ، ولعقائدهم ناسفة ، فاذا بواقع التشريع الاسلامي اليوم في العالم الاسلامي يبعث على الاسف .

واقع التشريع اليوم في العالم الاسلامي

انه واقع، كما تعلمون، يستعصر القلوب ألما والعيون دما ، فنحن اذا ما القينا نظرة على خريطة العالم الاســـــلامي المترامية الاطراف الكثيرة الدول والامارات عدا عمن ابتلعهم الاستعمار بنوعيه الشيوعي والرأسمالي أو اذابتهم النظريات تحت مطاولها فاننا لا نكاد نجـــد أكثر من خمس دويلات متمسكة في وهن بالشريعة الاســـــلامية في الاحكام التي يراد بها تنظيم الدولة والجماعات . اما ما عداها وهي الاكثرية الساحقة فلها قوانينها الوضعية المستمدة معظم احكامها من القوانين الاوروبية . وقد ترتبت على ذلك عمليا تعطيل معظم احكام شريعة الاسلام في معظم العالم الاسلامي .

في عالم الارض فتش هل ترى بلدا ☆ للمسلمين بغير الذل مشـــمولا

وأي اذلال لامة تحكم بغير ما تدين به جماهيرها ، وينتسب اليه مواطنوها ودولتها!؟انه الاستعمار المقنع ، اســـــتعمار اجتماعي ، استعمار فكري ، استعمار نظري ،استعمار توجيهي . ان معظم العالم الاسلامي هو اليوم يخضع – علم أم لم يعلم – للاستعمار الفكري تبعا لخضوعه للقوانين الوضعية سواء في ذلك الجماعات الاسلامية المستقلة أو الجماعات الاسلامية الذائبة في الكتلة الشـــيوعية والبرجوازية ، فهذه الجماعات الذائبة خاضعة مباشرة ، وتلك الجماعات المســـتقلة خاضعة بواسطة ، ولهذا الخضوع المباشر وغير المباشر فقدت الشريعة الاسلامية في العالم الاسلامي مراكز الاعطاء والبث والتوجيه ومراكز الاجتذاب والاخذ والشد ، وبدل أن تفكر الدول الاسلامية المستقلة في تخليص الجماعات الاسلامية الذائبة في الكتلة الشرقية والغربية لتنقذ تلك الجماعات ومواطنيها من الانمحاء والفناء المنحـــدرة اليه بسرعة،فاننا نرى هذه الدول الاسلامية المستقلة تسير هي بشعوبها

نحو الفناء ، فترسل شبابها الى الشرق التشيوعي والغرب الرأسمالي لا ليتعلم الصناعة ونحوها بل ليدرك القوانين وتنشىء هـذه الدول الاسلامية فى أرضها المدارس لدراسة القـوانين لا الشريعة ، الا فى مسائل قليلة لا ينص عليها بانها من الشريعة ويسنورد لهذه المدارس المدرسون القانونيون الذين لا يعرفون من الشريعة الاسلامية لانواة ولا بذرة • وقد اقبل الشباب على هذه المدارس لانها هى ، لا المسجد ولا المصحف ولا الشريعة الاسلامية ، التى تـكون مستقبلهم فهى التى ستخرجهم قضاة وموظفين ودكاترة قانون او قل مشـائخ قانون لا مشائخ اسلام،وبهذا المنهج التقليدى ضعفت دوافع الدراسة للشريعة الإسلامية وفقهنا وتراثنا التشريعى والفقهى الذى يعد بحق مفخرة الدنيا •

فى بحـره للسـابحين على * أدب الحيـاة وعلمها ارسـاء

وقد تولدت من هذا المنهج التقليدى ظاهرة قاصمة قصت اجنحـة الشريعة الاسلامية،فجهل جماهيرها احـكام شريعتهم الاسلامية التى بها يدينون ، وكذلك جهلها اولئك القضاة ومشـائخ القانون ، والموظفون ورجال القانون والمحاماة فقـد اصبحـوا وهـم الصفوة المثقفة يجهلون كل الجهل احكام الشريعة الاسلامية واتجاهاتها العامة وهم الذين يديرون الدولة الاسلامية •

اما فى الشعوب الاسلامية التى لا تدين دولتها للاسـلام او التى ذابت وتلاشت فى دول متسلطة غير اسـلامية ، فواقع الشريعة الاسلامية فى هذه الشعوب لا وجود له ،ولا يمر على الشفاه الا رمزا •

وقد أدى هذا الواقع المؤلم الى ان جهل المسلمون بما فيهم مشايخ القانون ومثقفوه ورؤساء شريعة الاسلام • ومن المحزن المحـز فى القلوب ان الكثير من المثقين ثقافة قانونيـة يزعمون ، ان الدين هـو علاقة بين الانسان وربه ، لا صلة له بالحـكم والدولة الى ما هناك من مفاهيـم خاطئة للشريعة الاسلامية ومبعث هذا الخطأ يعود الى عوامل متعددة من أهمها،سيطرة الغرب على الشرق بما فيه العالم الاسـلامى المتناول آسيا الوسطى والشرق الاقصى،فحلت القوانين الوضـعية المسنوردة او المتولدة من القوانين الاوروبية محل الشريعة الاسلامية •

ولم يقف هذا الاحتلال عند الجماعة والشعوب ـ طبيعة وضع الفوانين ـ بل تعدى هذه الطبيعة فحمل معه فكرة جعل القوانين تضم الى جانب التنظيم قوة التوجيه للجماعات والشعوب نحو وجهات معينة لتنفيذ اغراض وشعارات معينة كالشيوعية والفاشية والنازية والرأسمالية والعنصرية الى ما هناك ، من افكار يهودية المصادر ، غايتها محو العقيدة الاسلامية ليسهل على المطامع اليهودية ابتلاع العالم العربى والسيطرة على العالم ۰ وامام هذا الغزو القانونى بتوعية التنظيم والتوجيه المدعم بقوة الغرب وعلم الغرب ، وضعف الشعوب الاسلامية تراجعت الشريعة الاسلامية ،لا عن ضعف ذاتى، مخلية مواقعها فى عالمها الاسلامي للقوانين وروح وفكر مصدريها من الكتلة الشيوعية والرأسمالية والعنصرية ، فعم الجهل بالشريعة الاسلامية جهلا التقى فى حبالاته الجماهير المسلمة والصفوة المثقفة ثقافة قانونية مستوردة الجذور والروح ۰

فاختلط فى العالم الاسلامى الحابل بالنابل والصالح بالطالح والغث بالسمين حتى اشتدت عقدة مسرحية التشريع والقانون ، وحتى ترى انها قد انقطعت الاضواء والخيوط بين عقدة المسرحية وبين الحل الحقيقى لاستعادة الشريعة الاسلامية مواقعها فى العالم الاسلامى ، فاستسلم النفر المثقفون ثقافة غير اسلامية من ابناء الاسلام استسلموا للفوانين المستوردة التى درسوها لا كما استسلم لها رؤساء وحكام معظم الدول الاسلامية ، وبيد هذه الفئة اصبحت السلطة وزمام الدولة ، فألقى الكثير من علماء وفقهاء الاسلام بل وممن جمعوا بين دراسة الشريعة والقانون القوا الى اليأس والقنوط زمام افكارهم يطاردهم اليأس وضعف مركزهم الى المساجد والزوايا والخمول خلا فتية قليلة من اعلام الاسلام ومنهم من تضلع فى الفوانين تضلعه فى الشريعة لم ييأسوا بل تحدوا الاعاصير فواصلوا السرى لقومهم منذرين وداعين وبعزيمة الخليفة الصالح الراشد عمر بن عبد العزيز وعلم امير المؤمنين على واخلاصه فتمضى قافلة العلماء فى دعوتهم حتى يعود النهر الاعظم الى ما كان عليه كما قاله ابن عبد العزيز رحمه الله، **«فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون»** ۰

وهذا الامل المتسع بروح الله هو الطاقة لكل مجدد لاولئك الاعلام في مواصلة دعوتهم،وهذا الامل هو الذى اقام المجاميع الاسلامية من جديد،بهذا الامل نجتمع اليوم هنا بالجزائر موطن البطولات من عهد الفنيقيين وابن نصير وطارق وعبد المؤمن بن على والملثمين والموحدين، وبهذا الامل والروح القرآنية الاسلامية خاضت الجزائر معاركها ضد اشرس استعمار مائة وثلاثين عاما،بقيادة روح الاسلام وفكرة الاسلام وهدى الاسلام وجهاد الاسلام الذى حمل رايتها عظماء من ابناء الجزائر الى ان تسلمها الامير عبد القادر الجزائرى الذى تسلمها منه عظيم سلمها الى عظيم مثله،الى ان تسلمها جيل ابى مدين ورفاقه الذين توجوا النضال الاسلامي الجزائرى بغار النصر وشمس الاستقلال ٠

ان روح الاسلام وشريعة الاسلام هي التى اذكت البطولة الجزائرية وجمعتها وقذفت منها اعصارا من حماس المؤمنين اقتلع عن الجزائر الاستعمار ورسخ في الجزائر الاستقلال فلتستمر روح الاسلام في الجزائر راسخة متوقدة ٠

واننا لنرجو للجزائر ان تستمر في صعودها ، وان يحرص قادتها على الاحتفاظ بروح الشريعة الاسلامية التى بها ناضلت الجزائر وانتصرت ٠

أيها الاخوة،ان العلماء ورثت الأنبياء فى التعليم والدعوة والارشاد والتوجيه ، وان الرؤساء والحكام والملوك الصالحين ورثة الانبياء فى القدرة على تنفيذ احكام الشريعة الاسلامية وتطبيقها كلها فى المجتمع الانسانى ان امكن والا فيطبقها كل حاكم وملك ورئيس فى منطقة نفوذه ، وان الله ليطالب العلماء والحكام والملوك بتأدية ما هو مفروض عليهم ٠

نسأل الله التوفيق وان يرجع الى المسلمين وحدتهم وعزتهم واخلاقهم وقيادتهم للعالم وان ينصرهم فى معركتهم مع اليهود والملحدين ٠

ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

وصلى الله وسلم،وبارك على محمد وآله وصحبه،ومن تبعه باحسان الى يوم الدين ٠

أخطار العزلة والإندماج التي يتعرض لها أبناء الجاليات الإسلامية وواجب الدول الاسلامية نحوهم

للدكتور عقبة عبد الحميد شيراني
ممثل ودادية الجزائريين بأروبا

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا كنا قد فضلنا تناول هذا الموضوع وطرحه على بساط المناقشة في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي فذلك لان مشـــكلة الجاليات الاسلامية التي تعيش في المهجر بعيدة عن أوطانها تكتسي أهمية كبرى .

ففضلا عن وطأة الغربة التي يعانيها أبناء الهجرة الاســلامية في أوروبا من حيث اللغة والعادات والتقاليد والقيم وعيشتهم على هامش المجتمعات الاوروبية ، فانهم يواجهون عوامل أخرى لا تقل خطرا عن الاولى وربما تهدد وجودهم ، وهي الشعور بالعزلة والوحـــدة الشيء الذي يضفي على أوضاعهم صعوبات شتى كمحاولتهم التأقلم وســط

مجتمعات ليست على استعداد لتقبلهم واحتضانهم نظـــرا لمقومات شخصيتهم الذاتية : الشخصية الاسلامية حتى ولو بذل المسلمون الذين يعيشون فى البلدان الغربية جهودا لاقامة اتصال مثمر ٠

هذا ، ورغم ما لهذا الاغتراب الثقافى والعاطفى والاجتـماعى من أخطار جسيمة ونتائج سيئة من شأنها التوقف عند حدود الافـــراد أنفسهم ، فهناك أخطار تهدد كيان هذه الجاليات وهى ترتبط أساسا بالمحاولات المختلفة التى تقوم بعض الاوساط وبعض الاندية الفكرية لاستغلال نقاط الضعف عند الجاليـــة لتبث بين أفرادها أفـــكارا ومعتقدات لا تنسجم ولا تتلاءم مع معتقدات الجالية الجوهرية ومطامحها الذاتية ٠

لقد سبق لنا خلال الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاســـلامى أن قدمنا تحليلا وافيا وشرحا ضافيا لواقع الجاليات الاســـلامية فى المهجر تعرضنا فيه للاخطار التى تهدد شخصيتها ووجودها ٠ ومـع ذلك ، نرى انه من المفيد ان نذكر بمعطيات اساسية ترتبط بهـــذه الجاليات حتى نتعرف على عددها ومواطن اقامتها وحتى نتفهم ظروف معيشتها والصعوبات التى تواجهها الشىء الذى من شأنه ان يساعدنا على ايجاد صيغة واقعية لتقديم مقترحات لمختلف الحكومات الاسلامية لتتحمل مسؤولياتها تجاه ابنائها المغتربين ٠

التعريف بالجاليات :

يعيش فى مختلف أقطار أوروبا الغربية ما يناهز ثلاثة ملايين نسمه من العناصر العربية والاسلامية حسب التقديرات والاحصــــائيات الشبه رسمية ، والجدير بالذكر ان الاحصائيات الدقيقة للهجرة لم تضبط بعد لاسباب شتى مثل حركة هذه الهجرة وسرعة تنقلها من منطقة الى أخرى حسب متطلبات العمل الذى تقوم به ، ذلك العمل الذى كثيرا ما يفرض عليها التنقل وعدم الاستقرار من جهة وحسب نوعية السياسة المشجعة تارة والعائقة تارة أخرى التى تنتهجهاالدول الاوروبية المستقبلة التىتأخذ بعينالاعتبار طبيعة العلاقات السياسية مع الدوله التى ترد منها هذه الجالية من جهة اخرى ٠

تلتقى هذه العوامل كلها لتجعل امكانية حصر عدد المهاجرين عملية غير دقيقة غير انه من الممكن حصر مناطق الهجرة الرئيسية لاوروبا فى أربع مناطق حسب أهمية المجموعات البشرية الوافدة منها وهى :

1) منطقة المغرب العربى بأقسامها الثلاثة (المغرب ، الجزائر ، تونس) والتى تمثل مركزا هاما اذا ما اعتبرنا الجالية الهامة التى تهاجر منها وتقيم خارج أراضيهاولا سيما الجزائر التى كانتأوضاعها السياسية الاستعمارية عاملا اساسيا فى تشجيع سكانها علىالهجرة، ويبلغ عدد الجالية المغربية هذه 980 ألف نسمة يعيش معظمها فى فرنسا .

2) منطقة آسيا الجنوبية :

تحتل المرتبة الثانية نظرا لعدد مهاجريها الذين يبلغ عددهم 700 ألف نسمة يتوجه اغلبهم الى بريطانيا وهولندا (بالنسبه للاندونيسيين) وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وسويسرا .

3) افريقيا الوسطى والشرقية :

تأتى فى الدرجة الثالثة حيث تعيش فيها جالية اسلاميه هامة ويبلغ عدد المهاجرين منها حوالى 520 الف نسمة يتزحون فى هجرتهم الى بريطانيا وفرنسا ونحو ألمانيا وبلجيكا والبرتغال وسويسرا .

4) منطقة الشرق الاوسط : تشكل جاليتها في أوروبا مجموعات قليلة اذا ما قرناها بالمناطق السابقة باستثناء تركيا التى تضاعف جاليتها التى يتجه أغلبها الى المانيا التى تأوى حاليا ما يزيد على 200 الف نسمة . أما مناطق الشرق الاوسط الاخرى فالملاحظ ان الجاليات المهاجرة منها باعداد هامة تتوجه اكثر ما تتوجه الى امريكا بقسميها الشمالى والجنوبى .

أما عدد هذه الجاليات في اوروبا فانه يبلغ حوالى 10 آلاف نسمة يفدون من العراق ولبنان وسوريا وفلسطين ومصر ومناطق الخليج . والعدد التقريبى لمنطقة الشرق الاوسط يقدر بحوالى 350 الف نسمة.

واما الاقطار التى تحتضن هذه الجاليات الاسلامية فهى من حيث الاهمية على الترتيب الآتى :

فرنسا ثم بريطانيا ثم ألمانيا وبلجيكا وهولندا وسويسرا ٠

فرنسا : أكثر من مليون نسمة

بريطانيا : 635000 الف نسمة

ألمانيا : 000 200 ألف نسمة

بلجيكا : ٠٠٠ 70 ألف نسمة

وبما أن عدد الجالية الاسلامية في سويسرا وهولندا وبقية البلدان الاخرى غير مضبوط فاننا نستطيع ان نقدره وبدون مبالغة بثلاثين الف نسمة أو بزيد ٠

الإخطار : تعرضنا في محاضرتنا السابقة الى واقع هذه الجاليات الاسلامية وتناولنا الظروف الاجتماعية والثقافية والنفسية التى تحيط بها والاخطار التي تهددها وعمدنا الى التأكيد على طبيعة الاعمال القاسية التى هي من حظ ابناء الجاليات والذين يعيشون معيشة ضنكا ويتحملون جميع انواع المشاق والظروف القاسية من أجل ضمان الخبز لاسرهم التى كثيرا ما يتركونها وراءهم في أوطانهم م ٠ كل ذلك معروف عند الجميع اما جملة واما تفصيلا ولذا لا داعي لذكره باسهاب غير اننا نذكر على العموم بأن نسبة 42٪ من ابناء الجاليات الاسلامية المهاجرة يعملون في البناء والاشغال العامة كالطرقات وحفر الترع ورفع الجسور ومد الانابيب وغير ذلك من تنظيف الشوارع وحمل النفايات والازبال وغيرها ٠

هذا ويشتغل 21٪ في تحويل الحديد وصهره في الافران وغير خاف على أحد ما يتطلبه مثل هذا العمل من كد ومجهود وما يعانيه العامل من قساوة البرد خارج المعمل وشدة الحرارة داخل الفرن ٠ بينما يشتغل 3٪ في مناجم الفحم والحديد ٠ هذه هي الاعمال التى تباشرها جالياتنا في اوروبا فهي أعمال شاقة بما لهذه الكلمة من معنى وتتطلب الى جانب الصبر والتجلد اجساما قوية تقاوم مختلف الامراض المهنية فأنى لعمالنا من مقاومتها وهم يعيشون بين عدوين : سوء التغذية وقلتها من جهة والجهد المضني الذى يحتمه الاستمرار في مثل هذه الاعمال من أجل تأمين العيش لهم ولابنائهم من جهة أخرى ٠

ان انتماء هـــذه الجاليات الى ثقافة ومعتقدات تختلف عن ثقافة ومعتقدات البلدان الاوروبية يخلق مشاكل التأقلم والاســتقرار النفسى ويضفى على واقعها صعوبات أخرى من شأنها ان تهدد كيانها ووجودها .. وليس هدفنا فى هذه اللمحة انتقاد الغربيين والبـلدان المستقبلة لهذه الجاليات وانما هدفنا هو القيام بتحليل موضـــوعى لواقع جاليننا حتى نهتدى الى وسائل علها تخفف من حدة وطأةالموقف أو تساعد على الخروج منه .

ان المسلمين الذين يعيشون فى المهجـــر مرتبطون ارتباطا وثيقا بدينهم الذى يشكل احدى مقومات شخصيتهم الرئيسية ذلك الدين الذى يملى عليهم جميع تصرفاتهم ومواقفهم ويجدد اساليب معيشـتهم أما المجتمعات المستضيفة فهى لا تحاول عن قصد او عن غير قصد فهم أوضاع اخواننا المهاجرين وذلك بحكم انتماء هذه المجتمعات لدين واخلاق وثقافة تختلف عن ثقافة واخلاق الدين الاسلامى هذا من جهة ومن جهة ثانية ، تضمر هــذه المجتمعات كراهية تجاه العالم الثالث بصفة عامة والعالم الاسلامى بصفة خاصة وهذه الكراهية نابعة من ذكريات ماض مفعم بالحنين والحسرة .

لقد اصبح الرجل الاوروبى لا يرضى بثقافة غير ثقافته ولا بحضارة غير حضارته ولا بلغة غير لغته ولا بدين غير لغته ولا بدين غير دينه ولا بنظام غير نظامه ، بحيث اذا وجد جنســـا بشريا يرى غير ما يراه تعرض له بالنقد والتجريح وظل يقاومه بجميع الوسائل حتى يتوصل أو يكاد الى تغييرهفان لم يستطع فبتشويه حقيقة وجوده . وليس من الغريب ان تجد الجاليات الاسلامية مجتمعا مناهضا لها يرىفيها كائنات متخلفة تستحق الاذلال والاحتقار واصدق دليل على ذلك ما يخصصه لها من أعمال قاسية ينفر منها ابناؤه هذا فضلا عن سوء المعـــاملة الادبية والمعنوية التى اصبحنا نشاهدها يوميـا فى المعمل والمصنع حيث تسد الابواب فىوجوه المهاجرين العرب والمسلمين وفىالمساكن والفنادق التى لا تفتح ابوابها الا لغيرهم . اما فى الشوارع فحدث عن البحر ولا حرج .

فاذا وقعت واقعة او حدث حـــادث بين أوروبى ومغترب فالاول يناصروالثانى يخذل.هذا بالاضافة الى عاداتهم فى الصاق التهم بأبناء

الجالية عند وقوع اى جرم • ومما لا شك فيه ان العوامل الآنفة الذكر يترسب عنها جو متوتر واضطراب نفسى لدى الجاليات الاسلامية تدفعها الى العزلة والشعور بقسوة المحيط وتتألم من عالم يختلف تماما على عاداتها وتقاليدها وقيمها . كل ذلك يزيدها وحشة واشمئزازا وضياعا • زد على ذلك عوامل اخرى ، هذا بالاضافة الى الدعاية المغرضة والمعادية التى تشنها وسائل الاعلام الغربية والصهيونية ضد الجاليات ، لقد لعبت هذه الحملة وما زالت تلعب دورا كبيرا فى تغذية هذه الكراهية ضد العناصر الاسلامية وسبب ذلك وجود عناصر لم تقبل ولن ترضى بخروج مستعمراتها من قبضتها •

فقسم كبير من الفرنسيين مثلا لا يغفرون للعرب والمسلمين استقلال الجزائر غير أنهم يجدون تعويضا معنويا كبيرا على ذلك فى هزيمة العرب على يد الصهاينة الاسرائيليين ويظهرون مساندتهم للعصابة الصهيونية ويجدر بنا القول فى هذا الصدد بأن اتساع نفوذ الحركة الصهيونية يرجع الى تلاحم جاليتها واحكام انتظامها وقوة نشاطها وتضامنها الفعال التىء الذى تفقده الجالية العربية الاسلامية •

الامكانيات والوسائل المتوفرة :

بعد هذه اللمحة الخاطفة يجدر بنا ان نطرح السؤال الآتى :

هل وقع تحسين أو طرأ تغيير عن اوضاع الجالية المهاجرة منذ ان تعرضنا لذلك باسهاب فى محاضرتنا السابقة ، وهل توفرت منذ ذلك الحين امكانيات ووسائل سواء منها النابعة من المجموعات الاسلامية فى المهجر نفسها أو تلك التى قدمتها بعض الاوساط الاوروبية تلبية لبعض المساعى او تلك الترتيبات الحديثة العهد التى اتخذتها بعض الحكومات العربية والاسلامية فى هذا الشأن يا ترى ؟

الجواب : ما زال ذلك الواقع قائما بكل ثقله وما زالت تلك المخاطر جاثمة بحيث استفحل امرها واشتد ساعدها والمسؤولية والصدق يدفعاننا ان نتوخى فى قولنا الموضوعية وعدم المغالاة فنقول بأن السيل قد بلغ الزبا وان الوضع ازداد خطورة وكيف لا وقد تركت الامور على ما كانت عليه وبقيت دار لقمان على حالها لاننا لم نولها أى اعتبار جدى لما كان ينبغى الاسراع بتنفيذه من طرف المسؤولين

المعنيين بالامر اللهم الا اذا استثنينا بعض المحاولات الشجاعة والمبادرات الجريئة من طرف بعض المجموعات المهاجرة نفسها حيث طفق أفرادها يبحثون عن خلق وسائل وظروف من شأنها ان تساعدهم على الحفاظ عن الشخصية والتمسك بمقوماتها .

قام هؤلاء الافراد بواجباتهم الاخلاقية والدينية تجاه انفسهم وتجاه اسرهم واولادهم احسن قيام ، فعمدوا فى فرنسا مثلا الى جمع مبالغ من المال واتخاذ اجراءات بمساعدة سفارات عربية اسلامية لبناء مسجد بحى بلفيل بالعاصمة الفرنسية، كما توصلوا الى عقد اتفاق مع شخصيات دينية أوروبية بغية فتح أماكن اخرى جديدة للمسلمين ليتسنى لهم القيام بفروضهم الدينية مثل الاتفاق المبرم بشأن كنيسة بمدينة ليل بشمال فرنسا التى استلمها المسلمون وحولوها الى مسجد وهم حريصون كل الحرص على تجنب تكرار مأساة مسجد باريس الذى افرغ من محتواه ووجه لخدمة اغراض غير الاغراض الدينية والروحية الخالصة بسبب وقوعه تحت ايدى مسيرين عملاء .

أما فى بلجيكا فقد سجلت الجالية الاسلامية انتصارا عظيما بفضل أول مبادرة جماعية من طرف بعض الحكومات الاسلامية التى اتفقت على توفير مبالغ من المال لفتح مسجد ببروكسيل ووضعه تحت تصرف الجالية نفسها التى تأمل ان تكون هذه البادرة فاتحة مبادرات جماعية أخرى يكون محورها خدمة مصالح الجالية الاسلامية فى المهجر . هذا وينتظر ان تعيد السلطات الحاكمة فى بلجيكا النظر فى ترتيبات الدستور من أجل المصادقة على مشروع قانون جديد يسمح لابناء الجاليات الاسلامية القيام بأداء فرائضهم الدينية فى جو يتسم بالحرية التامة الشيء الذى لم يكن من قبل، هذا ووردت اخبار مفادها ان الملك فيصل عاهل المملكة السعودية قام اثناء زيارته لايطاليا باجراء محادثات مع سلطات هذا البلد من أجل انشاء مسجد بروما .

تدخل هذه الاجراءات مع قلتها فى اطار توفير امكانيات ووسائل من شأنها مساعدة الجاليات الاسلامية على تحمل اعباء الاغتراب والتخفيف من حدة آثار العزلة واخطار الاندماج التى تهددها فى المهجر ، وما المجهودات التى تقدمها ودادية الجزائريين فى اوروبا الا

مساهمة من طرفها فى هذا الاطار • فهى بحكم تجـربتها الهامة فى المنطقة استطاعت بفضل نشاطها المتواصل ان تتعرف على مشــاكل هذه الجالية ورغم امكانياتها المحدودة وضخامة الجاليــة التى تشرف عنها فقد استطاعت ان تقوم ببعض الواجبات وقدمت بعض الخدمات لها بحيث بادرت بانجاز عدة اعمال وسطرت عدة مشاريع فى نطاق الهجرة الجزائرية اهمها: تعليم اللغة العربية للناشــئة اذ تمكنت من تأمين الدروس لما يزيد على عشرةآلاف طفل بالاضافةالى قيامهابمكافحة الامية فى أوساط الكبار بالعربيةوالفرنسية وانشائها نوادى ومراكز للطلبة والشبان فى مناطق مختلفة عبر القارة الاوروبية وهى مفتوحة فى وجوه جميع الطلبة العرب والمســلمين لتكون نقطة اللقاء بينهم لتبادل الآراء والافكار والقيام بمختلف النشــاطات الثقافية منها والرياضية والترفيهية • هذا وحرصت الودادية على تنظيم مخيمات صيفية للاطفال الجزائريين فى الهجرة ليتمكنوا من التعرف على وطنهم والحفاظ على الروابط التى تربطهم بمجتمعهم متــل ما قامت بتنظيم لقاءات فنية شعبية بمشاركة فنانين جزائريين ومغــاربة الى جانب تنظيم حفلات وسهرات ثقافية ودينية بمناســبة الاعياد الوطنية والدينية فى مختلف الاماكن حيث تتجمع جاليتنا خصوصا خلال شهر رمضان المعظم •• زيادة على عيادة المرضى وتسليتهم ونقل رفاة الموتى المواطنين وهى عملية هامة ومحمودة بالنسبة للمجموعات الاسلامية •

هذا وقد انشأت ضمن هيكلها هيئة تسهر على توجيه الشــباب وهيئة نسائية تقوم بتوجيه المرأة واشعارها بمســؤولياتها العائلية وجعلها تلعب دورها كاملا غير منقوص خصوصا تربية الاطفال ضمن القيم والتقاليد الاسلامية • كما حرصت على انشاء جريدة الجزائرى بأوروبا حرصا منها على اطلاع الجالية على ما يجرى فى وطنها والدفاع عن مصالحها وابلاغ صوتها الى السلطات الوطنية ، ومما هو جــدير بالملاحظة انها المنظمة الوحيدة التى فكرت فى الدفاع عن الجاليــة العربية الاسلامية والسهر على مصالحها بأن احدثت منذ اربع سنوات مجلة آفاق عربية ــ المجلة العربية ــ الوحيدة فى أوروبا •

هذه المبادرات كلها سواء التى انجزت او تلك التى هى فى طريق الانجاز تبدو جليا دون المستوى المطلوب وغير كافية اذا ما قـــرناها بواقع الجاليات الاسلامية ومختلف الاخطار التى تهددها وعليه يجب على هذه الجالية ان تتوفر على وسائل وامكانيات كافية من اجل تأمين مصالحها وضمان مستقبلها وصيانة كرامتها وبذلك فقط يمكنها سد الطريق امام الذوبان والتفسخ والانحراف • فالظروف التى تعيشها الجاليات الاسلامية فى أوروبا تفرض علينـــــا ان نلبى احتياجاتها الروحية والثقافية والمادية والقانونية معا •

فالاقتصار على تلبية الجانب الروحي وحده واهمال الجوانب الاخرى من هذه الاحتياجات مثل الوضع القانونى الذى يســـد الطريق امام الجاليات الاسلامية فى بعض الاقطار الاوروبية والحيلولة بينها وبين ممارسة حقها الشرعي مثل القيام بالفرائض الدينية يعتبر عملا مبتورا وبالتالى فهو لا يعود بالفائدة المرجوة • ونحن بطرحنا هذه المشاكل نقترح لها حلولا تساهم فيها جميع الدول الاسلامية التى يهمها الامر •

ان قضية الاسلام والمسلمين قضية تهم جميع المسلمين ـ خاصة وان اوضاع هذه الجاليات كما أشرنا ـ تحتاج من الجميـــع الى بذل مجهودات جبارة من اجل الحفاظ على مقومات شخصيتها وهنا يبـرز واجب الدول الاسلامية لمد يد المساعدة لهـــــذه الجماعات المشردة التائهة التى تحاول ان تجتاز مصالحها وانتمائها الجغرافى وان تتطلع وتسمو لتلتقى عند عقيدة واحدة وديانة واحدة ألا وهى الاسلام •

ان مسؤولية الدول الاسلامية فى مجال جالياتها مسؤولية جماعية وقد حان الوقت بأن تتجسم هذه المسؤولية من خــــلال اجراءات وترتيبات وقرارات ملموسة تتفق عليها جميع الدول الاسلامية •اننا لا ندعى فى هذه العجالة تقديم عرض وافر دقيق ومرتب عن كل ما يجب القيام به من طرف مختلف الدول الاسلامية تجاه جالياتها • وانما شعورا منا بالمسؤولية والواجب وانطلاقا من معايشتنا للاوضاع والظروف التى تعانى منها هذه الجاليات ان نلفت الانظار ونذكى الهمم نحو الاجراءات الضرورية التى يجب الاسراع فى اتخــــاذها لتأمين مصالح الجاليات المادية والادبية والروحية قبل فوات الاوان •

ان اول ما يتبادر للاذهان وجود اكثر من 25 سفارة اسلامية فى البلدان الاوروبيةالآنفة الذكر هذا بالاضافةالى القنصليات والبعثات·

ولقائل أن يقول : ما هو النشاط الذى تبذله هـــذه الهيئات من أجل الدفاع عن حقوق هذه الجاليات ؟

فمما يؤسف له في هذا المجال هو ان نرى اغلب هذه السفارات تقتصر على خدمة مواطنيها دون غيرهم عملا بروح الاقليمية الضيقة ، بينما الواجب يفرض على هذه السفارات ان تعتبر جميع المســلمين مواطنين لها تدافع عن حقوقهم وتسهر على مصالحهم ·· هذا ما يتمناه ويتطلع له كل مسلم ، غير ان الواقع والظروف الراهنــة تحول دون تحقيق هذه الغاية المنشودة تلك الغاية التى ينبغى لنا ان نمهد لها السبيل ونوفر لها الشروط ونختار لها الوسائل ونجـــد لها صيغة ومدخلا ، ثم يعرض المشروع على الجهات المختصة والمســؤولين الذين يهمهم الامر بغية الشروع من الآن فى تقديم خدمات للجالية الاسلامية المهاجرة · على ان هذا المشروع يقتضى مبدئيا اتفاقا بين جميع الدول من أجل بذل جهود مشتركة وتحديد سياسة موحدة وفعالــة تجـــاه الهجرة ، الا ان الاقتراحات الاولى التى نقترحها على الدول الاسلامية والتى نرى فيها الاهمية الكبرى سواء بالنسبة للدول الاسلامية التى ترغب بأن لا تستمر حالة تشــــتت جاليتها التى سوف تقع بالتالى عرضة للاندماج والانحراف الاجتماعىوالثقافى والسياسىاو بالنسبة للجالية نفسها التى تعانى اخطبوط الغربة والعزلة والوحدة هى أولا وقبل كل شىء القيام جماعيا بدراسة امكانيات فتــــح مكتب دائم للجاليات الاسلامية بالمهجر فى كل عاصمة من عواصم الدول الاوروبية التى تأوى مجموعات هامة منالمهاجرين المسلمينوهى فى رأينا فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وألمانيا وسويسرا ، وتكون مهمة المكتب الاساسية السهر على مصالح العمال المسلمين ، والدفاع على حقــوقهم الشرعية سواء الدينية منها أو الثقافية والنقابية والعمل على توفير الوســائل الكفيلة بتحسين اوضاعهم المادية والادبية بشرط ان توفر له جميـــع الامكانيات الضرورية لكى يصبح الهيكل الاساسى الذى يقوم عليــه تنظيم هذه الجاليات وتحديد احتياجاتها الضرورية وبالتالى يكون هذا

المكتب نقطة الملتقى ونقطة الانطلاق لجميع المبادرات التى تقوم بها الحكومات الاسلامية لدى سلطات البلد المستضيف سواء من أجل تذليل الصعوبات التى من شأنها اعتراض حياة الجالية او من أجل العمل على تحقيق مكاسب جديدة لها .

ان فتح مثل هذا المكتب الدائم يشكل مبادرة حسنة يجب العمل على تحقيقها اساسا لان المنطق يفرضها كى تظل جالياتنا موضع تقدير واحترام من طرف الحكومات والمجتمعات الغربية .

ورغبتنا الملحة هى اعطاء صورة صادقة للثقافة والحضارة الاسلامية لتصبح هذه الثقافة بمثابة جسر سليم يصل بين حضارتى العالم الغربى والعالم الاسلامى مثل ما فعلت اثناء عصورها الذهبية .

كيف نسمح لانفسنا استنكار مواقف المجتمعات الغربية المتسمة بالحقد والكراهية تجاه الجاليات الاسلامية والتنديد بالاجراءات التعسفية التى يتعرض لها ابناء هذه الجاليات وبالتالى كيف نسمح لانفسنا بالتحامل على الحكومات والسلطات الغربية والفات نظرها بل وارغامها على تغيير معاملتها الوحشية لهذه الجالية ، نقول كيف يمكننا ذلك ونحن نترك هذه الجالية وشأنها مهملة ولا نبذل لصالحها جهودا ملموسة ترمى الى تنظيم وتحسين أوضاعها وتذليل مشاكلها؟ولنتذكر المثل الشعبى القائل : ما يحك لك الا ظفرك ، وما يبكيك الا شفرك . وبناء عن كل ما سبق يجب على الدول الاسلامية ان تبادر بمساعيها سواء ضمن هذا المكتب الدائم او خارجه ولكن بشرط ان يكون العمل جماعيا على مستوى الوزارات الخارجية والسفارات الاسلامية المقيمة بالعواصم الاوروبية وذلك بفتح مباحثات مع سلطات الدول الغربية « خصوصا فرنسا وبلجيكا والمانيا وانجلترا » ودفعا بادماج (بند قانونى) ضمن دساتيرها يخول لافراد الجاليات الاسلامية ممارسة فرائضهم الدينية بكل حرية مثل باقى الاديان الاخرى مثل اليهودية ومنحهم نفس التسهيلات الممنوحة لغيرهم والسماح لهم بانشاء منظمة دينية وثقافية خاصة بهم . وقد يكون من فائدة الجاليات الاسلامية فى المهجر عقد اجتماعات دورية كل ثلاثة أشهر مثلا على مستوى السفراء تدرس أثناءها اوضاع الجاليات الاسلامية ومن ثمة ايجاد

أنجع الوسائل للدفاع عن مصالحها اذ ليس من المعقول بل ومن العدل والمنطق ان نرى فى هذا المجال الدول الاوروبية تجد امامها مجـــالا واسعا لفتح بعثات تبشيرية ومدارس فى جميع الاقطــــار العربية الاسلامية تنشر فيها لغتها وحضارتها ودينها لا لابناء جاليتها فحسب بل لابنائنا بينما لا تسمح هذه الدول للجاليات الاسلامية ممارســة حقها الشرعي بالقيام بواجبتها الدينية وفتح منشآت مدرسية لتعليم اللغة العربية والقيم الاخلاقية والتعاليم الدينية لاطفالها الذين يزيد عددهم على 600 الف طفل،فعلى الدول الاسلامية اذا كانت تريد الحفاظ على شخصية جاليتها ومقوماتها ان تبذل كل ما فى وسعها وتسعى فى توفير الامكانيات اللازمة لتجعل التبادل الثقــافى أمرا محترما من الجانبين وان تطالب بتكوين مؤسسات مدرســـية وثقافية لجالياتها بالدرجة الاولى ثم لمن يهتم من الاوروبيين بحضارتنا.ونشير فى هــذا الصدد الى ضرورة فتح مكتبة اسلامية فى أهم عاصمة اوروبية نقترح ان يكون مقرها بباريس يستقى منها ابناء الجاليات الاسلامية كل ما يحتاجون اليه من كتب دينية او دراسات حضارية ، وتتولى طبــع ونشر وتوزيع نسخ من القرآن الكريم ومختلف المراجع الدينية الهامة وتكون في متناول يد ابناء الجالية الاسلامية عمالا وخصوصا الطلبـة الذين يتحملون اتعابا جمة بحثا عن الكتب فى الاقطار العربية البعيدة الشيء الذى يكبدهم مصاريف باهظة هذا بغض النظـــر عن وقوعهم ضحية كتب مزورة ونسخ قرآنية مشوهة وهو خطر آخر تتعرض له جاليتنا المهاجرة في اوروبا،وخلاصة القول ينبغى عليناجميعا ان نسهر على سلامة وأمن الجالية الاسلامية فى حيـــــاتها اليومية سياسيا واجتماعيا وثقافيا وماديا ويكون هذا النشاط من ضمن نشــاطات التنظيمات والبعثات العربية والاسلامية والسفارات وبذلك يســود الاستقرار النفسى ويعود الهدوء لجميع النفوس ويتفرغ افراد الجالية الى العمل المثمر بتحسين تكوينهم وترقية مستواهم المهنى والثقافى واستغلال وجودهم فى العــالم المتحضر بالاطلاع على الآلات العصرية ويكتسب الاساليب التقنية الحديثة حتى يقومــوا بدورهم كاملا غـير منقوص عند عودتهم الى اوطانهم فى بناء صرح أوطانهم العتيــد تلك العودة التى يترقبها ويتطلع لها كل مهاجر.وعليه فنحن نهيب بالدول

الاسلامية الواعية بمسؤولياتها والمؤمنة بضرورة محو الاساليب التى أدت بمواطنيها باللجوء الى اسواق العمل الغربية لتبيع قوة سواعدها بأبخس الاثمان وفى اسوإ الظروف ان تضع نصب اعينها واجبها المقدس المتمثل في ترقية اوطانها بان توفر لجميع ابنائها فى الهجرة وسائل حياة جديدة في أوطانها ذلك ان الحلول الجذرية لمشاكل الجاليات الاسلامية المهاجرة تمكن آخر الامر في العمل على اعادة افرادها ان آجلا او عاجلا الى أوطانهم بغية ادماجهم في مجتمعاتهم واعطائهم الفرصة بان يساهموا مساهمة فعالة في بناء اقتصاد أوطانهم ٠

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الخصائص والاتجاهات في التشريع الإسلامي

للأستاذ هادي الخسروشاهيان
مبعوث الجامعة الإسلامية في مدينة «قم» إيران

بسم الله الرحمن الرحيم

تعيش الامة الاسلامية فى الوقت الحاضر فترة مخاض من حياتها · ولمثل هذه الفترة أهميتها وتأثيرها البالغ فى مستقبل حياة الامة · كما ان لها متاعبها الخاصة بها · فقد عاشت الامة الاسلامية فترة سبات طويلة استغرقت مرحلة طويلة من عمرها ، ثم استيقظت على شكل جماعات واقطار وشعوب واحدة بعد الاخرى · وبدأت تفكر فى وجودها ومستقبلها والاتجاه الذى عليها ان تسلكه فيما تستقبل من حياتها ، وفترة الاختيار وتقرير المصير فترة دقيقة من حياة الامة ، تحمل الامة مسؤوليات المستقبل فى نفسها وفى الاجيال التى تليها·

وهى فترة شاقة ايضا من حياة الامة ، اذا أرادت ان تكون واعية لمسؤولياتها مدركة لوجودها ، لا تلين ولا تخضع للاغراءات وللضغوط التى تأتيها من يمين او يسار وذلك هو السر فى صعوبة هذه المرحلة من حياة الامة فان عليها ان تختار وجودها ومستقبلها وان تقرر مصيرها ، وتتحمل بعد ذلك مسؤوليات هذا الاختيار بجميع ابعادها ٠ وليس من شك ان مثل هذا الاختيار على قدر كبير من المشقة ٠

فان لكل الحرية والحتميات الاجتماعية ، متاعبها وصعوباتها الخاصة ٠ الا ان الحرية تتعب الانسان اكثر مما ترهقه الحتميات الاجتماعية التى تسلب الانسان خاصية الاختيار وتضطره الى نوع خاص من السلوك ٠

وامتنا فى هذه المرحلة مقدمة على الاختيار ، بعد ما ارهقها الاستعمار طويلا ، وأرغمها على الرضوخ والاستسلام حينا طويلا من الدهر ٠ فهى تنفض آثار الماضى عن نفسها بشجاعة وقوة كبيرتين وتستجمع كل إرادتها وحريتها لتختار لنفسها الاتجاه الذى تسلكه والمستقبل الذى تقرره ٠

فعليها ان تكون واعية لثقل المسؤولية ودقة الموقف واهميته ٠ ونظرة شاملة على الموقف كافية لتعطينا صورة واضحة من دقة الموقف وصعوبته ٠ فهناك عروض كثيرة تنهال على هذه الامة من اليمين واليسار تصحب بعضها اغراءات ووعود عريضة يسيل لها اللعاب ، وتصحب بعضها ضغوط على أشكال مختلفة ٠ ومن الصعب جدا ان تدرك الامة فى مثل هذا الظرف ما يجب عليها وما تفرضه عليها مسؤولياتها المرحلية الكبيرة فلا تلين لاغراء ، ولا تخضع لضغط تابع للعاطفة ، ولا تستسلم لاختيار عجول ، وانما تختار عن وعى وادراك موضوعى معمق شامل ويؤلمنا ان بعض هذه الاقطار استسلمت لمثل هذا الاختيار العجول ، فى نشوة الحرية وغيبوبة عن وعى الامة ، وكان الاتجاه مختلفا نتيجة اختلاف الضغوط والاغراءات المنطقية منها من مال نحو اليمين ومنها من استسلم لليسار ، ومنها من اضطرته ظروفه الخاصة ان يمزج بين هذه وتلك ٠

ونحن نأمل باخلاص ونحرص على ان تفتح الامة عينها وتعى بعمق مسؤولياتها لتختار مصيرها ومستقبلها عن فهم وادراك موضوعى شامل .

وان يكون هذا الملتقى بعض انطلقات هذا الوعى الشامل وان يكون الملتقى حريصا كل الحرص على اعطاء الفرصة الكافية لعلاج هذه القضية المصيرية فى حياة الامة وانطلاقا من هذه القاعدة فسوف نطرح هنا مسألتين اثنتين لنحدد فى ضوئهما الموقف الصحيح الذى ينبغى ان تقفه امتنا من قضية النظام والاتجاه . لا شك ان مسألة الاختيار للنظام والاتجاه الفكرى والسلوكى مسألة عقيدة ولا يمكن ان تملى العقيدة على الامة او على الفرد املاء وانما هى مسألة اختيار واقتناع. وهى كذلك من وجهة النظر الاسلامية أيضا والقرآن الكريم يصرح بذلك تصريحا لا يقبل التشكيك والتأويل حيث يقول تعالى : (لا اكراه فى الدين) فلا يمكن ان يتم قبول الدبن والاستسلام له عن (اكراه) وانما ينبغى ا ن يتم دائما عن عقيدة واقتناع والمنطلق الصحيح الاسلامى لهذه القضية ان الانسان عبد الله استخلفه على وجه الارض فلا يملك من أمر نفسه ، ولا ما استخلف عليه من الارض وما عليها من ثروات شيئا وانما هو مستخلف عليها يعمل فيها بما حدد الله تعالى له من منهج ، ليس له ان يعدل عنه الى منهج آخر أو طريقة أخرى فى الحياة غير دين الله ومنهجه ولا يملك الا الرضوخ والاستسلام الكامل لدين الله اجمالا وتفصيلا دون ان يحق له ان يضيف الى هذا الدين شيئا من عنده او ينقص منه ، ودون ان يحق له ان يحيد او ينحرف عن شريعة الله ودينه فى قليل او كثير فهو لا يملك من أمر نفسه ، ولاما يحيطه وما يتصرف فيه من الارض وما عليها شيئا وانما هو عبد خلقه الله على وجه الارض ورسم له المنهج والطريقة ، وضع له الدين الذى يحدد سلوكه وتصرفاته ، والحدود التى تضبط حركاته وأعماله .

الا ان ذلك لا يعنى تصحيح اتجاه آخر غير اتجاه الرسالة والنظام الاسلامى وما ذكرنا صريح القرآن الذى لا لبس فيه . يقول تعالى : (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) البقرة آية 30 ٠

(وهو الذى جعلكم خـــلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم) الانعام آية 165 ٠

ويقول تعالى : (إن الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) يوسف آية 40 (يقولون هل لنا من الامر من شىء قل ان الامر كله لله) آل عمران آية 156 ٠ (وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) ، القصص آية 70 ٠

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) النساء آية 105 (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء آيـة 65 ٠

(ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) المائدة أية 44

(ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون)المائدة آية 45 ٠

(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) المائدة آية 47٠

فالحاكمية المطلقة فى حياة الانسان المسلم لله سبحانه وتعالى وحده له الحكم وله الامر فى كل شىء من حياته وليس لاحد غيره سبحانه حتى فى الحكم فى حياة الانسان بغير ما حكم الله وكل حكم دون حكم اللـه تمرد وضلال وانحراف وكل حاكم بغير ما انزل الله طاغوت جبار وعلى الانسان المسلم ان يستسلم فى رضوخ وطواعية وعن عقيدة واختيار لمنهج الله ورسالته لا يحيد عنها ولا ينحرف عنها فى شىء ، فأمـــر النظام والتشريع اذن خاص بالله سبحانه وتعالى قد اســـتأثر أمره لنفسه ليس لأحد ان يتدخل فى شأن من شؤونه أو يضيف عليه أو ينقص عنه فى شىء وذلك هو المعنى الصـــحيح والدقيق للعبودية والاستخلاف والمنطلق الاسلامى الصحيح لفهم موقف الانسان المسلم من اختيار النظام الذى ينظم حياته والاتجاه الفكرى الذى يرتبط به، وبعض التأمل فى معنى العبودية والاستخلاف يكفى للجـــزم بهذه الحقيقة والذين يشكون فى هذه الحقيقة ويترددون فيها لا يخلو حالهم

عن أحد امرين فهم اما أن لا يعترفوا لله بالعبـــودية واما انهم لم يفهموا بعمق معنى العبودية الشامل وما يســتتبعه من رضـــوخ واستسلام له تعالى فى كل شىء وكل شأن ·

دراسة النظام :

والمسألة الاخرى التي ينبغي ان تستأثر بكثير من اهتــمامنا هى القيام بدراسات واسعة فى حقل التشريع والنظام الاســلامي الذى نرتبط به الامة ارتباطا عقائديا وحضاريا وتاريخيا وثيقا من أجل أن ندرك بوضوح وبعمق قيمة ما عندنا من ترات وفكر قبل ان نحيد الى يمين أو يسار فى احضان الحضارات الشرقية والغربية ·

وليس من شك ان دراسة النظام الاسلامى وتقييمه من أجل اختيار منهج للحياة يأتى فى الدور الثانى من المسألة المتقدمة فنحن كعبيد لا نملك حقا فى اختيار نظام غير هـــذا النظام ومذهب وطريقة فى الحياة غير هذا الدين ولا دخل لتقييم النظام فى هذه المرحلة فى مسألة اختيار النظام والاتجاه وانما ينطلق الموقف هنا فى مســألة اختيار النظام والاتجاه من فهم موقفنا تجاه الله سبحانه وتعالى ، وهو موقف العبودية الذى يقتضى منا الرضوخ والاستسلام الكامل فى كل أمر ونهى له تعالى،ولكن من الضرورى بعد ان تفهمنا موقفنا من رسالة الله تعالى وشريعته انطلاقا من هذه النقطة ان نفهم ايضا طبيعة هذا النظام واصوله وخصائصه الفذة التى تجعله فوق كل تشريع وضعى ونظام وضـعه الانسان ، وهنا فى تفصيل المسألة الثانية نتناول نحن فى هـــذه الدراسة بعض الملامح العامة والخصائص الكلية والاتجاهات العامـــة للتشريع الاسلامى وذلك تحقيقا لغرضين ·

الاول اعطاء صورة مصغرة عن النظام والتشريع الاســـــلامى وخصائصه ومرونته واصالته فى علاج المشاكل الانسانية ومقارنته بالقوانين الوضعية وهو أمر بالغ الاهمية فى الظروف الاجتماعيـــة والفكرية الحاضرة فان من الضرورى أن يكون الجيل الصـــاعد الذى سوف يستلم زمام هذا المجتمع فى الغـــد ان يكون على بينة من أمر دينه وان يفهم قيمة هذا التراث الفقهى الخالد الذى ارتبطت به أمتنا

أمدا طويلا من التاريخ ولا يزال على أوثق ارتبـــاط واعمقه به رغم الهزات الحضارية العنيفة التي انتابت هذه الامة في تاريخهاالمعاصر .

والفائدة الثانية التي نجنيها من مثل هذه الدراسات انها توقفنا على الاصول والمقابيس والخصائص الكلية والعامة لهذا الدين . وهو بدوره يصحح لنا كثيرا من الاخطاء والانحـــرافات التى يقع فيها الباحثون عن الفقه الاسلامي عن عمد احيانا وعن غير عمد .

فان الاعتماد الكلي عـــلى النص الشرعـــي دون ان يؤخـــذ بنظر الاعتبار روح هذه الشريعة واصولها ومقاييسها العامة يفسح المجال للتـــأويل وللتلاعب بالنص الشرعى لتحميل النص الشرعى فروضا واحتمالات كثيرة قد تتنافى احيانا مع روح هذا الدين وخصائصـــه الاصيلة اللصيقة به وقد استغلت هذه الناحيـــة من النص الشرعى أسوأ استغلال فى فترات من التاريخ الاسلامى على أيدى علماء كانوا يعملون شيئا فى خدمة السلطات الحاكمة فكانوا يبررون لهم تصرفاتهم وأعمالهم المنافية للدين بالتصرف فى الكلمة ودلالتها وبالتلاعب فى الجانب اللفظى من النص الشرعى مهملين روح النص والاساس الذى يقوم عليه . ولكن عندما تتحدد الاتجاهات والخصائص العامـــة لهذا الدين وتتضح معالمه واصوله بشكل قاطع فان فرص التلاعب بالنص الشرعي وتأويله وتحميله ما لا يتحمل من وجوه وافتراضات تقـــل أو تنعدم بشكل مطلق .

ولست أعني اغفال الجانب اللفظى من النص الشرعي ، فان الجانب اللفظي من النص ركن هام من أركان الاجتهاد والاستنباط ، ولـكن الذى اعنيه ضرورة العناية الى جنب ذلك بالخصـــائص والاتجاهات العامة لهذا الدين لتسليط الاضواء الكاشـــفة على النص الشرعى ومحاولة فهم النص فى ضوء من ذلك .

وفيما يلي نستعرض بعض الملامح والخصـــائص العامة للتشريع الاسلامى .

الواقعية والانسانية والايجابية فى التشريع الاسلامى

صلاحية التشريع تقدر على قدر صلته بالواقع وعمق ادراكه لواقع العلاقات القائمة فى الكون ومهما يكن واضع النظام اكثر إحاطةوعلما

بواقع الكينونة الانسانية والعلاقات التى تربطه بالله وبالآخرين من الناس وبالاشياء يكن النظام أوفى بحاجات الانسان واقدر على وضع الحلول الصحيحة لمشاكل الانسان ولذلك فان النظام الصالح ينبع دائما من واقع الكينونة الفردية والاجتماعية للانسان ·

وبعكس ذلك فان النظام الذى لا يتطابق مع الكينونة الانسانية لا يصلح لحياة الانسان ولا يفى بحاجاته ولا يتمكن من اعطاء حلول كافية لمشاكله ·

وهذا التطابق التكوينى التشريعى بين النظام التكوينى للكون والنظام التشريعى لحياة الانسان من أخص خصائص هذا الدين فان النظامين جميعا من صنع ووضع خالق وواضع واحد ، ولذلك فان التطابق بين النظامين يأتى على أتم صورة ومن ثم فان التشريع يتم على افضل شكل · وليس الامر كذلك فى القوانين الوضعية التى تتم على يد الانسان فان الانسان لما كان لا يستطيع ان يحيط علما بكل الخصائص التى تتدخل فى تكوين الكينونة الانسانية مهما أوتى من علم وخبرة فان النظام التشريعى يتخلف فى كثير من الاحوال عن النظام التكوينى ، وذلك هو المتسبب فى شقاء الانسان فى ظل هذه الانظمة الوضعية التى يتدخل فى وضعها انسان لا يعلم عن هذه الكينونة والعوامل والنوازع الكامنة فيها والعلاقات الدقيقة القائمة بينها وبين الكون · ولست بحاجة الى ايضاح ان الدراسات البشرية مهما اتسعت وأوغلت فى هذا الكائن العجيب ادركت اكثر من ذى قبل عجزها فى فهم دقائق هذا التكوين المعقد بما تضم من عوامل ونوازع عجيبة ·

ومن ذلك يتضح ان التطابق بين النظامين التكوينى والتشريعى من أخص خصائص رسالة الله ولا تتوفر هذه الصفة فى مذهب من مذاهب الحياة كما تتوفر فى شريعة الله ودينه نظرا لوحدة الخالق والمشرع فيهما ، والتطابق بين هذين النظامين يؤدى دائما الى استقرار الانسان وسعادته بينما يؤدى انفصال النظام التشريعى فى حياة الانسان عن النظام التكوينى للكون الى شقاء الانسان وقلقه ·

والسبب في ذلك واضح فان النظام الشرعي حينما ينبع من النظام التكويني فان الانسان يركن الى هذا النظام ركونا طبيعيا في انسجام وائتلاف كامل ويتفاعل معه بصورة طبيعية ويعكس ذلك عندما يختلف النظام التشريعي عن التكويني فان الانسان في ظل مثل هذا النظام ينشق على نفسه وليس شيء ادعى الى شقاء الانسان وعدم استقراره من ذلك • وهناك سبب آخر في انحراف القوانين الوضعية عن الواقع التكويني للانسان والكون وذلك ان الانسان يقع كثيرا عرضة لتأثيرات عاطفية وردود فعل قوية تحرفه عن التماس الواقع ودرك متطلباته وضروراته • وفي مثل هذه الظروف الذاتية التي تصادف كثيرا عمل التقنين ووضع الانظمة يكون النظام مجافيا لواقع الكينونة الانسانية ومتطلبات هذه الكينونة ، وليس من السهل ان يتخلص المقنن أو الهيئات التقنينية من التأثيرات العاطفية او ردود الفعل القوية التي تملي عليهم صورا للنظام التشريعي يجافي واقع النظام التكويني ، الذي خلق الله تعالى الانسان والكون عليه • وكمثل على ذلك اذكر موقف القانون الوضعي الحديث من قضية المرأة ، ليلمس القارىء بنفسه كيف ينحرف النظام التشريعي عن النظام التكويني حين يتناول الانسان أمر التشريع ويخضع نظام الحياة لميوله الخاصة التي تأتي كثيرا نتيجة لحالات انفعالية خاصة تتناوب الانسان فردا ومجتمعا • فليس من مجال للشك في ان تكوين المرأة يختلف عن تكوين الرجل فالمرأة كائنة تغلب عليها العاطفة والرجل كائن يغلب عليه العقل وفي المرأة لين ونعومة وفي الرجل قوة وخشونة والمرأة تفتن الرجل والرجل يفتتن بها •

ولأمر ما خلق الله الرجل والمرأة على شكل قطبين متقابلين في حياة الانسان •

فقد خصص الله الرجل والمرأة لحقلين مختلفين من الحياة فخص الرجل بالحقل العامل الجاد في الحياة الذي يتطلب صلابة وقوة وجدا وفيضا من العقل والتدبير وخصص المرأة لحقل البيت والتربية الذي يتطلب لينا وسحرا وفيضا من العاطفة • ولكن الانسان حول المرأة الى الميادين العاملة الكادحة في الحياة فحرم البيت من ربته المدبرة

وحرم الاطفال من حنان الام وعاطفتها وحرم الرجل من اســـتقرار البيت وركونه وحرم المرأة نفسها عن مؤهلاتها وكفاءاتها واقحمها فى ميدان لم تخلق له ٠

ولست اعنى ان المرأة يجب ان تبقى عاطلة عن العمل والعلم ، كما يفهم البعض وانما اعنى ان تطور حياة المرأة المعاصرة كان ينبغي الا يؤدى الى اهمال الدور الذى خلقت المرأة من أجله ٠

ونظرة واحدة الى الحضارة المادية المعاصرة تكفى ليلمس الانسان بنفسه ابعاد الخط الذى يحدد كيان الاسرة واستقرارها من الحضارات الجاهليه الحديثة ٠

وليس من شك ان الانسان المعاصر عندما اندفع الى عزل المرأة عن بناء الاسرة واقحامها فى ميادين لم تخلق لها المرأة ولم يكن يجهل الدور الذى خلقت المرأة من أجله ، والذى يؤهلها له تكوينها الخاص ولكنه تأثر الحالات الانفعالية وردود الفعل التى تنتاب الانسان فردا وجماعة ويصعب الانفلات منها ٠ ويعكس الاتجاه المادى المعاصر فان الاتجـاه الاسلامى فى التشريع يضع المرأة فى موضعها الخاص الذى يهيئهـا لإمكانياتها ومؤهلاتها وتكوينها الخاص ولا يعنى ذلك اطـلاقا تعطيل المرأة عن العلم وعن العمل وعن الجد وعن الاسهام فى شؤون الحياة بل هو محاولة جادة لتنسيق موقع كل من الرجل والمرأة من الحيـــاة والحيلولة عن حدوث ارتباك فى موقع كل من الجنسين من الحياة وانهدام كيان الاسرة او حدوث اختلال فى بناء الاسرة لا تستطيع الاسرة معها ان تستمر فى أداء دورها الخاص من حياة الانسان وعن هذا الطابع التكوينى فى الشريعة الاسلامية يتحدث القرآن الكريم فى وضـــوح وجلاء (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلـــق الله ذلك الدين القيم) الروم آية 30 ٠

فان الشريعة الاسلامية منهج للفطـــرة فى صفائها وخلوصـــها وسلامتها ومنهج للكينونة الانســـانية فى علاقاتها بالله وبالكون وبنفسه (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ٠

وهذا المنهج الفذ ، يطبعه طابع من الثبات والدوام ٠ وشـأن كل نظام قائم فى الطبيعة لا يعترضه التغيير والتحوير ، ولا يتأثر بالاهواء

والميول ، (لا تبديل لخلق الله) ، وهذا الدين وحده بما له من طابع تكويني ثابت ، وبما فيه من مرونة الطبيعة ويسرها وجريها وتكاملها هو الذي يصلح ليقوم الانسان في حياته،ويسعده ويرضيه ويريحه.

(ذلك الدين القيم)فلا يمكن ان يشذ هذا الدين عن الخط التكويني العام الذي رسمه الله تعالى للانسان ، ولا يمكن ان يفقد طابعه التكويني الفذ ، مهما كانت علاقات الظروف الاجتماعية ، ولا يمكن ان ينطلق في معالجة قضايا الانسان ومشكلاته ، ومسائل الحياة الاجتماعية ومتطلباتها ، عن غير هذه القاعدة التكوينية الكبرى التي ينطلق منها دائما في التشريع .

(2) تشريع انساني :

تكريم الاسلام للانسان بما هو انسان وبما خصه الله به من كرامة وما أودع فيه من قيم أمر معروف .

فالانسان في نظر الاسلام من أكرم خلق الله وأعظمه قدرا عند الله :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وقد سخر الله لهذا الانسان كل ما على الارض من بر وبحر وسخر له الشمس والقمر والليل والنهار . (وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها،وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)(هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار،وآتاكم من كل ما سألتموه) .

فالانسان قمة ساطعة من قمم الوجود اكرمه الله تعالى وآتاه من القيم ، ما لم يؤت شيئا من خلقه الا القليل وقد سخر الله تعالى له هذه الارض وما فيها والشمس والقمر وجعل كل ذلك في خدمة الانسان . ويعتبر الاسلام الانسان من أصل واحد من دون اختلاف بين كبير ووضيع ومسلم وغير مسلم ورقيق وحر فليس في خلق الانسان من تفاوت بين الافراد وبين السلالات البشرية وانما

خلقهم الله تعالى من أصل واحد ، وخلق ذلك الاصل من تراب (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) النساء (I) .

ويقول الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام (كل انسان اما أخ لك فى الدين واما نظير لك فى الخلق) .

فليس هناك اختلاف فى اصل الناس افرادا أو سلالات وانما خلقوا جميعا من اصل واحد وقد اكرم الله هذا الاصل ، وجعله قمة ساطعة من قمم الوجود .

وانطلاقا من هذه القاعدة التشريعية فقد عمم الاسلام أعمال الخير والبر والقسط على الناس جميعا دون أن يخص ذلك بالمسلمين فقط من بين الناس واباح للمسلمين ان يبروا غيرهم وان يقسطوا اليهم من غير حرج .

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) (الممتحنة آية 8-9) .

فليس من بأس على المسلمين ان يحسنوا الى الذين لم يسلموا وان يقسطوا اليهم ويعدلوا معهم والله يحب المقسطين .

والطائفة الوحيدة التى تستثنيها الآية الكريمة من هذا التعميم هم اولئك الذين يناوئون المسلمين ويقاتلونهم ويخرجونهم من ديارهم فيحرم على المسلمين برهم والاحسان اليهم وتوليهم : (ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) فليس من حرج على المسلمين اذن فى ان يتعاونوا مع المجتمع الانسانى الكبير ويتبادلوا معهم البر والقسط فى كل مجالات الحياة فى الثقافة والصحة والتجارة والخبرات الانسانية .وان يمدوهم بالامدادات الضرورية حين تلم بهم بعض كوارث الدهر ، وان يعقدوا معهم معاهدات صداقة وتعاون وذلك يدل على نظرة انسانية رحبة فى التشريع الاسلامى تتسع للناس جميعا من دون تفرقة بين دين وآخر وأمة واخرى فى مجال التعاون الانسانى .

اللهم الا أن يكون التعاون والتبادل فى الشؤون الانسانية سبيلا للكافر في النفوذ الى بلاد المسلمين واستعمار بلاد المسلمين وان تنوى أمة ما التسلل الى بلاد المسلمين فيحرم التعاون معها مادام ذلك يؤدى على المؤمنين ٠

(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) (النساء آية ١٤١)

وبهذه النظرة الانسانية الرحبة يحاول التشريع الاسلامى انيدفع الكتلة الاسلامية على وجه الارض الى التعاون مع المجتمع الانســـانى الكبير عسى ان تذوب الخلافات التى تمنع عن وجود علاقات وتفـاهم انسانى بين المسلمين وأمم الارض جميعا (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مـــودة والله قدير والله غفـــور رحيم) (المتحنة آية 6) على ان تكون الامة الاسلاميه فى هذه العلاقات هى الطرف المؤثر الفاعل أما حين ما يتقلب الموقف فنكون الامة الاسلامية هى الطرف المنفعل والمتأثر فقد سبق انه سبيل على المجتمع الاسلامى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ٠

(3) تشريع ايجابى :

وللاسلام موقف محدد من كل قضايا الانسان ومســألة الموقوف واللاموقف أمر جوهرى فى صلاحية النظام للبقاء والاستمرار ٠

فان النظام حيث يتصف باللاموقف فى مسألة أو مشكلة من مشاكل الحياة فان نوعا من الارتباك والقلق يطبع النظام والحياة معا لا يصـلح معه النظام لتنسيق حياة الانسان والفقه الاسلامى بما يملك من ثروة تشريعية بضع مواقف محددة لكل المسائل التى تعترض حياة الانسان فى دقة ووضوح ٠

والمهم فى هذه المواقف انهــا تنصف بالايجابيـــة ولم يعهد فى التشريع موقف سلبى ازاء مسألة من المسائل حتى فيما لو كان الموقف يتصف بسلبية صـــورة فان جوهر الموقف ومحتواه ايجابى على كل حال ٠ فالمقاطعة مثلا موقف اسلامى ازاء الاشـــخاص الخارجين على الاعراف الاسلامية وازاء الاشخاص الذين يرتكبون خيـــانة ما فى قضايا الامة وهو موقف سلبى شكلا ٠ ولكن جوهر الموقف ايجـابى فهو ينطوى على شجب عملى للخروج على اعراف الامة ولارتكاب الخيانة

ومحاولة لتأديب الخائنين وردعهم من ممارسة الخيانة أو المنكر من جديد واعطاء العبر للآخرين وليس فى الاسلام موقف يتمخض فى السلبية والانهزامية مهما كانت المشكلة التى يحدد الاسلام موقفه منها ولم يعهد فى هذه الشريعة موقف انطوائى ازاء مشكلة من المشاكل البشرية فردية واجتماعية واذا كانت هناك مواقف انهزامية وسلبية تجاه المشاكل الاجتماعبة بين المسلمين فهو حصيلة سوء فهمهم لمعالم هذا الدين وأصوله . فالتقوى مثلا ، موقف اسلامى تجاه الانحرافات الفردية والاجتماعية وما اكثر ما يساء فهم هذا الموقف الاسلامى ويعطى تفسيرا سلبيا محضا فيحسب الناس ان التقوى هى الفرار عن الانم والانهزام عن المغريات والمنيرات والانغلاق على النفس والذى يتردد على اوساط غير محافظة ويتصل بشكل او بآخر بمجتمعات يغلب عليها طابع الانحراف فهو لا محالة يعرض نفسه لخطر الانزلاق والانحراف.

ولكى يسلم من هذا الخطر ينبغى له ان يجنب نفسه مخاطر الاحتكاك والاتصال ببيئات فاسدة من متل هذه البيئات . ولست اريد ان اناقش كثيرا فى الجانب السلبى من هذا التفسير ولكن احب ان اقول ان التقوى فى التفسير الاسلامى للكلمة ليست محضا فى السلبية كما يتصور البعض وانما هى على نصيب كبير من الايجابية فان حقيقة التقوى ليس هو الانهزام والتوارى عن الانحراف والمنكر وانما هى مهاجمة المنكرات ومكافحتها فى داخل النفس وفى نطاق المجتمع ، ففى داخل النفس لا تتحقق التقوى بتمويت الغرائز والنوازع النفسيه انما تتحقق بمكافحة التمرد فيها على سلطان الارادة ومحاولة تحديدها وتعديلها وفى نطاق المجتمع لا تتحقق التقوى بالانطواء على النفس والانهزام من المنكرات وانما يتم بالتصدى لها ومكافحتها وقد يكون الابتعاد عن المنكرات لسلامة الفرد من عدوى المنكر وتأثيره ولكن السلامة الحقيقية للفرد والمجتمع عن عدوى المنكر وتأثيره لا يأتى الا بمقاومة المنكر بالذات ومكافحته ولكى يقى الفرد او المجتمع نفسه عن الانحراف والمنكر لا يكفى ان يتوارى عن المنكر وينغلق على نفسه وانما ينبغى ان يخطط للقضاء على المنكر من الجذور وهو أفضل طريقة للتوقى عن المنكرات واسمى مراحل التقوى . والتقوى مثل واحد من

أمثلة متعددة على الاتجاه الايجابي من مواقف هذا الدين في حيـاة الانسان ومشاكله الفردية والاجتماعية • وليس من موقف في التشريع الاسلامي يتصف بالسلبية المحضة شكلا ومضمونا وهو خاصة فريدة من خصائص هذا الدين •

التشريع الوسط

قلما يتفق أن يخلص الانسان في تفكيره وميوله عن التطرف افراطا وتفريطا والسر في ذلك ان الانسان يميل الى المغالاة فيما يحب ويتحكم في تفكيره وردود الافعال القوية فيما يكره • فهو بين هذا وذاك يميل مرة ميلا قويا الى اليمين الى حد الافراط ويميل أخرى الى اليسار الى حد التفريط ونتيجة هذا الافراط والتفريط في الميول والاتجاهات الانسانية هو الانحراف عن الحق • ولا يختلف الانحراف ان يكون الى يمين أو يسار مادام في جوهره شيئا واحدا دائما وهو الميل عن الحق والواقع • وكما ان التطرف والميل امر طبيعي في تفكير الانسان وميوله فان الاعتدال والتوسط أمر طبيعي أيضا في التشريع • والميل والتطرف في التفكير يؤدي الى رد فعل مقابل للاول يعاكسه في الاتجاه ويساويه في الانحراف وهو بدوره يؤدي الى الاتجاه المقابل، وكذلك تتردد الاتجاهات الوضعية في التفكير الانسـاني بين نقاط متطرفة ومتقابلة •

فان التشريع من وضع من خلق الانسان ويعلم كل صغيرة وكبيرة فيه وكل العوامل المؤثرة في تكوينه فـلا يمكن ان يتطرف التشريع الى يمين أو يميل الى يسار او يخرج عن حالة الاعتدال والتوسط في الحلول التي يقدمها لمسائل حياة الانسان فردا ومجتمعا •

والى هذه الخاصة الفريدة في التشريع الاسلامي يشـير القرآن الكريـم حيث يقول:(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وفيما يلي نستعرض الشواهد على صلة الاعتدال والتوسط في هذا الدين ليلمس القارىء بنفسه أبعاد هذه الظاهرة في التشريع بوضوح أكثر •

بين الانظمة الفردية والانظمة الاجتماعية :

تنزع الاتجاهات الوضعية البشرية الى اتجاهين متعاكسين في تنظيم

حياة الانسان وتنسيق حركاته وفعالياته : نزعة فردية واخـــرى اجتماعيـــة تطغى الصـــفة الفردية فى النزعة الاولى على الخصائص الاجتماعية للانسان وفى النزعة الثانية تطغى الصفة الاجتماعية على الخصائص الفردية للانسان ٠

فتميل النزعة الاولى فى التفكير الانسانى الى تجريد الانســان من صفاته الاجتماعية تقريبا والتأكيد على الجوانب الفردية فى شخصيته وفى مثل هذا المجتمع تطغى الحرية الفردية على اى جانب آخــر من شخصية الفرد فى المجتمع فيسمح المجتمع للفرد ان يمارس حرياتــه الفردية فى نطاق واسع جدا بينما يهمل جانبا كبيرا من المسؤوليات الاجتماعية التى يتحملها الفرد بالنسبة الى المجتمع وفى مثل هــذا المجتمع تأخذ الحرية صفة فردية محضة وتخرج عن دورها الانسانى العام لتكون فى احتكار قلة من الافراد تسمح لهم امكانياتهم الواسعة بممارسة حقهم فى الحرية على صعيد واسع بينما تضطر الاكثرية ان تخضع فى حياتها لما تمليه عليها هذه القلة المترفة من المجتمع نظـرا لعدم توفر القدرة المالية والاجتماعية الكافية لديهم فى ممارســـة الحـــرية ٠

فان الحرية وان كانت نظريا موزعة على كافة قطاعات الشـــعب توزيعا واحدا بعدالة وعلى حد سواء الا أن الحرية فى مجال الممارســة العملية ترتبط ارتباطا مباشرا بالقدرة التنفيذية للفرد او المجتمع ، وحيث تضعف هذه القدرة او تتقدم لدى طبقة من المجتمع فان ذلك ينعكس بصورة مباشرة على قدرتها فى ممارسة حقها فى الحريه ٠

وبناء على ذلك فان الحرية الفردية فى مثل هــذا المجتمع تكون من نصيب فئة قليلة تتوفر لديها الامكانيات الكافية لممارسة الحـــرية بينما تفقد الاكثرية فرص الاختيار الحر والممارسة الحرة وتضــطر ان تخضع لما تملي عليها هذه الاقلية من شروط فى حياتهــا العادية ٠ وهذه الظاهرة من ابرز خصائص المجتمعات الرأسمالية ٠

ففى هذه المجتمعات تطغى الناحية الفردية من شخصية الانســان على النواحى الاجتماعية من شخصيته وتطغى الحـــرية الفردية على

المسؤوليات الاجتماعية التى يحملها الفرد تجاه المجتمع وتنحصر هذه الحرية فى نطاق ضيق جدا لا يتجاوز القلة المترفة من المجتمع بينما تبقى الاكثرية الساحقة من المجتمع مضطرة لقبول ما يملى عليها من شروط وفروض ٠

وفى الاتجاه المقابل لذلك ينزع المعسكر الانسانى الآخر الى تجريد الانسان تقريبا من الصفة الفردية لشخصيته واسباغ الصفة الاجتماعية عليه بأكثر من الحد المعقول الذى تتطلبه طبيعة تكوينه الاجتماعى فتطغى صفة المسؤولية الاجتماعية فى مثل هذا المجتمع على صفة الحرية فتتسع وتتصاعد الى مستوى المسؤوليات الاجتماعية فى حياة الافراد بينما تتقلص الحريات الفردية الى حد بعيد جدا او تنعدم رأسا وتكون الدولة بوجودها الاجتماعى كل شىء فى حياة المجتمع ولا يكون للافراد أى حق فى تقرير مصيرهم او ممارسة اى مستوى من مستويات الحرية الفردية ٠

وهو اتجاه معاكس للاتجاه الاول تماما تعطى الصفة الاجتماعية للانسان الاولوية على الناحية الفردية فيه ٠ واذا كان الاتجاه الاول يقضى على الناحية الاجتماعية من شخصية الانسان ويحدد شخصية الانسان فى الجوانب الفردية من تكوينه فان الاتجاه الثانى يقضى على استقلالية الفرد وحريته وتكوينهالفردى ٠ ولذلك فانهذين الاتجاهين متكافئان فى حجب جزء من شخصية الانسان واقصائه عن مجالاته الطبيعية فى الحياة وان كانا متعاكسين فى الاتجاه ولكل من هذين الاتجاهين نظام اجتماعى يواكبه وينبع عنه ويبنى عليه فى اصول تنظيم المجتمع وقواعد بناء المجتمع وتنسيقه ٠

الاتجاه الثالث الوسط : ولا يحتاج الى مؤونة بحث لكى نكتشف ملامح التطرف فى هذين الاتجاهين عن واقع كينونة الانسان وطبيعته الفردية الاجتماعية المزدوجة فبالنظرة الاولى يلمس الانسان ملامح التطرف يمينا ويسارا فى كل من النظامين المتقدمين ويلمس ان كلا من هذين الاتجاهين جاءا نتيجة لمغالاة متطرفة فى التفكير او رد فعل قوى فى الجهة المقابلة وفى مقابل هذين الاتجاهين نجد ان الاتجاهالاسلامى يدرك بعمق وفى توازن واعتدال هاتين الناحيتين معا فى كينونة

الانسان ويبنى النظام على اساس من المحافظة على هذين الجانبين معا دون ان يفرط باحدهما على حساب الآخر او يغالى فى اعتبـــار واحد منهماوالتأكيد عليه على حساب الطرف الآخر . فهو يدرك ان شخصية الانسان مزيجة من خصـــائص فردية وأخـــرى اجتماعية تتكافآن وتتوازيان فى اعتدال وتوازن،والنظام الصالح هو الذى يأخذ بنظـر الاعتبار لهاتين الناحيتين معا متكافئتين ومتوازيتين . وعلى اساس من هذا الدرك الشامل المعمق لشخصة الانسان وتكوينه يضع الاســلام نظامه التشريعى فى بناء المجتمع الانسانى وتنسيقه فهو يسمح للفرد بممارسته حقه الطبيعى فى الحرية الفردية وتقرير المصــير والعقود والمعاملات بمختلف أقسامها وفى الملكية الفردية ، وفى اختيار العمل والسكن وابداء الرأى ، وفيما يريد ان يمارس من نشاط على أن لا يخرج عن حدود القانون ولا يفرط فى أمن المجتمع وسلامته ويسمح له بمعارضة الدولة ومناقشةالحكام ومؤاخذتهم فىالاخطاء والانحرافات ومحاسبة المسؤولين على تصرفاتهم بدقة وقسوة ايضا فيما لو كان محقا فى المحاسبة والمعارضة.وقد كانت التربية الاسلامية تتغلغل فى نفـــوس الافـــراد حتى كاد الفـــرد مـــن عـامـــة النـــاس ان يـــقـف على قدميه فى حشد كبير من الناس ليعترض على خليفة المسلمين وامامهم في جرأةوقسوة ايضا ولا يملكالخليفة امامه-ولو كان محقا فى المحاسبة والاعتراض-الا ان يخضع للحق ويعدل عن سلوكه ويواكب هذا الاهتمام بالناحية الفردية من شخصية الانسان اهتمام بالجانب الاجتماعى من شخصية الانســـــان بنفس الدرجة من القوة والتأكيد بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر .

فيضع التشريع الاسلامى قواعد المجتمع الاسلامى على أساس من تعميم المسؤولية الاجتماعية على أوسع نطـــــاق لا يكاد يناله التفكير الانسانى والاتجاهات الوضعية البشرية مهما امعنت فى درك الانسان واتسعت فى تقديم الحلول والانظمة لحياة الانسان .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وهذا المستوى من تعميم المسؤولية الاجتماعية يكاد يكون وق درك الانسان وفهمه فضلا عن أن يتأتى للانظمة الوضعيةتشريعه

وتنفيذه في حياة الانسان وبصراحة يعتبر القـــرآن الكريم مقياس الفضيلة في الامم مســــؤولية (الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنــكر وتؤمنون بالله)(آل عمران ــ ١١٠) .

فعلى قدر تحمل الامة لهذه المسؤولية الكبيرة تقدر قيمتها وفضلها .

الملكية بين الحق الفردى والحق الاجتماعى

والحديث عن البناء الفردى والبناء الاجتـــماعى للمجتمع يستتبع الحديث عن موقع الملكية فى هذين الاتجاهين بالذات . ففى المعســكر الرأسمالى تطغى الصفة الفردية على الملكية وتتمحض الملكية فى الحق الفردى ، وتتجرد عن المسؤولية والحق الاجتماعى تقريبا .

وبعكس ذلك المعسكر الشيوعى حيث تطغى الصفة الاجتماعيـــة بالملكية على الصفة الفردية لها وتحاول الشيوعية ان تقضى على الصفة الفردية للملكية بصورة نهائية وتتمحصر الملكية فى الحق والمسؤولية الاجتماعية فلا تكون ثمة ملكية فردية بشكل مطلق .

فالصفة الغالبة على الملكية اذن فى المجتمع الرأسمالى هو حق الفرد فى التصرف فى أمواله على أى نحو بشــــاء وفى تنمية ثرواته بأية صورة وعن أى طريق دون ان يحمل الرأسمالى مسؤولية نوازى هذا الحق ولو بعض الشيء . بينما الاتجاه الشيوعى يعاكس هذا الاتجاه بــالتــأميم فهو يلغى او يكاد ان يلغى حق الفرد فى كل ملكيةوتعتبر الدولة صاحبة كل شيء وتجرد الملكية عن العلاقة الشخصية وتخصها للمسؤولية الاجتماعية .

ولكل من هذين الاتجاهين تطرفاته وانحرافاته الخاصة ففى الاتجاه الاول تتحول مهمة رأس المال الى خدمة الفئة الخاصة التى تملك رأس المال ولا يحمل رأس المال مسؤولية تجاه المجتمع والنتيجة الطبيعية لمثل هذا الاتجاه هى تمركز رأس المال فى الايدى القليلة المالكة لرأس المال وحرمان الاكثرية الساحقة من نتائجه وفائدته رغم ان عمليــة الانتاج تتم بمجهود الاكثرية العاملة فى ميادين الانتاج وهو بدوره يؤدى الى توسع الملكية الفردية والامكانيات المادية فى طرق الاقليــة المستثمرة وتزايد الحرمان والفقر فى جانب الاكثرية .

والى هذه الحقيقة يشير الامام امير المؤمنين عليه السلام في هذه الكلمة القيمة : (ما رأيت نعمة موفورة الا وبجانبها حق مضيع) وفي الاتجاه الثاني حيث تنعدم الصفة الفردية للملكية فان الفرد لا يمكن ان يملك في مثل هذا الاتجاه الدافع القوي للانتاج والابداع وتأثير النوازع الفردية في تحركات الانسان واعماله امر لا يمكن اغفاله والتغاضي عنه وحيث ينعدم عدالة الجهد والجزاء ويتحكم قانون (من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته) ولا يعود عمل الانسان وانتاجه عليه بجزاء عادل يوازي الجهد الذي بذله في الانتاج فان دوافع الانتاج والابداع يجف الى حد كبير جدا يؤدي الى هبوط سريع في مستوى الانتاج ولامر ما لم تستطع الشيوعية العالمية لحد الآن فيما تحكم من اقطار من تنفيذ هذا القانون مبدأ كاملا بل هي عادت تتراجع عن الخطوات الاولى التي اتخذتها بهذا الصدد الى حد ما واعترفت بالملكية الفردية في نطاق أوسع مما كانت تعترف به سابقا رغم ان النظرية على الصعيد الفلسفي تؤمن بضرورة الغاء الملكية بصورة نهائية ، وتمحض المال في الخدمة والمسؤولية الاجتماعية ·

وكذلك نجد ان الاتجاهين المعاصرين في فهم الملكية يتطرفان الى اتجاهين متعاكسين تماما · ويستتبعان نظامين على وجه الارض · يحملان مضاعفات الاخطاء التي ارتكبهاالانسان في فهم الملكيةودورها وفهم التكوين الانساني والعوامل المؤثرة فيه ، على الصعيد النظري ·

الاتجاه الاسلامي في الملكية :

والاتجاه الاسلامي يغاير تماما الاتجاهين السابقين في فهم الملكية وفهم دورها في حياة الانسان ويقع وسطا بين الاتجاهين المتقدمين ·

ففي النظرية الاسلامية تعتبر الملكية مزاجا من الحق الفردي والمسؤولية الاجتماعية تتعادل وتتكافأ فيها كل من هاتين الصفتين في توازن وانتظام فهي حق للفرد من دون ترديد بما في هذه الكلمة من شمول وعمق ويحمي القانون الاسلامي هذا الحق حماية مطلقة ويعتبر التجاوز على هذا الحق غصبا وسرقة واعتداء يضمن المعتدي تبعات اعتدائه ويعطي للفرد حرية في التصرف في حقه فيما يريد في نطاق القانون ·

يقول صلى الله عليه وسلم (الناس مسـلطون على أموالهم) وهو غاية في الاعتراف بالملكية الفردية والى جنب ذلك تحمل الملكية صفة اجتماعية توازى الناحية الفردية فيها قـوة وشمولا وتمتزج معهـا امتزاجا كاملا حتى لا نكاد يمكن تفكيك بعضها عن بعض الا على صعيد نظرى خالص فيعتبر الاسلام الملكية مسؤولية اجتماعية في حق المالك لا يجوز له ان يفرط فيـها في شيء أو في حال فهو لا يملك من المال بالمعنى الدقيق الا الخلافة على هذا المال ليصرفه في ما يريد الله تعالى، فان هذا المال وكل شيء آخر في الكون لله تعالى ، والانسان لا يتجاوز دوره ان يكون خليفة لله على هذا المال لينفذ فيه منهج الله ونظامه في امانة ودقة ، شأن كل خلافة وامانة ومن منهج الله ان يحضر هذا المال في مرحلة الانتاج عن طرق خاصة لا تؤدى الى اضرار على المجتمع وان يصرف جزء كبير من هذا المال على المجتمع ومرافقه وامنه وسـلامته وثقافته وقوته .

يقول تعالى : (وآتوهم من مال الله الذى أتاكم) فهـو مال الله يجب عـلى الفـرد ان يصرفـه فيما يأمـره الله مـن خدمـة اجتماعية ومنعه عما لا يرضى به الله مما يؤدى الى الحاق اضرار بالامة. ويقول تعالى : (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مسـتخلفين فيه) (الحديد-7) فليس الانفاق اذن من مال للفـرد او ملك له فلا يملك الفرد شيئا تحت يديه ، وانما هو مستخلف على ما في يده . ليضعه فيما يأمره الله في خدمة المجتمع ويمنعه عما يمنـعه الله من موارد الاضرار بالمجتمع واصرح من هذا وذاك في دور المال الاجتماعي قوله تعالى في أموال السفهاء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قيما) سورة النساء الآية 4 .

فان المفروض في هذه الاموال انها للسـفهاء الا ان الآية الكريمة تضيف هذه الاموال الى المجتمع مباشرة (أموالكم) وليس أموالهم ثم تأمر الامة ان تتولى هي مهمة تدبير هذه الاموال وتنميتها وتوظيفها في السوق والانتاج فان هذه الاموال قوام لحياة المجتمع ولا يجـوز ان تسمح الامة لاحد ان يفرط في هذه الاموال ويبذرها او يهدرها فيما لا تعود على المجتمع بنفع على ان هذه الاموال لا تفقد بعد صفتها الفردية

الخاصة فى النظرية الاسلامية فهى أموال للسفهاء على كل حال ولكن دون ان يملك السفهاء التفريط فى هذه الاموال وتبذيرها واهدارها فيما لا ينفع المجتمع فالنظرية الاسـلامية اذن تعطى الملكية صفة اجتماعية وتحملها مسؤولية اجتماعية شاقة فى حين تحفظ لها طابعها وشكلها الفردى ٠

فلا يجوز ان يفرط فى ماله فى اسراف او تبذير ولا يجوز له ان ينمى أمواله عن طريق غير مشروعة تلحـق الضرر بالمجتمع كالربا والاحتكار ولا يجوز له ان يمنع الجزء المخصص من هذه الاموال للفقراء ولحاجات المجتمع ومرافقه عن المورد الذى خصصه الله تعـالى له فى حال ، ولا يجوز له ان يمنع هذا المال عن التوظيف فى الانتـاج وفى الاسواق وتشغيل الايدى العاملة كما لا يجوز له كنز هذا المال وحبسه عن حاجات الامة وضروراتها ٠ (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم/ هذا ما كنزتم لانفسكم، فذوقوا ما كنتم تكنزون) (التوبة 34 ــ 35) ومما تقدم يتلخص ان الملكية فى الاسلام مزاج من الحق الفردى والمسـؤولية الاجتماعية تتكافأ فيها هاتان الناحيتان فى تعادل وتوازن فلا تطغى الصفـة الفردية للملكية على صفتها الاجتماعية ولا تطغى الصـفة الاجتماعية فيها على الصفة الفردية ٠

وذلك دائما من خصائص هذا الدين فهو الشريعة الوسطى التى لا تتطرف الى يمين او يسار ولا تخرج عن حالة الاعتدال والتوسط وهذه بعض الملامح العامة للفقه الاسلامى، استعرضناها بصورة موجزة علنا نستطيع ان نلمس فى وضوح استقلالية الفقه الاسلامى فى تشريعاته وأحكامه عن القوانين الوضعية البشرية وغنى هذا الفقـه وامكاناته الخصبة فى تنسيق حياة الانسان ، وذلك فى مقابلة التطرفات ونقاط الضعف البشرية فى القوانين الموضوعة من قبل الناس، وأنى لقانون يضعه انسان ضعيف ان يوازى نظاما يضعه رب السماوات والارضين ورب هذا الانسان ؟ !

جامعة الشعوب الإسلامية

للدكتور محمود دياب
بحائث . جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

أصيبت الامم الاسلامية بعد حرق المسجد الاقصى بصدمة عصبية قوية .

ولقد قامت على اثر ذلك المظاهرات فى جميع البلاد الاسلامية واجتمع رؤساء الدول الاسلامية فى مؤتمر قمة اسلامى انتهى الى قرارات تعرفونها جميعا لم تصل الى مستوى ما تنشده جماهير الشعوب الاسلامية ، فلقد كنا ننتظر ادانة اسرائيل بحرق المسجد الاقصى وسحب قرار اعتراف أى دولة اسلامية باسرائيل .

ولقد تجرأ موشى ديان بعد ذلك وذهب مع كبار قواد جيشه الى المسجد الاقصى وفتح الباب الغربى للمسجد الاقصى ثم ذهب الى

المجلس الاسلامي واخذ جميع مفاتيح المسجد الاقصى وفتح جميع أبوابه لغير المسلمين ·

وكل ذلك حدث لسبب واضح هو تفكك البلاد الاسلامية وان اكثر العبر مرارة فيما يحدث هو ان ما يجرى فى معظم البلاد الاسلامية يحمل فى ثناياه الكثير من الاسباب التى ادت بنا الى هذا المصير المحزن ·

وحالنا السيئة اذا استمرت على ما هى عليه ستؤدى بنا الى هزائم جديدة ·

هل يكفى ان نقول اننا اخطأنا أم نقول اننا اخطأنا وابتدأنا العمل بعد دراسة اخطائنا وعلاجها؟

ما هى الخطة المدروسة الواجبة التنفيذ بالرغم مما يحيط بنا من ظلام ؟

ما هى الخطة التى نقابل بها قوى عالمية غاشمة لا تعرف الرحمة بالاسلام ؟

ما هو العمل البناء الجاد البعيد عن الانانية وعن التعصب وعن الغطرسة للوصول بالامة الاسلامية الى الخير · هذه الامة الاسلامية التى ينجه جميع افرادها بوجدانهم من أقصى المشرق الى اقصى المغرب الى قبلة واحدة بمكة المكرمة فى كل وقت للصلاة هؤلاء الذين يتجهون فى اتجاه واحد خاشعين لله الواحد الاحد الفرد الصمد لا يسجدون لغيره من طغاة الارض فلقد رأوا بأعينهم مصير الطغاة عبر القرون بين مشنوق ومحترق ومذبوح ·

هذه الروح الدينية لو ارتبطت ببعضها ماذا يمكن ان تعمل ؟ انها ستعود بنا الى مجدنا الغابر حين هزمت الامة الاسلامية الصغيرة فى عددها الكبيرة بأيمانها اكبر قوتين مجتمعتين فى ذلك الزمان الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية ·

وهذه الروح هى التى يمكن ان تحول المسلمين الذين يتقدون عاطفة دينية من غير نشاط والذين يتشبثون بالماضى فى تفكيرهم وعملهم الى قوة ناهضةصاعدة تستطيع ان تشق طريقها وسطالقضايا المعاصرة ومشكلاتها ·

ان العالم الاسلامى اليوم فى حاجة الى بناء مجتمع اسلامى تقدمى يستطيع فيه الاسلام ان يعبر عن نفسه تعبيرا عمليا ٠

لقد عاش المجتمع الاسلامى فى القرنين الاول والتانى للهجرة قويا متدفقا بالحيوية والنشاط وصالحا للتقدم ولقد اقتطفت الحضـــارة الاسلامية من ذخائر الحضارة الفارســـية والحضـارة الرومانية ما يلائمها ولم تصب بالرق الفكرى الذى نشاهده اليوم من الرق الفكرى للغرب وحضارته وتقليده تقليدا أعمى والانسلاخ عن روحنا الدينية وحضارتنا الاسلامية التى ملأت العالم يوما مهابة واجلالا لها

والدين الاسلامى يطالب بالاخذ بجميع اسباب التقدم فى الحيــاة والعـــلم ٠

ان أزمة العرب حادة وفى داخلها توجد حدة أزمة الاسلام والمشكلة الكبرى هى ان هؤلاء الذين يعرفون الدين أو يدعون معرفته قد فقدوا الصلة بالحياة الحديثة ٠

وان هؤلاء الذين طوروا انفسهم ليعيشوا عيشة حديثة قد فقدوا الصله بالدين ٠

ما هى حقيقة أغلب البلاد الاسلامية اليوم ؟

هى فى أغلبيتها تشكو الفقر والمرض والجهل ولو قدمت حقيقة كل بلد اسلامى من الناحية الاقتصادية والصحية والتعليم لهالنا الامر واستبكتنا احزان ٠

واذا وجد تقدم اقتصادى نسبى فى بعض البلاد الاسلامية فليس مرجعه للاسف الشديد انه نابع من نشاط ذاتى للشعوب الاسلامية وانما هو نابع من نشاط الشركات التى تمثل الاحتكارات العالمية ٠

والآن بعـــد ان اجتاحتنا النوائب والكوارث مـن كل جانب حتى وصلت الى احراق المسجد الاقصى أولى القبلتين على يد اليهود الذين اطعمناهم من جوع وآمناهم من خوف ٠

ماذا ننتظر هل ننتظر حتى يصلوا الى مسجد الرسول صلى اللـه عليه وسلم ؟؟

يجب ان نواجه الحقائق بشجاعة وعلم واصلاح ما يمكن اصلاحه باخلاص وصدق ببرنامج عملي مبني على خطط وأهداف محددة بعيدة عن الخيال ونعيش فى الواقع ونعرف حقيقة التحديات المعاصرة للاسلام وحقيقة المشاكل التى نعيش فيها وكيف نعالجها ٠

لقد فكرت طويلا فى تاريخ الامةالاسلامية وتتبعت الجامعةالاسلامية منذ عهد جمال الدين الافغاني حتى الآن وفكرة الجامعة الاسلامية فكرة عظيمة فى حد ذاتها لو تحققت على الوجه الصحيح ولقد تبلغ فى الاخلاص المدى ولكننا لا نملك من الوسائل ولا من الظروف المحيطة بكل بلد اسلامى ما يجعل في قدرتنا تحقيق هذا الامل الجميل ولقد ظهرت فكرة التكتل الاسلامى يوما كبريق لامع ثم اتضح ان هناك من يريد استغلال هذه الكتلة لجهات معينة ٠

ومعنى ذلك انها حركة تعمل لحساب هذه الجهات لا لحساب الاسلام والمسلمين ٠

اذن وجب علينا ان نقوم بايجاد نوع من التعاون المشترك بين البلاد الاسلامية كوسيلة للنهوض باحوالها الاقتصادية والاجتماعية وكأداة لتحريرها مما تتعرض له من ألوان الضغط أو السيطرة من الدول العظمى ٠

لذلك فكرت وفكر كثير من مفكرى المسلمين فى قيام جامعة الشعوب الاسلامية ٠

ولقد أخذت فكرتها من الحج ٠

والحج هو المؤتمر الاسلامى الكبير الذى أوجب الله فيه على كل قادر الذهاب الى الكعبة ليطوف بها ويسعى الى الله فى رحابها وهو فضلا عن انه عبادة خالصة لله يبتغى بها ثوابه ورضوانه فانه خير مؤتمر لجمع شمل المسلمين ويمكن ان يكون مؤتمرا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وصحيا يجتمع فيه قادة المسلمين ورجال الفكر والرأى فيها والمجتهدون فى جميع نواحى المعرفة ويمكنهم ان يضعوا خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد وانه ليحز فى قلبى ان تنطوى بعض البلاد الاسلامية تحت لواء جامعة الشعوب

البريطانيه وينطوى البعض الآخر تحت لواء جامعة الشعوب الفرنسية وها نحن نقدم لهم اليوم جامعة الشعوب الاسـلامية لتكون لهم حصنا ووقـاء ٠

هناك تعاون شامل بين جماعات من اتبـاع الديانات الاخرى على مهاجمة الاسلام والمسلمين وهذا يشمل ايضا هؤلاء الملحدين الـذين يعتقدون ان الدين خرافة ٠

والتاريخ السابق الطويل يدل على ذلك متمثلا فيما يلى .

1) الحروب الصليبية ٠

2) الاستعمار ومساعدته لبعض مثل الاتفاق الودى بين فرنسـا وانجلترا عام 1904 ـ مقايضة احتلال مصر باحتلال مراكش ٠

3) الاتفاقات المستمرة بين المستعمرين على تمزيق البلاد الاسلامية واحتلالها على مدى العصور ٠

4) مساعدة انجلترا لهولندا الضعيفة فى احتلال اندونيسيا ٠

ولما انحصر الاستعمار وأصبحت الدول الاسلامية مستقلة اتصلت بالدول الاسـتعمارية كعضو فى الكومولث تتبادل معها الدفاع والتجارة وترك الاستعمار هذه البلاد فى حالة من التأخر لا تقوم معها منفردة الا بالمساعدة وقد تركت فى نفوس المسلمين أثارا سيئة منها ان دينهم رجعى وانه متخلف ولذلك نجد كثيرا من الحكومات الاسلامية قد بعدت عن روح الدين الاولى روح التضحية والفداء والقيم ونشر الـدين ٠

5) وجود اسرائيل وهى أعلى مراحل الاستعمار وتكوينها من مقر لاجئين يهود الى تكوين مستعمرات يهودية الى وطن قومى لليهـود الى دولة يهودية ، ولقد ساعدت جميع امم العالم من الكتـلة الشرقية الى الكتلة الغربية فى تكوينـها وفى اعلانها ثم اصبحت الآن ربيبة للاستعمار الغربى تكون منه نقطة ارتكاز للهجوم على البلاد العربيـة والاسلامية كما حصل فى سنة 1956 و 1967 ٠

ولسنا بصدد تسامح المسـلمين فى جميع العصور مع غيرهم من الديانات فهذا ما يمكن ان نفرد له أبوابا وأبحاثا منذ عهد محمد عليه

الســــلام حتى الآن ولكننا بصدد تعاون جميع الغربيين فى الحرب الصليبية والحرب العالمية الاولى ضد الاسلام ولم يتأخر الجنرال اللنبى ان يقول حين دخل القدس بواسطة العرب للاسف الشـــديد (الآن انتهت الحرب الصليبية) ٠

ولقد تكرر ذلك فى دير ياسين من اليهود ٠

ونحن اليوم كما كنا فى عهـــد جمال الدين الافغانى حينما نادى بالجامعة الاسلامية اننا لا نريد توحيد الحكومات وضـــمها جميعا الى حكومة واحدة ولكننا نريد اتحادا قلبيا من أفراد الشعوب الاسلامية ، حتى لا تتدهور العلاقة بيننا كما هى الآن اذ ان حال المسلمين اليــوم يتضح فى الآتى :

1) تمزيق الباكستان ٠

2) صراع بين اليمن الشمالية والجنوبية ٠

3) ايران تحتل جزر الخليج العربى بعد ذهاب بريطانية ٠

4) العراق تحتل جزءا من الكويت وتنسحب لسبب أو لآخر ٠

5) بلاد غرب افريقيا مزقها الاستعمار قبل اعطائها الاســـتقلال وفرض عليها التخلف بالقوة وهى وان كانت تزيد فى عدد اعضـــاء الامم المتحدة الا انها للاسف لا تزيد شيئا فى القوة الحقيقية والثقل السياسى وأغلبيتها مسلمة ولكن حكامها مسيحيون ٠

6) شرق افريقيا تحتل الحبشة اريتريا ولقد وحدت الحبشة لغتها الى الامهرية والغت اللغة العربية وأعلنت انها ســـــتوحد الدين فى بلادها أى يصبح مسيحيا فى مدى عشرين عاما ٠

واحتلت اسرائيل جزر اريتريا هدية من الحبشة ٠

7) جنوب السودان اتفاق السودان مع المبشرين يدل على قوتهـم وانه ستتاح لهم الفرصـــــة لأن ينصروا الجنوب ويمنعوا وصـــول الاسلام اليه ٠

8) الفيليبين يذبح فيها المسلمون وتهدم فيها المساجد وقبرص يعمل بها متل ما يعمل فى الفيليبين ٠

9) القضاء على الفدائيين الفلسطينيين فى الاردن ومحاولة القضاء عليهم فى لبنان ٠

10) حوادث التصادم بين اندونيسيا وماليزيا .

ان الاســــلام يحارب حربا لا هوادة فيها فى كل انحاء العالم .. فالعالم الشيوعى لا أثر فيه للاسلام الحقيقى ودعنا من مظاهر الدعاية الشكلية التى تدعى وجود الاسلام به بالرغم من وجود مدارس الالحاد فيه . والعالم الغربى هو الذى يغذى الحملات الصليبية ضدنا .

ان ما وصفته صورة سيئة واسوأ منها الحقيقة والتفاصيل .

والناظر اليوم الى خريطة العالم الاسلامى يجــــد ان الاجانب هم الذين يغذون الخلاف بين الامم الاسلامية وهم الذين يســـتفيدون من البغضاء بيننا بأخذ أى امتياز منا والعلاج السريع لهذه المحنة يبــــدأ بالتوفيق بين الامم الاسلامية حتى تكف المطامع والدسائس عن بلادنا .

ولقد صدق جمال الدين الافغاني حين وصف المسلمين :

متحدين على الخلاف مختلفين على الاتحاد مطاوعين للمســــتعمرين والمستغلين جادين فى خدمتهم كأنها فريضة من فرائض الدين .

والآن كيف تكون جامعة الشعوب الاســــلامية وما هو جهازها التنظيمى .

1) مؤتمر عام لجامعة الشعوب الاسلامية .

يتكون من جميع الاعضاء المنتســــبين للفروع المختلفة فى جميع البلاد الاسلامية التى قبلت قيام فرع للجامعة الاسلامية بها .

2) المجلس العام :

يتكون من جميع الممثلين للفروع المختلفة فى البلاد الاسلامية .

3) اللجنة التنفيذية للمؤتمر يحدد عددها المجلس العام وينتخبها أعضاء المجلس من بينهم ويراعى فيها الكتل الاقليمية .

4) رئيس منظمة المؤتمر ينتخبه المجلس العام .

ونائب رئيس المنظمة تنتخبه اللجنة التنفيذية .

5) مكتب تنسيق المنظمة .

مهمته تنسيق الاعمال بين الاجهزة المركزية للمنظمة والاجهـــزة المحلية للمنظمة ومنعا لما قد ينشأ فى أى تعارض مع قوانين أى دولة

يكتفى بخلق اطار عا ملهذه الاجهزة تاركين لمنظمة الفـــروع المختلفة تقرير الشكل الذى تراه مناسبا لبلدها ٠

وعلى اللجنة التنفيذية ان تقدم لنا دراسة عن :

1) كيفية تمويل المؤتمر وما هى المصـــادر التى يمكن ان يعتمد عليها فى استمراره ٠

2) دراسة اقتصاديات الدول الاسلامية ٠

3) دراسة تطوير مختلف البلاد الاسلامية ٠

4) دراسة احوال مختلف البلاد الاسلامية من جميع النـــواحى الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية والصحية والاجتماعية ٠

وأول شىء نريده من جامعة الشعوب الاسلامية :

1) دراسة الخلاف بين الامم الاسلامية ٠

2) ايصاد الابواب على المستعمرين والمستغلين حتى تنقطع المطامع التى تسول لهم العدوان على الامم الاسلامية ٠

3) ايجاد الرسالة العلمية الدينية ورفع الحجر عن العقول باجازة الاجتهاد لمن يقدر عليه وتفسير الآيات العلمية فى القـــرآن الكريم تفسيرا يطابق العلم الحديث ٠

4) ايجاد نهضة علمية شاملة لان ضعف المسلمين السياسىانعكس عليهم فى صورة جهل فاضح ٠

5) ايجاد لغة مشتركة هى لغة القرآن العربية بين البلادالاسلامية مع دراسة قادة الفكر الاسلامى والزعماء المصلحين ٠

وانى أرى ان الظروف مهيأة اليوم لجامعة الشعوب الاســـلامية للاسباب الآتية :

1) جامعة الشعوب العربية تكاد تكون اليوم حقيقة واقعة وجامعة الدول العربية بالرغم مما يقال فيها فهى تصلح نواة على شرط اعادة النظر فى جهازها وتكوينه بصورة ترتفع بها الى مستوى الاحـــداث والمسؤوليات ٠

واذا قدر للشعوب العربيه ان تنتهج منهجا نحو تجميع شـــــمل المسلمين ، فاننا بذلك نكون قد وضعنا اللبنة الاولى فى قيام الجامعة الاسلامية ٠

وفي دعوتنا للجامعة الاسلامية يجب ان نكون حذرين من الاتصال بأى اجنبى مهما كان نوعـه فى الشرق والغرب ، فالغرب يريـد ضم المسلمين نحوه ضد الشيوعية بالرغم من انه اذلنا طول عمره ٠

والشيوعيون يريدون ان يضمونا الى الشيوعية ضد الغرب لانـه كان يستعمرنا ٠

ولكنا نريد الجامعة الاسلامية الخالصة لوجه الله والخالصة لشعوب المسلمين والخالصة لخير الانسانية جمعاء ٠

2) تحقيق الحريات فى جميع بلاد المســـــلمين حتى تكون نواة للتضامن الاسلامى ٠

3) ايجاد التعاون السليم بين مختلف البلاد الاسلامية للنهوض بأحوالها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والصحية ٠

4) ايجـــاد المكاتب المختلفة فى البـلاد الاجنبية التى تدافع عن الاسلام ووجهة نظره فى مختلف المشـــاكل التى تمس جميع البلاد الاسلامية ٠

5) الدفاع عن فلسطين والمقدسات الاسلامية بها من المســـجد الاقصى الى مسجد الخليل ابراهيم عليه السلام ٠

6) الدفاع عن المسلمين المضطهدين فى بعض الدول والعمل عـلى كفالة حقوقهم التى قررها لهم ميثاق حقوق الانسان ٠

ويجب علينا الابتعاد عن السياسة المحلية لاى دولة ٠ فانى أرى ان السياسة المحلية والاصطدام بها خطر يجب ان نتفاداه ٠

فلنتعاون مع مختلف الهيئات غير السياسية بعضها مع بعض وتعقد مؤتمرات يحدد فيها اساليب العمل ، وتتبادل الاساتذة والطلاب فى الجامعات ٠

ولقد نالت معظم البلاد الاسلامية استقلالها اليوم وما أمامها الا ان تعمل والمطلوب اليوم القيام بما يلى :

1) اجتماع المؤتمر الاسلامى فى كل عام فى مكة المكرمة أيام الحج وقيام المثقفين المسلمين كل فى فرع تخصصه بتقديم ابحاثه الى البلاد الاسلامية بلغاتها واللغة العربية .

2) اجتماع المؤتمر الاسلامى فى عاصمة كل دولة اسلامية مرة واحدة كل عام ويبدأ بالبلاد التى تقبل المبدأ حتى تشعر البلاد التى لم تنضم الى المؤتمر انها لا شيء بجوار قوة الاسلام والمسلمين وستهرع الينا من تلقاء نفسها يوما من الايام .

3) فروع للمؤتمر الاسلامى فى كل بلد اسلامى يزاول نشاطه حسب خطة موضوعة .

4) توحيد نشاط الهيئات الاسلامية فى كل بلد اسلامى او غير اسلامى وايجاد رابطة بينهم للعمل الدائم فى خدمة الاسلام والمسلمين والانسانية جمعاء .

دفاع عن الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لهذا العصر في ضوء الفلسفة والتاريخ والقانون

للأستاذ أمين عبد الله القرقوري
المدير العام لرابطة العالم الإسلامي - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا أمة واحـــدة « **وان هذه امتكم أمة واحدة** » والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورســـوله الذي قال : « **من أتى ليفرق جماعتكم فاقتلوه** » وعلى آله واصــحابه الذين حققوا لامتنا وحدتها ومن تبع هديه الخالد الى يوم الدين •

المقـــدمة :

أيها الاخوة فى العقيدة والمسيرة والمصير ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

من قبلتكم ومهوى افئدتكم ،

من الارض التى ولد فيها نبيكم ، وانطلقت منها عقيدتكم ،وتكونت فيها أمتكم ، ونمت فى ظلالها حضارتكم ·

من مهبط الوحى ، ومزار الاسلام :

من أرض محمد وابراهيم واسماعيل ، أرض العقيــــدة الرائدة ، والخالدة والخلافة المثالية الراشدة ،

من أرض القرآن الذى أنزله الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ،فكان المنار الذى اضاء للانسان طريقه الى الحرية والحضارة·

من الارض التى انطلق منها اسلافكم الخالدون الصالحون الى العالم فحرروا الانسان من سيطرة الطواغيت ، واسر الطغاة ، وتأثير الاوهام والخرافات ·

من الوطن الام لكل مسلم ،

من الارض التى شرفها الله ببيته الحرام ، وقبر نبيه الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومسجده الذى كان الجامعـة الاولى التى تخرج فيها طليعة امتكم الخالدة ، وقادة الانسانية وبناة حضـــارتها المثالية الفريدة التى حققت التوازن الحقيقى والوحيـــــد بين مطالب الجسد والروح ، وحقوق الجماعة والفرد ، وحمت الانسان ـ أيا كان دينه ولونه ـ من الطغيان والاستغلال ·

من قاعدة الاســـــلام التى قال القس زويمر ـ كما جاء فى كتاب الفكرة على العالم الاســــــــلامى ص 247 ط 2 ـ انها لم تزل نذيرا للمسيحية ، وهو يعنى بالمسيحية هنا العالم المستعمر الذى يريد ان يظل فى مركز القيادة الدائمة للعالم ويخشى ان يســــــتعيد العالم الاسلامى مكانته السامية فىالعالم ويقود التحدى العالمى للاستعمار ، كما اعترف بذلك عدد من المفكرين الغربيين منهم المؤرخ البريطـانى الكبـير ارنولد توينبى فى محاضرته التى القاها فى عـام 1952 م عن الاسلام والغرب والمستقبل وجاء فيها ما يأتى :

« صحيح ان الامكانية المدمرة للاسلام لا تظهر الآن حتمية الوقوع لأن الكلمة المؤثرة (الوحدة الاســـــلامية) والتى كانت دائما بعبع المسنعمرين بدأت تفقد سيطرتها على عقول المسلمين» ثم يقول :«ان

الوحدة الاسلامية نائمة ولكن النائم قد يستيقظ واذا سبب الوضع الدولى حربا عنصرية يمكن للاسلام ان يتحرك ليلعب دوره التاريخى مرة أخرى وارجو ـ يقول توينبى ـ ان لا يتحقق ذلك » ٠

ونحن جميعا بالطبع نرجو ان تتحقق عودة الاسلام الى مركز القيادة فى العالم ليقود الانسانية مرة أخرى الى حضارة الايمان والعلم ٠

من قاعدة الاسلام التى ما تزال نذير خطر لاعداء العقيدة الخالدة ٠٠

من مكة المكرمة ٠

جئت الى أرض الجهاد والاستشهاد والانتصار !

جئت الى الارض التى انتصر شعبها البطل ـ فى جهاده من أجل الحرية ـ وغسل بدمائه الطاهرة التى ارتشفتها قمم الاوراس عار الهزيمة التى حطمت كبرياءنا فى بلاط الشهداء ، بعد جهاد شاق أثبت ان للانسان طاقات ـ ليس لها حدود ـ تصنع المستحيل حين يريد ، وحين يصر على تنفيذ ما يريد ٠

أى بيان يصور عظمة الجهاد الذى هزم الاستعمار بكل قواه ومؤيديه ؟

وأى بيان يصور روعة الامل الذى بدد ظلمات اليأس والتردد وصنع لفجر الحرية الافق الكبير الذى اشرق منه ؟

هيهات ، لن ينقل هذه الصور الرائعة قلم ، ولن يصورها بيان ٠٠

ولسوف تمر القرون اثر القرون ، والاجيال المتعاقبة تستمع ـ فى اجلال واعجاب ـ الى اصداء الكفاح المجيد ، يورد‌ها التاريخ ويخلد بها المؤمن ، ويزهو بها الانسان !

وستمضى الايام ، ويبقى جهاد الجزائر الباسلة رمزا كبيرا لما يمكن ان تحققه ارادة الانسان الحر من امجاد ٠

من مكة المكرمة :

جئت أحمل اليكم تحيات رابطة العالم الاسلامى التى يضم مجلسها التأسيسى واحدا وخمسين عضوا يمثلون (50) دولة وأقلية اسلامية ، عاهدوا الله ـ كما جاء فى ميثاق الرابطة ـ على « ان يؤدوا فريضة

الله عليهم بتبليغ رسالته ونشرها فى جميع انحاء العالم » وان يؤكدوا – من جديد – ايمانهم بانه لا سلام للعالم الا بتطبيق القواعد التى ارساها الاسلام ، وان يدعو الامم عامة الى التسابق فى ميدان العمل لخير البشرية واسعادها ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين افرادها ، وايجاد المجتمع الافضل ، وان يشهدوا الله على انهم لا يريدون فسادا لأمر أحد ، ولا سيطرة على أحد ، ولا هيمنة على أحد .

وفى سبيل هذه الاهداف اعتزموا :

بذل قصارى جهدهم فى توحيد كلمة المسلمين وازالة عوامل التفكك المحيقة بالمجتمعات الاسلامية المنتشرة فى بقاع العالم، وتذليل العقبات التى تعترض انشاء جامعة العالم الاسلامى ، ومساندة كل من يدعو الى الخير والهدى ، واستخدام جميع ما يملكونه من وسائل روحية ومادية وأدبية لتحقيق ما يصبون اليه فى ميناقهم .

ان يوحدوا جهودهم لتحقيق هذه الاغراض بطريق ايجابى سليم وان يطرحوا كل دعوى جاهلية قديمة منها وحديثة ، وان يعلنوا ان لا شعوبية ولا عنصرية فى الاسلام .

وانه ليسعدنى ان أمثل مع الزميل الكاتب والشاعر السعودى الكبير الاستاذ محمد سعيد العامودى رئيس تحرير مجلة الرابطة – الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامى فى هذا الملتقى الثقافى السابع الذى تنظمه الجزائر فى الفترة من 10 الى 20 جمادى الثانية 1393 هـ الموافق 10 الى 20 يوليو 1973 م فى هذه المدينة الطيبة .

ويطيب لى ولزميلى ان نقدم الشكر صادقا وجزيلا بالنيابة عن معالى الشيخ محمد صالح القزاز الامين العام للرابطة واصالة من شخصينا – للاخ الكريم معالى السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية – على عنايته الكريمة بهذا الملتقى الثقافى الذى يستهدف التعرف على الفكر الاسلامى ، وجعله فى مجال الرؤية الواضحة للباحثين عن الحقيقة ، ونرجو مخلصين ان يحقق هدفه الخير ، وان يكون مرحلة مضيئة من مراحل تطور الفكر الاسلامى الحديث ونصوجه .

ومع ايمانى الصادق والعميق بان النقاط التى ســيتركز عليها البحث فى المحاضرات والمناقشات وهى التى حــددها معالى الوزير السيد مولود قاسم فى دعوته الى الملتقى – مع ايمانى الصــادق والعميق بان هــذه النقاط جـديرة بالبحث ، وخليقة بالعناية فقد رأيت – ولعلى لم اخطىء فى هذا الرأى – ان أحـول النقطة الاولى من البحث عن روح الشريعة وواقع التشريع اليوم فى العالم الاسلامى ، الى البحث عن الحقائق التى تؤكد ان الشريعة صالحة لهذا العصر ،وهى حقائق من القانون الوضعى نفسه ومن تاريخ التجارب الانسانية فى الحكم عبر القديم والحديث ·

وقد دفعنى الى البحث عن هذه الحقائق عاملان :

الاول : ان واقع التشريع فى أكثر الدول الاســلامية يدل بوضوح كامل على ارتباطه بالاسس التشريعية الاوروبية المناقضة للاســلام ، انطلاقا من ايمان رجال الحكم وكثير من رجال الفكر – فى تلك الدول الاسلامية – بالمثل العليا للحضارة الغربية التى تحتم فصــل الدين عن الدولة وتجعل الانسان سيد نفســه ، لا يخضع – فى مجــال التشريع – الا لارادته وحدها ، دون ان يقيم وزنا لمبــادىء الدين والاخلاق ، بزعم ان المبــادىء التى صلحت لعصر لا يمكن ان تصلح لعصر آخر يختلف عن سابقه بما حقق فيه الانسان من تطور ، وبما حدثت فيه من اقضية ومشكلات لم تعرف من قبل ·

وهذا الواقع يدعو – بالحاح واصرار – الى دحض هذه الشبهة فى ضــوء حقائق من القانون الوضعى نفســه ، ومن تاريخ التجارب الانسانية فى الحكم عبر الحاضر والماضى ·

الثانى : ان وفدا من كبار رجال القانون فى فرنســا زار المملكة العربية السعودية فى شــهر صفر من عام 1392 هـ الموافق مارس 1972 م واشــترك فى ندوة نظمتها وزارة العدل بناء على رغبته أثار فيها بعض النقاط الاساسية حول التشريع الاسلامى ، وكانت النقطة الاولى عن مدى صلاحية الشريعة لهذا العصر ونصها كما يأتى :

« ان تأكيد الســادة العلماء على كون دستورهم وقوانينهم فى الشؤون المدنية والاحوال الشخصية تعتمد على القــرآن الكريم فقط

كما انزل منذ اربعة عشر قرنا ، هو فى نظرنا شىء يستحق البحث والملاحظة لان الحياة فى تطور مع تطور الازمان وليس من المصلحة للاسلام فيما نرى بناء نظمه على القرآن فى جميع ما أشرنا اليه من الاحكام لأن ذلك قد يسىء الى القرآن نفسه مع تطور الحياة واختلاف الظروف » .

ولقد أجاب الوفد السعودى الذى يمثل وزارة العدل على النقاط التى أثارها الوفد الحقوقى الفرنسى اجابة صريحة اكد فيها صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر ، فى ضوء حقائق علمية وواقعية .. بالاضافة الى الحقائق التى تضمنتها مذكرة المملكة العربية السعودية للهيئات الدولية المختصة حول شريعة حقوق الانسان فى الاسلام وهى المذكرة التى قدمت فيها المملكة تحفظات على بعض مواد الاعلان العالمى لحقوق الانسان التى تناقض احكام الاسلام مثل حرية الانسان فى تغيير دينه ، وزواج المسلمة بغير المسلم . وكانت المملكة ـ وما تزال ـ الدولة الاسلامية التى لم تجد أى حرج فى الاعلان عن تمسكها بشريعة الاسلام ورفضها للمبادىء المناقضة له .

ومع ان اجابة الوفد السعودى على النقاط التى أثارها الوفد الحقوقى الفرنسى تفتح الطريق الى الاقتناع الكامل بصلاحية الشريعة الخالدة لهذا العصر ، فان مجال البحث الرحب فى هذا الموضوع يتسع للمزيد من حقائق الاسلام الخالدة القادرة على اقناع الباحثين عن الحقيقة بان الشريعة الاسلامية صالحة لهذا العصر وقادرة على مواجهة التطور الانسانى فى كل العصور ، بما فيها من عوامل الكمال ، وامكانات الصلاح والبقاء فى كل زمان ومكان .

كما يتسع مجال البحث الرحب فى صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر ، للمزيد من حقائق الواقع ، ومنطق العقل ، الذى يمكن ان يثبت المسلم ـ فى ضوئه وحده ـ ان الشريعة افضل من القوانين الانسانية فى تحقيق المجتمع الافضل للانسان .

اننا نؤمن ايمانا صادقا وعميقا بان الشريعة الخالدة صالحة لهذا العصر، ليس بحكم الايمان المطلق بها فحسب ، بل بحكم حقائق من العقل ، ومن تاريخ التجارب الانسانية فى الحكم .

وانطلاقا من هذا الايمان الصادق والعميق نقدم الحقائق الآتية :

الحقيقة الاولى :

ان جميع القوانين والنظم الانسانية قد انبثقت عن العقائد الدينية وارتبطت بها ، وقد اكد هذه الحقيقة الخبير القانوني المعروف السير هنرى مين بقوله : « لا يوجد مثال واحد فى القوانين التى تم تسجيلها من قانون الصين الى بيرو الا وكان ذا علاقة بالعبادات الدينية منذ بداية امره » كما نقل ذلك عنه الاستاذ وحيد الدين خان فى كتابه القيم « الاسلام يتحدى » .

ويؤكد هذه الحقيقة تاريخ الفكر السياسى منذ اقدم العصور فقد كانت العقيدة الدينية هي المصدر الاول والوحيد للنظم السياسية والقانونية فى الدول القديمة التى سبقت دول العالم الى ايجاد النظم السياسية وهي مصر واليونان والرومان ، وقد ذكر الدكتوران بطرس بطرس غالى ومحمود خيرى عيسى فى كتابهما « المدخل فى علم السياسة » ان الفكر السياسى ارتبط بالفكرة الدينية من حيث المبدأ فى عصور الدولة القديمة فى مصر كما ذكرا عن الفكر السياسى الاغريقى ما نصه :

« ولجميع دول المدينة نظم اجتماعية ودينية واحدة » ـ ص 65 ـ .

واكد هذه الحقيقة الفيلسوف البريطانى الراحل برتراند رسل فى كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود بقوله :

« ان الفكر اليوناني كانت تسوده الى عهد ارسطو روح الولاء الدينى والولاء الوطنى للمدينة التى يتبعها الفرد » ـ ص 8 .

ويؤكد هذه الحقيقة ان الزعيم الاسلامي الاستاذ علال الفاسي نقل في كتابه « مقاصد الشريعة الاسلامية » عن كتاب « أصول تاريخ القانون » ان جماعة من العلماء الالمان والبريطانيين قاموا ـ فى القرن الماضى ـ بأبحاث لدراسة النظم القانونية لدى الشعوب القديمة ، وانتهت ابحاثهم الى نتيجة واحدة ـ مع انهم اختاروا لها ميادين مختلفة ـ اذ تبين من هذه الدراسات المقارنة انه كانت توجد لدى

أغلب الجماعات القديمة احكام ـ قبل نشوء العرف ـ مصدرها العقيدة الدينية ، وان هذه الاحكام تحولتفيما بعد الى عرف بتكرار الحوادث. وقد ايد هذا الرأى العلامة سمبزمن فى كتابه « القوانين » وغيره من مؤلفاته ، ونقل الاستاذ علال الفاسى عن الدكتـــور سليمان مرقس قوله : « وقد عرف الانسان الدبن قبـــل ان يعرف القانون ، بل ان واعد القانون الاولى كانت فى بدء نشأتها قواعد دينية وكان القانون ى كل مجتمع ينشـــأ معتمدا على الدين ممتزجا به ، حتى ان رجال لدين كانوا هم أنفسهم رجال القانون » ٠

ويسنند كثير من علماء الديانات المقارنة وعلماء الاجتـماع ـ كما ذكر الاستاذ علال ـ الى التشابه الموجود فى نشأة القانون والعرف فى كل الجماعات البشرية ليؤكدوا ان المصدر واحد وهـو الوحى الالهى الذى نزل على المصطفين الاخيار ليربوا المجتمعات البدائية بما يناسبها من حكمة وعلم ٠

ومما يؤكد انبثاق القوانين عن العقيدة الدينية وارتبـــاطها بها ، ورفض الانسان المؤمن للقوانين الوضعيةوجود نص فى الادبالاغريقى عالج موضوع الصراع بين الواجب تجاه القـانون البشرى والواجب حيال القانون الالهى ، وأكد ان الانسان لا يستطيع ان يلغى قوانين السماء الخالدة التى لا تفنى ٠

وقد أشار الى هذا النص الاستاذ جورج سباين استاذ الفلســـفة بجامعة كورنل الامريكية فى الجـزء الاول من كتـــابه « تطور الفكر السياسى » وقرر انه بفضل المقارنة بين القانونين الالهى والوضـعى وابراز الفارق بينهما ، فى النص المشار اليه ، اتسع المجال لنقـــد القواعد والنظم الوضعية ، ورفض الاثار التى تنتج عنها وأصبح هذا النقد يتجدد خلال تاريخ الفكر السياسى

ومن المؤكد ان من ابرز الادلة التى تؤكد ارتباط القوانين بالعقيدة الدينية ، الانر الكبير الذى تركته نظرية القانون الطبيعى كما صاغها المفكر الرومانى شيشرون فى الفكر الغربى منذ القرن الاول قبـــــل الميلاد حتى القرن التاسع عشر كما قرر ذلك الاستاذ جورج سباين فى كتابه المشار اليه آنفا ٠

ويقرر شيشرون فى نظريته « انه يوجد قانــون ينبثق من واقــع حكم العناية الالهية للعالم كله ، لا يجوز تعطيل احــكامه بتشريعات من صنع البشر ، لانه ملــــزم لكل الناس فى كل وقت ، فلن يكون للناس أبدا الا حاكم واحد هو الله مشرع هذا القانون والذى يعصى حكم هذا القانون من الناس خليق بان يقاسى شر العقوبات ولو نأى عن عواقب مخالفة التشريعات الوضعية » . — ص 241 ج 2 —

ويؤكد حقيقة انطلاق الفكر الانســـــانى من القاعدة الايمانية الفيلسوف ان اوجست كونت يرى ان العقل الانسانى مر بأدوار ثلاثة : دور الفلسفة الدينية ، ثم دور الفلسفة التجريدية ، ثم دور الفلسفة الواقعية ، ومع ان هذا الفيلسوف يعتبر الدور الواقعى للفلسفة هو آخر الاطوار واسماها ، وهو ما لا يقره اتجاه الفلسفة فى هذا العصر، فان الذى يهمنا من رأيه اعترافه بان الايمان هو المنطلق الاول للفكر الانسانى .

ومما يؤكد هذه الحقيقة قول الفيلسوف هنرى برجسون :

« لقد وجدت وتوجد جماعات انســـانيه من غير علوم أو فنون ، وفلسفات ، ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة » .

الحقيقة الثانية

حين يرجع الباحث الى تاريخ الفكر السياسى فى العالم يجد ان الامم لم تعرف مبدأ فصـــل الدين عن الدولة ، الا فى بداية العصر الحديث ، وقد قال الفيلسوف البريطانى برتراند رسل وهو يتحدث عن تطور فكرة سيادة الولاء الدينى فى أوروبا ما نصه :

« ان سيادة الولاء الدينى على الولاء السياسى ظلت قائمة وهى — الى حد ما — لا تزال قائمــة »، انتهى النص .

ولولا التآمر الصهيونى على العالم وعقائده الدينية لبقى تأثير الدين — فى أوروبا نفسها — على كل القوانين ويؤكد هذه الحقيقة دليلان :

الاول : قول الفيلسوف هربرت سبنسر « بعد الحــركة الوطنية الفرنسية فى عام 1789 م اخذ المشرعون الاوروبيون فى تجريد القوانين من كل حالة مساس بالدين والاخلاق والفضائل الانسانية ، فاقتصرت

رسالة القانون على تنظيم علاقات الافراد وما يمس الامن ونظام الحكم».

الثاني : ان الحركة الفرنسية المشار اليها ليست الا مرحلة من مراحل التآمر الصهيونى على العالم ، ولقد اعترف بدور الصهيونية فى هذه الحركة مؤلفو كتاب « اليهودى العالمى » الذى أعده المليونير الامريكى هنرى فورد واصدره فى عام 1921 م فى أكثر من موضع ، كما نقل الاستاذ جنسين فى الجزء الاول من كتابه « مؤامرة فلسطين » اعترافين عن دور الصهيونية فى هذه الحركة اولهما من كتاب « مسؤولية العقبة » تأليف اللورد اوستاس بيرس ، وثانيهما من كتاب « حكم أسرة روتشيلد » تأليف الكونت كورتى الصادر فى عام 1928 م ، ومن قبل هذه الاعترافات نشرت مجلة اكاسيا الايطالية الماسونية فى عددها السنوى لعام 1904 م اعترافا بان الماسونية هى التى هيأت لحركة عام 1789 م كما جاء فى كتاب « أسرار الماسونية » للجنرال التركى محمد جواد رفعت .

وفى ضوء هذين الدليلين القاطعين يتضح ان التآمر الصهيونى هو الذى حال دون استمرار تأثير العقيدة الدينية على القوانين الاوروبية ولولا هذا التآمر لبقى تأثير الدين – فى اوروبا نفسها – على كل القوانين .

الحقيقة الثالثة

ان القواعد العامة فى الشريعة الاسلامية لا تقبل التغيير ولا التبديل ، أما التطبيقات للاحكام التفصيلية على تلك القواعد العامة ، فانها قد تتغير فيها الاحكام تبعا لتغييرات المصالح والازمان ، كما جاء فى اجابة الجانب السعودى على اسئلة الوفد الحقوقى الاوروبى فى الندوة التى عقدت فى الرياض فى شهر صفر من عام 1392 هـ .

وان هذه القاعدة الاصولية الاسلامية هى التى انتهى اليها خبراء التشريع الغربى باقتناعهم بضرورة وجود عنصر فى التشريع يتمتع بالدوام والابدية ، مع عناصر تتصف بالمرونة ، وقد عبر عن هذا الاتجاه السليم القاضى الامريكى كارد ورد بقوله : « من أهم ما يحتاج اليه التشريع اليوم ان نصوغ له فلسفة للتوفيق بين الرغبات

المتحاربة حول ثبات عنصر وتغيير عنصر آخر» كما نقل ذلك عنه الاستاذ وحيد الدين خان فى كتابه « الاسلام يتحدى » ·

وبذلك تكون الشريعة الاسلامية تتفق مع الاتجاه الصحيح للعقل فى مجال القانون ، كما تتفق معه فى كل المجالات ·

وان هذه القاعدة الاسلامية الاصولية تجعل الشريعة الاسلامية قادرة على مواجهة المشكلات فى كل العصور وحلها ·

ومن قبل ان يتجه خبراء التشريع الغربى الى ضرورة وجود عناصر تتمتع بالدوام والابدية فى التشريع بجانب العناصر التى تتصف بالمرونة ، عرفت الدول الاوروبية نظريتي الدستور الجامد والدستور المرن ، والغاية من النظرية الاولى ، كما يقول الدكتور وايت ابراهيم فى كتابه (القانون الدستورى) : «ان لا يكون اساس النظم الحكومية عرضة للتغيير فى كل آن ، والغالب ان كل دستور مسطور يكون جامدا ،وكل دستور غير مسطور يكون مرنا فى الغالب » انتهى النص·

ومن المعروف ان الدساتير غير المسطورة نادرة جدا فى العالم ·

ومما يؤكد أهمية وجود عنصر يتمتع بالدوام والابدية فى التشريع ان الفقيه الفرنسى الكبير وجنى اعتبر الحقائق التاريخية احدى الركائز التى يتكون منها جوهر القاعدة القانونية حيث رأى « انه لا يمكن اغفال دور الحقائق التاريخية فى تكوين القواعد القانونية اذ انها تضفى عليها نوعا من الثبات والاستقرار واذا لم يكن من شأن تلك الحقائق ان تعصم قواعد القانون من التطور الا انها تجعل هذا التطور يتم فى ضوئها وعلى هديها الامر الذى يباعد بينه وبين الطفرة والاندفاع ، ويجعله يتم على صورة يتصل فيها الحاضر بالماضى » ـ نظرية القانون ·د· عبد الفتاح عبد الباقى ص 73 ـ ·

ان القواعد العامة التى لا تقبل التغيير فى الشريعة الخالدة هى كما قال الفقيه الاصولى الكبير ابو اسحاق الشاطبى فى كتابه القيم « الموافقات فى أصول الشريعة » : « كلية أبدية وضعت عليها الدنيا وبها قامت مصالحها فى الخلق حسبما بين ذلك الاستقراء ، فذلك الحكم الكلى باق الى ان يرث الله الارض ومن عليها » ·

وقد ذكر العلامة ابو الاعلى المودودى فى كتابه « القانون الاسلامى وطرق تنفيذه » ان القواعد العامة التى لا تقبل التغيير تنقسم الى ثلاثة اقسام – ص 44/43 – :

الاول : الاحكام الصريحة القطعية الواردة فى القرآن والحديث الثابتة كحرمة الربا والميسر وحدود الجرائم وتقسيم التركة ٠

الثانى : القواعد العامة ، كحرمة كل بيع لا يتم فيه تبادل المنفعة بين الجانبين وقوامية الرجال على النساء ٠

الثالث : الحدود المقررة في القرآن والسنة لنحد بها حرمتنا فى الاعمال ولا نتجاوزها ٠

ثم قال العلامة المودودى : فهذا الجزء القطعى غير القابل للتغيير من اجزاء قانون الاسلام هو الذى يعين فى حقيقة الامر حدود مدنية الاسلام وصورتها الممتازة المخصوصة ، ومن المحال ان يشار الى مدنية تستطيع البقاء بدون ان يكون فيها عنصر لا يقبل التغيير ، وكل مدنية ليس فيها عنصر كهذا العنصر فما هى بمدنية مستقلة اصلا » ٠

وعلى الرغم من ان القوانين الوضعية تقر مبدأ الدستور الجامد والدستور المرن ، الا ان الدستور الجامد لا يتمتع بالدوام والابدية ، وان كان تعديله يتطلب اجراءات طويلة ومعقدة ٠

الحقيقة الرابعة

منذ مطلع القرن التاسع عشر ، وبعد صدور مجموعة نابليون القانونية وبباعث من اعجاب القانونيين بها ظهرت مذاهب قانونية فى انجلترا وفرنسا تحتم التزام النص القانونى وشرحه فى مجال تطوير القوانين وأصحاب هذه المذاهب – كما ذكر الدكتور محمد يوسف موسى فى كتابه المدخل لدراسة الفقه الاسلامى – يصدرون عن فكرة واحدة تجمع بينهم وهى ان النصوص التشريعية قد حوت كل القواعد القانونية ، ولم تفرط فيها من شيء ، فليس امام القانونى الا ان يستعرض هذه النصوص ويفسرها نصا نصا فاذا اعجزه استخلاص قاعدة منها فليس الذنب على هذا التشريع فانه يتضمن كل القواعد القانونية ، وانما العيب على القانونى الذى لم يوفق الى

استخلاص القاعدة من النص » ـ ص 70/71 المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ٠

وقد ذكر الدكتور صبحى محمصانى فى كتابه « فلسفة التشريع فى الاسلام » ان المحاكم الابتدائية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وبريطانيا ملزمة باتباع اجتهاد المحاكم العليا ، والمحاكم العليا بدورها نتقيد باجتهادها السابق بصورة تجعل من السابقات اساسا ثابتا لاحكامها لا يمكنها تغييره بسهولة وتجعل الاجتهاد موحدا معلوما » ـ ص 133 ط 3 ـ 1300 ـ 1961 م ـ ٠

وفى ضوء اتجاه هذه المذاهب القانونية الغربية يتضح ان التزام النصوص الاسلامية فى الشريعة الاسلامية لا يناقض العقل لان هذه المذاهب القانونية تلتزم بالتصوص التى تعتبرها تشريعية ، كما تلتزم بشروحها ، وتعتبرها المصدر الصحيح والوحيد لاستخلاص القواعد القانونية التى يدعو اليها التطور الانسانى ٠

ويرى الدكتور محمد يوسف موسى ، ان القانون باهماله للعرف واعتباره التشريع مصدره الوحيد

بخلاف الشريعة الاسلامية التى لم تهمل العرف وجعلت رعايته اصلا من اصول الدين ٠

الحقيقة الخامسة

ان قدم الشرائع او القوانين او الافكار ـ بمرور قرون او عشرات القرون على انتشارها ـ لا يكفى مطلقا لاعتبارها غير صالحة ، فقد نكون قواعدها قابلة لمواجهة تحديات التطور فى الحياة يدل على ذلك مثلا ان نظرية ارسطو فى شكل الحكومات وفى تتابع اشكال الدول قد أصبحت النظريات السياسية الاساسية ، كما يقول عدد من فقهاء القانون الدستورى وعلماء السياسة المعاصرين ومنهم الدكتور وايت ابراهيم فى كتابه « القانون الدستورى » ـ ص 13 ـ ٠

ومما يدل على ان قدم القوانين لا يكفى مطلقا لاعتبارها غير صالحة لان بريطانيا لا تزال تعتمد اليوم على قوانين قديمة كالعهد الاكبر الصادر في عام 1215 ميلادية وقانون وبيان الحقوق الصادر فى عام 1689

وأكثر من ذلك كله دلالة على أن قدم القوانين لا يجعلها غير صالحة ، ان معظم القوانين الاوروبية الحديثة ـ كما يقول الدكتور صبحي المحمصاني في كتابه « فلسفة التشريع في الاسلام » ـ ص 129 ـ تأثرت بوجه عام بالقانون الروماني ، واتخذته اساسا لها مع التغيير الذى يتطلبه تطور الامم ، كما ان قانون نابليون لا يزال الى اليوم معمولا به في فرنسا مع التعديلات التى طرأت عليه رغم انه صدر في عام 1804 م وقد كانت القوانين الفرنسية مثالا انبعته معظم دول اوروبا في تدوين قوانينها حتى جاء بعضها كالقانون البلجيكي منقولا عنه بكامله تقريبا .

وأسمى من ذلك كله دلالة على ان مرور زمن طويل على أية شريعة لا يجعلها غير صالحة ، ان القانونيين الغربيين قد نقلوا عن الشريعة الاسلامية كثيرا من القواعد والاحكام .

ومن المعروف ان قانون نابليون ـ كما قرر ذلك مفكرون ومؤرخون غربيون ومنهم المؤرخ المعروف سيديو ـ تأثربالشريعة الاسلامية ، ولقد اعترف المؤرخ ويلز في كتابه « ملامح من تاريخ الانسانية ان اوروبا مدينةبالجانب الاكبر منقوانينها التجارية والادارية للاسلام»

ولقد ذكر معالي الاستاذ احمد زكي يماني في كتابه « الشريعة الخالدة ومشكلات العصر » ان الفقيه الايطالي المشهور دي سانتيلانا يبرراهتمامه واهتمام القانونيين الغربيين بالشريعة الاسلامية بانها هي التي أوحت دون شك بالمبادىء القانونية الحديثة في المجتمع الغربي واعادته بعض القواعد الفنية فيالتجارة والشركات المحدودة.

الحقيقة السادسة

لقد انتقل علماء القانون الغربيون من مرحلة الاعتراف الصامت او العملي بقدرة الشريعة الاسلامية على مواجهة تحديات التطور بنقل الكثير من احكامها العادلة الى قوانينهم ـ كما ذكرنا في الحقيقة الخامسة ـ الى مرحلة الاشادة بهذه القدرة البعيدة التي التي تملكها الشريعة الاسلامية ، في دروس القانون بجامعات أوروبا ودراسات اساتذتها أولا ، ثم في المؤتمرات والجمعيات القانونية في أوروبا نفسها .

ولعل الاعتراف الذى نشره الفقيه الالمانى كوهلر فى العقد الثانى من القرن العشرين هو أول اعتراف يصدر عن فقيه أوروبى بارز يشيد فيه بعظمة الشريعة لانها تحتوى على احكام لم يصل اليها القانونيون الغربيون الا بعد عشرة قرون ٠

ولقد كتب الفقيه الالمانى الكبير اعترافه بعد صدور رسالة عن الاعتساف فى استعمال الحق نال بها الدكتور محمد فتحى شهادة الدكتوراه من جامعة ليون بفرنسا ، ومما كتبه الفقيه الالمانى قوله :

« ان الالمان كانوا يتيهون عجبا على غيرهم لايجادهم نظرية الاعتساف فى استعمال الحق وادخالها ضمن التشريع فى القانون المدنى الالمانى الذى وضع فى سنة 1787 م ، اما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحى وأفاض فى شرح هذه النظرية نقلا عن الفقه الاسلامى فانه يجدر بعلماء القانون الالمان ان يتنازلوا عن المجد الذى نسبوه لانفسهم ـ ويعترفوا بالفضل لاهله وهم فقهاء الاسلام الذين عرفوا هذه النظرية وأفاضوا فى الكلام عنها قبل الالمان بعشرة قرون » كما ذكر ذلك المستشار على على منصور فى كتابه نظم الحكم والادارة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ٠

كما نقل مؤلف دولة القرآن الاعتراف الذى أدلى به عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا البروفيسور شبرل فى مؤتمر الحقوق فى عام 1927 م ونصه :

« ان البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم اليها ، ان تشريعه سنكون نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفى سنة » ٠

أما المؤتمرات والجمعيات القانونية التى اشادت بالشريعة الاسلامية وقدرتها على الاستجابة لجميع مطالب الحياة ، واعتبرتها من مصادر التشريع فهى كثيرة ، ونكتفى بقرارين من قراراتها :

الاول : قرار مؤتمر القانون الدولى المقارن الذى عقد فى مدينة لاهاى الهولندية فى عام 1937 م وجاء فيه ما يأتى :

أ ـ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام ٠

ب ـ اعتبار الشريعة الاسلامية حية صالحة للتطور .

جـ ـ اعتبار التشريع الاسلامى قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره.

ومن الواضح ان هذا الاعتبار ينفى الاتهام الذى صدر عن بعض اعداء الشريعة الاسلامية من المستشرقين وغيرهم بانها تأثرت بالقانون الرومانى .

الثاني : اصدره المجمع الدولى للحقوق المقارنة فى كليـــة الحقوق بجامعة باريس تحت اسم « اسبوع الفقه الاسلامى » فى عام 1951 م وقد جاء فى هذا القرار ما يأتى :

أ ـ ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيـــها .

ب ـ ان اختلاف المذاهب الفقهيـــة ينطوى على ثروة من المفاهيم والاصول الحقوقية هى مناط الاعجاب وبها يتمكن الفقه الاسلامى ان يستجيب لجميع مطالب الحياة والتوفيق بين حاجاتها .

وبباعث من الاعتراف بأهمية الشريعة الاسلامية قام فى فرنســـا مؤسس القانون المقارن ادوارد لامبير ، والاستاذ بكلية الحقوق بجامعة باريس رينيه دافيد بتدريس الشريعة الإسلامية والكتابة عنها كواحدة من الانظمة القانونية الطليعية فى هذا العصر ، كما ذكر ذلك معـــالى الاستاذ احمد زكى يمانى فى كتابه « الشريعة الخالدة ومشـــكلات العصر » .

الحقيقة السابعة

ان احكام الشريعة الاسلامية هى الاحكام التشريعية الوحيدة التى تحقق التوازن المثالى الفريد بين مصالح الجماعة والفرد بحيث لا يطغى احدها على الآخـــر مهما كانت الظروف والاحوال ، وذلك على عكس احكام القوانين الانسانبة التى لم تستطع تحقيق هــذا التوازن رغم كل الظروف ، لان واضعيها يخضعون ـ فى اكثر الاحوال ـ لتأثـير انتمائهم الطبقى او المهنى او لضغوط السلطة ، مما يحول دون تحقيق التوازن العادل بين مصلحتى الجماعة والفرد ، ويجعل القوانين وسيلة لدعم سلطان السلطة المستبدة لا لتحقيق العدالة الحقة .

ولعل من ابرز الادلة التى تؤكد هـــذه الحقيقة ان القوانين التى صدرت فى فرنسا ـ بعد حركة عام 1789 م التاريخية ـ واتخـذتها أوروبا مثالا لقوانينها فيما بعد ٠٠ ان هذه القوانين ســادتها روح الفردية المطلقة الى الحد الذى يجعل لصاحب الحق الحرية الكامله فى استعمال حقه ، ولو أدى ذلك الى الاضرار بغيره ٠

وتحت ضغوط الاثار السيئة التى ترتبت على هذا الخطأ القانونى ، وبدافع من الرغبة فى وضع حد لحرية الفرد التى لا حد لها ، نشـأت نظرية سوء استعمال الحقوق ٠

وعلى الرغم من الظروف التى حتمت ايجاد هذه النظرية فالحقيقة ان الهدف منها لم يتحقق ، لان الفرد ـ فى بعض الدول الاوروبية ـ ما زال يمارس بعض حقوقه الى حد الاضرار بغيره ، كما ان الفرد ـ فى دويلات أوروبية أخرى ـ يحرم من ممارسة حقوقه بدعوى الحفاظ على مصلحة الجماعة ، بينما الواقع يثبت ان مصلحتى الفرد والجماعة ـ فى هذه الدول الشيوعية ـ تهدران من أجل الحزب الشيوعى وحده ٠

ومن الثابت الذى لا ريب فيه ـ كما يقول الدكتور السعيد مصطفى السعيد ـ ان نظرة الشريعة الاسلامية لحقوق الافــراد وتقييدها بما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر مصلحة الفرد صاحب الحق ، أوسـع مدى وأبعد تأثيرا من نظرة القوانين الحديثة فى هذه الناحية ٠

وقد ذكر الدكتور محمد يوسف موسى فى كتابه « المدخل لدراسة الفقه الاسلامى » انه يعتقد ان التفرقة الواضـحة بين طابع الشريعه الالهية وطابع القانون البشرى بين حقوق الفـرد والجماعة ترجع الى تفرقة اساسية فى أصل حقوق الفرد بين الشريعة والقانون ، اذ ان القانون يعتبر حقوق الفرد حقوقا طبيعية يملكها ويتصرف فيها حسب ما يرى ، أما الشريعة فانها تعتبر حقوق الفـرد منحة من الله تبارك وتعالى وهو يأمر بالعدل والاحسان وعدم الاضرار بالغير ٠

الحقيقة الثامنـــة

من الخصائص التى تميز الشريعة الاسلامية عن القوانين الوضعية انها تعنى بالحفاظ على الامن والنظام لتحقيق الاستقرار والتقدم فى المجتمع ، وفى الوقت نفسه تُعنى ـ بعكس القوانين الوضعية ـ بحماية

الاخلاق ، ورعاية مصلحة الفرد ، وضمان حقوقه بحيث لا تسقط بالتقادم او وضع اليد ، كما تعنى بحماية من الانحلال الخلقى . والانحراف الفكرى ، لانها تستهدف حماية القيم الاجتماعية والمصالح المادية فى وقت واحد بعكس القوانين التى تستهدف حماية الامن والنظام وتتجاهل ما تقضى به قواعد الدين والاخلاق فى كثير من الاحوال ٠

يؤيد هذه الحقيقة ما نقله الدكتور محمد يوسف موسى فى كتابه « المدخل لدراسة الفقه الاسلامى » عن كتاب اصول القانون للدكتور عبد الرزاق السنهورى ونصه كما يأتى :

« اقامة النظام فى المجتمع على نحو من الانحاء غاية يحرص عليها واضع القانون كل الحرص ، حتى ولو اقتضاه ذلك ان يحيد احيانا عن مقتضى قواعد الاخلاق والدين ، فالقانون مثلا يقر لمن يضع يده على عقار بنية الملك خمس عشرة سنة بملكيته حتى لو كان غاصبا ، كما انه يقضى بسقوط الحق بالتقادم اذ يرى ان ذلك ادنى الى قيام النظام فى المجتمع مجاوزا بذلك ما تقضى به قواعد الاخلاق فى هذا الخصوص» انتهى النص ٠

وتتجلى أبعاد تجاوز القانون لما تقضى به قواعد الاخلاق التى لا ينكرها العقل مهما كانت عقيدته فى اباحة الغوامن التى ترتكب بدون اكراه ، الى الحد الذى ذابت فيه كل معالم الحفاظ على الاخلاق ،وبالتالى اعتبار السلوك الشخصى ــ مهما كان مناقضا للاخلاق ــ غير مناقض للقانون اذا لم يؤد الى الاخلال بالنظام أو الاضرار بالغير ، رغم انه يؤدى الى الاضرار بفاعله نفسيا وصحيا ، وربما بأسرته وبالتالى بمجتمعه فى المدى البعيد ٠

كما تتجلى أبعاد تجاوز القانون لما تقضى به قواعد الاخلاق فى حمايته وتنظيمه لكثير من الاعمال التى تؤدى الى انحلال المجتمع عبر نشرها لكثير من ألوان التهتك والاستغلال رغم ان حماية المجتمع من الانحلال من أهم الاهداف التى يجب ان تعمل على تحقيقها كل الانظمة والقوانين ٠

وبسبب تجاهل القوانين للاخلاق،انحدرت اكثر المجتمعات المعاصرة الى حضيض الانحـــلال والانحطـاط الخلقى ، واعترف عدد من علماء الغرب بهذا الانحطاط كالعالم الامريكى الكسيس كارليل فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » وغيره من العلماء الذى رأوا فى هذا الانحطاط بداية لانهيار الحضارة الغربية وفنائها ٠

أما الشريعة الاسلامية ، فانها تحرص أشـــد الحرص على حماية الاخلاق ، لانها أساس رقى الامم ولانها جزء من الايمـان ، كما أنها فى الوقت نفسه ــ من الاهداف الانسانية التى آمن بها العقل منذ أقدم العصور حتى اليوم ٠

ولقد كان افلاطون يرى ان القوانين لا توضع لتمكين الفرد من فعل ما يشاء ، ولكنها توضع لهدايته الى فعل احسن ما يســتطيع ، ولا يرى خيرا من اكراهه على صلاح أمره ــ كما ذكر ذلك الاستاذ العقاد فى كتابه « فلاسفة الحكم فى العصر الحديث » ٠

وكما قلنا ــ فيما ســـبق ــ لقد بقيت كل القوانين حتى القرن الثامن عشر تعنى بالاخلاق أشد العناية ، ثم اخذ المشرعون الاوروبيون فى تجريدها من كل حالة مساس بالدين والاخلاق بعـد حركة عام 1789 م كما ذكر ذلك الفيلســـوف هربرت سبنسر بفعل التآمـر الصهيونى على عقائد العالم واخلاقه ٠

والحقيقة التى لا ريب فيها ان تجريد القوانين من القواعد الاخلاقية قد جنى جناية بالغة على الشعوب التى تخضع للحـــكم القانونى ، باعتراف علمائها ومفكريها ٠

الحقيقة التاسعة

من أبرز الخصائص التى تميز الشريعة الاســـلامية عن القوانين الوضعية انها تحقق المساواة الكاملة والمطلقة بين الناس جميعا وفى كل المجالات لا سيما القضاء ــ دون أى اعتبار للفروق الجنســية او الطبقية او الاجتماعية ، لان « **الناس سواســـية كأسنان المشط الواحد ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى** » كما قال الرسـول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعكس القوانين الوضعية التى لم تعرف

الاطار العام للمساواة فى مجال القضاء الا فى أواخر القرن الثامن عشر ، ولم تحقق حتى اليوم المساواة الكاملة بين الحاكمين والمحكومين وبين الفرد والفرد ، كما انها تميز الاغنياء عن الفقراء ، والبارزين فى المجتمع عن الدهماء ٠

يؤيد هذه الحقيقة ان احكام الاسلام العادلة تسوى بين رئيس الدولة والمواطن ، اذ ان القضاء العادى ـ كما جاء فى اجابة الجانب السعودى على اسئلة الوفد الحقوقى الاوروبى ـ يخضع له جميع الناس مدنيا وجزائيا ، حتى الملك فانه يخضع عند الاقتضاء الى المحاكم العادية ، كما جرى منذ مدة غير بعيدة عندما اختلف معه رجل من عامة الناس فى حدود ملكية عقارية مختلف عليها ومبنية على عقد خاص لدى كل من جلالته وذلك الرجل من العامة فقد نظرت المحاكم العادية فى ذلك وحكمت لذلك الرجل على جلالة الملك ونفذ الحكم من غير ما تأخير ولا تمايز بينهما ، وهذا ما يؤيد قولنا من قبل ان شريعة الاسلام فى هذا البلد قد حددت سلطات رئيس الدولة بالاحكام العادية المشتركة من غير سلطان مطلق ولا تمايز فى الحقوق امام شريعة الله »٠

اما القوانين الوضعية ، فانها تميز بين رئيس الدولة وبين المواطنين، اذ تعتبر بعضها ذات رئيس الدولة مقدسة او مصونة لا تمس ، ولا تخضع للقانون بدعوى ان رئيس الدولة هو مصدر القانون ، وانه السلطة العليا ، فلا يجوز ان يخضع لسلطة ارقى منه » ٠

وأقصى ما وصلت اليه القوانين فى تحديد مسؤولية رئيس الدولة امام القانون ، اعتباره مسؤولا فى حالة واحدة هى حالة الخيانة العظمى فى بعض الدول كفرنسا وبعض الدول الاوروبية التى لم تصل الى هذا المستوى الا بعد الحرب العالمية الاولى ٠

أما القاعدة العامة فى مسؤولية رؤساء الدول فى القوانين الوضعية فهى ـ كما ذكر الدكتور ابراهيم وايت فى كتابه « القانون الدستورى » ـ ان ليس للمحاكم سلطان على الرئيس التنفيذى سواء كانت الجريمة التى ارتكبها جريمة سياسية أم جريمة عادية ، لانه من القواعد الاساسية للقانون العام ان الرئيس التنفيذى لا يخضع لاية محكمة ما دام فى وظيفته » ٠

ولا تكتفى القوانين الوضعية بالتمييز بين رؤساء الدول ومواطنيهم بل انها تميز رؤساء الدول الاجنبية واعضاء الهيئات التشريعية ، والشخصيات البارزة اجتماعيا ، وبعض الموظفين ، كما انها تميز الاغنياء عن الفقراء فى مجال القضاء وفى الاقتراع العام .

ولقد كان القانون الوضعى فى الدول الاوروبية لا يعترف بالمساواة بين المواطنين حتى أواخر القرن الثامن عشر - كما قرر ذلك أكثر من باحث قانونى - اذ كان يجعل لكل فئة من الناس محكمة خاصة بها ، وقضاة يختصون بالحكم فى قضاياها وحدها دون الفئات الاخرى ، لان لكل فئة قضاة فى مستواها لا يجوز لهم الفصل فى قضايا غيرها من الفئات .

كما كانت الاحكام تختلف - رغم وحدة الجريمة او القضية المدنية - تبعا لاختلاف المحاكم ، فالجريمة التى يرتكبها احد البارزين فى المجتمع ، واحد المواطنين العاديين ، يعاقب عليها المواطن العادى بأقسى مما يعاقب عليها المواطن البارز فى المجتمع ، وأكثر من هذا كله ، ان بعض الاعمال تعتبر فى نظر القانون جرائم اذا مارسها المواطن العادى ، اما اذا مارسها غيره من ذوى النفوذ فانها تعتبر من الاعمال التى لا عقاب عليها .

ولقد ظل القانون فى هذا المستوى ، بعد عصر النهضة وبعد ان قررت الشريعة الاسلامية المساواة الكاملة بين الناس بما يقرب من اثنى عشر قرنا .

وحين دفعت الاحداث التاريخية الكبرى فى أوروبا رجل القانون الى تقرير مبدا المساواة فى أواخر القرن التامن عشر ، لم يصل هذا المبدأ الى مستوى الشريعة الخالدة فقد احتفظ القانون بحالات من التمييز بين المواطنين ، وعلى الرغم من ان بعض القوانين التى وضعت فى أواخر القرن التاسع عشر قضت على كثير من حالات التمييز بين المواطنين ، فان الحقيقة التى لا ريب فيها ان القوانين لم تصل الى مستوى الشريعة العادلة فى المساواة الحقيقية بين الحاكمين والمحكومين ، أكثر القوانين تزخر بمبادىء التمييز لا بين رؤساء الدول والمواطنين بل بين فئات المواطنين انفسهم ، ونؤكد هذه الحقيقة بما يأتى :

أولا : يقول المفكر المسلم الهندى وحيد الدين خان فى كتابه « الاسلام يتحدى » الذى نشر فى الهند سنة 1966 م عن صورة من صور التمييز بين المواطنين فى القانون الهندى :

« على الرغم من ان كل الدول تقر مبدأ المساواة المدنية فان هذه المساواة لا تنفذ فعلا فى أية دولة ، فلو انك كنت تريد ان تحاكم رئيس جمهورية الهند أو احد حكام الولايات فلن تستطيع ذلك كما تستطيع ان تحاكم المدنيين العاديين اذ لابد من الحصول على موافقة الدولة ، والامر لا يقف عند هذا الحد ، بل ان الموظفين الحكوميين ليس من شأن المحاكم النظر فى قضية احدهم الا بعد الحصول على موافقة الحكومة المركزية أو المحلية .

وليس هذا عيب الدستور الهندى ، بل هو عيب القانون البشرى بعامة ، وهو عيب موجود حيث يوجد هذا النوع من الدساتير الوضعية ».

ثم يقول الاستاذ وحيد الدين خان :

« ليس من الممكن ان يتحقق العدل الكامل الا فى ظل القانون الالهى ، حيث يكون كل انسان مساويا للآخرين ، وحيث تمكن مقاضاة أية سلطة سياسية وتنفيذية كما يحاكم ابن الشعب ، لان الحاكم فى هذا القانون هو الله سبحانه وحده ، والمحكومون هم سائر افراد المجتمع دون أدنى تمييز » — ص 248 — 249 .

ثانيا : ذكر الاستاذ عبد القادر عودة فى كتابه « التشريع الجنائى الاسلامى » مقارنا بالقانون الوضعى ان وكيل النيابة لا يستطيع رفع الدعوى العمومية الا بعد استئذان جهات معينة اذا كان المتهم موظفا أو طبيبا أو محاميا ، ويجوز له ان يحفظ القضية اكتفاء بجزاء ادارى ، وبذلك ينجو المتهم من العقوبة ومثل هذا الحفظ غير ممكن بالنسبة لافراد الشعب العاديين » — ص 314 ج 1 — .

ثالثا : يؤكد جانبا من هذه الحقيقة ان قانون تحقيق الجنايات — كما يقول الاستاذ عبد القادر عودة رحمه الله فى الجزء الاول من كتابه « التشريع الجنائى الاسلامى » — يوجب على القاضى ان يحكم بالسجن

فى كثير من الجرائم على أن يقدر للمحكوم عليه كفالة حالية اذا دفعها أجّل تنفيذ الحكم عليه حتى يفصل فى الاستئناف وفى هذا خروج على مبدأ المساواة اذ يستطيع الغنى ان يدفع الكفالة فلا ينفذ عليه الحكم، بينما يعجز الفقير عن دفعها فى أغلب الاحوال فينفذ عليه الحكم فى الحال .

ويقول الاستاذ عودة رحمه الله : ويجيز قانون تحقيق الجنايات للقاضى ان يفرج عن المتهم السجين بضمان مالى ، اذا كان قادرا على تسديده ، أما الفقير فيظل سجينا وقد تبرئه المحكمة فتكون النتيجة انه سجن لا لانه أجرم بل لانه فقير » .

وبازاء هذا التمييز الذى تقره القوانين الوضعية رغم انه يناقض مبدأ المساواة الذى تعترف به من حيث المبدأ ، نجد احكام الشريعة العادلة الخالدة تحمى المواطن الفقير من هذا التمييز باقرارها لمبدأ الكفالة الشخصية وحدها حيث انها ميسرة له ، ومحققة لاهداف الشريعة فى العدل والمساواة وعدم العسر كما قال تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » (البقرة آية 185) .

رابعا : ان القوانين الوضعية التى تميز الاغنياء وذوى النفوذ — فى مجال القضاء — عن الفقراء ، تحتفظ للاغنياء بحق الترشيح لعضوية المجالس التشريعية اذ ان اكثرها يشترط ان يكون المواطن الذى يشترك فى هذا الترشيح من اصحاب الملكية الخاصة لا يجيز للمواطن الفقير الاشتراك فيه على الاطلاق ، كما ان بعضها يشترط دفع تأمين مالى — يعجز عن دفعه المواطن الفقير— مقابل الترشيح للمجالس المذكورة .

وليس من شك فى ان هذين الشرطين يناقضان مبدأ المساواةالذى تقره القوانين الوضعية الى أبعد حدود المناقضة ، كما انها تمثل اتجاها لا يتفق مع رغبة وحق الاكثرية المطلقة من كل شعب فى المساواة الحقيقية بين المواطنين .

ومن الحقائق التى تكاد تكون مجهولة اليوم ، ان حركة عام 1789 م التاريخية التى أصدرت اعلان حقوق الانسان ، هى التى حرمت

المواطن الفقير من الاشتراك فى الاقتراع العام والترشـيح لعضوية المجالس التشريعية بقانونها الصادر فى 22 ديسمبر 1789 م ٠

ومما يدل على ان هـذه الحقيقة تكاد تكون مجهولة ـ رغم اهميتها البالغة ـ اننا نفتقدها فى بعض المراجع السياسية الحديثـة ـ مثل كتاب « المدخل فى علم السياسة » للدكتورين بطرس بطرس غالى ، ومحمود خيرى عيسى ، فقد أشـار المؤلفان أثناء بحثهما عن شرط الملكية الخاصة فى الاشتراك فى الاقتراع العام الى رأى الفيلسـوف جون ستيوارت ميل فى هذا الموضوع دون الاشارة الى دور الحـركة التاريخية فيه ، رغم ان هذه الحركة سبقت موعد الفيلسـوف ميل بحوالى عقدين من الزمان ٠

ومع ان الفيلسوف قد عنى عناية كبيرة بنظام الحكم الا ان هـذه العناية لا تلغى دور الحركة التاريخية فى وضع مبدأ حرمان المواطن الفقير من الاشتراك فى الاقتراع العام والترشيح لعضـوية المجالس التشريعية ٠

ويرى الفيلسوف ميل ـ كما ذكر الدكتوران غالى وخيرى ـ ان من المهم ان تكون الهيئة التى تقر الضرائب مشكلة بواسـطة المواطنين الذين يقع عليهم عبء هذه الضرائب ، لان الذى لا يدفع ضريبة يميل فى الغالب الى التبذير فى المصروفات العامة ، ويقول أنصـار هذا الشرط ان من لا يدفع الضرائب لا يهتم عادة بالشؤون العامة ، كما انه يسهل التأثير عليه فضلا عن ان الثروة دليل على الكفاية ، كما انها تمكن الشخص من الحصول على قسط من التعليم ٠

وبالرغم من ان بعض الدول قد الغت مـن شروط الاشتراك فى الاقتراع العام شرط الملكية الخاصة فى القرن التاسع عشر فان بعضها مثل انجلتـرا لم تلغه الا فى عام 1918 م ، كما ان بعض الدول قد اقرت هذا الشرط فى عام 1956 م كما ذكر الدكتور محمد كامل ليلة فى كتابه « النظم السياسية » ٠

ولكن أكثر الدول ما زالت تحتفظ بشرط الملكية الخاصـة فى الترشـيح للمجالس التشريعية ، والدول التى لا تخصص مكافآت لاعضاء هذه المجالس تعد شرط الملكية واجبا من الناحية العملية ،

وان لم يكن واجبا من الناحية القانونية ، كما جاء فى كتاب المدخل فى علم السياسة ولان اعلان حقوق الانسان الذى صدر فى عام 1789 يعتبر فى رأى اكثر المفكرين الغربيين وغير الغربيين رمزا لآمال الانسان فى الحرية والمساواة وسيادة القانون ومنطلقا لكل وثائق الحرية فى العالم ، فاننا سنلقى بعض الضوء على تقييمه للمساواة وتحديده لابعادها ليظهر مدى البون الشاسع بينه وبين تقييم الاسلام السامى للمساواة ، وهو التقييم المجرد من كل ألوان الاستثناء والتمييز ٠

ونود ان نشير الى ان اعلان حقوق الانسان لا يمثل آراء الجيل الذى أعلنه فحسب ، بل انه يمثل ــ كما قرر بعض الباحثين ــ آراء ثلاثة من أشهر فلاسفة الحكم والسياسة فى أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وهم الفيلسوف الانجليزى جون لوك ، والفيلسوفان الفرنسيان شارل مونتيسكيو وجان جاك روسو ، ولكى ندرك تمثيل اعلان حقوق الانسان لآراء هؤلاء الفلاسفة ، يكفى ان نعرف ان البيان تضمن بعض الجمل التى نقلت حرفيا من كتاب العقد الاجتماعى لروسو ٠

وان تمثيل البيان لآراء هؤلاء الفلاسفة يجعله رمزا لاسمى ما وصل اليه الفكر الغربى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وليس مجرد اعلان سياسى مرتجل ، وبالتالى يجعل المقارنة بين احكامه وأحكام الاسلام عن المساواة ذات موضوع جدير بالبحث والتحليل ، وخليق بان يكون مصدر ادانة للعالم المناقض للاسلام ٠

ونود ان نعترف ان المادة الاولى من اعلان حقوق الانسان قررت ان الناس يولدون ويظلون احرارا متساوين فى الحقوق ولكن المادة الثانية التى أوضحت هذه الحقوق لم تذكر المساواة ضمنها ، وحين صدر اعلان عام 1793 م ــ الذى يعتبر أرقى من سابقه ــ وضع المساواة قبل الحرية فى مادته الثانية وقرر فى مادته الثالثة ان جميع الناس متساوون بالطبيعة ولدى القانون ٠ ولكن الاعلان الذى صدر فى عام 1795 م أعاد المساواة الى مكانها الاول فى اعلان عام 1789 بعد الحرية ولم يذكر ان الناس متساوون بطبيعتهم وفى كل الحقوق ، وانما

ذكر المساواة لدى القانون ، ولقد عبر احد زعماء الحركة التاريخية التي اصدرت اعلان حقوق الانسان والاعلانات التابعة له ، وهو بواسى دانفلا فى تقريره فى 5 يونيه 1795 م عن رأى زعماء الحركة فى المساواة بقوله : المساواة المطلقة وهم .

ويتجلى عدم ايمان هؤلاء الزعماء بالمساواة فى حرمانهم لبعض الطوائف الدينية من التمتع بحرية العبادة كالبروتستانت الذين لم تمنح لهم هذه الحرية الا فى عام 1791 م .

كما يتجلى رفض هؤلاء الزعماء للمساواة في القرار الذى اصدرته الجمعية التأسيسية فى عام 1791 م بحرمان جميع الملونين من حقوق المواطن .

وقبل ذلك كله ، اصدرت الجمعية التأسيسية قانونا فى ديسمبر 1789 م جعل للاغنياء وحدهم حق الترشيح للجمعية التشريعية ، كما جعل لدافعى الحد الادنى من الضرائب الحق فى الاشتراك فى الاقتراع العام ، أما الفقراء الذين وصفهم هذا القانون بالمواطنين السلبيين فقد حرمهم من هذين الحقين .

وبالرغم من ان بعض اعضاء الجمعية التأسيسية قد عارض مشروع هذا القانون فان الاغلبية المطلقة من الاعضاء وافقت عليه ومن الغريب ان احد أهدافه لا يزال حتى اليوم يحظى بتأييد اكثر القوانين الوضعية وهو حرمان الفقراء من الاشتراك فى الجمعيات التشريعية .

ان الشريعة الاسلامية هى الشريعة الوحيدة التى تحقق المساواة الحقيقية بين الناس جميعا بحيث لا تفرق – فى مجال القضاء – بين رئيس الدولة وأى مواطن ، فى الوقت الذى تميز فيه القوانين الوضعية كلها الاغنياء عن الفقراء ، وذوى النفوذ عن المواطنين الآخرين .

وليس من شك فى ان هذا التمييز الذى يتناقض مع العدالة الحقة يمثل دليلا من أقوى الادلة على ان الشريعة الخالدة صالحة لهذا العصر أكثر من أى قانون وضعى ، لانها تحقق للانسانية المثل الاعلى فى المساواة .

وليس من شك أيضا فى انإحتفاظ القوانين الوضعية بهذا التمييز الذى لا يتفق مع مبدا المساواة رغم اعتراف حقوق الانسان فى عام 1789 م واصرار الشعوب على تحقيق المساواة ، يدل على ان القوانين تمثل .... ‹بقية الفقرة غير واضحة فى النص ، فمعذرة ›.

ويدل ـ فى الوقت نفسه ـ على ان القوانين الوضعية لا يمكن ان تصل الى المستوى المثالى الذى ترتفع اليه الشريعة ، لان العقل الذى يضع القانون محدود الادراك اولا ، ويخضع لمؤثرات مختلفة تحول بينه وبين التجرد المطلق للحق وحده ثانيا ، ولان أفضل قواعد المجتمع التى تتلاءم مع طبيعة الامم تتطلب ـ كما يقول الفيلسوف جان جاك روسو فى كتابه « العقد الاجتماعى ـ الها يمنح البشر قوانينه » •

ولقد حاول الانسان ـ فى اكثر أمم الارض ـ ان يرتفع بقوانينه الى مستوى الكمال ، ولكنه ـ وبعد محاولات استمرت ما يقرب من ثلاثة قرون ـ انتهى الى اقرار التمييز بين المواطن والمواطن فى الدولة الواحدة حتى فى مجال القضاء الذى يجب ان تذوب فيه كل ألوان التمييز •

ومن المؤكد ان القوانين الوضعية ستظل تحتفظ بهذا التمييز بين المواطنين لانها من وضع الانسان الذى لا يستطيع ان يتخلى عن الانانية ، التى تدفعه الى رفض المساواة مع غيره ، الا بدافع الايمان وسلطانه •

وسيظل الانسان الذى يحتكم الى القوانين يخضع لاحكامها التى لا تكتفى بالتمييز بين رؤساء الدول ومواطنيهم ، بل بتمييز الاغنياء عن الفقراء ، وذوى النفوذ على غيرهم من المواطنين •

وسيظل المسلم الذى يحتكم للشريعة الاسلامية هو الانسان الوحيد الذى لا يخضع لاى تمييز لان الشريعة الخالدة تحقق المساواة الحقيقية بين الحاكمين والمحكومين والاغنياء والفقراء ، لا سيما فى مجال القضاء •

وان التاريخ الاسلامى ، يؤكد بواقعه المشرق ان المجتمع الاسلامى لم يعرف التمييز بين المواطنين فى مجال القضاء حتى فى فترات التخلف والضعف ، فقد بقيت احكام الشريعة الخالدة تحقق المساواة بين المسلمين عبر تاريخهم كله ، دون ان يطرأ عليها اى تحريف •

وعلى الرغم من ان المرحلةالاولى فى تاريخنا الزاخر بالامجاد ـ وهى عصر النبوة والخلافة الراشـــدة ـ تكاد تخفى المراحل المضيئة فى تاريخنا بما فى عصر النبوة والخلافة الراشدة من اشراق لا تظهر معه أضواء المراحل الاخرى .. على الرغم من ذلك فان فى كل مرحلة من مراحل تاريخنا ادلة لا حصر لها على انامتنا الاسلامية لم تفقد حقوقها الخالدة فى المساواة الحقيقية بين افرادها لا سيما اقسام القضاء .

وستظل الشريعة على امتداد المستقبل كله مصدرا لاسمى قواعد المساواة بين البشر برغم كل الظروف .

ومن المؤكد ان الشريعة الخالـدة ، ســتظل ـ رغم كل ما تحققه القوانين من تطور ـ المثل الاعلى للعدالة على امتداد المســتقبل كله ، لانها تحقق للانسان اسمى آماله الخيرة فى كل مجــال من مجالات الحيـــاة .

وهى حقيقة اعترف بها المنصفون من العلماء الغربيين ومنهم المؤرخ الكبير ادوارد جيبون صاحب الكتاب المعروف « تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها » الذى قال ما نصه :

« ان الشريعة الاسلامية تشمل الناس جميعا فى احكامها من اعظم ملك الى اقل انسان ، وهى شريعة لا يوجد لها مثيل فى العالم » .

الحقيقة العاشرة

ان مما يؤكد ان الشريعة الاسلامية صالحة لهذا العصر اكثر من أى قانون وضعى ، ان القوانين الوضعية قد ألغت بعض احكامها ـ تحت ضغط التجارب المريرة التى اثبتت فشلها وعدم قدرتها على مواجهة تحديات التطور الانسانى واخذت بأحكام الشريعة الخالدة بدلا عنها ، كما اخذت احكاما شرعية لم يكن فى القوانين ما يماثلها .

وهذه الحقيقة بجانب تأكيدها بان الشريعة الخالدة صالحة لهـــذا العصر اكثـــر من أى قانون وضـــعى تؤكد انها قادرة على مواجهة تحديات التطور فى أى عصر ، لان احكامها ظلت صالحة لهـذا العصر على الرغم من ان كثيرا من الاحكام القانونية التى وضعت قبل قرن ،

او عقد من الزمان لم تعد صالحة لمواجهة تحـــديات التطور فى هذا العصر ·

ومن احكام الشريعة الخالدة التى اخذت بها بعض القوانين الوضعية بدلا من احكامها التى اثبتت التجارب المريرة فشــلها او التى يدعو المفكرون الى الاخذ بها الاحكام الآتية :

أولا : اباحة الطلاق ، يقول الاستاذ عبد القادر عودة فى الجزء الاول من كتابه « التشريع الجنائى الاسلامى » مقارنا بالقانون الوضعى ما يـأتى :

« واذا كانت الشريعة الاسلامية قد قررت حق الطلاق للزوجين من أربعة عشر قرنا واحاطته بالضمانات القـــوية العادلة ، فان العالم المتحضر لم يعرف هذا الحق ولم يعترف به الا فى القرن العشرين بل كان البعض يأخذون على الشريعة الاســـلامية انها جاءت مقررة لحق الطلاق ثم دار الزمن دورته وجاء عصر العلوم والـــرقى فرأى العلماء والمفكرون ان تقرير حق الطلاق نعمة ·

ولا يكاد اليـــوم يخلو قانون وضعى من قوانين الامم المتحضرة من النص على الطلاق والاعتـــراف به ، فالقـــانون الروسى يبيح الطلاق للرجل والمرأة دون قيد او شرط وقوانين بعض الولايات المتحـــدة الامريكية يتيح للرجل وللمرأة معا هذا الحق ـ التشريع الجنـــائى الاسلامى ج I ص 48/49 ـ ·

وهكذا بدأ العالم ـ بعد اربعة عشر قرنا ـ يعترف بنظرية الشريعة الاسلامية ويأخذ بها وقد لا يمضى القرن العشرون حتى تتوســـع القوانين الوضعية فى اباحة الطلاق وتطبيق نظرية الشريعة الاسلامية بحذافيرها » ·

ومن المعروف ان السلطة التشريعية فى ايطاليا صادقت أخيرا على قانون يتفق ـ من حيث المبدأ ـ مع احكام الشريعة الخالدة فى هـــذا الموضوع ، كما ان بريطانيا أصدرت فى عام 1969 م قانونا يســـمح بالطلاق على أساس التفاهم بين الطرفين ، وهو اقرار بحاجة المجتمع لمبدأ اباحة الطلاق ·

وفي ضوء هذه الحقيقة التى نؤكد ان احكام الشريعة الخالدة قادرة على مواجهة تحديات التطور الانسانى ، فى الوقت الذى عجزت فيه القوانين الوضعية عن مواجهتها ٠

ثانيا : تحريم الخمر ، يدعو الكثيرون من القانونيين والمفكرين فى الغرب والشرق غير المسلم ، الى الاخذ بحكم الشريعة الخالدة فى تحريم الخمر ٠

ولقد دعت الشريعة الاسلامية العالم الى ترك الخمر وحرمتها على الناس منذ القرن السابع الميلادى ولكن لم يستجب لهذه الدعوة الا البلاد الاسلامية ، أما ما عداها من البلاد فقد بقيت تحت سلطان الخمر حتى أثبت العلم المادى أخيرا ان الخمر مفسدة عظمى ، هنالك بدأت الدعوة لتحريم الخمر تظهر وتنتشر ، وقد نجحت بحيث يمكن ان يقال : ان الدعوة لتحريم الخمر اصبحت اليوم عامه ٠

ويستطيع الانسان ان يرى اثر الدعوة الى تحريم الخمر ظاهرا فى التشريعات التى صدرت فى القرن الحالى،فالولايات المتحدة اصدرت من عدة سنين قانونا يحرم الخمر تحريما تاما والهند اصدرت قانونا مماثلا ، أما أكثر الدول فقد استجابت للدعوة استجابة جزئية فحرمت الخمر فى الاماكن العامة ، فى أوقات معينة ، كما حرمت تقديمها أو بيعها لمن لم يبلغوا سن الرشد ، كما ذكر ذلك الاستاذ عبد القادر عودة فى كتابه « التشريع الجنائى الاسلامى » مقارنا بالقانون الوضعى — الجزء الاول ص 5I — ٠

ونستطيع ان ندرك مدى اكبار المفكرين الغربيين لحكم الاسلام فى تحريم الخمر حين نتأمل رأى المؤرخ العالمى ارنولد توينبى فى خطرها العظيم على الانسانية ، وعجز القوانين الوضعية عن تحرير الانسان من سلطانها ، وقدرة روح الاسلام على انجاز ما عجزت القوانين عن انجازه ٠

يقول المؤرخ الكبير ما نصه :

« هناك مصدران ظاهران من مصادر الخطر الاول نفسى والثانى مادى ، ومصدر الخطر التمييز العنصرى والخمر ٠

وفى مجال الصراع عند هذين الشرين نجد للفكر الاسلامى دورا يؤديه ويبرهن فيه عن قيم اجتماعية واخلاقيــة سـامية ، والذى أتصوره ان روح الاسلام ستكون التعزيز المناسب الذى سيقرر مصير هذه المعركة لمصلحة التسامح والسلام ٠

أما شرب الخمر ـ وما زلنا ننقل رأى المؤرخ الكبير توينبى ـ فهو الآن فى اوجه ، ورغما عن ان قسما من الرأى العام الغربى المتنور قد وعى هذا الشر واتعب نفسه فى مكافحته فان نتائج تلك المكافحة لم تتعد نطاقا ضيقا جدا ٠٠ وفى هذه المنطقة يمكن للاسلام ان يلعب دوره فى هذا الموضوع ، ومن المنتظر ان تظهر روح الاســلام بعدة أوجه عملية وقد تكون احدى هذه الاوجه تحررهم من شرب الخمــر وبذلك تكون قد استطاعت ما لم تستطع القوانين الغربية انجازه »، محاضرة توينبى « الاسلام والغرب والمســتقبل » ترجمة د ٠ نبيل صبحى ٠

ولا يدع هذا الايضاح الدافع الذى قدمه المؤرخ الكبير عن خطر الخمر وقدرة الشريعة الاسلامية على انجاز ما عجزت القوانين الوضعية عن إنجازه فى حماية الانسان منه ٠٠ لا يدع هــذا الايضاح الرائع مجالا لأى تعليق ٠

ثالثا : الدعوة لاباحة تعدد الزوجات : ان موقف العقائد الدينية وبعض الفلاسفة الغربيين من اباحة تعدد الزوجات يؤيد حكم الاسلام فيه رغم ان القوانين الوضعية لم تقره حتى الآن ٠

وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه « المــرأة بين الفقه والقانون » ان الاسلام لم يكن أول من شرع تعدد الزوجات بل كان موجودا فى الامم القديمة كلها تقريبا ، كما ان اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ، ولم يرد فى المسيحية نص صريح يمنع التعدد ، فقد قال العالم الثقة وستر مارك ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى الى القرن السابع عشر ، بل ذهبت بعض الطوائف المســيحية الى ايجاب تعدد الزوجات ، ويعتبر المورمون ـ كما هو معلوم ـ تعدد الزوجات نظاما الهيا مقدسا ٠

وقد حدث ان مؤتمرا للشباب العالمى عقد فى ميونيخ عام 1948 م وكانت من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة النساء فى المانيا اضــعافا

مضاعفة بعد الحرب عن عدد الرجال ، وأقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة باباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة •

وفي عام 1949 م تقدم اهالي بون بطلب الى السلطات المختصة يطلبون فيه ان ينص في الدستور الالماني على اباحة تعدد الزوجات ، وقد نشرت الصحف في عام 1959 م ان الحكومة الالمانية ارسلت الى شيخ الازهر تطلب منه نظام تعدد الزوجات لانها تفكر في الاستفادة منه لحل مشكلة زيادة النساء ، ثم اتبع ذلك وصول وفد من علماء الالمان اتصلوا بشيخ الازهر لهذه الغاية •

ثم ان المفكرين الغربيين الاحرار اثنوا على تعدد الزوجات وبخاصة عند المسلمين ، فقد عرض جروتيوس العالم القانوني المشهور لموضوع تعدد الزوجات فاستصوب شريعة الانبياء في العهد القديم •

وقال الفيلسوف الالماني شوبنهور : « اذا رجعنا الى اصول الاشياء لا نجد ثمة سببا يمنع الرجل من النزوج بثانية » •

وتحدث المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » عن تعدد الزوجات عند المسلمين فقال : « ان مبدأ تعدد الزوجات نظام طيب يرفع المستوى الاخلاقي في الامم التي تقول به ، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا نراهما في أوروبا •

ويرى الدكتور ليبون ان القوانين الاوروبية سوف تجيز التعدد ، وبرغم مخالفة الفيلسوف الانجليزي سبينسر لتعدد الزوجات ، فانه يراه ضرورة للامة التي بفنى رجالها في الحروب « المرأة بين الفقه والقانون » •

وان هذا الموقف الحديث من حكم الاسلام في نعدد الزوجات يمثل جانبا من جوانب صلاحية الشريعة لهذا العصر وحاجة الانسانية اليها •

رابعا : بداية تحطم التحدي الشيوعي لمبدإ الملكية الخاصة في الاسلام • كانت اشتراكية كارل ماركس التي لا تعترف بمبدإ الملكية الخاصة تمثل — في نظر كثير من مؤيديها — تحديا قويا للاسلام

ومبادئه الخالدة ومنها مبدأ الملكية الخاصـــة الذى يعتبره من حقوق الفرد التى يحتم على الدولة حمايتها ٠

ولكن الاشتراكية الماركسية فقدت هذا التحدى المزعوم للاســلام واضطر المسؤولون فى الاتحاد السوفياتى نفســـه الى التراجع عن الموقف الماركسى من الملكية الخاصة تحت ضغوط تجاربهم المريرة التى انتهت الى الفشل الذريع فى ايجاد حافز بديل للانســـــان للعمل والانتاج يحل محل نزعته الى الملكية الخاصة ٠

وكانت نتائج هذا التراجع تعديل دستور الاتحاد الســــوفياتى واضافة المادتين 7 و 10 اليه ونصهما كما يأتى :

مادة 7 : لكل عائلة من عائلات المزارع التعاونية ـ بالاضافة الى دخلها الاساسى الذى تكونه من اقتصاد المزرعة التعاونية ـ ان تملك قطعة أرض خاصة بها ملحق بها سكن تملكه العائلة وماشية منتجـة وطيور كملكية خاصة بها ٠

مادة 10 : ان حق الملكية الشخصية للمواطنين فى دخلهم وتوفيرهم الناجمين عن عملهم ، وكذلك حقهم فى الارث مصون بموجب القانون٠

والى جانب ذلك سمح القانون السوفياتى بتقدير الاثمان للسلع الكمالية ، وأقر تفاوت الاجور وأحوال المعيشة ووضعت الســـلطة المركزية أجورا للتعليم العالى بحيث اصبح وقفا على ابناء الطبقة ذات الدخل المرتفع من كبار الموظفين والفنانين ٠

وفى ضوء نتـــائج المقارنة بين انتاج الملكيات الخاصـــة والعامة «اتضـــح للمسؤولين السوفيات ان نسبة الاراضى المملوكة للفلاحين تبلغ 3٪ (ثلاثة بالمائة) بالنسبة لاراضى الدولة ، ومع ذلك انتجت اكثر من 50٪ من انتاج البطاطا فى الاتحاد السوفياتى كله ٠

ولذلك ألغيت حدود الملكية الخاصـــــــة فى جمهوريتى اوكرانيا وايستونية كما اعلنت ذلك وكالة تاس الســـوفياتية فى 6 اكتوبر 1964 م ، ويقول اليكسى كوسيغين : ان السبب الوحيـــــد لتدهور الانتاج الزراعى يعود الى فقدان المصلحة الخاصة بالفلاح» التشريع الاسلامى وحاجتنا اليه تأليف محمد الصباغ ص 9 ـ ٠

وان بداية انحسار التحدى الشيوعى لمبدإ من مبـــادىء الشريعة الخالدة يدل على صلاحية مبادئها لهذا العصر •

وهنا نود ان نشير الى ان الاسلام الذى لا يقر مبادىء الشيوعية ، يرفض فى الوقت نفسه مبادىء الرأسمالية :اذ ان مبادئه الخالدة تمثل الحق الذى ضل عنه انصار المذهبين •

الحقيقة الحادية عشرة

يقول الاستاذ وحيد الدين خان فى كتابه القيم «الاسلام يتحدى» : « من الحقائق المعروفة لرجال القانون ان جميع الدساتير الرائجة فى هذا العصر تفقد اية اسس علمية او نظرية تجيـــز بقاءها ويرى الاستاذ « فولر » « ان القانون لم يكشف عن نفسه بعد » وفولر هذا هو الذى وضع كتابا اسماه « القانون يبحث عن نفسه » •

وقد وضعت كتب لا حصر لها حول هذا الموضوع بالذات ، وبذلت عقول جبارة من علمائنا اوقاتها فى سبيل البحث عن مقومات القانون، وكما يرى محرر « موسوعة تشامبرز » : « لقد اعطى القانون اهمية علم هام حتى رفع من شأنه الى اقصى الحدود « ولكن هـذه الجهود لم توفق فى الحصول على صورة متفق عليها من القانون . وقد تشـعبت بهم السبل حتى قال خبير فى التشريع : « لو طلبت من عشرة خبـراء ان يعرفوا القانون فعليك ان تستعد لسماع احد عشر جوابا » •

وأما السبب فى هذا الاختلاف بين خبراء التشريع فهو عدم توصلهم الى أساس صحيح يمكن اقامة صرح التشريع عليه •

ويعبر الاستاذ « و• فريدمان » عن هذه المشكلة بقوله :

« وانها لحقيقة ، ان الحضارة الغربية لم تجد حلا لهذه المشكلة غير ان تنزلق من وقت لآخر من نهاية الى نهاية أخرى » •

وقد لاحظ « جون استين » ان الدستور ــ أى دستور ــ لا يصبح نافذ المفعول الا اذا كانت تسنده قوة من ورائه ، وأصـبح التشريع بناء على ذلك « مرسوما لصاحب السيادة » ولذلك شن المحدقون من العلماء حملة شديدة على هـــذه الفكرة ، وقالوا : انه لا يمكن منع انحرافات الحكام الا اذا كان رضا الشعب العام وعامة اساســية

للتشريع ، وأنكروا أى قانون أو دستور لا يحرز رضا الجماهير،وترتب على ذلك ان ضوابط كثيرة يجمع على صحتها وافادتها اهــل العلم ومعلمى الاخلاق ــ لا يمكن تنفيذها لأن الشعب لا يوافق عليها وعلى سبيل المثال : لم يتمكن الامريكيون من ادخال مشروع قرار يحـرم الخمر ، لان الشعب لم يرض عنه ، كما اضطر البريطانيون الى ادخال تعديلات هامة فى قانون عقوبة القتل ، واضطروا الى اباحـــة انواع محرمة من العلاقات الجنسية على الرغم من ضجيج المثقفين واحتجـاج علماء القانون » انتهى النص •

كيف يمكن بعد هـــــذا كله ان يكون القانون الوضعى بديلا عن شريعة الله التى رضيها لخلقه ؟!•

الحقيقة الثانية عشرة

يقول الفيلسوف الامريكى تشارلز بيرس : « لكى تجد معنى للفكرة ينبغى ان نفحص النتائج العلمية الناجمة عن هـذه الفكرة اذ بدون هذا فان النزاع حول معنى الفـــكرة لا ينتهى ولا يؤدى الى فائدة » ــ قصة الفلسفة ص 618 تأليف ول ديورانت ــ •

وعن هذا القول انطلق الفيلسوف الامريكى وليم جيمس فوضع أسس المذهب العملى « البراجماتزم » الـــذى يعتبر ان الحقيقة هى القيمة الفورية للفكرة ، فعوضا عن التساؤل عن مصـــدر الفكرة او مقدماتها فان المذهب العملى يفحص نتائجها ليحول الفكر الى العمل والمستقبل » •

وفى ضوء هذا المذهب ــ الذى يمثل لونا من ألوان المنطق الغربى سنرى ــ فى لمحات من التطبيق العملى لشريعة الاسلامية فى المجتمع الاسلامى القديم ، مدى ما حققه من نجاح ، كما نرى الفشـــل الذى انتهى اليه تطبيق القوانين الغربية فى عالمها الحديث •

ونبدأ فى ــ استعراض لمحات عن نجاح شريعتنا الخالدة ــ بلمحة عن مستوى حياة المسلمين المادية والاخلاقية :

يقول جوستاف جزدنيام فى كتابه « حضارة الاسلام » ــ ص 80/ 81 ــ :

« ان المعاصرين لتلك الحضارة لم يكونوا وحسب مدركين لما عليه العيش فى العالم الاسلامى من مستوى رفيع وتفوقه المادى على وجه العموم بل ان اولئك الذين احتكوا بالفكر الغربى وأدب السلوك كانوا كثيرا ما يحيون ازاءهما باعجاب لا يستطيعون له ردا،وكثيرا ما كانوا يجدون أنفسهم يحاكون المسلمين فى طرائقهم » .

وقد نقل المؤرخ فودا بخسن فى كتابه (حضارة الاسلام) اعترافا للراهب نيكلروس الذى عاش سبع سنوات فى العالم الاسلامى خلال القرن الرابع عشر الميلادى ابدى فيه اعجابه بحب المسلمين للاحسان وانتشار المؤسسات الخيرية واثنى على نظام الزكاة وابدى اعجابه باغنياء المسلمين الذين يوقفون بعض املاكهم لاعمال الخير ويفكون اسرى المجاهدين المسلمين » .

وقد صور الامام الشاطبى جانبا من السلوك الاخلاقى الرفيع لامتنا فى كتابه القيم « الموافقات » بقوله :

« وتجدهم فى الاجارات والتجارات لا يأخذون الا بأقل ما يكون من الربح والاجرة ، ولذلك بالغوا فى التضحية فوق ما يلزمهم بل كانوا يرون المحاباة لانفسهم ـ وان جازت ـ كالعيش لغيرهم ومنهم من يكتسب الشيء فيكون فيه وكيلا على التفرقة على خلق الله بحسب ما قدر ولا يدخر لنفسه شيئا » .

وفى مجال معاملة المسلمين للاقليات غير المسلمة .

أكد باروتولد فى كتابه « الحضارة الاسلامية » ان النصارى كانوا أحسن حالا تحت حكم المسلمين اذ ان المسلمين اتبعوا فى معاملاتهم المدنية والاقتصادية مبدأ الرعاية والتساهل .

ونجد مثل هذا التأكيد لدى السير توماس ارنولد فى كتابه « الدعوة الى الاسلام » والمستشرق جولد تسيهر وغيرهما.

ولم تكن المبادىء الاسلامية ـ فى المجتمع الذى سادته شريعة الاسلام مبادىء خداع او خيال غير قابل للتطبيق .

يقول ول ديورانت فى كتابه « قصة الحضارة » :

« ويلوح لى ان الثغرة التى لابد من وجودها بين النظريات المجردة والافعال الواقعية كانت اضيق فى الاسلام منها فى سائر الاديان » ـ ج 2 مجلد 4 ص 67 ـ .

اما معاملة العمال فى المجتمع الاســـلامى القـــديم فيقول عنها الاقتصادى الفرنسى الكبير لوبليه ما يأتى :

« لقد صان المسلمون انفسهم عن مثل اخطاء الغرب فيـــما يمس رفاهية العمال ، وليس من المبالغة فى شىء القول بان ذلك الشـــعب الذى يزعم الاوروبيون انهم يرغبون فى اصلاحه هو فى الحقيقة خير مثال يقتدون به » ـ العدالة الاجتماعية عنـــد العرب » ث. ابراهيم حداد ص 98 ـ .

ويؤكد هذه الحقيقة ول ديورانت فى « قصة الحضارة » :

« ولم يبلغ استغلال العمال فى بلاد آسيا الاسلامية من القســـوة ما بلغه فى البلاد الوثنية او المسيحية حيث كان الفلاح يكدح طوال النهار ولا يكسب الا ما يكفى للحصول على طعام لا يكاد يقيم اوده » ـ ج 2 مجلد 4 ص 113 ـ .

ومن المعروف لدى الجميع ان مبادىء الشريعة الخـــالدة هى التى صانت المجتمع الاسلامى والمجتمعات التى حكمها الاسلام من الاقطاع وفوارق الطبقات ، وحمت حقوق الافراد من الطغيان باحكامها الخالدة التى لا تقبل التغيير وبما للقضاء من حرية وحرمة حتى فى عصـــور التخلف والضعف .

وحسبنا ان نذكر هنا ان الملك قسطن والملك الظاهر بيبرس وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين قد رجعوا الى العلماء المعاصرين لهم ومنهم الندوى والعز بن عبد السلام وابى الوليد الباجى حين أرادوا فرض جزية على المسلمين لاعداد الجيوش لمقاتلة التتر والصـــليبيين ووقف العلماء يحمون مصالح المسلمين ـ لان هؤلاء الحكام لم يثبتوا عجـــز بيوت أموال المسلمين عن اداء هذا الواجب عجزا حقيقيا .

والحاكم الذى لا يجرؤ على اخذ قسط من المال باسم الجهاد لا يجرؤ حتما على أخذه بأى مبرر آخر ونستطيع ان نرى الفشل الذى انتهى

اليه التطبيق العملى للقوانين الوضعية فى العالم الغربى الحديث فى الحقائق الآتيـــة :

أولا : ان القوانين الوضـــعية ــ التى يعتقد بعض المثقفين غير الاسلاميين انها أكثر سلامة للحياة الحديثة من الشريعة الخالدة ــ ان هذه القوانين هى التى فشلت فى تحقيق آمال الانسان فى السـلام والاستقرار النفسى ، كما فشلت فى القضاء على احساسه بالقلـــق والضياع والتعاسة ، بسبب ضعف الوازع الدينى وانحلال الاسرة ، وانحطاط الاخلاق ، وهى العوامل الهدامة التى اوجدها تجـــريد القوانين من كل الاصول والفواعد الدينية والاخلاقية ، وأدى فشـل القوانين ــ فى هذا المجال ــ الى اتجاه الحضارة الغربية نحو السقوط برغم الانجازات المادية العظيمة التى تحققها فى كل يوم ٠

ثانيا : لقد بدأ بعض المفكرين الغربيين ــ منذ الحرب العالمية الاولى على الاقل ــ فى تنبيه الغرب الى المصير الذى ينتظر حضارته ،والخطر الذى يهددها بالزوال ٠

ولعل الفيلسوف الالمانى شبنجلر هو أول من أكد ان الحضـــارة الغربية سائرة لا محالة للانحلال وانتهاء الحضارات أمر معترف به من حيث المبـدأ ٠

وفى عام 1955 م اصدر لوسيان دوبليسى كتابه « روح الحضارات » وقد لخص الاستاذ عبد اللطيف شرارة نتائج أبحاث هـــذا الكتاب بقوله : وعندما يصل لوسيان الى خاتمة كتابه يستعرض الامم والدول ليرى أيتها تصلح لانقاذ الحضارة المتداعية فيجد ان المجتمع السوفياتى ليس بداية ولكنه نهاية اما الولايات المتحدة فانها ذات مجتـــمع لا ينبثق فيه تصنيف الناس الا على اساس الدخل المادى ، وليس فيه تماسك متين للاسرة وكذلك هو شأن غيرها من الدول ٠

وأخيرا ٠٠ يتساءل دوبليسى هل لنا ان نترقب انبعاث الاسلام ؟ ومع انه أكد ان الامة الاسلامية ان تستعيد استقلالها ووحدتها فقد جعل المستوى السياسى هو الحد الاعلى الذى يبلغه الاسلام والمهم فى بحثه الاعتراف بان حضارة الغرب سائرة للانحلال ٠

وفى الولايات المتحدة اصدر الدكتـــور الكسيس كارليل كتابا بعنوان « الانسان ذلك المجهول » وقد نقل منه العلامة سيـد قطب رحمه الله فقرات طوالا فى كتابه « المستقبل لهذا الدين » ومنها هذه الفقرة : « اننا قوم تعساء لاننا ننحط اخلاقيا وعقليا ، ان الجماعات التى بلغت فيها الحضارة الصناعية اعظم نمو هى على وجه الدقة الامم الآخذة فى الضعف وتساءل كيف نستطيع ان نحـــول دون تدهور الانسان ؟

وقد قال الدكتور كارليل انه كتب كتابه لأولئك الذين يجدونمن أنفسهم شجاعة كافية ليدركوا ضرورة قلب الحضارة وظهـــور فكرة أخرى للتقدم الانسانى » ·

ونجد فى كتاب المســـتر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الاسبق الذى اصدره بعنوان « أحرب أم سلام » اعترافا يؤيد نظرية لوسيان دوبليسى اذ يقول :

« ان الامر لا يتعلق بالماديات ، فلدينا اعظم انتاج عالمى فى الاشياء المادية ، وان ما ينفعنا هو ايمان صحيح وبدونه يكون كل ما لدينـــا قليلا ، وفى بلادنا لا تجتذب نظمنا الاخلاص الروحى اللازم للدفاع عنها ، وهناك حيرة فى عقول الناس وتآكل فى أرواحهم » ·

ثالثا : كتب غاندى فى كتابه حضارتهم وخلاصنا يقول :

« لقد وصلت هذه الحضارة الى درجة لم يعد علينا سوى الانتظار بصبر لنراها تقضى على نفسها وتنهار » ·

وهناك كتاب وشعراء غربيون كثيرون يؤكدون ان الحضارة الغربية فى طريقها الى الانهيار ، ومن المؤكد ان القوانين السياسية والاجتماعية والجنائية هى مصدر الخطر الذى يقود الحضارة للانهيار لان مكاسبها المادية مكاسب بناءة بدون شك ·

الحقيقة الثالثة عشرة

لقد اكدنا ــ فى الحقيقة الاولى التى كانت منطلق هذا البحث ــ ان جميع القوانين الانسانية قد انبثقت عن العقيدة الدينية وارتبطت بها منذ اقدم العصور ارتباطا وثيقا حتى بداية العصر الحديث ·

ونود ان نؤكد بهذه الحقيقة التى نختتم بها بحثنا هذا ان الانسانية التى ضلت عن الصراط المستقيم الذى قادها الى الحق عبر عصور سابقة بدأت تبحث عن طريق العودة ٠

وبداية البحث عن طريق العودة الى الايمان كمنقذ للانسانية من متاهات المادية نجدها لدى بعض الفلاسفة ، كما نجدها لدى بعض القانونيين ٠

ويتجسد الاتجاه القانونى نحو العودة الى الايمان فى اتجاه الفقه المعاصر الى العودة الى المذهب التقليدى للقانون الطبيعى ٠

يقول الدكتور عبد الفتاح عبد الباقى فى كتابه « نظرية القانون »: « لا شك ان مذهب القانون الطبيعى ذى الحدود المتغيرة جاء تسليما بهزيمة فكرة القانون الطبيعى اكثر من مجيئه بعثا لها فأساس هذه الفكرة هو وجود قواعد عامة ابدية تصلح لكل وقت ولكل مكان ، فالقول بان ما يحويه القانون الطبيعى يتغير من بلد لآخر وفى البلد الواحد من زمان الى زمان متضمن فى ذاته انكارا لفكرة القانون الطبيعى نفسها ٠ ولذلك لم يتمكن انصار هذه الفكرة الحقيقيون الى مذهب القانون الطبيعى ذى الحدود المتغيرة ، ورأوا فيه رداءا خداعا ظاهره انه يطهر الفكرة من عيوبها ، وهو فى الحقيقة يخنقها ، وهكذا رأينا كثيرا من الفقهاء المعاصرين يقودون الى القانون الطبيعى فى شكله التقليدى ، وقد بدأت الحركة فى أوائل القرن الحالى ، ولا زال انصار هذا الرأى يتزايدون يوما بعد يوم ٠

وتقوم فكرة القانون الطبيعى على انه يشمل قواعد عامة ابدية لا تتغير بحسب الزمان أو المكان وعلى ان هذه القواعد تسمو فوق القانون الوضعى بحيث اذا خالفها الشرع فيما يسن من قوانين كانت قوانينه ظالمة ٠

والقانون الطبيعى ـ كما قال القانونى والفيلسوف الرومانى شيشرون ـ ينبثق من واقع حكم العناية الالهية ، وهو بهذا المعنى ـ لدى عدد من الفقهاء الغربيين ـ يعنى الشريعة الالهية فان القواعد العامة للبشر ، وحيث قد ثبت ان الدين سبق كل انواع القانون واوجدها واثر فيها فان القانون الطبيعى هو قانون من حيث المبدأ ٠

وقد نقل الاستاذ وحيد الدين خان فى كتابه « الاسلام يتحدى » عن البروفيسور (باتون) قوله : « لقد استخرج اصحاب نظرية القانون الطبيعى القديمة اسسهم من الحقائق الالهامية فى الدين » — ص 234 — .

ونجد تأكيدا للاتجاه القانونى نحو العودة الى الايمان فى قول الدكتور فرويدمان :

« يتضح بعد دراسة هذه الجهود المختلفة انه لابد من هداية الدين لتقييم المعيار الحقيقى للعدل والاساس الذى يحمله الدين لاعطاء المبدإ صورة عملية ينفرد هو به فى حقيقة وبساطة » — ص 235 — .

أما الاتجاه الفلسفى نحو العودة الى الايمان فى الغرب فنجده لدى عدد من الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين فى أوروبا وأمريكا ، ومما يدعو للدهشة والاعجاب ان بعضهم تجاوز التطلع للايمان ككل وتطلع للاسلام نفسه كمنقذ لاوروبا والعالم من مشكلات حضارة الغرب وجناياتها على الانسان .

وكان فى مقدمة العلماء الغربيين الذين امنوا بفشل الحضارة الغربية فى تحقيق المجتمع الافضل للانسان ، وتطلعوا للاسلام كبديل عنها ، الفيلسوف الالمانى اوزفلد شبنجلر الذى قال « ان الحضارة تغرب هنا لتشرق هناك ، وان حضارة جديدة اوشكت على الشروق فى أروع صورة هى حضارة الاسلام » .

وقد ذكر الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه « أوروبا والاسلام » انه كان مع احد العلماء الامريكيين فى زيارة للازهر ، وقد وجه العالم الامريكى سؤالا — الى لجنة الفتوى — قال فيه : ان الغرب الآن فى حالة روحية مضطربة ومن الممكن أن يتجه الى الاسلام فهل أعد الازهر او الهيئات الاسلامية برنامجا لتوجيه الغرب الى الاسلام ؟

ونقل الدكتور عبد الحليم عن اللورد هيدلى قوله فى كتابه « ايقاظ الغرب للاسلام » ما نصه :

« من عدة سنين خلت كان احد افكارى الرئيسية هو كيف يمكننا — نحن معشر الغربيين — ان نعد انفسنا لنفقه معنى الاسلام الحقيقى؟»

كما نقل المفكر الهندي المسلم محمد على فى كتابه « الاسلام والنظام العالمى الجديد » عن المستشرق المعروف جب قوله : « ولكن الاسلام ما زال فى قدرته ان يقدم للانسانية خدمة سامية جليلة ، فاذا ما وضعت منازعات الشرق والغرب موضع الدرس ، فلابد من الالتجاء للاسلام لحسم النزاع » ٠

وقد نقل احد الباحثين عن برنارد شو قوله : « ان أوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد وسيكون دين محمد هو النظام الذى يؤسس دعائم السلام ويستند على فلسفته فى حل المعضلات ، ويمكننى ان أؤكد ــ والقول ما زال لبرنارد شو ــ ان بوادر العصر الاسلامى الابدى قريبة لا محالة » ٠

وقد نقل الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه « الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان » عن سالمون ريناك قوله : « وليس امام الديانات مستقبل غير محدود فحسب ، بل لنا ان نكون على يقين من انه سيبقى شىء منها أبدا ذلك لانه سيبقى فى الكون دائما اسرار ومجاهيل ، ولان العلم لن يحقق أبدا مهمته على وجه الكمال »٠

كما نقل عن الفيلسوف الفرنسى ارنست رينان قوله : « ان من الممكن ان يضمحل كل شىء نحبه وان تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن ليستحيل ان ينمحى التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد ان يحصر الفكر الانسانى فى المضايق الدنيئة للحياة الارضية » ٠

ونقل عن الدكتور ماكس نوردوه قوله عن الشعور الدينى : « ستبقى الديانات ما بقيت الانسانية وستتطور بتطورها وستتجاوب دائما مع درجة الثقافة العقلية التى تبلغها الجماعة » ــ ص 89 ــ ٠

وقد أوضح البروفيسور اميل بربيه عضو المجمع الفرنسى واستاذ الشرف فى السربون فى كتابه « اتجاهات الفلسفة المعاصرة » ان الفلسفة الحديثة بدأت تبحث منذ بداية القرن الحالى عن توازن العقل الانسانى بين العلم والدين بحيث لا يضحى احدهما من أجل الآخر ٠

وفى ضوء هذه الحقائق ، وفى ضوء قواعد الشريعة التى تضمن لها التطور والصلاحية لكـــل عصر ، مثـل القياس والاستعجاب ومـــراعاة العـــرف ، وســد الـــذرائع والمصالح المرســلة والاستحسان التى لا يحتـــوى على مثلها اى قانـــون وضـــعى ٠

فى ضوء ذلك كله ، يجد الباحث عن الحق وحده ان الشريعة الخالدة أفضل من القوانين الوضعية ، وانها صالحة لهذا العصر ، وقادرة على مواجهة تحديات التطور فى كل عصر ، ذلك ان قواعدها العامة التى احتفظت بقيمتها التشريعية والحقوقية عبر اربعة عشر قرنا ، رغم كل تحديات التطور ودفعت القانونيين الغربيين الى الاعتراف بها كمصدر من مصادر التشريع العام ما زالت قادرة ـ وستظل قادرة دائما ـ على الاستجابة لمطالب الانسان على امتداد المستقبل كله ، بما فى حقائقها الخالدة من عوامل الكمال وامكانات الصلاح والبقاء فى كل زمـــان ومـــكان ٠

« ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعـض والله ولى المتقين » (الجاثية آية 18 و 19) ٠

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

واقع المسلمين اليوم

للأستاذ حسن القوتلي
مدير عام شؤون الإفتاء - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ان واقع المسلمين اليوم هو واقع متخلف ، ونحن نعلم أن معنى التخلف اليوم أصبح يتركز على التخلف فى مجال الحضارة المادية . الا أن الدين الاسلامى الذى لم تكن له مثل هذه النظرة الجزئية الى الحياة ، يحتم علينا ان ننظر الى واقع المسلمين اليوم بمنظار كلى جامع لنلاحظ ان هذا الواقع متخلف اليوم فى كلا المجالين معا ، مجال الحضارة المادية ، ومجال الحضارة الروحية ، أو مجال الحضارة الحقيقية فى مختلف أبعادها ومعانيها .

ونحن لسنا بحاجة ، فى هذا الموقف العابر ، الى التدليل على هذا

التخلف بالارقام والمقارنات ، ذلك ان قناعات المواطن العادى ، العربى والمسلم ، باتت وحدها تكفى للتدليل على هذا التخلف ٠

ان التخلف الصناعى ، والتخلف الزراعى ، والتخلف التقنى فى كل المجالات ، أصبحت كلها « معطيات سلبية » تنعكس على حياة المسلم والعربى اليومية فقرا وفوضى ٠

وان التخلف الروحى الاسلامى على صعيد العبادات والمعاملات وانظمة الحكم ، أدى بشكل عام الى انهيار الفرد ، وتصدع الجماعة ، وزعزعة الحكومات ، فانعكس ذلك كله على الحياة اليومية لدى المواطن العادى ، المسلم والعربى ، ضياعا وقلقا وأسى ٠

وليست هزيمة الخامس من حزيران ، وما تعانيه الامة حتى اليوم من جرائها ، الا برهانا قاطعا على هذا التخلف فى شتى أبعاده وصوره ٠

واذا كان واقع المسلمين اليوم واقعا متخلفا فمعنى ذلك ، فى رأينا ، أن لدى المسلمين اليوم ، فهما خاطئا لمنطلقات الحياة الاسلامية، أعنى لطبيعة الاسلام ، فى مصادره الاساسية ، هذا الاسلام ، الذى لم يتخلف من ذاته ولن يتخلف ، لانه المبدأ الذى بلغ الكمال ، وجمع القيم ، ووضع أسس الحضارات ، قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » ٠

وفى تحليلنا للواقع الاسلامى المتخلف ينبغى أن نلحظ أن هذا الواقع مبدأ ، وموضوعا ، ومنهجا ، وغاية ٠ أما المبدأ فهو الاسلام ، وهو مبدأ غير متخلف كما رأينا ، ولا يمكن ان يتخلف كما نؤمن ، فلابد اذن الا وأن يكون التخلف مصدره موضوع هذا الواقع الاسلامى، ومنهجه فى الحياة ، وغايته من الوجود ٠

أما موضوع هذا الواقع الاسلامى فهو الانسان المسلم ، أما غايته فهى فهم الانسان المسلم للغرض الابعد من الوجود ، وأما منهجه ، فهو الكعبة التى يتحرك بها الانسان المسلم فى عصرنا باتجاه الغاية التى فهمها عن الحياة ٠

ونحن في هذه الدقائق سنتناول جوانب التخلف الثلاثة من هذا الواقع ، أعني الموضوع الذى هو الانسان المسلم ، ثم المنهج ، ثم الغاية ، لنتبين جوانب التخلف وأسبابها ، التى أوقعت المسلمين فى ما هم واقعون فيه من تخلف وضياع ٠

ان هذه الصيغة المعقدة ، تتلخص في اعتقادنا ، في كونها أساسا ، أزمة علاقة بين المبدأ ، الذى هو الاسلام ، من ناحية ، وبين الموضوع والغاية والمنهج من ناحية أخرى ٠

وسوف أختصر فى تفصيل ذلك ، الا اننى أرجو المعذرة ، اذا اضطررت لاعطاء الامثلة المؤيدة مستمدة فى معظمها من هـذا اللقاء الاسلامى الكريم ، لسببين أولهما ان هذه الامثلة تبقى اكثر حضورا وبالتالى أكثر وضوحا ، وثانيهما سبب مبدئى يتصل بروح النقد الذاتى الصادق الذى التزم به الاخ الوزير السيد مولود قاسم أثناء ادارة جلسات هذا اللقاء ، فدعانا عن طريق القدوة الطيبة منذ اليوم الاول الى خلع قفازاتنا الملساء خارج هـذه القاعة ، والتخلى عن لغة الحفلات المخملية الى غير هذه المناسبة ٠

أقـول .

أما على صعيد الموضوع ، أعنى على صعيد الانسان المسلم ،فالملاحظة الحادة التى نستخلصها من حياتنا الاسلامية العامة ، أن هناك أزمة علاقة بين الفكر الاسلامى وموضوعه ٠ الفكر الاسلامى يتمثل بمصادر التشريع ، أما موضوع هـذا الفكر فهو يتمثل بالانسـان المسلم المعاصر ٠ والملاحظة التى أعنى ، أن هناك أزمـة واضحة بين الفكر الاسلامى الحضارى المتوارث ، وبين انسان العصر المسلم ٠

وان وجه هذه الازمة ، فى العلاقة بين الفكر والانسان ، ان هـذه العلاقة اليوم هى علاقة جزئية ٠ فالانسان المسلم المعاصر يمارس اليوم علاقة جزئية بتراثه واسلامه ، أقلها الاكتفاء بالشـهادتين ، وأكثرها لا يفى بالعرض ، ولا يصل الى الحد الادنى من المطلوب ٠

ومن مظاهر هذه الجزئية التى تختلف درجاتها لدى المسلمين ،حتى عند معظم المثقفين منهم ، تلك الثقافات الصنمية التى تتحكم بهم . فاما ثقافة مدنية غربية لا صـلة بينها وبين التراث ، واما ثقافة شرعية

وعربية تقليدية لا يتبين صاحبها الصـــلة بينها وبين روح العصر وحضارته ٠

لقد كان من نتيجة هذا ، الشلل النصفي الذى أصاب الانســان المسلم فيهذا العصر ،فأقعده عن الحركة ، وعطل عليه فريضة العمل٠

ان تراثنا يؤكد ، وان حضارتنا تؤكد ، أن الثقافات الشاملة التى تتخطى حدود النظرة الجزئية الى الحياة ، هى وحدها القادرة على صنع الحضارات ٠ ان صناع حضارتنا ، كانوا فى وقت واحد ، علماء دين وعلماء دنيا ، ويكفى ان نذكر منهم بالقليل ، كالغزالى ، وابن سينا ، والفارابى ، وابن الهيثم وابن جبير ٠

ولقد أدت هذه الجزئيه فى الثقافة العصرية لدى المسلمين ، الى ان يتيه معظم رجال الفكر الاسلامى عن موضوعاتهم ، فباتوا لا يعرفون ماذا يريدون ، فأضاعوا أهدافهم ، ومن أضاع هدفه ، فقد فى الوقت نفسه وسيلته اليه ، ومن فقد الوسيلة الى هدفه ، شـــلت حركته ، ووقع فى الشح والجمود ٠

ان آية ذلك فى حياتنا اليـــوم أن معظم الدعاة من رجال الفكر الاسلامى قد أضاعوا موضوعاتهم الحقيقية، وتوجهوا الى غيرها ٠ انهم اليوم يتوجهون بالدعوة الاسلامية الى من هم ليســـوا بحاجة لها ، فقصروا الدعوة على المساجد ، وراحوا يدعون المصلين الى التمســك بالصلاة ، والصائمين الى المحافظة على الصوم ، والمتدينين الى التعلق بأهداب الدين ، فى الوقت الذى تركوا فيه ، كتل الناس ، وجمــوع الشباب بشكل خاص ، ممن لم يصلوا بعد الى المساجد ، بعيــدين كل البعد عن نعمة الهـــداية ، معرضين لمختلف المؤثرات والعقائد المستوردة تفعل فيهم ما تشاء ٠

حتى فى هذا اللقاء الكريم ابتعد الفكر الاســلامى عن موضوعه ، حينما سمعنا أصـــواتا عالية ، وهى مخلصة من غير شك ، تدعونا ، وعلى رأسنا كبار العلماء الاجلاء ، الى التمسك بالاســلام كأنه أفلت منا ، وتحثنا على العودة الى كتاب الله ٠٠ كأننا تركناه ٠

وليس الخروج عن الموضوع فى هذا اللقاء ، من قبل بعض السادة المحاضرين والمعقبين ، الا صورة من صور الازمة الحادة القائمة اليوم بشكل ظاهر بين الفكر الاسلامى وموضوعه ٠

وعلى صعيد الغاية فان الازمة حادة أيضا بين الفكر الاسلامى وغايته ، لان الصلة بينهما هو الانسان المسلم المعاصر المتخلف ٠

ان غاية الفكر الاسلامى دعوة الكون ، روحا ومادة ، الى عبادة الله بشكل مستمر ، بكل ما يتضمنه معنى العبادة ، من معانى المساواة بين الناس ، ومعانى الوحدة بين الكائنات جميعا ٠

قال تعالى : « وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون » ٠

وقال جل شأنه « يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ٠

الغاية الاسلامية اذن بالنسبة للكون والانسان ، المادة والروح ، هى فى طاعة الخالق جل شأنه ٠ وعلى ذلك فان الازمة على صعيد الغاية مردها فى اعتقادى الى أن المسلم المعاصر ، فقد القدرة على تحقيق التوازن بين المادة والروح ، فتوجه البعض الى هذه ، والبعض الآخر الى تلك ، وكل رأى غايته فى طرف دون الطرف الآخر ٠ ولعل ذلك كله مرده الى ضعف الثقافة الاسلامية لدى المسلم ، فى الوقت نفسه الذى غزت فيه الثقافات الغربية ، روحية كانت أم مادية ، عقول أبناء هذه الامة ٠

أضف الى ذلك ان أضواء انجازات الحضارة المادية الممتدة على الخط الزمنى القائم بين الثورة الصناعية وعصر الفضاء كانت قد بهرت عيون ابنائنا ، فعطلتها عن رؤية القريب الاقرب ، أعنى حضارة الاسلام وانجازاته النسبية ٠ ولقد كان من نتيجة ذلك أن انصرف الشباب المسلم الى هذه الحضارة المادية النصفية ، وتمسكوا بها ، فى الوقت الذى بدأت فيه صيحات الانسان الاوروبى ،تعلو مستغيثة من ضغط هذه الحضارة على سعادته ومصيره ، وقيمه الانسانية والخلقية٠

واذا كانت أزمة الانسان الغربى اليوم ، أساسها طغيان المادة على الروح ، فان ازمة الفكر الاسلامى من وجهة غايته ، هى اليوم

قائمة من طغيان الروح على المادة ، ان كثيرا من مفكرينا اليوم لاهم لهم الا ان يحقروا هذا الوجود المادى ، ويحطوا من قدره ، ويحذروا الناس من دنسه ، كأنما ليس هو من هذا الكون ، الذى صوره الله وأحسن تصويره •

ان الاسلام هو دين الوسطية ، دين التوازن بين حياتنا الروحية وحياتنا المادية ، وواقع الفكر الاسلامى اليوم ، أنه أخل فى هذا التوازن الغائى •

أما على صعيد المنهج ، والمنهج كيفية معالجة الانسان المسلم لقضاياه ، فهو أخطر هذه الازمات كلها التى يعانيها الانسان المسلم فى عصرنا الراهن •

ان منهج التفكير الاسلامى اليوم ، فى معالجة القضايا الحياتية ، التربوية منها والاجتماعية والسياسية والمادية والانسانية هو منهج متخلف وأهم صفات هذا المنهج :

1 ـ **انه منهج تعددى** : ومعنى هذا ان هنالك أفهاما متعددة لمعنى الاسلام وتطبيقه ، وبالتالى فقد أصبحت هناك تبعا لذلك ، مناهج متعددة لمعالجة القضايا الحياتية والاجتماعية والسياسية على ضوء الاسلام ، تتوزع كلها بين الافراد والاحزاب ، والسياسات ، وكل بما لديهم فرحون.

2 ـ **انه منهج تجارى** : أعنى ان هذا المنهج اليوم لا يوصل الى الغاية الاسلامية ، بقدر ما يطمح الى مكسب فردى ، أو حزبى ، أو سياسى محورى ، فى خضم الصراعات المحلية والدولية الراهنة •

ثالثا ـ **انه منهج دعائى** : أعنى أنه يتوقف عند صيغ الاعلام ، والكشف النظرى ، عن قيم الاسلام ومعانيه ،من غير ان يتجشم مؤونة الحركة والعمل ، لمعايشة الناس ، وحل مشاكلهم الناتجة عن حاجاتهم الضرورية •

4 ـ **انه منهج منبرى** : أعنى ان الخطابة المنبرية هى كيفية اساسية فى معالجة قضايا المسلمين اليوم ، بعيدا عن المنزل ، والنادى ، والمصنع ، والحقل •

5 ـ **انه منهج خطابي** : أعنى أنه يركز على مخاطبة العاطفة من دون العقل ، وهذا ما لمسناه من البعض أثناء هذا اللقاء بالذات ·

ـ **انه منهج تقريعي** : أعنى أن كثيرا من أساليب الدعوة يتميز بالاسلوب التقريعي ، فالدعوة الى التمسك بأهداب الدين ، غالبا ما تأخذ صورة التأنيب ، أو اللوم أو التفريع ، مما يؤدى بالشباب الى النفور والحرج ، وهذا ما حصل بالنسبة لدعوة الشابات لوضع غطاء الرأس على رؤوسهن فى هذا اللقاء ·

7 ـ **انه منهج لفظي** : أعنى أنه يهتم بالالفاظ أكثر مما يهتم بالاشياء والموضوعات ، وآية ذلك هذا الاهتمام الزائد أثناء التعقيب (بلفظتي تكريس وتركيز) اهتماما غير مفيد ، وغير دى موضوع ·

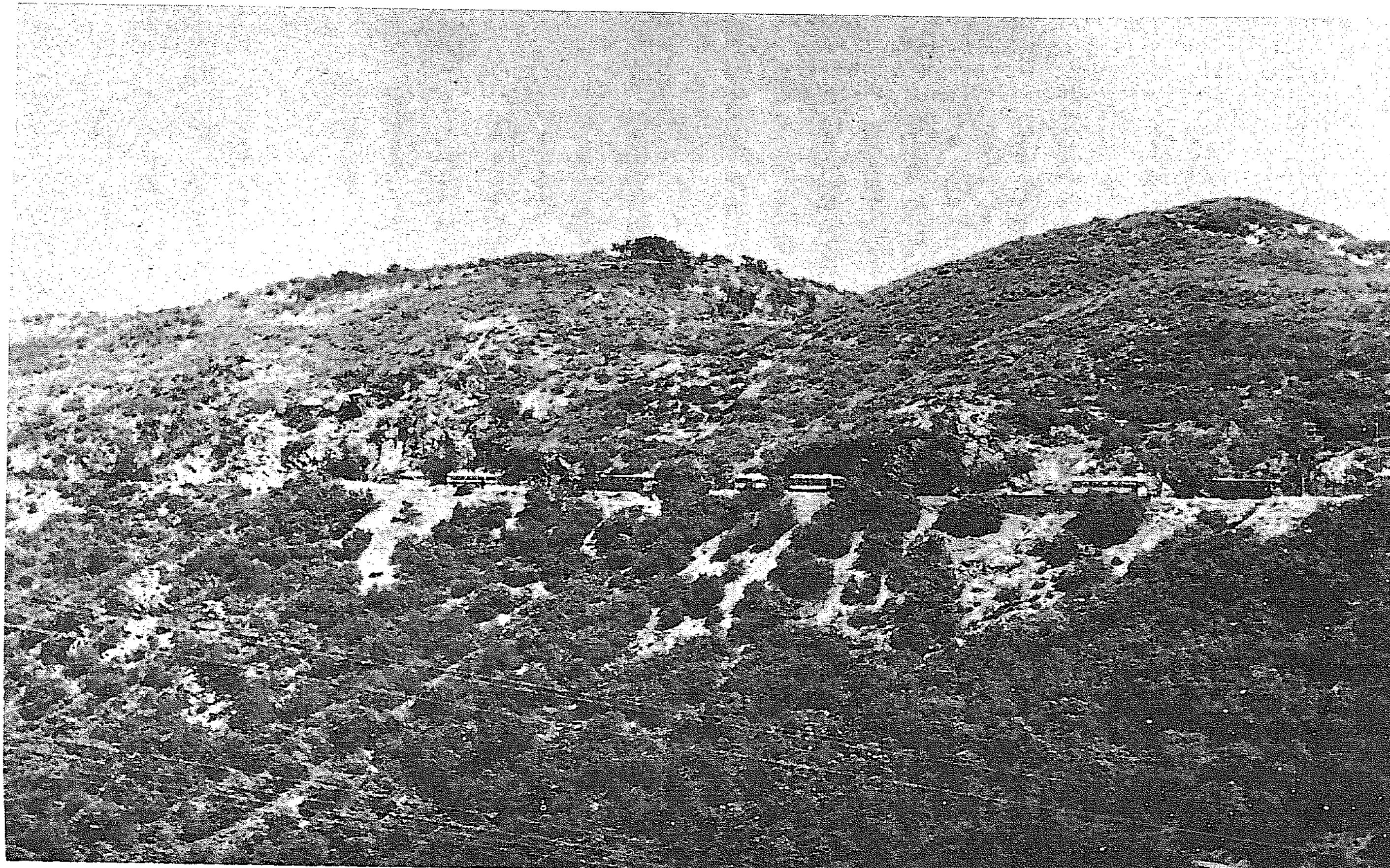
8 ـ **انه منهج فردي** : أعنى أنه بالرغم من قوله تعالى:﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ فان الكثيرين منا تأخذهم العاطفة فيفررون ويتصرفون بدافع فردى ، بصرف النظر عن المجموعات التى ينتمون اليها ، وهذا ما حصل بالفعل فى هذا اللقاء عندما قام السيد مندوب الجامعة العربية ، ليعلن أن الجامعة العربية لم تقم الا على أساس تحولها فيما بعد الى جامعة اسلامية ·

وبعد أيها السادة :

ويبدو أننا نستطيع ان نستطرد الى مدى قد يطول كثيرا فى ذكر مثل هذه الجوانب السلبية التى تزخر بها حياتنا اليومية ، الى جانب بعض الايجابيات ، والتى تشكل جوهر الواقع الاسلامي فى عصرنا الراهن ، لذلك نرى أنه لابد لنا من أن نستدرك ونتوقف عن الاستطراد مشفقين على أنفسنا ، حتى لا يغلبنا اليأس ، فى الوقت الذى نتطلع فيه بكثير من الامل ، الى نتائج هذا اللقاء الموفق باذن الله ، لما رأينا فيه من جدية وحزم واخلاص · اخلاص من جميع المشتركين فيه بلا استثناء ·

ـ هذا هو واقع المسلمين اليوم من شريعتهم ، من خلال وصف الانسان المسلم فى رؤيته الغائية للوجود ، وفى منهجه فى معالجة قضايا الحياة ·

ـ انه واقع متخلف ··· ولا يمكن النهوض الا باعتماد الانسان لمنهج اسلامي واضح · فما هو هذا المنهج ؟



جبـــال جـرجـر

المهاجر المسلم

أوضاعه الاجتماعية والثقافية في أوروبا الغربية

للأستاذ إسماعيل العربي - كاتب جزائري

سيادة الوزير ، أيها الاخوة :

ان ظاهرة هجرة المسلمين الى أوروبا الغربية للاقامة والعمل فيها ، ظاهرة حديثة وتمثل تنوءا وجزرا حضاريا وثقافيا فى تاريخ الامة الاسلامية . فان البلدان الاسلامية قد شهدت هجرة المسيحيين خلال الفترة بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر الميلادى ، واستقرارهم فى المشرق حيث أقاموا ممالك وادارات وشاهدت هجرة المعمرين والتجار والاداريين ألانجليز الى الهند ثم الى مصر فى القرن الماضى ، وعرفت غزو الجزائر وتونس والمغرب الاقصى بجيوش جمعت لغرض الاستعمار من الفرنسيين ومن أخلاط الضفة الشمالية للبحر الابيض المتوسط . وقد قاوم المسلمون بنجاح هذه الامواج المتعاقبة من

المهاجرين الذين كان هدفهم بسط السيطرة السياسية والاستغلال الاقتصادى · ولكن العالم الاسلامى لم يشهد تيارا معاكسا للهجرة ـ هجرة المسلمين الى أوروبا الغربية ـ الا فى أعقاب الحرب العظمى الاولى ·

وأسباب هذه الهجرة ، تعود خصوصا الى اختلال توازن النمو الاقتصادى والعلمى نتيجة للثورة الصناعية التى ظهرت فى الغرب ، من جهة ، والى انفتاح أبواب الهجرة أمام سكان المستعمرات الى البلدان التابعة لها لتوفير اليد العاملة الرخيصة ، خصوصا بتيسير اجراءات السفر وعدم وجود قيود على تبادل العملة ، من جهة أخرى ·

وقبل ان نستعرض وضع المهاجر المسلم الاجتماعى والثقافى فى أوروبا الغربية ، ينبغى أولا ان نقدم تعريفا لتوضيح تعبير « المهاجر المسلم » حتى نتمكن من تشخيصه فى أذهاننا · فان هذا البحث يستبعد السياح والتجار الذين يسافرون الى أوروبا لاغراض تتصل بالاعمال ثم يعودون الى أوطانهم ، كما يستبعد الطلبة المسلمين الذين يقصدون الى أوروبا لاتمام دراستهم ، ونحن لا ندرج فى الفئة التى ينطبق عليها تعبير «المهاجر المسلم» أيضا اللاجئين لاغراض سياسية، ورجال السلك السياسى ، وموظفى المنظمات الدولية ، وموظفى المكاتب والمنظمات الحكومية القومية ، مثل شركات الطيران والمكاتب التجارية الخ ·

وبعزل هذه الفئات التى لا ينطبق عليها المضمون القانونى لمصطلح « المقيم » تبقى لدينا فئة واحدة من المهاجرين ، وهم فئة العمال اليدويين ، بما فى ذلك تجار التجزئة وذوى الكفاءات الذهنية · وهنا ينبغى ان أسارع الى القول ، بأنه ، على عكس الحالة السائدة بين المهاجرين المسلمين (وخصوصا العرب) الى الولايات المتحدة ، فان نسبة المهاجرين المسلمين الذين يمارسون أعمالا تتطلب كفاءات ذهنية فى أوروبا الغربية ، نسبة ضعيفة جدا ، بالقياس الى الفئة الاولى ، والفئة الاخيرة من المهاجرين تتكون خصوصا من الاطباء الباكستانيين والهنود فى انجلترا ،والاطباء المهاجرين من شمال افريقيا الى فرنسا، وبعض الموظفين فى قطاع المصارف فى سويسرا من السوريين

واللبنانيين · وهؤلاء ، على كل حال ، لا ينطوى وضعهم فى البلاد المستضيفة على مشاكل اجتماعية أو ثقافية دقيقة · ولكن سهولة اندماجهم فى المجتمع الاوروبى الذى تشبعوا بقيمه الثقافية ، تجعل أبناءهم يتعرضون لفقد كل مقوماتهم القومية من العادات والتقاليد ، ولا سيما اللغة والدين ·

وهكذا نجد الفئة الاولى من المهاجرين هى المتغلبة بنسبة يمكن تقديرها بما يزيد عن 99٪ · وهذه الفئة تمارس نشاطا فى الانتاج والتوزيع ذا أهمية ثانوية وبعيدا عن كل مقاليد المسؤوليات · وهذا النشاط يشمل الاعمال الثقيلة وغير المتخصصة فى الصناعة والمناجم والزراعة وقطاع المرافق العامة ، مثل تعبيد الطرق والبناء وشق القنوات ، كما يشمل بعض نواحى قطاع تجارة التجزئة ، مثل البقالة والمطاعم والمقاهى والفنادق الصغيرة ·

وهجرة المسلمين الى أوروبا الغربية ، هى جزء من الصورة الخلفية القائمة للعلاقات بين الدول الصناعية المتقدمة والدول المتخلفة اقتصاديا · والبلدان المصدرة لليد العاملة غير المدربة الى الدول الصناعية فى أوروبا الغربية كثيرة ، وتشمل الى جانب باكستان والهند وشمال افريقيا ، وافريقيا الغربية ، دولا أوروبية تعتبر دولا صناعية متقدمة ولكنها تشكو من فائض فى اليد العاملة ، وفى مقدمتها اليونان وتركيا وايطاليا والبرتغال والهجرة للعمل فى الدول الصناعية ، على الرغم من أهميتها فى ادارة عجلة الانتاج ومن خطورة المشاكل الاجتماعية التى نجمت عنها للمهاجرين فى المكان الاول ، وللبلد المستضيف نفسه ، لم تكن موضوعا للدرس والبحث ، لا من قبل الدول المستوردة لليد العاملة ، ولا من قبل المنظمات الدولية أو من أجهزة الامم المتحدة المتخصصة ، مثل منظمة العمل الدولية · وبالتالى ، فان الباحث فى هذا الموضوع لا يجد تحت تصرفه أية معلومات منسقة ، أو احصاءات رسمية او شبه رسمية ، وسيكون مضطرا للاعتماد على ملاحظاته الخاصة · وهذا بالضبط ، وضع هذا المتحدث الذى جمع معلوماته خلال اقامة دامت فى مجموعها نيفا وخمس عشرة سنة فى أوروبا الغربية وتتمثل فى المراحل التالية :

1) المرحلة الاولى ، استغرقت أكثر من ســـنة حين بعثته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لادارة حـــركة « نوادى التهذيب » التى انشأتها الجمعية فى عهد الاستاذ عبد الحميد بن باديس لتعليم العمال المسلمين مبادىء اللغة العربية والدين الاسلامي وللتثقيف والتهذيب.

2) مرحلة الدراسة الجامعية فى باريس ، حيث ظل هـذا الباحث على اتصال مستمر باخوانه المسلمين وبحركة جمعية العلمـاء حتى منتصف الخمسينيات ·

3) مرحلة العمل الصحافى ، فى لندن وامستردام · وفى هـذه المرحلة التى استغرقت بضع سنوات تمكن من الاطلاع على أحـــوال المسلمين الباكستانيين فى انجلترا وخصوصا فى لندن كما تعرف على شؤون الجالية الاندونيسية الكبيرة العدد فى الاراضى الواطئة ، ولا سيما فى وسط هولندا وفى لاهاى وأمستردام واتريخت ·

4) مرحلة العمل بصفته مندوبا لدولة عربية لدى الامم المتحـــدة فى جنيف ، خلال فترة تمتد على سبع سنوات · وفى هـــذه المرحلة أتيحت لى الفرصة للاتصــــال بمختلف ممثلى الدول الاســـلامية ومساعديهم وبموظفى الامم المتحدة والمنظمات الدولية وبابناء بعض الجاليات الاسلامية فى سويسرا · فهذه الاتصالات والعمل المباشر فى حقل التعليم والتهذيب ومخالطة المسلمين سنين عديدة ،هى اذا مصدر المعلومات والملاحظات التى أعرضها عليكم اليـــوم ، والتى أرجو ان يكملها غيرى بملاحظات أخرى فى هذا الموضوع الذى يمثل مشكلة ، من أخطر المشاكل التى تتحدى المسلمين فى عصرنا ·

الدور الاقتصادى للمسلم المهاجر :

وبعد هذا التعريف الوجيز للمهاجر المسلم والتعريج على مشـكلة عـــدم توفر المراجع ، يحسن بنـا ان نتعرف على دوره بوصفه عاملا اقتصاديا منتجا ، وهو بهذه الصفة ، يســـتحق الرعاية والحماية من سلطات بلده ومن سلطات البلد المستضيف معا ·

تشكل الموارد المالية التى يحولها أفراد الجاليات الاســـلامية فى أوروبا الغربية الى بلادهم فيضا مستمرا من الدخل الذى يعول عائلاتهم

وذويهم ، ويكون فى نفس الوقت عاملا فى تنشيط الحياة الاقتصادية والتبادل التجارى فى أرض الوطن • ونحن نستطيع ان ندرك أهمية هذا الدخل فى الاقتصاد القومى اذا اتخذنا الجزائرمثالا • فان عدد العمال الجزائريين فى أوروبا الغربية يقرب من اربعمائة الف (400,000) عامل • واذا قدرنا ان كل عامل يعول فى المتوسط ستة أشخاص وهو حجم متوسط العائلة المسلمة ، فسنجد ان عدد المواطنين الذين يعتمدون على دخلهم من الموارد التى تحولها الجالية الجزائرية فى أوروبا الغربية يبلغ نحو مليونين ونصف مليون نسمة (أى نحو سدس مجموع السكان) وهذا العدد ، يوفر بدوره دخلا معتبرا لمختلف فئات السكان ، حيث ان الموارد الآتية من المغترب تنفق لشراء المواد الغذائية ولدفع الايجار ولشراء الخدمات مثل وسائل النقل والترفيه الخ ، وبذلك يكون اندغام دخل المسلم المهاجر فى دورة الحياة الاقتصادية ، عاملا منشطا ومنعشا باستمرار لعجلة الانتاج ولشبكات التوزيع فى أرض الوطن •

وبالاضافة الى ذلك ، فان هذا العدد من المهاجرين يخفف من عبء البطالة الذى تتحمله الدول الاسلامية بدرجات متفاوتة • واذا أخذنا مثال الجزائر مرة أخرى ،فسنجد ان عدد العاطلين فى الجزائر ، سيبلغ ما يقرب من مليون عامل (بدلا من 540 ألف عامل) لولا تيار الهجرة الى أوروبا الغربية • وهذا عدد ضخم سيزيد الضغوط الاجتماعية والاقتصادية المختلفة التى يواجهها البلد فى المرحلة الحالية ، كما يزيد من عبء النفقات غير المنتجة التى تتحملها الدولة ، وبالتالى تناقص الموارد المالية التى يمكن تخصيصهاللتنمية الصناعة والزراعة والتعليم ولبناء المرافق الاساسية •

ولكن الدخل الذى يتمثل فى المبالغ التى يحولها المهاجرون المسلمون فى أوروبا الغربية له أهمية اقتصاديةقومية من نوع آخر • فان المبالغ المحولة هى من العملة الصعبة (الفرنك والفلوران ، والمارك ، والجنيه الاسترلينى) التى تحتاج اليها الدول الاسلامية حاجه ملحة لمواجهة تكاليف عمليةالتنمية الاقتصاديةوخصوصا لشراء الآلات والخدمات التقنية •

ونحن اذا نظرنا فى حالة الجزائر التى اتخذناها مثالا ، فسنجد أنها تتلخص فيما يلى :

فاذا قدرنا ان دخل المهاجر المسلم لا يتجاوز الحد الادنى من الاجور على أساس النظام الفرنسي هو 1000 فرنك فى الشهر (وهو تقدير متحفظ جدا) فسيكون مجموع دخل مختلف فئات العمال المهاجرين نحو 4 ملايين فرنك فرنسى جديد فى شهر . واذا افترضنا ان المهاجر المسلم سينفق نصف دخله لمواجهة تكاليف معيشته فى الغربة ويحول الى ذويه النصف الآخر ، فسيبلغ مجموع المبالغ التى تتلقاها الجزائر من العملة الصعبة ، ما يساوى حوالى مليونين من الفرنكات الجديدة فى الشهر ، أى ما يقرب من 25 مليون فرنك فى العام (وهذا أيضا تقدير متحفظ جدا) .

ولكن تحويلات المغتربين المسلمين فى اوروبا الغربية الى أوطانهم ليست كلها من هذا النوع وبهذا الحجم . وذلك لان حجم التحويلات ، يتوقف على عدد من العوامل التى لا يمكن تحديد دور كل منها بوضوح الا بعد دراسة اجتماعية متعمقة للفئات المهنية وللاوضاع العائلية ولمستوى معيشة المهاجر ، وهى الامور التى ستسمح بمعرفة متوسط الدخول وتوزيع الدخل بين الاستهلاك والادخار . هذا من جهة ،ومن جهة أخرى فان مستوى الاجور والمرتبات يختلف بين بلد غربى وآخر ، وكذلك مستوى الاسعار وتكاليف المعيشة وبالتالى دخل العامل وطاقته الادخارية .

والعامل الآخر الذى له دور كبير فى مستوى تحويل الموارد الى أرض الوطن ، هو اعتبار حالة المهاجر المسلم العائلية ومدة اقامته فى أرض الغربة . فان من البديهى ، ان المهاجر الذى اصطحب معه عائلته الى أرض الغربة تكون الموارد التى يحولها الى بلده أقل من الموارد التى يمكن ان ننتظر ان يحولها الاعزب ، أو المهاجر الذى ترك عائلته وراءه . ثم ان الهجرة للاستيطان وبدون نية فى الرجوع الى أرض الوطن (وهذه هى حالة الاغلبية الساحقة من المهاجرين الاندونيسيين الىالاراضى الواطئة ونسبة عالية من المهاجرين

الباكستانيين والهنود الى انجلترا) ، عامل يجعل دور المهاجر الاقتصادى فى بلده ، ضئيلا أو منعدما تماما ·

ومما تقدم يتضح لنا ان المهاجر المسلم يساهم فى تنمية اقتصاد بلده وفى نشر الرخاء فيه ، بطريقة مباشرة ، بالمبالغ التى يحولها الى ذويه والتى يستفيد البلد منها بصفة خاصة لانها بالعملة الصعبة ، وبطريقة غير مباشرة ، لانه يخفف من حدة مشكلة البطالة ومن ضغط الاستثمارات الاجتماعية غير المنتجة ،.من جهة ، ولانه يعمل فى بلد صناعي حيث تتوفر أمامه امكانيات غير محدودة لكسب الخبرة والتدريب المهنى ، مما سيجعل منه عضوا منتجا حيويا فى المجتمع حينما يعود الى بلاده ، من جهة أخرى · ولهذه الاعتبارات وغيرها ، فان المهاجر المسلم له حق لا يمكن انكاره فى ان يتمتع بعناية ورعاية خاصة من سلطات بلده التى يجب عليها ، فى المكان الاول ، ان توفر له المساعدة التى ستمكنه من الاحتفاظ بشخصيته المعنوية ومن ممارسة شعائر دينه ، فى الوقت الذى تسهل عليه التكييف لظروف المجتمع الذى يعيش فيه والتفاعل مع القوى الاجتماعية والثقافية التى تحيط به · وهذا يفضى بنا الى الحديث عن وضع المهاجر المسلم الاجتماعى فى مهجره ، فى أوروبا الغربية ·

وضع المهاجر الاجتماعى :

تضبط وضع المهاجر المسلم الاجتماعى الى أوروبا الغربية ثلاث معطيات أساسية : السكن ، والعمل ،والتفاعل مع البيئة الاوروبية ·

السكن :

يعانى المهاجر المسلم من مشكلة الحصول على مسكن معقول ، ومثله فى ذلك مثل بقية العمال اليدويين المهاجرين من الافريقيين والآسيويين والاوروبيين أيضا (الايطاليين والبرتغاليين والاسبان)· وهذه الصعوبة مرجعها فى المكان الاول الى النقص الذى تعانى منه كثير من دول أوروبا الغربية فى المساكن والذى بلغ درجة التأزم فى بلاد ، مثل هولندا وفرنسا · ولكنه ، الى جانب هذا العامل الاقتصادى الذى يجعل السكن خاضعا لقانون العرض والطلب ، توجد عوامل سيكلوجية تزيد مشكلة المسلم المغترب حدة وتضعه فى طبقة

المنبوذين · وصعوبة الحصـــول على مسكن فى الاحيــــاء المتوسطة ، وارتفاع الايجار فيها تجعل العمال المســـــلمين يتكتلون فى الاحياء الشعبية التى تتوفر فيها الشروط الصحية أو يلجأون الى أطراف المدن ليرتجلوا مساكن مبنية بأعمدة الخشب والصفيح · ومثل هــــذا السكن بطبيعة الحال لا تتوفر فيه المرافق الصحية والماء والكهــرباء ، وذلك فضلا عن بعده عن مركز العمران ومـــكان العمل · ومن هنا صعوبات أخرى ، مثل التنقل للعمل او التبضع او لتبادل الزيارات الـــخ ··

والعمال الذين يسعفهم الحظ فى الحصول على غرفة فى نزل رخيص لا تتوفر فيه الشروط الصحية فى معظم الحالات ، يكونون ضحية لمـا اصطلح على تسميته بـ « تجار النوم » وهؤلاء قد يكونون اوروبيين او من ابناء العالم الثالث ، يستغلون وضع العامل الذى لا توجد قوانين تحميه أشنع استغلال · فانالغرفة التى خططت لتأوى شخصا واحدا، سيعمل تاجر النوم على تجهيزها بأربعة اسرة ويؤجـــرها فى المرحلة الاولى لاربعة أشخاص · وفى مرحلة تالية ، سيستغل كثــرة الطلب ويؤجر كل سرير لشخصين ، أحدهما يعمل بالليل والآخر بالنهار ، بحيث تكون الغرفة البائسة وكل سرير فيها عامر بالليل والنهار ، دون فسحة للتهوئة والتنظيف ·

ولكن هذه الظاهرة ــ ظاهرة تجار النوم ــ انما تبدو فى أشـــــنع صورها فى فرنسا · وأما فى انجلترا ، حيث تجد شــــعورا قويا من العنصرية فى الاوساط الشعبية ، فان الحالة لم تبلغ بعد هذه الدرجة من السوء · وفى البلدان الشمالية ، على الرغم من التحفظ والنفــور الذى يسود فى بعض الاوساط من « الملونين » (ضد الاندونيسيين فى هولندا ، مثلا) ، فان معاملة المسلم فى سوق السكن تكاد تكون عادية ·

العمل :

تقول نظرية للاقتصادىالبريطانى ، آدم سميث (1723 ــ 1790 م)، شرحها فى كتابه « أبحاث عن أسباب ثروة الامم) ، ان الاستثمار فى المشاريع فى البلدان المتخلفة اكثر عوائد واكبر ربحا من الاستثمار

فى البلدان الصناعية . ولكن هذه النظرية التى تأخذ الى الاعتبار العوامل الاقتصادية وحدها صيغت فى وقت لم يبدأ فيه الزحف الاستعمارى لاختلاس ثروات الامم بالقوة السافرة . والفائدة الاقتصادية التى تترتب على الاستثمار فى البلدان المتخلفة تنحصر فى توفر المواد الخام المنتجة محليا وكثرة اليد العاملة الرخيصة . ولكنه بعد ما بسطت الدول الاوروبية سلطانها على هذه المناطق ، تضاءلت قيمة هذا العامل كثيرا ، اذ أصبح فى امكانها ان تشترى المواد الخام بأبخس الاسعار وتحولها الى المراكز الصناعية ، وتفتح باب الهجرة على مصراعيه لتدفق اليد العاملة المحلية الزهيدة التكاليف الى « أم الوطن » . وبذلك تتسع الصناعة التى تتوفر لها المرافق العامة والخبرة التقنية فى أوروبا وتزدهر ، دون ان تجنى المستعمرات تلك الفوائد الثانوية التى تترتب على حركة التصنيع .

وهذه الخطوط العامة النظرية تحدد لنا الاطار الذى يمارس فيه المهاجر المسلم نشاطه ، كما تفسر لنا الاتجاه الى استغلاله . والطاقة التى يوفرها العامل المهاجر ، طاقة عضلية بحتة.وحتى فى الظروف التى تتاح له الفرصة للاتجاه الى نوع من التخصص ، فان تخصصه ، فى العادة ، لا يخرج عن نطاق استعمال العضلات بطريقة اقتصادية. وهذه الطاقة العضلية ، هى بالضبط التى تحتاج اليها مراكزالصناعة التى ارتفع فيها مستوى التعليم والتدريب المهنى والتقنى ، بحيث تقلصت طبقة السكان التى توفرها ، وأصبح من الضرورى الالتجاء الى اليد العاملة المتخلفة .

وسوق العمل (أو ما يسمى بورصة العمل) تتمتع بتنظيم محكم وتضبط التشريعات مختلف جوانبها . وعلى الرغم من ان ميل الرأسمالية الى استغلال العمل (وهو ميل يعتبر من العناصر الاساسية فى النظام الرأسمالى) أصبح محاطا بقيود تختلف صرامة بين بلد وآخر . فان العامل لا يزال أداة مسخرة فى يد أرباب الاعمال .

على أن النظام النقابى الذى نما مع نمو الصناعة فى أوروبا الغربية يمثل أداة فعالة لمنع الجور والاستغلال الفادح للعمال بقدر الامكان .

ولكن التنظيم النقابى انما يحمى طبقة العمال التى تسميها الماركسية « بروليتاريا » أى العمال المحليين الذين يمثلون كتلة انتخابية وقوة سياسية معتبرة • وأما العمال المهاجرون ، وفى مقدمتـــــهم العمال المسلمون الذين تعتبرهم النظريات الماركسية وغير الماركسية ، من طبقة أدنى من البروليتاريا وبصعب تنظيم الدفاع عن مصالحهم، فان التنظيم النقابى فى أوروبا الغربية لا يوفر لهم الحماية الا عرضيا، أى، حيمنا تختلط مصالحهم المهنيةبمصالح العمال المحليين• وهذا الاهمال المشوب بالازدراء فى الاوساط النقابية لقوة يد العمل المهاجرة ، يفسر لنا كيف انه لم يظهر زعيم نقابى واحد من المهاجـــــرين فى تاريخ النقابات الاوروبية • وهو يفسر لنا فى نفس الوقت ، لماذا يتجهأرباب الاعمال ، ولا سيما فى قطاعات معينة ، مثل قطاع البناء والتشييد ، الى استغلاله أكثر من العامل المحلى •

والمهاجر المسلم ، يجد صعوبة كبيرة فى الحصول على بطاقة الاقامة، حيث يطلب اليه ابراز شهادة العمل للحصول عليها ، وصاحبالعمل يطلب الى العامل ابراز شهادة الاقامة أولا ، قبل ان ينظر فى امـكان تشغيله • والعامل فى كثير من القطاعات مضـــطر الى ان يتنازل عن حقوقه فى الاجر وفى ساعات العمل المقررة لكى يحتفظ بعمله ، نظرا لكثرة اليد العاملة التى تبحث عن العمل • والعقود التى تمنح للعمال كثيرا ما تكون صورية ، بسبب ضعف المراقبة او عدم وجودها ، على تطبيق الالتزامات القانونية التى تنص عليها هذه العقود •

ولهذه الاعتبارات وغيرها ، يفضل العمال المهاجرون ممارســـة الاعمال الحرة ، متى توفر لديهم رأس المال الضرورى • ومجال هـذه الاعمال التقليــدى هـوالمطاعم (وهذا مجال نشاط الباكستانيـين المفضل فى لندن ، ومجال الاندونيسيين فى هولندا عموما) والفنادق والبقالة •

التفاعل مع البيئة :

ان تفاعل المهاجر المســـــلم مع البيئة التى تحيط به فى أوروبا الغربية ضعيف الى الحد الادنى لما يمكن التعبير عنه • والعزلة المادية التى شرحناها فى معرض الحديث عن السكن ، نجمت عنـها وترافقها عزلة نفسية وانطواء على الذات • فالعامل المســـلم لا يغشى الاماكن

الرياضية وأماكن التسلية التي يتردد عليها زملاؤه من العمال المحليين الا في القليل النادر . وهو لا يستضيف ولا يضاف ، اما لعدم وجود أي ارتباط مع العمال المحليين اطلاقا ، أو في بعض الحالات ، لتحرج المسلم من تناول الطعام الاوروبي الذي يشمل لحم الخنزير ومشتقاته ويتطلب تناول الخمر .

ومن جهة أخرى ، فان المستوى الثقافي (وفي كثير من الحالات مستوى الذكاء أيضا) وحاجز اللغة ، وقلة اهتمام العامل الاوروبي بالقيم الحضارية السائدة في مجتمع غير مجتمعه ، كلها ، تجعل الاتصال بين المهاجر والمحيط الذي يعيش فيه أمرا في غاية الصعوبة.

قلنا ان تفاعل المهاجر مع البيئة ضعيف جدا . وهذا ينطبق على التفاعل الواعي الهادف . ولكن التفاعل ، أو بعبارة أدق ، تأثير البيئة بطريقة لا شعورية في المهاجر ، كثيرا ما يكون قويا . فان العامل الذي يتجول في الشوارع ويشاهد ما تزخر به من المنتجات الفاخرة وتطالعه هنا وهناك اللافتات والاعلانات والصور المرسومة بأحرف « النيون » ويرى مناظر تمثل مختلف ألوان الحياة الاوروبية ، لابد وأن يتأثر بكل ذلك وان يأخذ منه انطباعات حية . وهذه الانطباعات ، هي التي سيقارنها حتما بما تقدمه حياته القديمة في قريته أو مدينته عند عودته الى ارض الوطن . ونتيجة هذه المقارنة بطبيعة الحال ، ليست في صالح بيئته القديمة والتي سيعيش فيها .

ومن هنا ، فان تأثير البيئة الاوروبية ، أو الجانب السطحي من هذه البيئة ، سيظل غير قابل للتحليل ولا للفهم الصحيح ، وبالتالي مصدرا للقلق والاضطراب النفسي ولعدم التكليف ، في كثير من الحالات ، مع مقتضيات البيئة القومية .

ولكن أخطر تأثير للبيئة الاوروبية على المهاجر المسلم ، هو ، بدون شك ، ذلك الذي يتعرض له الشباب ولا سيما الفتيات . فأولاد المهاجرين يترددون على نفس المدارس التي يتردد عليها ابناء البلد المستضيف ويشتركون معهم في النشاط الرياضي وفي ألوان محدودة من النشاط الاجتماعي . وهذا التفكير هو من النوع الواعي والذي يمكن تحليل عناصره . ولكنه نظرا لان ابن المهاجر المسلم لا يتمتع

بوقاية كافية من التربية القومية والتعليم الديني واللغوى ، فهو غير مسلح لحماية نفسه من طغيان هذا التأثير ولا يمكنه بنفســـه اقامة التوازن السيكلوجي والفكرى الضرورى لكى يصـــبح مواطنا صالحا وعضوا فعالا فى المجتمع عندما يعود الى وطنه • وهـــذه الفئة من المهاجرين المسلمين هى التى تدعو الحاجة بالحاح الى اهتـــمام الرأى العام والحكومات الاسلامية بها وتوفير الوسائل الفعالة لانقاذها •

الوضع الثقافي :

توجد ثلاثة عناصر اساســـية هى التى تتحكم فى وضع المهاجر الثقافى • ففى المكان الاول نلاحظ ان بيئة المهاجر الاصلية ، ســواء كانت ضفاف نهر مهران ، أو سهول الاناضول او جبال الشـــلح أو جبال القبائل فى الجزائر ، بيئة زراعية متخلفة وبعيدة عن مراكـــز الحضـــارة فى بلده (وهذا ، بالطبع ، لا ينطبق على المهاجرين ذوى الكفاءات الذهنية مثل الاطباء الخ) • والمهاجر ، فى كثير من الحالات ، يجعل لغة بلده الاصلية (العربية بالنسبة للقائل مثلا) ويجهل لغـة البلد المستضيف أيضا • ومن جهة أخرى ، فان مســـتوى تعليم المهاجـر المســـلم (متى كان يتمتع بحظ من التعليم) ضعيف وذو مضمون غير عصرى ، ومتى كان المهاجر يعرف لغة اجنبية ، فان معرفته لتلك اللغة فى العادة تنحصر فى لهجة الخطاب وقلما تتجاوزها الى لغة القراءة والكتابة •

وفى المكان الثانى ، يوجد عامل الوقت • فان العامل الذى يقضى ثمان ساعات فى المصنع ، ويحتاج فى المتوسط الى ساعتين للمواصلات والى وقت للتبضع والطبخ ولتناول الاكل ، يجد نفسه فى آخر النهار منهك القوة الجسمية ، فاتر الذهن والعزيمة • وكل محاولة لتعليمه وتثقيفه ومساعدته لتوسيع آفاق تفكيره ، ســـتصطدم حتما بهذا العائق الذى لا مجال للتغلب عليه الا فى أحوال استثنائية •

وأخيرا ، توجد هذه العزلة الاجتماعية التى أشرنا اليها فى الفقرة السابقة والتى فرضتها البيئة ، وخصوصا ، ظروف الســـكن على المهاجر • فقد جرت العادة ان يتكتل ابناء كل منطقة على انفـــراد ، بحيث نجد الشلحى يقيم مع الشلحيين والقبـــائل يقطنون مع ابناء

عمومتهم ، والاندونسيون يكادون يختلطون بمسلم من بلد آخر ·
والمهاجر في الحقيقة رهن المحبسين ، أو هو ، بعبارة أخرى ضحية لعزلة مزدوجة ، تلك العزلة التى فرضتها عليه البيئة الاوروبية واضطرته اليها ، والعزلة التى فرضها هو على نفسه ، بحكم انكماشه النفسى الاجتماعى الذى يجعله يتجنب الاختلاط مع ابناء وطنه وابناء ملته على صعيد الاخوة والتفاهم ·

وكذلك نرى ان الجهل بلغة البلد المستضيف (يستثنى من هذا الاندونيسيون الذين يعيشون فى هولندا) ، وضآلة محصول المهاجر من الثقافة القومية يجعل من الصعب عليه توسيع مداركه بالاستعانة بأجهزة الاعلام مثل الاذاعة والاذاعة المرئية والصحف الخ ·

والمساجد التى يمكن ان تكون مؤسسة فعالة وتؤدى دورا فى التهذيب والتوعية قليلة جدا فى أوروبا · فاذا استثنينا مسجدا فى ألمانيا وآخر فى زوريخ (سويسرا) ومسجد فى لاهاى (هولندا) ومسجد فى ووركبنج (لندن) ومسجدا صغيرا كان حظيرة للسيارات فى جنيف .(وأما مسجد باريس فهو لا يزال بحكم الظروف التاريخية فى يد السلطات الفرنسية) ، فان المسلمين لا يجدون مكانا للعبادة والصلاة الجماعية · ومن جهة أخرى ، يجب ان ننوه بالحاح بأن مساجد سويسرا وانجلترا وهولندا ، انما قامت بتأسيسها وتشرف على ادارتها طائفة الاحمدية (غلام الله) ، وهى طائفة وان كانت تقوم بمجهود يذكر فى نشر الاسلام فى أوروبا ، الا انها تختلف عن المذاهب الاسلامية فى كثير من المبادىء الاساسية (مثل ميلاد المسيح وكون محمد (ص) خاتم الرسل ، والمهاجر المسلم الذى يقصد الى مساجد طائفة الاحمدية لاداء الشعائر الدينية ، أو للاجتماع باخوانه المسلمين ، يجب ان يكون واعيا وعلى بينة من هذه الفوارق حتى لا يقع فى سوء تفاهم مؤسف ·

وخلاصة القول ان وضع المهاجر الثقافى يتميز بخصائص سلبية من جميع النواحى تقريبا ، فهو تنقصه القاعدة الضرورية من التعليم التى يمكن ان ينطلق منها مجهود شخصى للتوعية الذاتية ، والتثقيف، كما تنقصه الاتصالات الاجتماعية التى تنبعث منها شرارة الرغبة فى

التقدم والمعرفة ، كما يعوزه المكان الذى يجد فيه الرعاية والاهتمام برفع مستواه الاخلاقى والذهنى ·

والاسوأ من ذلك كله هو ، ان هذه العوامل المتبطلة تتصل اتصالا وثيقا بوضع المهاجر العام ونكاد تكون جزءا طبيعيا من هذا الوضع ، وما لم يتغير نوع المهاجرين ، وما لم يطرأ تغيير على مستوى تعليمهم العام وتدريبهم المهنى ، فسيبقى هذا الوضع ، حتما كما هو ، على المدى القريب والمتوسط ، وكل محاولة لعلاج هذه الحالة ، يجب ان تقوم على دراسةاجتماعية متعمقة وعلىاحصاءات دقيقة ، بقدر الامكان، فى موضوعات مثل : التوزيع الجغرافى للمهاجرين ، وأعمارهم ومستوى النعليم والتدريب المهنى وأنواع المهن التى يمارسونها ، والاوضاع العائلية ، وحالة السكن ، والمدة التى قضاها العامل فى المهجر الخ ·

وهكذا نرى ان عددا غير معروف بالدقة ، ولكنه ليس من المبالغة تقديره بنحو خمسة ملايين من المهاجرين المسلمين يعيشون ويعملون فى محيط غير ودى لا يتفاعلون معه الا بصورة سلبية · وتراكم تأثير البيئة الاوروبية ينطوى على خطر مزدوج ، فقد المهاجر لجذوره وتنكره لبيئته الاصلية لدى عودته الى أرض الوطن ، وتضييع مقومات شخصيته الادبية (وهذا ينطبق خصوصا على الاحداث) وتعرض شخصيته الاسلامية للانفكاك ، متى طالت غربته او اختار الاقامة فى أوروبا الغربية بصفة دائمة ·

وهذه الحالة التى نجمت ، كما قلنا ، عن ظهور فجوة بين الدول الصناعية المتقدمة والبلدانالمتخلفة ، واستغلها الاستعمار لتوفير اليد العاملة الرخيصة لعجلة الصناعة الاوروبية ، حالة لم يواجه المسلمون مثلها من قبل ، وهى تتطلب علاجا أصيلا وسريعا لوقف اخطارها فى المرحلة الاولى ، ثم محاولة استئصال ما تنطوى عليه من الاخطار فى مرحلة تالية · والعمل لهذه الغاية واجب جماعى يقع على عاتقالهيئات والمنظمات والحكومات الاسلامية ·

العلاج ــ دور الحكومات والمنظمات الاسلامية :

يتطلب علاج حالة المسلمين فى أوروبا الغربية عملا شاملا عميق الابعاد شاملا ، بمعنى انه يمتد على جميع المناطق الجغرافية ، حتى التى تكون كثافة الهجرة فيها ضعيفة ، وعميق الابعاد ، بمعنى انه يشمل الجالية الاسلامية كلها ، بقطع النظر عن الاعمار ومستوى التعليم وحواجز اللغة والمذهب التى تفصل بين فئات المهاجرين ، وهذا العمل يتطلب استثمارات مالية وبشرية كبيرة وبدون مردود اقتصادى اللهم الا ما يتعلق منه بتوفر التدريب المهنى والتقنى .

ولكن كيف يمكن القيام بهذا العمل الذى يتحدى تفكيرنا وعزائمنا ؟ هل يمكن ان تقوم بمهمة مساعدة الجالية الاسلامية فى أوروبا الحكومات الاسلامية بتنظيم التعاون بينها لهذه الغاية ؟

جواب هذا المحاضر على السؤال الاخير بالسلب، وذلك للاعتبارات التالية:

1 ـ ان الدول الاسلامية ليست كلها مصدرة لليد العاملة الى أوروبا الغربية ، بل ان البلدان التى توفر العمال للصناعة الاوروبية، أقلية ، حيث انها تنحصر فى بلدان الشمال الافريقى الثلاثة وباكستان واندونيسيا (وتركيا التى لا يزال شعبها مسلما على كل حال ويهم مصير المهاجرين من ابناء الحكومة التركية ايضا) وبالتالى ، فان مطالبة جميع حكومات الدول الاسلامية (وبعضها لم تعد دساتيرها تنص على أنها دول اسلامية) بالمساهمة فى هذا العمل لا يستند على أساس من الواقعية . والدول الاسلامية المصدرة لليد العاملة ،تساهم باعداد متفاوتة الحجم ، فاذا كانت الجالية الجزائرية مثلا ، تعد بمئات الآلاف ، فان الجالية التونسية ، يعد افرادها بعشرات الآلاف ومن البديهى ان المساهمة فى الاستثمارات الاجتماعية المطلوب توفيرها ، يجب ان تأخذ الى الاعتبار هذا العامل الهام .

2 ـ ان التوزيع الجغرافى للجالية الاسلامية فى أوروبا الغربية ، يقوم على أساس التبعية السابقة للدول الاوروبية المستعمرة ، واذا كنا نجد عمالا مغاربة فى ألمانيا الغربية وفى هولندا وبلجيكا ، مثلا ، فان تيار هذه الهجرة حديث العهد وقليل الاهمية ، ولكن القاعدة ، هى ان الباكستانيين يهاجرون الى انجلترا ، والاندونيسيين الى هولندا بينما يتردد المغاربة على أوروبا الناطقة باللغة الفرنسية ،

وبالتالى فليس من الواقعية فى شيء مطالبة اندونيسيا وباكستان بالمساهمة فى عمل مشترك فى صالح الجالية المغربية فى فرنسا ، أو مطالبة دول المغرب بالعمل مع اندونيسيا وباكستان من أجل تحسين حالة جاليات البلدين فى هولندا وانجلترا على التوالى ٠

3 ـ واختلاف اللغات القومية واللغات الثانية ، يشكل عقبة أخرى فى طريق التعاون بين الدول الاسلامية ،لان ارسال المعلمين والمرشدين الاندونيسيين أو الباكستانيين لتعليم العمال المغاربة ولارشادهم فى فرنسا ، سيكون غير ذى جدوى حيث ان اللغة الثانية للاندونيسيين والباكستانيين هى على التوالى : الهولندية والانجليزية ٠

4 ـ تختلف البلدان الاسلامية المصدرة لليد العاملة اختلافا كبيرا من حيث المذاهب السائدة فيها فبينما نجد ان بلدان المغرب تدين بمذهب أهل السنة على أساس تفسير الامام مالك بن أنس ، فاذا بنا نجد ان المذهب الشائع فى باكستان ، مثلا ، هو مذهب الشيعة (وذلك بالاضافة الى الاحمدية) ومادام العمل يستهدف مساعدة الجالية الاسلامية للمحافظة على مقومات افرادها الادبية من الدين والتقاليد الخ ، فليس من الواقعى على ضوء الانقسام المذهبى الحالى تكليف رجال يدينون بمذهب بتلقين المهاجرين مبادىء الدين على أساس مذهب آخر ٠

ومما تقدم ، يتضح لنا انه من غير الممكن ان ننتظر من الدول الاسلامية ان تقوم بعمل مشترك لصالح مجموع الجالية الاسلامية فى أوروبا الغربية ، بل على العكس ، فلكى نضمن جدوى هذا العمل وقيامه على أساس متين ، يتحتم ان يجرى على أساس من التخطيط والانجاز فى الاطار القومى ، ولكن هذا لا يمنع من قيام التفاهم والتشاور لتنسيق العمل بين دول المغرب الثلاث التى كثيرا ما يعمل مواطنوها فى منطقة واحدة ويتعايشون جنبا الى جنب ٠

وعلى الصعيد القومى ، نجد ان المصالح الحكومية التى يعنيها الامر بصفة مباشرة هى : وزارة الشؤون الدينية ، ووزارة العمل ، ووزارة الثقافة ، ووزارة الشؤون الاجتماعية ، ووزارة الخارجية ، حيث ان لكل منها دورا حيويا يمكن ان تقوم به ٠ ولكنه ينبغى ان يكون مفهوما

جيدا ان مهمة مساعدة المهاجرين المسلمين ، لا تنحصر فى توفير الاستثمارات المالية وفى تنظيم توزيع هذه الاستثمارات بطريقة مجدية ومراقبتها اداريا ، بل هي تتطلب اولا وقبل كل شيء ، العامل البشرى الذى يتمتع بالكفاءة ويعمل بدافع من العقيدة وتوفير هذا العامل وتدريبه من الناحية الدينية واللغوية ، تم غرس روح «المبشر» فيه ، هو بدون شك ، أصعب ما تنطوى عليه العملية ، ولذلك يبدو ان تكليف وزارة الشؤون الدينية بالتخطيط والتدريب والاشراف على عمليات التنفيذ (بتعاون مع الجهات التى يعنيها الامر) ، ولكن هذا يتطلب تفاهما خاصا ، مع وزارة الخارجية ، حيث ان القنصليات التى هي بمثابة خلايا حية فى مجتمع المهاجرين ، سيكون لها دور خطير الشأن فى العملية ، ويقتضى الامر تزويدها بالموظفين الاكفاء والخبراء الاجتماعيين ورجال الاحصاء .

ونقطة الانطلاق فى هذا العمل ، هى بطبيعة الحال ، توفير المراكز الضرورية للعمل فى المناطق الكنيفة الهجرة ، ولكن ما هو الشكل الذى ينبغى ان تتخذه هذه المراكز ؟

ان بناء المساجد فى مختلف المناطق والمراكز الصناعية فى أوروبا الغربية أمر غير ممكن من الناحية العملية لتعدد هذه المراكز وللاستثمارات الكبيرة التى سيتطلبها مثل هذا المشروع (وهذا لا يمنع من اقامة مسجدين أو ثلاثة فى كل بلد) وبناء المدارس فى المناطق التى يضمن وجود جالية مسلمة كبيرة فيها باستمرار ، شيء ضرورى لتوفير تعليم الدين واللغة القومية ، ومثل هذا المركز يمكن ان يستغل ايضا لتوفير التدريب المهنى للعمال الكبار السن ، ولتنشيط الحياة الاجتماعية فى أوساط المهاجرين .

ولكن الحل الافضل فى رأى هذا المحاضر ، هو ذلك الذى اعتمدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى يدين لها العالم الاسلامى بالفضل ، حيث كانت أول هيئة اسلامية تهتم بحالة المهاجر المسلم الثقافية وبالعمل للمحافظة على عقيدته الدينية ولتعزيز وقايته من التأثير غير المرغوب فيه للبيئة الاوروبية ، والنظام الذى وضعته جمعية العلماء واختطه رئيسها المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس

يقوم على أساس « نوادى التهذيب » التى انتشرت فى مختلف المدن التى كانت تقيم فيها جالية اسلامية فى فرنسا ، وكان مركزها فى باريس ، والمزية الاساسية لهذا النظام ، هى انه يخفض الاستثمارات المطلوب توفيرها الى الحد الادنى ، حيث ان المهاجر مطلوب منه ان يساهم باشتراكات شهرية فى عملية تعليمه وتثقيفه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان النوادى التى تبيع مشروبات غير روحية توفر مصدرا مهما للدخل الذى يمكن ان يساهم بحصة معتبرة فى تمويل العملية .

ونوادى جمعية العلماء ، كانت مراكز ثقافية نشيطة حية حيث كانت تعقد فيها اجتماعات وحفلات فى الاعياد الدينية والمناسبات القومية ، وتلقى فيها الدروس والمحاضرات فى الوقت الذى توفر فيها مكانا صالحا للقاء والتعارف بين أفراد مختلف فئات المهاجرين الاجتماعية ، والنادى النموذجى ، مجهز بقاعة واسعة للمحاضرات والاحتفالات ، وبمكتب لحفظ الدفاتر ولتحرير الرسائل الخ ، وبقاعة مفروشة مزودة بالمصاحف وبعض الكتب ، تستعمل للصلاة والعبادة والقراءة .

والميزة الاخرى لهذا النظام هى انه مرن ويقبل التطوير والتكييف لمختلف الاوضاع التى تسود بين المهاجرين فى مختلف البلاد ، ولكن تنظيم العمل فى صالح الجالية المسلمة على أسس فعالة ، يتطلب مع ذلك درسا متعمقا للمسألة من جميع جوانبها حتى يمكن استخلاص الحلول العملية الملائمة ، وهذا الدرس ينبغى ان يقوم به خبراء وعلماء الاجتماع ورجال الدين ، بتعاون مع ممثلى الجاليات الاسلامية فى أوروبا الغربية .

دور وسائل الاعلام

للأستاذ تيمور جيلاني

المدير العام بوزارة الشؤون الدينية - اندونيسيا

ونعنى بها خاصة الصحافة ، والسينما ، والتلفـزة التى لها تأثير هدام على المسلمين فى حين يكافح هؤلاء من اجل استعادة شخصيتهم، وهى المسؤولة ايضا على جنوح الشباب ، بل وعلى الاجرام بصفة عامة، والانحطاط الخلقى ·

فى هذا العالم المعاصر المتميز بالتقدم فى مجال الاليكترون وغـزو الفضاء ، تلعب وسائط الاعلام الجماهيرية دورا حيـــويا فى ازدهار الانسانية · واذا نحن لم نراقب هذا الدور ، أو لم نوجهه الوجهـة اللائقة ، فسيكون لوسائل الاعلام هذه تأثير هدام أكثر منه بناء ·

ان التأثير الهدام للصحافة والفيلم والسينما قد يلاحظ بمنتهى السهولة فى القارتين الاوروبية والامريكية بل وحتى فى البلاد الآسيوية ، ومن بينها البلاد الاسلامية • وما لم نتخذ على الفور أو بأسرع ما يمكن اجراءات وقائية للحد من هذا التأثير ، فانها ستزداد توغلا وتعمقا فى مجتمعاتنا الاسلامية لتشكل فيها تحديا خطرا للهوية ، وللطابع الخاص للمسلمين • وأكثر ما يبرز هذا التأثير الهدام فى أوساط الاجيال الصاعدة من المسلمين الشباب •

ونحن بالنظر الى اساليب التواصل الحديثة ، لا يسعنا ان نحول كلية دون هذا التأثير بحكم ان البرامج التى تبثها الاذاعة والتلفزة قادرة على النفاذ الى أبعد الانحاء ،وحتى الى البقاع المقدسة الاسلامية•

ولهذا السبب ، فان انجع وسيلة للدفاع ضد هذه التسللات الهدامة كانت ولا تزال تتمثل فى **الايمان** ، فى الاعتقاد بالله طبقا لما جاء فى تعاليم الاسلام •

فواجب علينا نحن جميعا على مستوى الاسرة ، ربها وأطفالها ، ان نتسلح بالقوة الروحية التى يتيحها لنا ايماننا الى درجة ان هذه القوة تغدو قادرة على تحريك أيدينا لادارة القفل واطفاء المذياع أو التلفزة كلما كانت الحصة المعروضة او المذاعة ذات طابع مناف للاخلاق او لديننا الحنيف • ومع ان التدابير الوقائية او العلاجات التى يحفل بها الاسلام لاتقاء هذا التأثير السيء معروفة بما فيه الكفاية ، فانه يتعين علينا ان نبذل اولا قصارى جهودنا قبل ان نعوذ بالله ، ونلتجىء الى لطفه • ان أمة اسلامية مكافحة لا يسعها أبدا ، ولا يجوز لها بحال من الاحوال ، ان تجهل او تتجاهل مبدأ « **الامر بالمعروف والنهى عن المنكر** » •

انه لمن الواجب علينا ان نعلم ابناءنا منذ نعومة اظفارهم قواعد الصحة الجنسية والعقلية ، وذلك بتدريبهم على كيفية الاخذ بالطهارة الجسمية والعقلية • وهذا ما يتضمنه المعنى الحقيقى « للوضوء » قبل الانتقال الى « الصلاة » التى تمدنا فى الآونة الراهنة بأحسن ألوان التربية الجنسية •

ومن ناحية أخرى ، فان قواعد الايمان ، وأركان الاسلام الخمسة ، اذا ما لقنت بمثل هذه الطريقة بحيث تستثير لدى الطفل فهما يتماشى وسنه ، ستساعد على خلق قوة ديناميكية تحمى اجيالنا الطالعة من التأثير الهدام للصحافة والسينما والتلفزة ٠

ان مشاكل شبابنا الصاعد ، وخاصة ما يتعلق منها بتكوين طبعهم بحيث يسمح لهم مقاومة الجنوح والميل الى الاجرام لا تفتأ تزداد أهمية فى مجتمعنا ، وخاصة فى المدن الكبرى ٠ والغايةالتى ينبغى ان تهدف اليها كل تسوية لهذه المشاكل نكمن فى تحقيق حياة اسروية سعيدة مزدهرة ، تعيش فى انسجام تام مع تعاليم الاسلام ، ومثل هـــذه الاسرة ، من شأنها ان تساعد على تأسيس جماعة اسلامية ديناميكية قوية ، تكون قادرة على تحقيق شريعة الاسلام بوصفها نمطا للحيـــاة الاسلامية ٠ ويستطيع المسلمون بهذه الوسيلة ان يجعلوا بلادهم تتقدم وتزدهر بالمعنى الاوسع للكلمة أى روحيا ، وعقليا ، وماديا ، وكذلك من الوجهة الاجتماعية التقافية ٠ ان اتقاء هذه التأثيرات السـلبية للصحافة والفيلم ، والتلفزة ، وكذلك تكوين وتربية الشباب لأشـد ارتباطا ببناء الامة ذاتها ٠ فمن الاهمية بمكان بالنسبة لمستقبل العالم الاسلامى ان يكون واثقا متأكدا من هذه الطاقات البشرية الهائلة التى تشكلها هذه الشبيبة ٠

ولهذا السبب ، يتعين على الامم الاسلامية أن تعمد الآن الى اعـداد مشروع اجتماعى يعنى بتصحيح وتحسين وضعية الشباب الاســلامى الصاعد ٠

ان مستقبل العالم الاسلامى مرهون بكفاح أو بجهاد الشـــعوب الاسلامية ، ومتوقف على مدى نجاح القادة المسلمين فى توحيد هذه الشعوب ٠

ويشرفنى أن أقترح عليكم مشروعا اجتماعيااسلاميا ذا طابع كونى، وقابلا للتطبيق على كافة الامم الاسلامية مع مراعاة خصـــوصياتها الوطنية ٠ ومع ذلك فأنا على شىء من التفاؤل بصـدد نجاح هـــذا المشروع بالنظـــر الى القيم الخلقية التى ما تزال قائمة فى الجماعة الاسلامية العالمية ، وبالنظر ، خاصة ، الى العوامل الآتية :

أ ـ ان المعايير الدينية للاسلام وللشريعة يعترف بها ويعمل بها معظم المسلمين ٠

ب ـ ان عدد الخبراء المسلمين فى الميدان العلمى ، وفى الشؤون الاجتماعية ، بل وحتى فى الحقل التيكنولوجى لا يفتأ فى نماء وازدياد

ج ـ ان الجهود ما تزال مبذولة للحفاظ على المعايير الاسـلامية القائمـة ٠

د ـ ان المسلمين يبرهنون على ارادة قوية وعلى عزيمة صلبة لمحاربة التأثيرات السلبية كالتى يشـيعها مثلا الخنافيس ، والادب الداعر ، والافلام الجنسية ، وغير ذلك ٠

هـ ـ ان بنية الجماعة الاسلامية والتقدم الاجتماعى فيها تجعل من قبيل الامكان ممارسة الرقابة على تجاوز المعايير ٠

و ـ والعامل الاكثر ايجابية هو بطبيعة الامر الايمان بالله ٠

(1) **اللوحة الخلفية للمشكل** : ان التأثيرات السـلبية للصحافة والفيلـم والتلفـزة تتجلى بوصفهـا نتيجة للنمو وللتحـولات الاجتماعية ٠ فبقدر ما تنفتح سبل المواصلات والتواصل بين العـالم الاسلامى والعالم الخارجى متل سبل التواصل مع روسيا والصـين ، يبرر كون هذه التأثيرات السلبية تنمو اذا لم يوضع لها حد بصورة جـدية ٠

(2) ان الجنوح لدى الشباب قد يمثل نذيرا بالنزعة الاجرامية لدى الراشدين ذلك لانه يعبر عن مسلك غير عادى ، ويشكل عملا ذا طابع غير اجتماعى بل ومناهض للمجتمع ، عملا يتجاوز القانون ، وعادات المجتمع وتقاليده ، والمعايير الدينية ٠

ان التأثيرات السلبية للصحافة والفيلم والتلفزة تكون مسيطرة :

أ ـ حين يكون الوضع الاجتماعى السياسى للامة غير ملائم ٠

ب ـ حين لا يكون المجتمع ذا مناعة بسبب ضعف القاعدة الاجتماعية الاقتصادية ٠

ج ـ حين يكون المحيط الاجتماعى السيكولوجى غير مستقر ٠

د ـ حين تكون الجوانب الديموغرافية غير قابلة للمراقبة .

هـ ـ حين لا يستكمل تحقق الاستقرار الطبيعى والعقلى للمجتمع .

و ـ حين لا يتحقق التوازن بين التقدم التيكنولوجي ، وقدرة التلقى العقلية للمجنمع الذى عليه أن يتقبل التكنولوجيا الحديثة .

ز ـ حين يجر نمو وسائط التواصل الجماهيرية بسهولة الى تقبل حضارة أجنبية متناقضة مع الثقافة الاسلامية .

(3) **مفاهيم الوقاية** :

ان مشكل الجنوح لدى الشباب والاقبال على الجريمة لدى الكبار يبدو فى تضخم وازدياد سواء من ناحية الكم أم من ناحية الكيف . وهو يهم مباشرة مستقبل الجيل الصاعد والمصالح الوطنية ، ولهذا السبب يجب ان يحل بتظافر الجهود على المستويين الوطنى والعالمى . وما لم يجد هذا المشكل حلا ، فان الانحطاط الخلقى سيمتد حاملا معه الفوضى فى حياة الشباب ، ومعرضا للخطر الامن والسلام العموميين والحياة الوطنية والدينية .

والقواعد الشكلية لأى وقاية هى :

أ ـ القانون الاسلامى والشريعة .

ب ـ دستور البلاد .

ج ـ التشريع البرلمانى .

والأسس المساعدة على حصر المشكل هى :

أ ـ ان يوضع فى الحسبان بأن هذا المشكل لا يتجلى كما لو كان ظاهرة معزولة ، ولكنه وثيق الصلة بغيره من المشاكل فى علاقة تأثيرية متبادلة .

ب ـ كون الجنوح لدى الاحداث لا يوضع فى نفس مستوى الاجرام لدى الراشدين .

ج ـ كون هذا الامر يتعلق أساسا بقضية موقف عقلى وروحى . واذا ما نظر اليه من هذه الزاوية ، فان للدين وللاسلام بوجه خاص دورا حاسما يؤديه في ايجاد الحل له .

ونظرا لامتداد وتعقد المشكل ، يتعين ان تتضمن العلاجات ما يلي :

أ ـ اجراءات وقائية ،

ب ـ اجراءات قمعية ،

ج ـ علاج خاص ، واعادة الاعتبار الى الجانح ·

والاجراءات الوقائية تتضمن بصورة عامة :

أ ـ أعمالا بناءة لفائدة الاجيال الصاعدة ، وذلك بواسطة :

ـ التربية ابتداء من التربية فى فترة ما قبـــل الولادة للآباء ، وبخاصة للمرأة المقبلة على مرحلة الامومة ·

ـ التربية الخلقية بما يتماشى وتعاليم الاسلام ،

ـ التربية الدينية بالمفهوم الاوسع للكلمة ،

ـ تشجيع المهارة الروحية واليدوية ،

ـ التربية المدرسية الصفية ،

ـ تربية غير صفية ومستديمة ضمن المجتمع ·

ب ـ تحسين البيئة او الوسط والشروط الاجتماعية ، وذلك لخلق جماعة اسلامية تكون فيها الاوضاع والظروف ملائمة لنمو ســـليم ، ولتطور الشباب ، ويتمثل ذلك فى :

ـ تحسين الظروف العائلية ،

ـ تحسين التكوين المدرسى ،

ـ تحسين المجتمع ·

ج ـ ان توضع تحت تصرف الشباب الوسائل الحيـــوية اللازمة لتكون دعامة لتربيتهم الذاتية ولجهودهم ، وذلك حتى يعملوا بأنفسهم على خلق محيط وشروط اجتماعية أكثر ملاءمة ·

ويجب ان تتخذ تدابير وقائية خاصة لضـــــمان الامن العام بين الشباب ، وتتضمن هذه التدابير ما يلي :

ـ مراقبة الشباب ضمن محيطهم فى مواقفهم وســــلوكاتهم وأعمالهم ·

- القيام بعمل دائب لقيادة وارشاد الآباء وابنائهم وذلك حتى يستطيع الاوائل ارشاد وتربية الاواخر بحيث يحملونهم على السلوك سلوكا سويا وبصورة طبيعية ·

- تربية خاصة لاولئك الذين تبدو عليهم ملامح الجنوح ·

وتطبق **التدابير القمعية** على الشباب الذين جر جنوحهم الى النيل من القوانين وتجاوزها ، والطريقةالاجرائية لهذه التدابير هى التالية:

1 - حملات مطاردة واعتقالات ·

2 - تحقيقات بوليسية واستنطاقات ·

3 - طرد الاحداث واعادتهم الى أهليهم ، أو اعتقالهم المؤقت ·

4 - تقديم الجانح الى المحاكمة ·

ويلجأ الى العلاج الخاص والى اعادة الاعتبار بعد سلسلة من الاجراءات القمعية اذا ما تبين انه ما يزال بالامكان تحسين سلوك الشخص المعنى أو اعادة تربيته · ولا يجرى هذا العلاج الخاص على الفتى المعنى فحسب ، بل وينبغى ان يشمل كذلك الاولياء ، وكل شخص يتولى كفالته ورعايته · ويتضمن العلاج الخاص ما يلى :

1) اعادة التربية فى مؤسساتمتخصصةبتربية الشباب الجانحين،

2) اعادة ادماج الشباب فى المجتمع ،

3) ادماجهم من جديد فى مدرسة من المدارس او فى أى نشاط مهنى آخر ،

4) مراقبتهم ·

(4) **برمجة العمل** :

ستظل الاعمال الوقائية والقمعية أو اعادة الاعتبار بالنسبة الى الجانحين من الاحداث دون أثر يذكر ما لم تكن مشفوعة ببرامج ملموسة فى التخطيط والقيادة تقوم على حسابات دقيقة ·

وينبغى ان تعتمد هذه البرمجة على الاعتبارات الآتية :

أ ـ تهيئة حياة منظمة للشباب تساعد على النماء والتطور الطبيعى لأجيالنا الصاعدة • وعند ذلك ، يكون ، بامكاننا ان نأمل فى تكوين جيل راشد افراده من المجاهدين الحقيقيين الاكفاء مما يفيد ، فى نفس الوقت ، اعادة البناء ، والدفاع ، وسلامة وأمن الامة •

ب ـ اقرار الامن والنظام العام ، استقرار مظاهر الحياة الاجتماعية، بعث مجتمع مكفول فيه الامن والرخاء والطمأنينة الوطنية ، الاسهام اللائق فى السلام العالمى الذى يقوم على تعاليم الاسلام فيما يتصل بنمط حياة يتماشى والشريعة ، ويتفق وما يصف به القرآن الكريم البلد الطيب المثالى •

(5) أهداف البرنامج :

أ ـ على المدى القصير : خلق ظروف لحياة منظمة للشباب تساعد على تحقيق الاستقرار في مجالات السياسة ، والاقتصاد ، والدفاع ، والامن الوطنى ، ضمن نطاق نضال المسلمين فى سبيل مجد وعظمة الاسلام •

ب ـ على المدى المتوسط : التمهيد لخلق وضع وظروف ملائمة لتحويل مسؤوليات ومهام الاجيال السابقة الى الاجيال اللاحقة •

ج ـ على المدى البعيد :

خلق جيل من الشباب قادر على مواصلة الكفاح لتحقيق ما يهدف اليه الاسلام من خلق مجتمع الامن والسلام •

وهذا البرنامج هو أساسا برنامج توجيه لم يبلغ بعد درجة مخطط نهائى • ذلك لأن معلومات ، ومعطيات، وتفاصيل مادية اخرى ، تشكل قاعدة العمل ما تزال غير كاملة • وأرجو ان يساهم هذا الملتقى فى جمع معلومات ومعطيات بطريق شفاهى او كتابى • وقد يبرر هذا الامر كذلك ، عقد ملتقى جديد فى العام القادم لمناقشة وتنسيق تعاون المسلمين على المستوى العالمى فى هذا المجال • ويهم هذا البرنامج المواد التقليدية والسلطات ، ولكنه يهم كذلك الجهود الدولية المشتركة •

(6) تفاصيل البرنامج

1 ـ فى مجال الوقاية :

أ ـ **على المدى القصير** : ان الهدف الاساسى من الاعمال الوقائية على المدى القصير هو القضاء على ظاهرة الجنوح ، والحصول على مزيد من التفهم والعناية من جانب الآباء ، والمعلمين ، والمجتمع ، تحسين فعالية التراتيب والوسائل المعدة لتوقى الجنوح ، المحافظة على الظروف الحسنة والوضعية الملائمة لاستقرار سياسى ، واقتصادى ، وضمن هذه الغاية ، يمكن برمجة النشاطات التالية :

1) تقوية واستخدام الصحافة الاسلامية من أجل تنظيم حملات حقيقية : حملات تمهيدية ، حملات توزيع وتبليغ ، حملات عامة ، وحملات تأمل وتفكير بعد العملية ٠

2) أعمال توجيه وارشاد ٠

3) التربية خلال الفترة السابقة للولادة ، وذلك بواسطة توجيه وارشادات نوعية ،

4) تحسين الاحوال المعيشية للاسر ، وذلك لخلق وضع عائلى ملائم ، لا يجد فيه الجنوح مكانا ، تقديم مساعدة اجتماعية واقتصادية للاسر الفقيرة ، تحذير وتقديم اقتراحات للاسر الغنية التى لا يجد فيها الآباء ما يكفيهم من الوقت للعناية بتربية ابنائهم ٠٠ الخ ٠٠

5) تحسين التربية الخلقية للاطفال بالمدرسة ، وذلك :

ـ بزيادة حصص التعليم الدينى ٠

ـ بمراقبة طريق الذهاب والاياب بين المنزل والمدرسة ٠

ـ بتجديد الحياة المدرسية ، وخاصة ما يتعلق منها بالدراسة الدينية ٠

6) تحسين التربية خارج المدرسة عن طريق :

ـ استعمال مراكز الشباب والمخيمات ،

ـ تطوير وتحسين التنظيم الكشفى ،

ـ الجمع بين النشاطات الكشفية وغير الكشفية ضمن التدريب العسكرى ،

ـ تأطير تربصات تكوين مدربى الشباب ،

ـ شغل أوقات الفراغ بكل ألوان الانشطة المفيدة ،

ـ انجاز حصص اذاعية وتلفزية خاصة بالشباب ، واستخدام الادب المخصص للشباب ،

ـ ايجاد أشغال وأعمال مأجورة للشباب •

7) تشديد الحراسة والرقابة على :

ـ تداول الافلام ، والادب ، والصور ، واليوميات ، والاغانى ، والحصص الاذاعية والتلفزية التى من شأنها هدم أخلاق الشباب ،

ـ الملاهى الفاحشة ، وخاصة بالنسبة الى الشباب ،

ـ كل ما يتصل بالاعمال والمواقف السلبية الصادرة عن الشباب•

ـ الشباب الزائغ المنحرف الذىنعود التسكع فى الشوارع ليلا •

ب ـ **على المدى المتوسط** : يتمثل الهدف الاساسى من المساعى الوقائية على المدى المتوسط فى تقوية ما ورد ذكره ضمن برنامج العمل ذى المدى القصير ، وذلك لدعم الاستقرار المتحصل عليه فى ميدان الايديولوجية ، والسياسة ، والاقتصاد ، والمجتمع ، والامن ، والثقافة ، والدين • ولهذه الغاية ، يتعين القيام بالانشطة التالية :

1) حملات تقوية وتوسيع ،

2) تشديد القيادة التوجيهية والاعمال الارشادية ،

3) صيانة الوسائل القائمة ، ووضع وسائط جديدة للقيادة والتوجيه داخل وخارج المدرسة •

ج ـ **على المدى الطويل** : ان الغرض الرئيسى من برنامج يطبق على المدى البعيد فى مجال الوقاية هو تقوية وتوسيع النشاطات الواجب القيام بها على المدى المتوسط ، وبالتالى الحصول على استقرار الايديولوجية ، والسياسة ، والاقتصاد ، والمجتمع ، والثقافة ، والامن ، وكذا الدين • بحيث يسمح هذا الوقت القصير بتكوين جيل من الشباب تتوفر له القدرة على الاسهام بالنضال الاسلامى فى سبيل العدل والرخاء ، ولهذا الغرض يوصى بالنشاطات التالية :

1) تجديد نظام التربية القائم على أسس من الاسلام ، والشائع فى العالم أجمع ،

2) انشاء مؤسسات ووسائل تهدف الى تنمية وترقية الاجيـال الصاعدة ،

3) تحقيق أسرة ومجتـــمع مزدهرين روحيا وماديا ، بالغين المثل الاعلى فى العدل والانتشار فى العالم أجمع ٠

4) بعث ثقافة اسلامية ، وقيم اسلامية أخرى فى الميدان العلمى ، والعادات مثلا ، والمحافظة عليها ٠

2 ـ **فى مجال القمع :**

أ ــ **على المدى القصير** : الهدف الرئيسى من أعمال القمع على المدى القصير هو وضع قوانين آمرة محددة لقواعد العمل ، من أجـل الحفاظ على الظروف الحسنة ، وعلى الوضعية الملائمة ، وهـذا يتطلب التدابير التاليـــة :

1) اتخاذ اجراءات عاجلة ضد كل أنواع الجنوح والنشاط السلبى لدى الشباب ، تلك الانواع التى من شأنها تعكير صفو الاســـتقرار والامن والسياسة والاقتصاد ، وتعرض حياة الامة العامة للخطـــر ، خطر حياة الخنفسة ، وعصابات الشباب ٠

2) الانتهاء من كل المحاكمات الجارية بشأن الجنوح ،

3) تكوين أشخاص يعهد اليهم رسميا بفرض احترام القانون فى اطار قمع الجنوح ٠

ب ــ **على المدى المتوسط** : الهدف الرئيسى من أعمالالقمع فى المدى المتوسط هو الحصول على استقرار الوضع ، وفى الوقتذاته ، الامعان فى اصدار القوانين المناسبة وهذا يستلزم التدابير التالية :

1) تحسين واستكمال ما صدر من الاوامر بشأن حماية الشـــباب من الجنـــوح ،

2) انشاء دور للتربية يمكن ان تطبق فيها تدابير قمع الجنوح ،

3) انشاء محاكم خاصة فى المدن الكبرى لمعالجة حالات الجنوح ،

4) التكوين الخاص لممثلى الشرطة الرســــميين ، والمحامين ، أو القضاة ، بما يكفل لهم التخصص فى معالجة شؤون الشباب ٠

ج ـ **على المدى الطويل** : والهدف الاســـاسى منه هنا ، هو تعزيز الاستقرار المتحصل عليه فى التدابير المتخذة على المــدى المتوسط ، وهذا يستوجب الاجراءات الآتية .

1) سن قوانين : تجديد القوانين التى لم تعـــد تتلاءم ومتطلبات العصر الحديث ،

2) تحسين ومد جهاز القمع ، كتحويل مبان خاصة مثلا الى سجون لاحتجاز الشباب الجانح ، ومحاكم متخصصة فى شـــؤون الاحداث ، وتكوين القائمين على كل ذلك ·

3 ـ اعادة التربية ، والعلاج ، واعادة الاعتبار :

أ ـ **على المدى القصير** : الهدف الاساسى من هذه التدابير هو وضع الجانح المعادة تربيته فى أحوال وشروط ســيكولوجية حسنة بما فيه الكفاية ليتسنى له الاندماج مرة أخرى فى المجتمع ، فى الدولة ، فى الجماعة الوطنية · وهذا يتطلب القيام بالاعمال التالية :

1) ان يطلب من الخبراء فى شـــؤون الصحة العقلية متابعة عملية اعادة التكيف والتلاؤم للجانح سابقا .

2) ان نحسن ونستخدم ، الىاقصى حد ، مؤسسات التربية القائمة خاصة لاجل اعادة تلاؤم الجانحين السابقين ·

3) ان نطلب المساعدة ، ونعمل على تنظيم فترات تدريبية لتكوين متخصصين فى العلاج العقلى ، ومساعدين اجتماعيين ، لاعــادة تلاؤم وتربية الجانحين ·

ب ـ على المدى المتوسط :

1) مضاعفه عدد الخبراء والمتخصصين فى العلاج العقلى ،والمساعدين الاجتماعيين ، وغيرهم ···

2) سن قانون يعنى بمعالجة الشـــباب الجانح ورعايتـــه خارج المؤسسات ،

3) بناء ومضاعفة عدد المراكز الخاصة باعادة الاعتبار ، وتجهيزها بالمعدات وبالموظفين ، وجعلها بحيث تستجيب لظروف كل مدينــــة كبـــرى ·

ج – على المدى الطويل :

1) تحسين ومد المراكز المختصة تبعا للحاجات القائمة ،

2) زيادة عدد الخبراء والموظفين الاكفاء ضمن هذه المراكز المختصة ،

3) العناية بالوسائل وبالموظفين وبنشـــــاطات اعادة الاعتبار ، وذلك :

– بزيادة عدد مؤسسات وميادين العمل المخصصة للشباب ،

– برفع المشاركة الخصوصية فى الانشطة الاجتماعية من أجـل تكوين جيل ديناميكى موفور الصحة ٠

(7) دور الجماعة الاسلامية والمسلمة :

ان الاسلام هو دين الله الحق ، المنزل على خاتم النبيئين محمد صلى الله عليه وسلم ، الدين الذى أتمه الله وحده ، وفى الاسلام من القيم الروحية والخلقية ما يجعله يستجيب لكل المتطلبات ذات الصـلة بما سبق ذكره ٠ فعلى المسلمين أنفسهم ان يعملوا بتعاليم الاسـلام ، مع استكمالها بأحسن طريقة ممكنة ، وذلك باعمال الفكر فى أوامر الله المحيط علما بكل شيء ، وان شاء الله ، سيكون الله فى عوننا ما بادرنا الى نصرة دينه تعالى ٠

أَجْهِزَةُ الأَعْلامِ
أَكْبَرُ جَامِعَةٍ شَعْبِيَّةٍ

علاقات الجامع الأزهر بالجزائر بمناسبة عيده الألفي

للأستاذ المهدي البوعبدلي
عضو المجلس الإسلامي الأعلى ونائبه - الجزائر

فتحت مصر كما هو معلوم سنــة 20 هـ على يد عمرو بن العاص (ر ض) وكان أول عمل قام به بعد الفتح تأسيسه للمدينــة المعروفة بالفسطاط ، العاصمة الاسلامية ، وفيها أسس مســجده المعروف بجامع عمرو ، ثم بالجامع العتيق وذلك سنة 21 هـ 641 م .

وفى سنة 123 هـ 750 م أسست قرب مدينة الفســطاط مدينة العســكر ، أسسها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قائد جيش الخلافة العباسية ، الذى تعقب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وألقى عليه القبض ثم قتله ، وبعد ذلك أسس مدينة العسكر ، التى هى عبارة عن معسكره ، ولهذا وضع لها لفظ العســكر ، وفيها بنى مسجده المعروف بها ثم أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سـنة

156 هـ 870 م لتكون عاصمة أو قاعدة مملكته الجديدة، وبنى مسجده الشهير بمسجد ابن طولون .

هذه هي المدن الثلاث أو الارباض الثلاثة التي وجدها جوهر الصقلي ، قائد المعز لدين الله الفاطمي عندما فتح مصر سنة 358 هـ على رأس جيشه العرمرم الذي كان معظمه من قبائل كتامة الجزائرية .

وبمجرد انتهاء الفتح أسس جوهر المدينة التي عرفت باسم القاهرة المعزية الخالدة ، أي في سنة الفتح نفسها ثم وضع أساس مسجده الذي عرف بالجامع الازهر سنة 359 هـ وانهاه سنة 360 أو 361 هـ (970 م) وبعد اتمامه كتب جوهر بدائرة قبته ما يلي « مما أمر ببنائه عبد الله ووليه ابو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب ، وذلك في سنة ستين وثلاثمائة » فمن هذا يتبين ان الازهر هو أقدم جامعة عالمية ، لا جامعة بولونية الايطالية التي قيل انها أقدم جامعة عالمية ، وذلك انها تأسست سنة 1119 م ، أي بعد الازهر بمائة وتسع وأربعين (149 سنة) ثم نجد السوربون بباريس تأسست بعد جامعة بولونيا في القرن الثاني عشر ، وجامعة اكسفورد بانكلترا تأسست سنة 1224 م .

ولا يمنع وصف الازهر من أنه أقدم جامعة عالمية من وجود جامعي الزيتونة والقرويين قبله : فجامع الزيتونة بتونس يرجع تاريخ تأسيسه الى سنة 80 هـ (699 م) اذ اختطه لاول الفتح الاسلامي القائد الاموي الطائر الصيت حسان بن النعمان الغساني ، ثم أعاد بناءه القائد الاموي عبيد الله بن الحبحاب في سنة 116 هـ (734 م) وهذا التاريخ الاخير هو ما يقتصر عليه كثير من المؤرخين الذين ينسبون تأسيس الزيتونة الى عبيد الله بن الحبحاب ، والحقيقة ما ذكرناه ، وانما كان الجامع عند تأسيسه سنة 80 بسيطا جدا وهذا لا يمنع من أنه جدد في موقعه الاول ، والبساطة كانت تمتاز بها جميع مساجد الاسلام في عهد نشأتها .

كما أن القرويين بفاس أسس سنة 245 هـ (859 م) وانما اختص الازهر بوصف القدم لانه يمتاز عنهما بمواصلته لمهمته العلمية من

دون انقطاع الى يومنا هذا وان وجدنا في تاريخه الطويل ، فترات ، تخللها ركود وضعف وتعطيل ، ومع كل ذلك فانه فرض نفسه وحافظ على صبغته الثقافية الدينية ، الى أن صار سكان مصر وغيرهم من المسلمين يرونه رمزا ، وجزءا لا يتجزأ من تاريخ مجدهم الديني والدنيوي ، وكل من حاول من الملوك والسلاطين ان يخفف من شأنه، أو ينهي مهمته الثقافية ، حيث كانوا يرونها امدادا للدعوة الشيعية، بعد تقلص ظلها ، ابتداء من عهد الايوبيين ، فكل من أراد ذلك ارتطم بالرأى العام ، الذى كان يفرق بين الملوك الشيعيين والازهر ، وهذا هو السبب في اكتساب الازهر الحصانة التى جنبته كل مكروه ، وصارع بها الاجيال وأدى مهمته كاملة .

لما فتح جوهر الصقلي مصر ، أدى أول صلاة جمعة بالجامع العتيق ، أي جامع عمرو بن العاص في الفسطاط ، وذلك في شعبان 358 هـ قبل الشروع في بناء الجامع الازهر وفي هذه الصلاة خطب لاول مرة للخليفة المعز لدين الله الفاطمي بدلا من الخليفة العباسي ، وقد أمر جوهر بنقش جدار المسجد العتيق المذكور وصبغه باللون الاخضر الذى هو شعار العلويين ، وزيد في الخطبة « اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين اذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا اللهم صل على الائمة الراشدين ، آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهتدين » .

كما أم جامع ابن طولون ، وزيد في أذانه : (حي على خير العمل) وهي عبارات شيعية ثم أم جامع العسكر ، واقتصرت هذه المساجد الثلاثة : الجامع العتيق ، وجامع العسكر ، وجامع ابن طولون على تعليم اللغة العربية وأصول الدين ، وخصص الجامع الازهر لصلاة الجمعة الرسمية ، وذلك ابتداء من أول صلاة صلاها فيه جوهر في 7 رمضان 381 هـ ولما فارق المعز لدين الله مملكة افريقيا ، وخلف عليها عامله بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجي سنة 361 هـ ووصل مصر سنة 362 هـ واتخذها عاصمة المملكة بدلا من المهدية ، افتتحت الدراسة بالازهر في صفر عام 365 هـ (975 م) وكان أول من القى الدرس الاول القاضي ابو الحسن علي بن النعمان وكان موضوع الدرس « مختصر الاقتصار » في الفقه الشيعي تأليف والده القاضي الذائع

الصيت النعمان بن محمد فقيه الشيعة الشهير ، الـذى صحب الملك المعز لدين الله عند مجيئه الى مصر ، وقد توفى سنة 363 هـ وصلى على جنازته الملك المعز . ولفقيه الشيعة القاضى النعمان القيروانى هـذا شهرة عظيمة فىالاوساط الشيعية الىيومنا هذا ،وقد أحيا الشيعيون تراثه ، وطبعوا عدة كتب من تآليفه منها « دعائم الاسلام » فقد نشر بالقاهرة منذ سنين قليلة ، وما زال عمدة طائفة البهرة فى الهنـد وبعد وفاة الملك المعز لدين الله وتولية ولده الخليفة العزيز أبى الحاكم تطور الازهر واستحال الى معهد علمى له أهميـة ، حيث ان الخليفة المذكور عين فيه دفعة واحدة ، خمسة وثلاثين مدرسا شيعيا لتدريس الفقه على مذهب الدولة ، وبقية الفنون كالعقائد والادب ثم ابتنى لهم مساكن مجاورة للجامع وأجرى عليهم المرتبات ، وصار يمنحهممختلف الاعانات والهدايا كما شملت رعايته جميع الطلبة المتحلقين بالازهر فانه التزم بجميع ما تسـتلزمه ضرورياتهم من مأكل ، وملبس ، ومسكن .

بعد ما حول الخليفة العزيز أبـوالحاكم بـن المعز لدين الله مسجد الازهر الى معهد دينى ، شرع فى بناء مسجده الشهير بمسجد الحاكم ، وذلك سنة 379 هـ 989 م تحت اشراف وزيره الشـهير الذى كان الرأس المفكر للدولة أبو الفرج يعقوب ابن كلس اليهودى الاصل ، الا انه أسلم وحسن اسلامه ، وبرهن على صدقه واخلاصه ، وكان مـن أنبغ علماء عصره ومفكريه وقد صلى فى المسجد الجديد ـ مسـجد الحاكم ـ الخليفة العزيز قبل الانتهاء من بنائه صلى فيه الجمعة وذلك فى 14 رمضان سنة 381 هـ وقد تم بناء هذا المسـجد سنة 403 هـ 1012 م وحبس عليه الاحباس ، وصارت تقام فيه صلاة الجمعة بعد ان كانت مقصورة على الازهر ، ومن ذلك العهد سمى بجامع الخطبة ، كما صارت الجمعة تصلى بجامع عمرو بن العاص وجامع احمـد بن طولون على التوالى،وقد بقيت هذه المساجد وبعض آثارها الى يومنا هذا واهتم بدراسة آثارها المعمارية كثير من الكتاب،مسلمين وأجانب ، هذه نبذة من تاريخ الازهر فى عهد مؤسسيه الفاطميين .

الازهر فى عهد الايوبيين

لما قضى صلاح الدين الايوبى على الفاطميين سنـة 567 هـ 1171 م وتولى الملك أراد ان يجرد الازهر من صبغته الرسمية ، التى اشتهر

بها طوال عهـــد الفاطميين من أنه مركز انبثاق واشـــعاع للمعالم الشيعية ، وتدعيمها بالحجج والبراهين ، الا ان الرأى العـام لم يكن متهيئا لقبول هذه الصـــــدمة ، رغم انه كان متذمرا ببقايا الخلفاء الفاطميين خصوصا بعد أن ثار عليهم ولاة افريقيا بنو زيرى وتبرأوا من مذهبهم الشـــــيعى واظهروا ما خفي على الناس من تصرفاتهم وعقائدهم بعد ان انتصروا للفقهاء السنيين الذين تزعموا المعارضة في افريقيا والاندلس ، مما هو مذكور بمزيد من البيان والتفصـــيل في الكتب التى خصصها اصحابها لتاريخ هـذا الصراع السرى والعلنى وأهمها كتاب « رياض النفوس » لابى بكر عبد الله بن ابى عبد الله المالكى الذى اعتنى بتقديمه وتحقيقه د . حســين مؤنس وتعرض فى تقديمه لجميع اطوار هذا الصراع الذى كانت بدايته مغادرة أو التفكير في مغادرة الخلفاء الفاطميين لافريقيا بعد ثورة أبى زيد مخلـــد بن كيداد الخارجى الاباضى المشهور « بصاحب الحمار » ، ونهايته بالقاهرة على يد صلاح الدين الايوبى ، اســـتعمل صلاح الدين طرقا ملتوية للوصول الى هدفه ، فأصدر أولا فتوى من قاضى القضاة الشـــافعى بالقاهرة عبد الملك بن درباس لنقل الجمعة الرسمية من الازهر الى الجامع الحاكمى ـ الذى وان كان مركزا شيعيا ممتازا الا انه أقل أهمية من الازهر ـ الذى بناه الخليفة العزيز أبو الحاكم ووضع أساسه سنة 379 هـ فافتاه قاضى القضـــاة المذكور وعلل فتـــواه : (بأن الجامع الحاكمى أوسع رحابا واكثر جدة من الازهر) وبعد ان صارت الجمعة تصلى بالجامع الحاكمى وكان تعليل الانتقال مقبولا ، ولم يثر جـدلا ، أصدر قاضى القضاة فتوى أخرى افتى فيها « بعدم جواز اقامة خطبتين للجمعة فى مسجدين بقعان فى بلد واحد » فتوصل صلاح الدين الى هدفه ، واستبدل الازهر بالجامع الحاكمى ، ولكن ســـمعة الازهر وشهرته ، جعلت معظم العلماء الوافدين على مصر فى طريقهم الى الحج يقصدونه ويعقدون فيه حلقات دروسهم ، ولم يرضوا برحابه بديلا ، وممن اشــــتهر من العلماء الوافدين على مصر فى تلك الظروف امام القراءات الشهير أبو القاسم الشاطبى الرعينى (538 ـ 590 هـ) الذى كتب لتأليفه فى القراءات « حرز الامانى » أو «الشاطبية» أو «اللامية» الخلود الى يومنا هذا فى العالم الاسلامى كله عند المشتغلين بالقراءات

خصوصا فى برامج الجامعات كالازهر والزيتونة والقرويين ، عقد الامام الشاطبى حلقات دروسه بالازهـــــر وفى رحابه ، رغم انه دعى الى التدريس بعدة مدارس ، وضاقت رحاب الازهر بحلقات دروس علماء البلاد وخارجها رغم تجريده من صلاة الجمعة الرسمية . شاهد صلاح الدين الايوبى ان الضجة التى اقامتها فتوى قاضى القضاة فى تحويل صلاة الجمعة من الازهر الى الجامع الحاكمى لم تؤت ثمرتها المنتظرة ، ولم ينس السكان الازهر ، بل بقى مع الفاصل الزمنى يؤدى رسالته الثقافية ، وكان محط رجال العلماء الذين ملأوا رحـــابه من مختلف البلاد الاسلامية خصوصا علماء الاندلس والمغرب ، فعندئذ التجـــأ صلاح الدين الى محاربة آثار الشيعة فى الازهر بالســــــلاح العلمى الدينى ، ففكر فى انشاء المدارس ، واختــــار لها نخبــــة من العلماء السنيين ، فانشأ المدرسة الناصرية الى جانب جامع عمرو بالفسطاط لتدريس الفقه الشافعى ، ثم اسس مدرســـــة اخرى لتدريس الفقه المالكى ، وهى التى اشتهرت بالمدرسة « القمحية » ثم كانت مدارس أخرى كالكاملية والصلاحية وقبة الشافعى وجوامع الحــــاكم ، وابن طولون وعمرو بن العاص ، فكانت كلها معاهد ، ثم صادفت هـــــذه الفترة استرجاع الاسبان لعـــدة مراكز علمية بالاندلس ، كطليطلة وغيرها ، ثم اضطرابات بغداد فكانت هجرة كثير من علماء الاندلس الى بلاد المغرب ثم الى القاهرة وكان معظم المهاجــــرين الى المغرب لما يذهبون الى الحج ويمرون على القاهرة ينزلون بالازهر وفيـــه يلقون حلقات دروسهم ، ويتصلون بالعلماء الازهريين والواردين على الازهر، فيتبادلون معهم الاجازات والتآليف .

الازهر فى العصر المملوكى

لما تولى الملك الظاهر بيبرس رأى ان الفرصـــــة سنحت لارجاع الازهـــــر الى مكانته ، فكلف نائبه الامير عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة ــ كما كانوا يعبرون عنه اذ ذاك ــ للقيام بالمأمورية ، فبدأ الامير عز الدين بجمع ما تبدد من أوقافه ، وانتزعها من أيدى غاصبيها، ثم جدد الجامع الذى لقى الاهمال التام فى العهـــد الايوبى ، وبلط أرضيته ، وانشأ مقصورة فخمة رائعة ومنبــرا ، ثم شرع فى ترتيب دروس فقهية فيه ، وعين لها فقهاء أجلة من مختلف المذاهب ، كما عين

الى جانبهم اساتذة مشهوربى محدثين ومفسرين ومقرئين ثم استصدر بدوره فتاوى من علماء البلاد بجواز صلاة الجمعة فيه ، فأفتـاه جلهم وامتنع قاضى قضاة الشـافعية اذ ذاك ، وهو تاج الدين بـن بنت الاعز ، بل افتى بمنع هذه الصلاة ، وكان أغلبية سكان مصر اذ ذاك شافعيين فكثر الجدل حول هذه المسألة ، فلم يسع نائب السلطـان عزالدين الا الاستمساك بفتوى القاضى الحنفى الذى افتى بجواز الصلاة ، وأقام الصـلاة فى الازهر ، وكان ذلك فى يوم الجمعة 18 ربيع الاول سنة 665 هـ وأقيمت هذه الصلاة فى يوم مشهود شارك فيه الشعب باقامة الافراح المختلفة ، واقام نائب السلطنة مأدبة فاخرة لجميع من شاركوا فى تدشين صلاة هذه الجمعة وواصل الازهر مهمته ،واسترجع الصلاة الرسمية بعد ان جرد منها حوالى مائة سنه كاملة ، الى ان نكب بالزلزال الذى أصاب جانبا من البلاد الشرقية سـنة 702 هـ 1302 م وقضى على كثير من معالم القاهرة التى كان من ضـمنها الازهر ، ثم جدد بناؤه على نفقة سيف الدين سلار الصالحى المنصورى مملـوك علاء الدين على بن منصور قالون المشهور بآثاره فى مصر ومنها مدرسـة ومسجد ما زالا قائمين .

الازهر فى العهد العثمانى

نجده يتلخص فيما قالته « سنية قراعة » فى كتـابها « تاريخ الازهر » قالت : « ولئن كان العصر العثمانى فى تاريخ مصر قد أزاد للجامع الازهر شيئا لم يرده الله الذى قدر للازهر العتيد ، مزيدا من الرفعة والعلو والمضاعفة فى التبعات الدينية والعلمية ، فان نظـام الحكم الذى أقره السلطان سليم فى البدء ، واتبعه خلفاؤه من بعـده كفل للجامع العتيد وحلقات الدراسة فيه مزيدا من الحيـاة والبعث والرفعة » .

وحقيقة انه أمكن للازهر فى العهد العثمانى الذى حاول السلطان سليم ان يطمس معالم القاهرة حيث نسب اليه هدم كثير من المساجد الاثرية ، ونقل ما اشـتملت عليه من تحف وزخارف الى عاصمته (الاستانة) كما نسب اليه نقل ونهب نفائس المخطوطات بل نقـل جل علماء البلاد الى الاستانة ، ولكن الازهر لم يبق مكتوف الايدى امام

هذه التحديات والتعديات ، فان احد علمائه ، حمل لواء المعارضة ، ووقف في وجه هذا الطغيان ، وله قصص مشهورة لا يســـع المقام لذكرها ، وانما نرضية له ولزملائه تقرب الوالى التركى اليهم باحداث وظيفة شرفية ، وهى وظيفة « شيخ الاسلام » التى كانت لا تمنح الا لأعظم شخصية دينية بالاستانة ، عاصـــمة الخلافة العثمانية ، وقد أعطيت هذه المشيخة للشيخ السنباطى الازهرى الذى كان أول من وقف ضد تصرفات الوالى التركى ، ولكن السنباطى وزملاءه ، كانوا مقتنعين ، بأنهم يشخصون الازهر ، الذى كان الممثل الوحيد ـ من دون منازع ـ للرأى العام الاسلامى ، بقى لقب « شـــيخ الاسلام » يمنـــح لعلماء الازهر فى العهد التركى امثـــال الائمة : المنـــاوى الشيشينى ، والعلقمى ، والصـــفدى ، والزرقانى ، والشرنبابلى ، والجبرتى الاكبر ، والبحيرى وغيرهم ٠

احداث مشيخة الازهر

ثم بعد مشيخة الاســـلام التى كانت شرفية ، أحدثت مشـــيخة الازهر ، التى اعترفت لصاحبها بالتصرف التام والاشراف على جميع شؤون الازهر المادية والادبية وبقيت هذه الوظيفة السامية يتوارثها كبار العلماء الى يومنا هذا ٠ أحدثت هذه الوظيفة فى العهد العثمانى ابتداء من أوائل القـــرن الحادى عشر ، وكان أول من عين فى هـــذا المنصب الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشى المالكى المشهور فى العالم الاسلامى بتآليفه خصوصا شروحه عى مختصر خليل ٠ توفى الخرشى عام ١١٠١ هـ ـ 1690 م ٠وقد توارث مشيخة الازهر علماء أجلة أمثال ابراهيم البرماوى الشـــافعى واحمد النفراوى وعبد الباقى القلينى ، وابراهيم الفيومى ، تم الشيخ سالم الحفنى الذى كان الشيخ الثامن للازهر وكان عضوا فى مجلس الحكم وكانت له مواقف سجلها له التاريخ ، منها أنه عارض والى البلاد لما أمر باخـــراج حملة حربية الى احد اقاليم الصعيد ولم يســـع الوالى اذ ذاك على بك الكبير الا الرضوخ لرأى الشيخ وتنفيذ أمره (والشيخ الحفنى هذا هو اســـتاذ الشيخ محمد ابن عبد الرحمن الجرجرى القشـــطولى ناشر الطريقة الرحمانية فى الجزائر) ٠

طلبـــة الازهـــر

اشتهر الازهر فى تاريخه خصوصا فى آواخر العهد العثمانى ، انه كان يأوى طلبة العالم الاسلامى ، خصوصا بعد ســـقوط بغداد فى حروب المغول ، وخصصت لسكنى هؤلاء الطلاب ، أروقة الازهر وكان عددها يصل الى 25 رواقا ، وكل رواق له شيخ يراقبه وينصرف فى شؤونه ، وكان طلاب الاروقة يعبر عنهم بالطلبة المجـاورين ، ولقب مجاور هذا قديم فى تاريخ الازهر ، اذ اطلق فى أواخر القرن الرابع فى عهد الخليفة العزيز الفاطمى على الاساتذة الذين كانوا نواة للازهر وبنيت لهم مساكن بجواره ، فصار يطلق عليهم المجاورون كان هؤلاء الطلبة من عدة اجناس ومن مختلف البلاد الاســـــلامية ، زيادة على المصريين ، وكانت لهم جراية من الاحباس تختلف مع الازمنـة قـوة وضعفا .

الازهـــر والتطور

وقد رأينا تعميما للفائدة نقل مقال قيم فى الموضوع نشرته « مجلة العربى » الكويتية تحت عنوان : « الازهر فى عيده الالفى يفتح أبوابه للفتيات » وهذا العدد مؤرخ فى ذى القعدة 1392 هـ قال في التطور :

« فى تاريخ الازهر الكثير من محاولات الاصلاح والتطوير وذلك للقضاء على التخلف الذى لحقه نتيجة الفتح العثمانى لمصر من عام 923 هـ الى 1213 هـ (1517 م ــ 1798 م) والذى أدى الى هجرة الكثير من علمـاء الازهر وطلبته الى أقاصى الصعيد ، فرارا من عسف الحكام وجورهم ، وقامت نتيجة لذلك حركة علمية أدبية دينية ، فى مدن قفط وقوص وغيرهما من مدن الصعيد ، وفى القرن التاســـع عشر بدأت فى مصر حركة تجديد وتطوير ، ودخلت نظم التعليم الغربية فى مدارسها .. ولكن الازهر ظل على جموده بعيدا عن هذه التطورات ، وكان أول من طالب بتطوير الازهر رفاعة الطهطاوى (1216 هـ 1290 هـ) تعلم فى الازهر واستكمل تعليمه فى فرنسا حينما كان اماما للبعثة الموفدة من مصر فى عهـــد محمد على ، وكان له أثر كبـــير فى النهضة العلمية والفكرية ، وهو مؤسس مدرسة الالسن ومنشىء جريدة الوقائع ــ قد نادى بادخال العلوم الحديثة الى الازهر ، ودلل على ان العلوم الحكيمة

العلمية التى يقال انها اجنبية هى علوم اسلامية ولا نزال كتبها محفوظة فى الخزانة كالذخيرة ، وذكر فى كتابه « مناهج الالباب » ان شيخ الجامع الازهر احمد الدمنهورى الذى تولى المشيخة فى الفترة ما بين 1182 - 1190 هـ قد ذكر انه درس العلوم العلمية وقال « أخذت عن استاذنا الشيخ على الزعترى خاتمة العارفين بعلم الحساب ،واستخراج المجهولات ، وما نوقف عليها كالفرائض والمبقات - وسيلة ابن الهائم ومعونته فى الحساب ، والمقنع لابن الهائم ، ومنطومة الياسينة فى الجبر والمقابلة ، ودقائق الحقائق فى حساب الدرج والدقائق للسبط الماردينى فى علم حساب الازناج ، ثم يستطرد : (وأخذت عن سيدى أحمد القرافى الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفيه فى أسباب الامراض وعلاماتها وبعضا من قانون ابن سينا وبعضا من كامل الصناعة ، وبعضا من منظومة ابن سينا الكبرى وكلها فى الطب) .

ويعدد الشيخ الدمنهورى بعد ذلك الكثير من الكتب فى الفلك وعلم المساحة والهندسة وعلم المواليد والممالك الطبقية الى الحيوانات والنباتات والمعادن وان دل هذا على شىء فانما يدل على أن للازهر فى الماضى نصيبا كبيرا فى تدريس العلوم المختلفه ومن بينها الطب والفلك جنبا الى جنب مع العلوم الدينية .

وقد صدر أول قانون بتطوير الازهر عام 1287 استصدره الشيخ محمد العباس المهدى شيخ الازهر أيام الخديوى اسماعيل واقتصر هذا القانون على أن يكون الحصول على شهادة العالمية بامتحان امام لجنة من العلماء ، وان تحدد العلوم التى يمتحن فيها الطلبة بأحد عشر فنا هى : الفقه ، الاصول ، التوحيد ، الحديث ، التفسير النحو ، الصرف ، المعانى ، البيان البديع والمنطق .

وبعد هذا القانون بدأ الشيخ محمد عبده حركته الكبرى لاصلاح الازهر ونجح عبده بالرغم من معارضة شيوخ الازهر له . واستطاع عبده ان يقنع الخديوى عباس باصدار قانون الاصلاح فى عام 1312 هـ 1895 م ، ودخلت مواد الحساب والهندسة والجبر والجغرافية والتاريخ والخط الى الازهر ، وقسمت مدة الدراسة الى 12 سنة واصبح الطالب

الذى يتم دراسه مواد معينة فى 8 سنوات وينجح فيها يمنح شــهادة الاهلية ، ومن يستمر فى الدراسة بعد ذلك أربع سنوات ثم يجتاز الامتحان بنجاح يمنح شهادة العالمية،وجاء بعد ذلك من المصلحين الشيخ الاحمدى الظواهرى الذى نادى بتقسيم الدراسة فى الازهر الى ثلاث مراحل : مرحلة ابتدائية ، ومرحلة متوسطة ، ومرحلة عالية ، وهذا هو التقسيم الذى اقترحه محمد مصطفى المراغى الذى عين شيخا بعد ذلك أى فى عام 1347 هـ 1928 م وعين بعده الظواهرى الذى عمل على استصدار قانون الاصلاح فى عام 1349 هـ 1930 م وهو القانون الذى عدد كيان الازهر منذ ذلك الحين وقسمه الى كليات ثلاث :

« كليه الشريعة ، كلية أصول الدين وكلية اللغة العربية » ا هـ .

وتأييدا لما ذكرناه فى هذه الدراسة نختم موضوع القسم الاول من هذا البحث بما كتبه فى الثلاثينات من القرن الجارى العلامة الشهير محمد كرد على وزير المعارف السابق لسوريا فى عصره ، وبما قاله ابن خلدون فى عصره أيضا ، قال محمد كرد على فى مقال نشره فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق تحت عنوان : « مصادر الثقافة العربية وتأثيرها فى الحضارة الحديثة » قال : « وكانت مصر فى الدول العربية بأرباب الرحلات من المحدثين والفقهاء والادباء والعلماء أكثر اتصـالا فكريا بالاقطار الاخرى ، من معظم الامصار ، لتوسطها بين البـلدان العربية ، لكونها فى طريقهم الى الحج .

ولما حرب المغول بغداد فى القرن السابع رحل العلماء منـها الى مصر ، وفى رحلات المرتحلين من مصر واليها ، ضرب من ضروب تبادل العلم والافكار ، وكانت الجوامع تأوى هذه الطبقات من المشتغلين قبل ان تنشأ المدارس فى القرن السادس ولو وصل الينا ما دونه ارباب الصنائع والفنـون ، كما انتهى الينا ما دونه علماء الشريعة والادب والتاريخ ، لعرفنا جمهورا نجهله من الناس ، وكم من علم اندفن فى صدر ، ومن فن ما قدره الناس قدره فزهد الناس فيه ، وهذه المصانع التى أبقت الايام على خطوطها ورسومها ، فى الفسطاط ، والقطائع ، وما فى جوارهما من القاهرة المعزية ، من المدارس والجوامع والرباطات

والمستشفيات ، شاهدة على الدهر ، بما ابدعت تلك العقول والانامل التى حملت شيئا كثيرا من العلم والعمل » .. الخ ..

وقال ابن خلدون لما زار مصر لاول مرة فى طريقه الى الحج « ... فرأيت حاضرة الدنيا وبستان العـــلم ومحشر الامم ومدرج الدر من البشر وايوان الاسلام ، وكرسى الملك تلوح القصـــور والاواوين فى جوه ، وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه ، وتضىء البــدور والكواكب من علمائه » ثم ذكر ما سمعه فى وصف مصر قبل وصوله اليها من استاذيه الجزائريين : أولهما محمد المقرى الجــد الذى قال فيها « من لم ير مصر لم ير عز الاسلام » وثانيهما ابو العباس احمد ابن ادريس البجائى (صاحب المعهد الشهير باسمه الى يومنا هــذا قرب العزازقة) قال ابن خلدون « وسألت شيخنا ابا العباس احمد ابن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق اهله من السحاب يشير الى كثرة أممه » وكان ابن خلدون ممن علم بالازهــــر ومدارس القاهرة ، بخلاف من ذكر بانه لم يعلم فى الازهر وانما علم فى مدارس القاهرة فقط ، قال بعد ما وصف مصر : « ان أهل البلاد طلبوا منى الافادة مع قلة البضاعة فجلست للتدريس بالجامع الازهر منها » (ديوان العبر) .

وحكم ابن خلدون على مصر له قيمته ووزنه اذ قبل ان يصل اليها سبق له ان عاش فى كثير من عواصم العالم كتونس وبجاية وتلمسان وفاس وغرناطة وفى كل منها تولى وظائف سامية .

نقتصر على هذا الموجز من تاريخ الازهر وتطور الثقافة فيــــه عبر العصور ، ولم يمكننا تتبع مواقف رجاله ـ طلبة واساتذة ـ فى قيادة الثورات ضد الظلم والطغيان من مختلف الحـــكام الجائرين ، وكذلك مواقفهم فى صد غارات الصليبيين ، خصوصا حملة ســــان لويس Saint Louis ملك فرنسا على دمياط فى أوائل القرن السابع الهجرى ، كما ظهرت مواقفهم البطولية حلبة بعد غـــزو نابليون فى أواخر القرن الثامن عشر المسيحى .

أما الحكام المسلمون فانهم كيفما كانت اجناســـــهم ومذاهبهم العقائدية ، فان كل دولة حكمت مصر ، الا وانها ابقت أثرا من آثــار

غيرتها على العلوم والصنائع ، وعنيت بنشر العلم والدين ، فانشأوا المســـاجد ، والمدارس والاضرحة ، وأوقفوا عليها الاوقاف المتعددة ، وأجازوا المؤلفين والباحثين ، وعنـــدما ظهرت المطبعة نشرؤا الكتب العلمية التى غزت العالم الاسلامى كله ، وما زالت آثار الجميع أو جلها تثبت ما ذكرناه ، وهى محل عناية المؤرخين والأثريين من مســـلمين وأجانب ومن هؤلاء تأليف مع صغر حجمه كبير الفائدة ، نشره منـذ سنوات المستشرق الفرنسى قاصطون فيات: Gaston FIAT يحمل عنوان : « جوامع مصر » وقد صور فيه معظم المساجد والمدارس والاضرحية القائمة ، أو بقايا أو البقايا المندثرة منها ومواقعها مـع تخطيط المدن الثلاث التى كانت قبل تأسيس القاهرة المعزية ·

القسم الثاني من دراســة

علاقات الجامع الازهر بالجزائر بمناسبة عيده الالفي

كانت علائق الجزائر بمصر قديمة من عهد تأسيس مدينة القاهـرة والجامع الازهر بها ، اذ معظم الجيش الفاتح الذى رافق جوهر الصقلى كان من كتامة ، ورؤساء جيش كتامة وجنده هم الذين قادهم جوهـر قبل غزوه مصر للقضاء على دول بنى رستم بتيارت ، ومغراوة بشلف وبنى يفرن بوهران وايفكان ، والادارسة بتلمســـان والمغرب ، كان يرافق الجيش الكتامى دعاة الشيعة ، المتخرجين من مراكز ايكجان ثم المهدية ، وليست هذه العلائق هى المقصودة من هذه الدراسة ·

كما ان مصر كانت أعظم محطة يقيم فيها الحجاج المغاربة فى طريقهم الى الحـج ، ذهابا وايابا ، على اختـلاف طبقاتهم،وكان العلماء منهـم يقصدون،مدة اقامتهم بالقاهرة،الازهـــر الذى كان ملتقى العلماء ، المصريين ، والواردين على مصر من مختلف البلاد الاسلامية فيتصلون بهم ، ليتبادلوا معهم الاجازات والتآليف ، ثم يفيدون ويستفيدون من حلقات الدروس التى يعقدونها بالازهر ، أو يحضرونها كما هو مبين بتفصيل فى جميع الرحلات واجتماع العالم فى طريق الحج ، ووقوفه بالازهر للافادة ، والاستفادة ، كان جانبا هاما يراعى فى مقاصـــد الحج ، ولا يمكننا التعرض لهذا النوع من العلائق بتفصيل ، وانمـا نقتصر عن علائق بعض مشاهير العلماء ، الذين اتصـــلوا بالازهر ·

سواء عابرى سبيل ، أو مجاورين للتعلم ، وتركوا آثارا علمية لها أهمية ، كما نتحدث على التآليف الجزائرية التى حظيت فى الاوساط الازهرية بالشرح والتعليق أو اعتمدت كمصادر ، وادخل الكثير منها فى برامج الدراسات الازهرية ، وكتب لها الخلود الى زماننا هذا ، كما نتعرض للحديث عن بعض العلماء الجزائريين الذين هاجروا الى القاهرة ولقوا فيها التجلة والتقدير واهتمت الاوساط العلمية بهم وبآثارهم ، ومن هذا القسم كتاب « منامات الوهرانى » الذى رغم مرور ما يزيد على الثمانية قرون لم يفقد جدته ولا حيويته ، وقامت بطبعه وزارة الثقافة بالقاهرة سنة 1387 هـ ـ 1968 م · أى منذ خمس سنوات فقط ، واختير له ابرع كاتب وباحث لتقديمه وتحقيقه ، وهو الدكتور عبد العزيز الاهوانى المتخصص فى دراسات الادب الاندلسى، والوهرانى هذا صاحب التأليف من أئمة الادب ، ولا زالت آثاره محل عناية الباحثين فى تاريخ الادب العربى كما سنشير الى ذلك فى آخر ترجمته · هو أبو عبد الله محمد بن محرز الوهرانى الملقب ركن الدين توفى سنة 575 هـ ·

وقد ترجمه ابن خلكان فى « وفيات الاعيان » وترجمه غيره وقد تعرض لتحليل كتابه « منامات الوهرانى » (الاهوانى) فى تقديمه فقال : « وبعد فان هذه المجموعة من النصوص تمتاز فى تاريخ النثر الفنى فى الادب العربى ، بميزات ترفعها الى مقام عال ، ولا نكاد نجد فى النثر العربى القديم ، نصوصا فيها ما فى كتاب الوهرانى من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب ، وتصور فى دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية فى عصر الانتقال من الدولة الفاطمية فى مصر الى الدولة الايوبية ، وقد اعترف القدماء بفضل الوهرانى وبراعته وخفة روحه ورشاقة أسلوبه وخاصة فى المنام الكبير الذى أثنى عليه ابن خلكان ثناء كبيرا ، وفى الحق ان منامات الوهرانى ومقاماته وأسلوبه بضيف الى النثر العربى ثروة ، ويفتح للدارسين آفاقا ، ويقدم للقراء مادة شيقة ممتعة ، لا تقل عما اشتهر من عيون النثر العربى » ·

قال ابن خلكان فى ترجمته للوهرانى : « أحد الفضلاء الظرفاء قدم من بلاده الى الديار المصرية فى أيام السلطان صلاح الدين الايوبى ـ

وفنه الذى يمت الى صناعة الانشاء ، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الاصبهانى الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه انه ليس من طبقتهم ، ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجد وملك طـــريق الهزل » قال د . صلاح الدن المنجد فى رســـالة « الوهرانى ورقعته عن مساجد دمشـــق » (حققها ونشرها المجمع العلمى العربى بدمشق سنة 1384 هـ 1965 م قال بعد ان نقل ترجمة الوهرانى من ابن خلكان : « وتابع ابن خلكان على ما قال كل من ترجم بعده للوهرانى » وعقب عليه بقوله « وهذا الكلام يحتاج الى تصحيح » ثم فنده وأقام الادلة على ان الوهرانى وصل الى مصر قبل تولية صلاح الدين بمدة لم يكن فيها ذكر ولا ظهـــور لا للقاضى الفاضـــل ولا للاصبهانى ، وبين ان طريقة الوهرانى لم يكن يراعى فيها الزخـرفة اللفظية والتلاعب بالالفاظ والجمل ، بل كانت كما قال الاهوانى فى تقديمه : « تصور فى دقـــة وبلاغة بعض جوانب الحيـــاة الفكرية والاجتماعية فى عصر الانتقال من الدولة الفاطميه فى مصر الى الدولة الايوبية » .

وقد ذكر الدكتور صلاح الدين المنجد فى مقدمة «الوهرانى ورقعته عن مساجد دمشق » يحلل فيها هذه الرسالة : « وخلاصتها ان مساجد دمشق والضياع التى من حولها اصابها فى زمن نور الدين – قبل صلاح الدين الايوبى – الخراب والضياع فاجتمعت هذه المســاجد ، ولجأت الى أميرها وسيدها جامع بنى أميه ... الى أن وصل الامر الى الملك فعزل القاضى المهمل وأصلح ما يزيد على المائة مسجد .. الخ » ولا يمكن التوسع فى الموضوع وانما ذكرناه للاستدلال عـلى العلائق الثقافية المتينة التى كانت بين مصر والجزائر فى الميدان الثقافى وقيام مصر رغم مرور ثمانية قرون بهـــذا الواجب حيث أحيت أثرا يعد ذخيرة من ذخائر الادب العربى الجـــزائرى ، لا زال – مع الاسف – مجهولا فى بلده ، ونفس الكتاب الذى برز الى الوجود منـــذ خمس سنوات ووزع وانتشر فى مكتبات العالم الاسلامى ، لا زال مجهـولا ومفقودا فى مكتبات الجزائر اللهم الا اذا عرضت نسخ منه تعـــد على الاصابع ..

ان للوهراني رسائل هامة متفرقة في خزائن اوروبا وأمريكا ومنها كتابه « جليس كل ظريف » الذي يشتمل على رسالة « مساجد دمشق » وجده المنجد في جامعة برنستن بالولايات المتحدة الامريكية وقد قال الدكتور المنجد في تحقيقه لهذه الرسالة : « استطاع الوهراني ان يجذب القلوب اليه ، فقد كان ظريفا خفيف الروح . وكان بارعا في الهزل والسخرية ، فصب سخريته وتهكمه على كبار العلماء بدمشق وفقهائها واطبائها وكتابها كالتاج الكندي ، والمهذب ابن النقاش والقاضي الفاضل ، والقاضي ضياء الدين الشهرزوردي ، والقاضي ابن أبي عصرون وغيرهم ، ولم يسلم من لسانه وقلمه علماء مصر ورجالها .. فألف رسائل هزلية مختلفة **وابتدع في المنامات الادبية** ، وقد شهر «منامه» الكبير « الذي سلك فيه مسلك أبي العلاء في رسالة الغفران » (قال الصفدي وهو صاحب الجملة قال معلقا عليها « لكنه الطف مقصدا وأعذب موردا) .. فتخيل انه رأى في المنام كأن القيامة قامت ومناديا ينادي : هلموا الى العرض على الله ، فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر ، فلقي هناك كثيرين ممن عاصره وعرفه ، أو مات قبل ، فسخر منهم جميعا وذكر ما حوسبوا عليه » اهـ كلام الجندي ثم نجد هذا الاتصال الوثيق بين القاهرة والجزائر ظهر في القرن السابع على طريق أبي علي ناصر الدين المشدالي البجائي الذي أقام عشرين سنة بالقاهرة ، ولازم عز الدين بن عبد السلام وغيره ولما رجع الى مسقط رأسه ، احدث ثورة ثقافية في المغرب العربي كانت نتيجتها : « ظهور منهج جديد وضع فيه الفقه المالكي من جديد على بساط النقد والتمحيص حيث دخل في مقاييس الاختيار والترجيح مقياس جديد : هو مقياس الفتوى والعمل وهاجر دارسو الفقه طريقة المدونة وتهاذيبها بعد ظهور مختصر ابن الحاجب » .

هذا ملخص ما كتبه في الموضوع المنعم مفتي الجمهورية التونسية الفاضل بن عاشور العضو البارز في مجمع البحوث الاسلامية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة في دراسة قيمة نشرها قبل وفاته بقليل في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1389 هـ 1969 م ، وذكر بعد

« الملخص » : « وكان طريق اتصال مختصر ابن الحاجب الفرعى ببلاد المغرب العربى ان الشيخ ناصر الدين الزواوى (المشذالى) من فقهاء بجاية ارتحل الى المشرق فى أواخر القرن السابع فلقى تلاميذ ابـن الحاجب بمصر وتخرج عليهم فجاء معه بمختصر ابن الحاجب ونشره فى تلاميذه ببجاية ومن هناك انتقل الى عامة أقطار المغرب العربى فعكف الفقهاء على دراسته وشرحه » الخ ٠

ومن هذه الاتصالات ما حكاه الملك ابو عنـــان المرينى فيما نقله المقـــرى فى « أزهار الرياض » فى ترجمة الشــــــاعر ابن خميس التلمسانى ــ قال ابو عنان ان شيخه الابله حكى لهم انه لما زار مصر علم ان امام تلمسان ورئيس علمائها ابا اســـحاق ابراهيم التنسى الاصل لما ورد على مصر فى طريقه الى الحج احتفى به علماؤها الذين كان من جملتهم الامام تقى الدين بـن دقيق العيد وفى أثناء مذاكرته مع الضيف سأله عن الشاعر ابن خميس وصار يثنى عليـــه فتعجب التنسى واجابه : (من يكون هذا الذى حليتموه بهذه الحلى ولا اعرفه ببلاده ؟ فقال ابن دقيق العيد هو القائل :

عجبا لها أيـذوق طعم وصالها

من ليس يأمل ان يمر ببـالها

فأجابه التنسى « ان هذا الرجل ليس عندنا بهـــذه الحالة التى وصفتموه بها وانما هو عندنا شاعر فقط » الخ ٠

والشاهد عندنا هو ان الاتصال بين علماء الجزائر ومصر كان قويا فى الميدان الثقافى وان ابن خميس الذى كان خاملا فقيرا بتلمسان لا يعرفه مواطنوه كانت آثاره يتناقلها كبار علماء القاهرة الذين كانوا لا يجهلون شيئا عن العواصم العلمية بالجـــزائر ومن ذلك ما ذكره الرحالة العبدرى فى « رحلته المغربية » انه لما اجتمع فى القاهرة بزين الدين ابى الحسين بـن المنير وسأله عن تلمسان واجابه العبدرى ــ على عادته ــ بأنها خالية من العلم والعلماء فقال له ابن المنـــير (أما بلاد يكون فيها مثل أبى اسحاق التنسى فما خلت من العلم) ٠

وقد جاور بالازهر علماء أجلة كمحمد بن مرزوق الجد المشـــهور بالخطيب (المتوفى بالقاهرة سنة 781 هـ) وهو من مشائخ ابن خلدون

ولسان الدين بن الخطيب فقال ابن خلدون فى ترجمته « لقى بالقاهرة أهل العلم وأمراء الدولة فنفقت بضائعه عندهم وأوصلوه للسلطان الاشرف فولاه الوظائف العلمية موفر المرتبة معروف الفضيله مرشحا للقضاء ملازما للتدريس حتى هلك سنة احدى وثمانين » ويحيى الشاوى المليانى الذى أخذ عنه المحبى وترجمه فى (خلاصة الاتر فى بيان علماء القرن الحادى عشر) ودفن بالقاهرة ، وقد خصص علماء التراجم الشرقية تراجم وافية للكثير من هؤلاء العلماء كالسخاوى فى « الضوء اللامع فى بيان علماء القرن التاسع » ، والمحبى فى « خلاصة الاتر فى بيان علماء القرن الحادى عشر » وجلال الدين السيوطى والجبرتى وغيرهم .

كما ان بعض العلماء اشتهروا فى مصر والازهر من أصل جزائرى لم يعرفوا الا أنهم من « المغرب » أو من أصل مغربى وذلك كالمؤلف الشهير محمد الامير الكبير ، فان اصله من مازونة كما أخبر بذلك تلميذه المؤرخ أبو رأس لما اتصل به فى رحلته سنة 1204 هـ وذكر ذلك فى رحلته وأيده مواطنه القاضى الصادق ابن الحميسى المازونى قاضى مازونة ثم وهران فى العهد التركى - حوالى 1240 - لخبر يطول

كما يلحق بهذا القسم مفتى الجزائر الحنفى محمد بن محمود بن حسين المشهور بابن العنابى الذى نفته السلطات الفرنسية - الجنرال فوارول سنة 1830 - بعد القاء القبض عليه وسجنه فاختار الاقامة بالاسكندرية وولته الحكومة المصرية الافتاء الحنفى وتصدر للتدريس وكان مختصا فى دراسة الحديث وما زالت فهارسه منتشرة ومتداولة فى الاوساط العلمية الشرقية كفهرست تلميذه ابراهيم السقا الشافعى الازهرى ، وفهرس تلميذه الآخر عبد القادر بن عبد القادر بن عبد المطلب الرافعى الحنفى كما اختار الاقامة بالاسكندرية مفتى الجزائر المالكى مصطفى بن الكبابطى الذى نفته السلطات الفرنسية بعد مفتى الحنفية بنحو العشرين سنة لاحتجاجه على اغتصاب احباس الجامع الاعظم المالكى ، ثم نجد هذه العلائق قوية فى عهد شيخ الاسلام مرتضى الزبيدى صاحب « تاج العروس فى شرح القاموس » الذى كان يلقب بعالم الدنيا فى زمانه فقد أخذ عنه كثير من علماء الجزائر

وما زالت احازته تحتفظ بها بعض اسر تلامذته وكان معظمها مؤرخا في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ومن هـؤلاء المؤرخ أبو راس الناصري (1165 ــ 1238 هـ) ومصطفى بن المختـــار جد الامير عبد القادر ومؤسس معهد القبطنة الذي ولد فيه الامير عبد القادر وقد ذكر الزبيدي في منظومته « الفية السلوك » الكبير منهم كما خص قسما منها لمشائخه الذين اخذ عنهم ومنهم الجـــــزائريون ولنقتصر على ما ذكره لواحد من مشائخه وهو محمد المنور التلمساني المتوفى سنة 1173 هـ ٠ قال عنه في « الفية السلوك » العالم الفاقـد للاشـــباه ٠

الجهبذ البارع في الفنون عالم قطـر المغرب الميمون
لقيتـه بمصر لمـــا وردا اجازني ونلت منـه المددا

وترجمه في تـــاج العروس وسجل تاريخ وفاتـه 1173 هـ ٠ كما كان للزبيدي اتصال وثيق بالباي محمد بن عثمان فاتح وهران ســنة 1206 هـ الذي كان يرسل اليه سنويا منحا يفرقها على طلبة الازهـر ذكرها صاحب « الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني » كما ذكر رسالة الزبيدي الى الباي يشـــــكره فيها على امداده المذكور ، أما التآليف الجزائرية التي حظيت باهتمام الازهريين وأدخلت في برامج التعليم بالازهر فهي مؤلفات عبد الرحمن الاخضري البنطيوسي ــ زاب الجزائر ــ « كالجوهر المكنون » في البلاغة و « السلم » في المنطق فقد شرحهما وعلق عليهما الحواشي كثير من كبـــار علماء الازهر ومؤلفات السنوسي دفين تلمسان في التوحيد ، ومنظومة احمد بن عبـــد الله الزواوي الجزائري المشهور « بالجزائرية » في التوحيد والسلوك ، فقد شرحها عبد السلام اللقاني وكلها طبعت في مصر فأمكن انتشـــارها وادخلت كذلك في برامج تعليم الزيتونة والقرويين ومما يدخل في هذا الباب هو ان اشهر مؤلف في الفقه المالـكي يدرس في الجامعات الاسلامية وفي بقية البلاد الاسلامية كالسودان هو شرح مختصر خليل للدردير فقد اعتمد شارحه تأليفا جزائريا وهو « حاشية شرح التتائي على مختصر خليل » للحافظ الفقيه مصطفى الرماصي (المتوفى حوالى سنة 1138هـ) قرب « قلعة هوارة » (غيلزان) فقد ذكر محمد بن علي

السنوسي في فهرسته بل في فهارسه : « انه اخـــذ عن محمد بـن القندوز المستغانمي المتوفى سنة 1222 هـ وان ابن القندوز هذا اخذ بالازهـــر عن الدردير وهو أول من أدخل شرحه على مختصر خليل للجزائر وأخبر تلميذه المذكور (السنوسي دفين ليبيا) ان الدردير عندما كان بصدد تحرير شرحه كان يعتمد حاشية مصطفى الرماصي ويقول ان صاحبها من المحققين فهي تغنيني عن غيرها » .

ونجد محمد عرفة الدسوقي احد كبار مشائخ الازهر في حاشيته على شرح الدردير هذا كثيرا ما ينقل عن الرماصي ويذكر هذه العبارة « قاله طفي » يقصد مصطفى الرماصي .

ولنختم هذا القسم بذكر شخصيات جزائرية تخرجت من الازهر ولعبت أدوارا ونالت شهرة في البلاد مثل الشيخ عبد الرحمن التعالبي دفين الجزائر العاصمة فانه ذكر في فهرسته : (ودخلت مصر فلقيت بها الشيخ أبا عبد الله محمد البلالي فسمعت عليه البخاري وقرأت عليه كثيرا من اختصاره لاحياء علـــوم الدين ... الى أن قال .. ثم رجعت الى مصر ـ أي بعد اداء فريضة الحج ـ فحضرت مجلس ابي عبد الله البساطي شيخ المالكية بها واكثرت الحضور والقراءة على الشيخ ولي الدين احمد بن عبد الرحمن العراقي شيخ المحدثين فحضرت عليه علوما جمة ومعظمها علم الحديث » وقد نقل معه التعالبي اختصـــار احياء علوم الدين لشيخه البلالي ما زال يتناقله الناس بالجزائر كما نجد من هذه الشخصيات الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجـــرجري القجطولي (1126 ـ 1208 هـ) تلميذ محمد بن سالم الحفني الازهري ـ المتوفى سنة 1181 ـ وقد كان من المقربين لاستاذه الحفني وكثيرا ما كان يوفده استاذه الى السودان للوعظ والارشاد وكانت طريقته التي اشتهرت باسمه « الرحمانية » تمتاز بمحاربتها للبدع وكانت تنشر العلم وكانت الطبقات الاولى من اتباعها يمتازون بمواقفهم البطولية في مقاومة جيش الاحتلال ثم كان فضـــــل اندلاع ثورة 1871 يرجع لرئيسها محمد أمزيان بن علي الحداد صاحب التأليف الذي ينكر البدع والشعوذة وفي هذا الميدان نجد اكبر دليل يتشخص في سير نخبة المهاجرين المهدي السكلاوي ورفقائه الى البلاد الشرقية واجماع علماء

المشرق على الاعتراف بفضلهم واستقامتهم ونجد من هذه الشخصيات محمد بن عبد القادر الشهير بابن آمنة خال الامير عبد القادر هو من متخرجي الازهر وكان اعظم دور قام به هو تحريره وتلاوته لوثيقة مبايعة الامير عبد القادر الاولى التي وقعت بجامع المبايعة بمعسكر في 3 رجب 1248 هـ ـ 1832/11/27 م ٠

وقبل ان نختتم هذه الدراسة نذكر من بين الازهريين الذين قاموا بأدوار هامة في تاريخ البلاد الشيخ عثمان الراشدي بطل ثورة بني شقران وهو الذي دعا الى الثورة ضد فرنسا في أوائل الحرب العالمية الاولى وحكم عليه وعلى تلامذته وأقاربه بالاعدام ولم يفارق هذه الحياة حتى وقف موقفا مشرفا قيل عنه انه لما حوكم جاءه للمحكمة عالم رسمي وذكره مؤنبا ألم تطلع على قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ٠٠** »ثم سكت ، فصاح الازهري الثائر وقال له « منكم يا عدو الله » وقد عثرنا على سند كتبه بخطه في الفقه المالكي يتصل بالامام مالك قال في مفتتحه : « ٠٠ اني أخذت الفقه بالازهر الشريف عن الامامين الجليلين الشيخ علي جمعة والشيخ حسان بن عبد الرحيم وهما عن شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ محمد عليش وهو عن الامير الصغير عن والده الامير الكبير عن الشيخ علي الصعيدي » الخ كما لم يسع مجال هذا البحث لذكر زيارة الشيخ محمد عبده الى الجزائر واتصاله بعلمائها وما تركته من أثر فقد تعرض لجوانب منها الاخ الاستاذ عبد الرحمن الجيلالي في عدد « مجلة الاصالة » الاخير ـ عدد 13 ـ في حديثه عن عالم الجزائر المرحوم عبد الحليم بن سماية وكذلك زيارة عبد العزيز جاويش صاحب المؤيد واستاذ اللغة العربية بجامعة «اكسفورد» الذي زار الجزائر سنة 1905 م ، وشارك في مؤتمر المستشرقين المنعقد بها وألقى دراسته القيمة « الاسلام دين الفطرة » فقد نشرت الرسالة وطبعت عدة طبعات ٠

القوامة
قيام !

واقع التشريع اليوم فى العالم العربى ومدى انحـرافه عن روح الشـريعة الاسـلاميـة ونصوصها وعن تقاليدنا وعرفنا الخلـــقى

الدكتور على عبد الواحد وافى

بسـم اللـه الرحمن الرحيـم

سيداتى وسادتى ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان الاسلام نظام كامل متكامل .

ومعنى انه كامل انه لم يغادر أية ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية الا نظمها ووضع قوانينها وبين حدودها . فهو دين ودولة، عقيدة وشريعة ، عبادات ومعاملات . نظم علاقة الفرد بالخالق ونظم علاقته بالخلق . وبين ما يجب على الانسان نحو ربه ، ونحو أسرتـه وافرادها ، ونحو مجتمعه ، نحو الانسانية جمعاء . كما بين حقوقـه نحو غيره من الافراد والسلطات والهيئات والجماعات . وضع قوانين دقيقة واضحة لما ينبغى ان تكون عليه شؤون السياسة ونظم الحكم ،

شؤون الاقتصاد ونظم الانتاج والتداول والتوزيع والاستهلاك ، ونظم القضاء أو شؤون المسؤولية ، والجزاء ، ونظم التربية واعداد النشء للحياة ونظم الاسرة وشؤون الزواج والطلاق والقرابة والنفقة والميراث ، ونظم الاخلاق والمثل العليا في التفكير والسلوك • بل لقد وضع أحكاما لأدق التفاصيل في حياة الانسان ، فمن ذلك مثلا ما قرره فيما ينبغي ان يكون عليه الزي والزينة واللباس • فحرم على الرجل مثلا أن يلبس الحرير وأن يتحلى بحلي الذهب وأن يتخذ مظهرا خاصا بالنساء حتى تكمل رجولته ، ويكون جنديا قويا صالحا للذود عن وطنه وأهله وعقيدته ، ويبعد كل البعد عن الانوثة ومظاهرها ، وحدد للانثى الاوضاع التي لا ينبغي ان تتجاوزها في تزينها ، والمواطن التي يجوز ان تبدى فيها زينتها ، والمواطن التي يحرم عليها ان تبديها والاعضاء التي ينبغي سترها ، والاعضاء المعفو عن سترها للضرورة ، قاصدا بذلك ان يصون المرأة ، ويحفظ لها كرامتها وعفافها ، وينأى بها عن مواطن التبرج والتبذل ، والفتنة والاغراء وباثارة الغرائز الوضعية ويقي المجتمع واخلاقه من الانهيار ويحيط الاعراض والانساب بسياج قوى من الحماية • وبالجملة لم يغادر الاسلام كما قلت أية ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية المادية والمعنوية ، الروحية والجسمية ••• لم يغادر ناحية من هذه النواحي الا نظمها وبين حدودها ، ووضع لها قوانين واضحة في أحكامها ، بسيطة فيما ترمي اليه من اغراض •

الفرد المسلم والمجتمع المسلم يجدان في دينهما جميع ما يحتاجان اليه وما يحقق لهما سعادة الدنيا والآخرة •

هذا هو ما نقصده اذ نقرر ان الاسلام نظام كامل •

وهو مع ذلك نظام **متكامل**، بمعنى ان احكامه متوازنة يكمل بعضها بعضا ، ويرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، ولا يتحقق ما ترمي اليه من اغراض الا بالسير على جميع فروعها ، فأحكامه اشبه شيء بأجهزة الجسم الحي • فكما ان الجسم الحي لا يستقيم أمره الا اذا عملت اجهزته كلها ، فكذلك احكام الاسلام لا تتحقق اغراضها الا

اذا طبقت بحذافيرها ، ولا يستقيم أمر الفرد ولا أمر المجتمع الا اذا أخذ بها جميعها •

فالفرد لا يكون مسلما كامل الاسلام ، ولا يستقيم أمره على الوضع الذى يريده له الاسلام ، الا اذا طبق قواعد الاسلام فى جميع فروع حياته . والمجتمع كذلك لا يكون مجتمعا مسلما كامل الاسلام ولا يستقيم أمره على الوضع الذى يريده له الاسلام الا اذا سار فى انظمته وتشريعاته كلها على المبادىء التى قررها الاسلام •

واما اذا طبق الفرد فى حياته بعض نواحى القواعد الاسلامية وترك النواحى الاخرى، فانه يكون ناقص الاسلام، مضطرب الاوضاع مختل التوازن ، شأنه شأن من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض وما جزاء من يفعل ذلك ، كما يقول القرآن الكريم : « **الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب** » •

وكذلك المجتمع اذا سار فى بعض فروع حياته على قوانين اسلامية ، واهمل القوانين الاسلامية فى الفروع الاخرى أو استبدل بها قوانين غير اسلامية ، فانه يكون مجتمعا ناقص الاسلام . مختل التوازن . مضطرب الاوضاع ، اشبه شىء بجسم تعمل بعض أجهزته وتتعطل اجهزته الاخرى أو لا تسير فى تناسق مع الاجهزة العاملة •

ولنترك شؤون الافراد لانها خارجة عن موضوع محاضرتنا ولان انحراف الافراد يتيسر علاجه وتقويمه ما دامت نظم المجتمع وقوانينه سليمة مستقيمة ، تسير على سنن الاسلام ، وتجزى المحسن باحسانه وتأخذ المخطىء بخطأته والمسىء باساءته وفقا للاوضاع التى يقررها هذا الدين الحنيف •

ولنقصر كلامنا على المجتمعات ، وعلى المجتمعات العربية بوجه خاص ، لانها موضوع محاضرتنا . ولننظر الى أى مدى تسير هذه المجتمعات على سنن الاسلام ، وتطبق القوانين الاسلامية فى تشريعاتها

اذا استثنينا عددا قليلا من المجتمعات العربية التى يقال انها تسير فى جميع نظمها وفق الشريعة الاسلامية ، فاننا نرى المجتمعات العربية الاخرى لا تطبق هذه الشريعة الا فى ناحية ضيقة من نواحى

الحياة وهى الناحية التى يسمونها الاحوال الشخصية ، وهى المتعلقة بشؤون الزواج والطلاق والنفقة والحضانة والقرابة والميراث ... وما الى ذلك وحتى فى هذه النواحى نفسها نرى ان بعض الـدول العربية لم يسر على النظام الاسلامى بحذافيره ، بل عطله فى بعض فروع الاحوال الشخصية أو استبدل به نظاما آخر ، ونرى كذلك انه قد ظهر فى كثير من هذه البلاد تيارات قوية ينادى اصحابها بتعديل نظم الاسلام فى هذه الشؤون وتقريبها مما تسير عليه امم الغرب المسيحى .

وأما فيما يتعلق بالشؤون المدنية والجنائية فاننا لا نسير على قواعد الاسلام ، وانما نسير على قوانين استوردناها من الغرب أو فرضها علينا المستعمرون فى مراحل ضعفنا وتحكمهم فى شؤوننا ولا نزال جامدين عليها ، ولا نزال تحكم حياتنا وتسيطر عليها وتقضى بها محاكمنا ويسير عليها قضاؤنا .

وبذلك اصبحنا نجمع بين نظامين تشريعيين لا تلاؤم بينهما ولا انسجام ، نظام اسلامى فى قليل من فروع حياتنا، ونظام غير اسلامى فى معظم هذه الفروع ، واصبحت مجتمعاتنا تبعا لذلك مجتمعات ناقصة الاسلام مضطربة الاوضاع مختلة التوازن ، لا يتحقق لهـا فى حياتها شىء من الاغراض النبيلة ولا شىء من مظاهر الاستقرار التى يريدها لها الاسلام ، لان هذه الاغراض وهذه المظاهر لا يمكن تحققها كما قلنا الا بالسير على جميع تعاليم هذا الدين وتطبيق جميع احكامه .

هذا إلى ان القوانين التى استوردناها من الغرب لا تتنافر مع أحكام ديننا الاسلامى فحسب ، بل انها لتتنافر كذلك مع طباعنا وتقاليدنا وعرفنا الخلقى ، ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة ونظرتنا لما ينبغى ان تستقر عليه العدالة وتكون عليه العلاقات بين الناس وغنى عن البيان ان قوانين هذا شأنها لا تستقيم لنا حياة اجتماعية ولايتحقق لنا استقرار حضارى مع وجودها .

ولنضرب لكم مثالا يتبين لكم منه مبلغ تنافر هـذه القوانـين المستوردة مع طباعنا وتقاليدنا وعرفنا الخلقى ومقاييسنا للفضيلـة والرذيلة وعدم صلاحيتها بتاتا لمجتمعاتنا العربية ٠

هذا المثال هو ما تقرره هذه القوانين المستوردة في جرائم الزنا وهتك الاعراض ٠

تقرر هذه القوانين فى الصورة المطبقة فى مصر وفى كثير مـن البلاد العربية الاخرى ان الزانية لا توقع عليها أية عقوبة اذا كانت غير متزوجة ، أو كانت متزوجة ولم يرفع زوجها الدعوى عليها ، أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما أو رفعها وسمعت منه ولكنه أوقف الاجراءات أو أوقف تنفيذ الحكم برضائه بمعاشرتها كما كانت ، وان الزانى لا توقع عليه عقوبة اذا زنى بامرأة بلغت الثامنة عشر برضاها وكانت غير متزوجة ، أو كانت متزوجة ولم يرفع زوجها الدعـوى عليها ، وهذا اذا كان الزانى غير متزوج ٠ وكذلك لا توقع عقوبـة على الزانى المتزوج فى الحالات السابقة نفسها اذا ارتكبت جريمـة فى غير منزل الزوجية ، أو ارتكبها فى منزل الزوجية ولم ترفع زوجته الدعوى عليه ، وانه لا توقع عقوبة على هاتك العرض اذا كان مـن هتك عرضه ذكرا كان أو انثى قد بلغ الثامنة عشرة ووقعت الجريمة برضاه ويقصد بهتك العرض ما يقع بين الذكر والذكر من اعمـال الشذوذ الجنسى وما دون المواقعة من الاعمال الجنسية التى تقع بين الذكر والانثى ٠

ونلاحظ ان هذه الحالات التى يعفى فيها الزانى والزانية وهاتك العرض من العقوبة بحسب هذه القوانين تشمل فى الواقع معظـم الحالات التى تحدث فيها هذه الجرائم ٠ لانه من النادر ان تحـدث هذه الجرائم بغير رضا الطرفين ، كما انه من النادر كذلك ان يرتكب زوج جريمة الزنا فى المنزل الذى يقيم فيه مع زوجته فهذه القوانين قد أعفت اذن من العقوبة معظم جرائم الزنا والشذوذ الجنسى وهتك الاعراض ٠

وهذه المواد مقتبسة مع تغييرات يسيرة مـن قانون العقـوبات الفرنسى ، وعن هذا القانون نفسه استمدت معظم القوانين الاوروبية

والامريكية موادها الخاصة بهذه الجرائم أو جاءت متفقة مع مـواده في كثير من الوجوه ٠

وتتوقف مناقشتنا لهذه القوانين المطبقة فى العـــالم العـــربى والقوانين التى استحدث منها على مقدمة موجزة نبين فيها الاصول التى تستمد منها القوانين موادها الخاصة بهذا النوع من الجرائم ٠

من المبادىء المسلم بها عند علماء الاجتماع أن القوانين تستمـد موادها الخاصة بهذا النوع من الجرائم من تقاليد الشعب وعرفـــه الخلقى ، ومقاييسه للفضيلة والرذيلة ، ومبلغ نفوره من الفعـــل ، فيكون القانون سليما فى نظر اهله على الاقل ، ما دام يعبر تعبيرا صادقا عن هذه الامور ٠ ويكون غير سليم ما دام يسلك فى تشريعه اتجاها يتعارض مع هذه الاوضاع ٠ فلننظر الى أى مدى تتفق قوانين الغرب فى هذا الصدد مع تقاليد اهله وعرفهم الخلقى ، والى أى مدى تتفق هذه القوانين التى استوردناها مع تقاليدنا نحن ومع عرفنـا الخـــلقى ٠

أما فيما يتعلق بشعوب الغرب فان هذه القوانين تعبـر تعبـيرا صادقا عن تقاليد أهله ، وعرفهم الخلقى ، ومقاييسهم للفضيلـــة والرذيلة ، ونظرهم الى هذه الامور ٠ فالقوم هناك يعدون هذه الامور من الهنات الهينات ، ولا يلقون لها بالا ، ولا تثير كثيرا نفورهم ولا اشمئزازهم ، ولا تهمهم كثيرا مسائل الجنس ولا شؤون العرض وما يتصل به ، ويبدو هذا فى كثير من مظاهر حياتهم وشؤونهم العائلية ٠

ففى كثير من بلاد أوروبا وامريكا يندر ان تجد فتاة بالغة ليس لها رفيق يعاشرها ويبادلها الحب ومقتضياته بدون ان يرتبط الاثـنان بالزواج ، وبدون ان يعترض اهل الفتاة ولا غيرهم على ذلك ، وقـد تمضى سنوات بدون ان يكون لهذه العلاقة أى شكل قانونى ، بـل قد لا يكون لها أبدا هذا الشكل ، وقد تنتقل الفتاة من رفيق الى رفيق ٠ وكثيرا ما تتزوج بواحد من غير من رافقتهم ، أو تظل عـلى هذا الحال بدون زواج ٠ وكثيرا ما يهىء أهل الفتاة انفسهم لفتاتهـم ورفيقها وسائل الراحة فى منزلهم ٠ وفى النوادى والمراقص والمقاهى والبارات والكباريات ، أو صناديق الليل كما يسمونها هناك ، وفى

الحدائق العامة والغابات وفى ساحات معاهد التعليم والاقسام الداخلية فى المدارس والجامعات تمارس جهرة شؤون الحب والجنس بين اناث ورجال ، وفتيات وفتيان ، لا تربطهم رابطة شرعية ، بدون ان يعترض أحد على ذلك ، وبدون ان تثير هذه الامور انتباه أحد فضلا عن اشمئزازه • وليس هذا مقصورا على غير المتزوجين وغير المتزوجات ، بل ان المرأة المتزوجة هناك قد يكون لها خدن أو اخدان. ويكون لزوجها كذلك خليلة أو خليلات ويغمض كلاهما العين على ذلك ويتقارضان التسامح ليشبع كل منهما نزوته وروايات فلوبير وأندريه جيد وسارتر وغيرهم تنوء بمثل هذه المناظرة التى تعبر اصدق تعبير عن أوضاع المجتمع الاوروبى على العموم والمجتمع الفرنسى بوجه خاص • وفى السويد قد يترك الزوج زوجته فى صورة صريحة لضيفه ويرى ان هذا من مظاهر الكرم ، ولا ترى الزوجة باسا فى ذلك ، وخاصة اذا وقع الضيف لديها موقع الاعجاب • بل قد يعاشر الرجل منهم امرأة منزوجة معاشرة الازواج ويقيم معها اقامة دائمة فى منزله مع بقائها فى عصمة زوجها ومع علم زوجها بذلك ورضائه به ، كما حدث لليدى سمبسون مع ادوارد الثامن ملك انجلترا الاسبق قبل أن يطلقها زوجها وتتزوج منه بل قد يقيم العشيق مع عشيقته ومع زوجها فى منزل واحد ويعيش الثلاثة على هذا الوضع على اتم وفاق ، ويطلقون على هذا الوضع فى فرنسا اسم « المقياس النلاثى Le ménage à trois وهذا النظام ليس حديثا عندهم ، بل انه متأصل لديهم منذ عصور قديمة فقد كان كاتب فرنسا الكبير اناتول فرانس يقيم بصفة دائمة مع عشيقته Mme Arman de Caillanct ومع زوجها Mr Arman de Caillanet فى منزل واحد ، وقد سئل مرة عن مدى علاقته بخليلته وزوجها فقال : « اننا نحن النلاثة نعيش على انم وفاق » •

هذه أيها السادة هى حضارتهم ، وهذه هى مدنيتهم ، وهذا هو عرفهم الخلقى ، وهذا مبلغ غيرة رجالهم على نسائهم ، وهذه هى نظرتهم الى شؤون العرض والى جرائم الزنا وهتك الاعراض •

فاذا جاءت قوانينهم فقررت ان هذه الجرائم لا عقوبة فيها ما دامت ترتكب برضا الطرفين ، وان زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد ارتكب برضاها ورضا الزوج أو ما دام الزوج قد علم به فسكت عنه ... اذا جاءت قوانينهم فقررت هذه الامور وما اليها مما سبق ان اشرت اليه ، فانها بذلك تعبر عن تقاليدهم ، وعرفهم الخلقى ومقاييسهم للفضيلة والرذيلة . وتظرهم الى هذه الامور ، فهى اذن قوانين تستمد احكامها من نظام اخلاقهم وواقعهم العملى ، وتقتبس موادها من نظرهم للاشياء وتقديرهم للافعال ، ومناهجهم فى الحياة .

واما نحن معشر العرب فاننا لم نصل بعد الى هذه الدرجة من الحضارة الزائفة ، ونسأل الله تعالى الا نصل اليها ، أو بعبارة اصح لم ننحدر بعد الى هذا الدرك من البهيمية . فلا تزال مسائل العرض عندنا من أهم الامور التى تشغلنا ولا تزال شئون العرض وما يتصل به من أهم الامور التى نحافظ عليها . ونذود عنها ، ولا يزال الناس عندنا يتقاتلون ويقتلون ويقتلون فى سبيل المحافظة على العرض والذود عنه ولا نزال ننظر الى الزنا على انه من اكبر الفواحش واعظم الآثام . ولا يستسيغ فهمنا ان تواطؤ المجرمين واشتراكهما برضاهما فى الجرم يعفيهما من العقوبة ، فالتواطؤ فى جريمة الزنا لا يختلف فى نظرنا عن التواطؤ فى جريمة القتل أو فى جريمة السرقة ولا يرتضى عرفنا الخلقى ان تعفى الزوجة الزانية من العقوبة لان جرمها قد حدث برضا الزوج ، لا يستسيغ عرفنا الخلقى هذا ويرتضيه . بل ان عرفنا الخلقى ليقضى فى مثل هذه الحالة الا تقتصر العقوبة على الزوجة ومن زنى بها بل يضم اليها هذا الزوج الديوث وتوقع عليه عقوبة شديدة لانحطاطه وتجرده من الشرف والغيرة وتفريطه فى اعز شىء أؤتمن عليه .

فاذا جاءت قوانينا مع هذا وقررت ان الزنا وهتك العرض اللذين يقعان برضا الطرفين لا عقوبة فيهما أو قررت ان زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد وقع برضا الزوج أو علم به الزوج فسكت عنه اذا جاءت قوانينا فقررت هذه الامور وما اليها مما سبق ان اشرت اليه ، فانها بذلك لا تنحرف عن ديننا الاسلامى فحسب بل تنحرف

كذلك عن تقاليدنا وعرفنا الخلقي ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة ونظرنا الى هذه الامور • وغني عن البيان ان قوانين تتنافى مع دين الشعب وتقاليده وعرفه الخلقي تكون عنصرا غريبا في نظامه . ولا تستقيم له حياة اجتماعية ولا يتحقق له استقرار حضاري مع وجودها •

وفضلا عن تعارض هذه القوانين المستوردة مع ديننا ومع تقاليدنا ونخوتنا وعرفنا الخلقي ، فانها قوانين معقدة كل التعقيد وبها ثغرات كثيرة تتيح الفرص للتفضيل ، والباس الباطل ثوب الحق ، واطالة الاجراءات وتدخل الوكلاء والمحامين ، وافلات المجرم من الجزاء وضياع الحقوق على اصحابها ، لانها في الاصل مقتبسة من القوانين اليونانية والرومانية ، والقوانين اليونانية والرومانية تنعكس عليها عقلية واضعيها الذين عرفوا بالجدل والسفسطة ووسائل الحيل والتمويه فهي بذلك تتعارض أيضا مع طبيعتنا العربية التي تحرص على الوصول الى الحق من أيسر الطرق وأقصرها وأبعدها عن الالتواء

سيداتي وسادتي ،

هذا هو واقع التشريع اليوم في العالم العربي ، وهذا هو مدى انحرافه عن روح الشريعة الاسلامية ونصوصها، وعن تقاليدنا وعرفنا الخلقي ، وهذا هو مبلغ تعقيده وتعارضه مع طبيعتنا العربية في التقاضي •

ولا سبيل الى اصلاح هذه الاوضاع الا بأن تتضافر جهود أولياء الأمور وجهود العلماء وجهود الشعوب في بلادنا العربية في العمل على التحرر من هذه القوانين المستوردة الفاسدة ، وعلى وضع تشريع شامل لجميع شؤون حياتنا مقتبس من شريعتنا الاسلامية السمحة ، فبهذا وحده نعود الى الأوضاع السليمة التي كان يسير عليها المسلمون في عهد الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدين وعصر بني أمية وبني العباس ، بل في مرحلة كبيرة من مراحل الخلافة العثمانية ، وبهذا وحده يستقيم تشريعنا وقضاؤنا ويزول ما فيها من انحراف وتناقض ويتحقق ما يريده لنا الاسلام من عزة ومنعة ، بل بهذا وحده يصدق علينا أننا شعوب اسلامية ، فاننا ما دمنا نحكم

بغير ما أنزل الله لا يصدق علينا أننا مسلمون ، فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه : «**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**».

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم واسأله لى ولكم ولسائر المسلمين الهداية والتوفيق انه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الوحدة الإسلامية
والثغرات التى حدثت فى بنائها

الدكتور عبد المنعم خلاف مستشار بجامعة الدول العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الاخوة أعضاء الملتقى الكريم :

أود فى مفتتح حديثى اليكم ان تسمحوا لى بان أؤدى صلاة شكر لله تبارك وتعالى على ان ارانى من قرب وجه الجزائر ذا الطلعة الفخمة الضخمة الجميلة المسلمة الحرة الباسلة التى ضربت فى التضحية والفداء مثلا أعلى للامم المناضلة فى القرن العشرين فى سبيل حريتها واستقلالها واستمساكها بالانتساب الى دينها وقوميتها ووطنها الاسلامى الكبير .

وطالما شغل الحديث عن الجزائر بالى ولسانى وقلمى منذ أدركت ما يراد بها من سلخ روحها وولائها عن الاسلام والعروبة ، ومن اقتطاع أرضها من جسم الوطن الاسلامى الكبير ، ومنذ ان سمعت وقرأت انباء جبروت الاستعماريين ووحشيتهم وسحقهم لكل جزائرى يدعو الى حرية بلده واستمساكها بعروبتها واسلامها .

ومن قديم كان للجزائر خاصة ، والشمال الافريقى عامة ، مقام ممتاز وحالة رائعة فى قلب كل مسلم قارىء لتاريخ انتشار الزحف بالاسلام شمالا حتى وصل من الاندلس الى قلب فرنسا وجنوبها حتى وصل الى أواسط افريقيا ومجاهلها بنور القرآن وبركاته وقيادته الافريقية الى رحاب الله وصراطه المستقيم ٠

ولولا الانشقاق السريع الذى حدث بين المسلمين وانشغالهم بأنفسهم عن أداء رسالتهم فى نشر الاسلام ، ولو لا ميلهم فيما بعد عصر الفتوح الى الدعة والراحة والمتاع الدنيوى لكانت أوروبا كلها وافريقيا كلها ، فضلا عن آسيا مهد الاسلام ، قد تركت وثنياتها وخرافاتها واديانها الباطلة ، واسلمت قيادها لله ورسوله ٠ وما كانت وحدتها الاولى التى اقامها ومكنها مولى نفوسنا وسيد عقولنا وقلوبنا محمد صلى الله عليه وسلم قد زلزلت وتخلخل بناؤها وكثرت ثغراتها ٠

وبعد صلاة الشكر لله تعالى والتحية للجزائريين الابطال ، أود ان أجعل قوة استمساكهم بالاسلام واعتزازهم بالانتماء الى الجامعة الاسلامية ورفضهم محاولة سلخهم عن المسلمين والعرب مدخلا الى الموضوع الذى اخترت ان اتحدث فيه وهو (الوحدة الاسلامية والثغرات التى حدثت فى بنائها ٠٠٠) ٠

وفى البدء اسجل اننى لا اريد ان انساق مع رأى الذين يرجعون اسباب تفكك وحدة المسلمين الى مؤامرات اعداء الاسلام ٠٠ لاننى اعتقد ان ذلك التفكك يرجع الى تقصير المسلمين انفسهم فى تنفيذ وصايا القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بالحذر الشديد من مكايد الاعداء لهم ولدينهم ووطنهم ، وباعداد ما يستطيعون من قوة ايجابية وسلبية ، وبسد الذرائع الى الخلاف والشقاق والتنازع فيما بينهم ٠ كما يرجع الى ذهولهم عن حتمية الصراع الطبيعى الدائم بين الاجناس والاقوام والمذاهب والنحل ٠٠ وكان جديرا بهم ان يستمروا على اليقظة والحذر والاستعداد الدائم للاعداء بكل ما يستطيعون من قوة كما يأمرهم القرآن (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ٠٠**) (**خذوا**

حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر) (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) (لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ‥) ٠

وكان حسب المسلمين فى ان يدركوا مسؤوليتهم عن صيانة الاسلام وصيانة انفسهم ومواريثهم الحضارية ان يتعمقوا فهم كلمة الاسلام الاولى وهى (التقوى) التى هى أبلغ تحديد وتلخيص لطبيعة المسلم الحقيقى . وهى الحذر الشديد فى ممارسة شؤون الحياة ، واتخاذ أسباب الوقاية من كل سوء يوقع النفس فى كيد الشيطان من داخلها ، أو يوقعها ويوقع المجتمع فى مكايد اعدائها وأعدائه ‥

ومنذ أن جهل المسلمون معانى كلمة (التقوى) كما أرادها الله فوق الحذر منه تعالى ومخافة مقامه كما يقول: « **ويحذركم الله نفسه** » « **واياي فارهبون** » « **فاياي فاتقون** » كذلك ارادهاوقاية للنفس والناس من اسباب غضبه ، واصابهم الذهول والغفلة عن الكيد الدائم من أعدائهم لهم وللاسلام ، وهم فى انحدار مطرد الى مهاوى التفكك والتفرق والشتات ‥ حتى وصلت بهم الحال ان يغفلوا عن العواقب الحتمية لزوال (الوحدة الاسلامية) وسقوط رمزها الاكبر وهو (الخلافة) دون ان يحاولوا استرجاعهما واعادتهما للآن ٠

والحق ان من يذهل عن نفسه وواجبه وكيد أعدائه جدير ان يدخل عليه الضياع والهلاك من كل باب أو ثغرة ٠ وصدق القائل :

لا يبلغ الاعداء من جاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه

وصدق الآخر :

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة   ونام عنها تولى رعيها الأسد

وفى سبيل استحضار جميع قوى النفس لمقاومة الاعداء والحذر من خطر مكايدهم الدائمة ، اصطنع بعض الساسة والفلاسفة الالمان

وهم (بسمارك) و (نيتشه) شعارا لامتهما ينيران به يقظتها الدائمة ويحشدان به قواها ويستخرجان به أقوى ما فى طبيعتها من طاقات وتحفزات ، وذلك الشعار هو « خير سياسة لالمانيا ان تكون على علاقة سيئة بجيرانها » • و « لكى تجنى من الوجود أحسن ما فيه عش دائما فى خطر » •

ولو اطلع بسمارك ونيتشه على التوجيه المعنوى من الاسلام للنفس المسلمة فى هذا المجال كما سبق الحديث عنه ، ما نزعا بفلسفتهما لتجميع أمتهما واثارة حذرها وطاقاتها وقواها لمقاومة أعدائها هذا المنزع المسرف المتطرف •

وكان يكون من الادراك الرشيد المتسق مع ارشادات الاسلام ان يعى المسلمون وعيا دائما أنهم موضع حسد وحقد وطمع من أعداء الاسلام ، وان يعملوا على ان يقوا انفسهم وموارثهم الحضارية التى أفاءها الله عليهم من هذه الاحقاد والاطماع ، وان يدركوا ان طبيعة أعدائهم تدفعهم دائما الى ان يتآمروا على الاسلام حتى يقضوا عليه •• كما يقول القرآن **(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم ..) (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)** •

ولكن المسلمين بعد عهد الدولة الاسلامية الراشدة قد غفلوا عن ادراك هذه البديهيات التى أرشدهم الله اليها وحذرهم من مخالفتها ضمانا لدوام وحدتهم وقوتهم واعتصامهم جميعا بحبل الله •

ومن هنا أردت ان ابين فى كلمتى الى هذا الملتقى الكريم طبيعة الاسلام وايحاءاته والزاماته بالتوحيد لله الخالق وبالوحدة بين المسلمين وتحذيراته من كل ما يحدث فى بناء تلك الوحدة من ثغرات يتطرق منها الضعف والفساد والتفكك ومكايد الاعداء •

فأقول وبالله التوفيق :

I ــ الاسلام دين طابعه التوحيد والوحدة ، لان ركنه الاساسى هو الايمان بالله الاحد ، وبوحدة الناس والخلق جميعا فى ظلال خالقيته تعالى ورحمته وعدله ، وبوحدة المؤمنين والمسلمين فى ظلال القرآن ورسالات الله وشرائعه على مدى العصور •

فاما توحيد الله عز شأنه فحديثه يعرفه كل قارىء لكتاب الله الناطق وهو القرآن الكريم ، وكتابه الصامت وهو هذا الكون الهائل الكبير ذو الآيات والكلمات الالهية العملية التى لا تنفد ! وذو اليد الواحدة فى الصنعة والتقدير والوزن **(وهو الله فى السموات وفى الارض) (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم) (الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) (وخلق كل شىء فقدره تقديرا) (وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) (انا كل شىء خلقناه بقدر) (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)** •

وأما وحدة الناس والخلق عامة فى ظل رحمة الله وعدله وخالقيته وسلطانه وقدرته فيعرفه كل قارىء لقوله تعالى **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)** وقوله **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم)** وقوله **(ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثيرمن الناس ••)** •

وأما وحدة المؤمنين من جميع الاديان الالهية فيعرفه كل قارىء لقوله سبحانه : « **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم • وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)** وقوله **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك • وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه)** •

وأما الوحدة بين المسلمين فحديثها يعرفه كل من عرف تأكيد القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وحرصهما على اعتصام المسلمين جميعا بحبل الله ، وهو القرآن ومنع التنازع فيما بينهم ، وتشديدهما على عدم مفارقة الجماعة والشذوذ عنها ، وعلى حمايتها وصيانتها من كل أسباب التمزق والفرقة والشتات ومن التغرات التى ينفذ منها الوهن والضعف وكيد الاعداء •

وقد أسهبت نصوص القرآن والحديث فى وجوب التزام هذه الوحدة فى كل شأن من شؤون الجماعة ، بحيث لا يكون هناك خلاف ولا مراء حتى ولو كان على تفسير القرآن الكريم •

وحسبنا ان نورد هنا هذا الحديث العجيب الذى رواه صحيح الامام مسلم بسنده عز مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفتم عليه . فاذا اختلفتم فقوموا عنه »•

وهكذا يسد الاسلام مسالك الخلاف بين المسلمين حتى ولو كان على فهم القرآن •

وهذا حديث خطير الشأن ، جليل القدر فى بيان حرص مولانا الرسول على صيانة وحدة المسلمين والنأي بهم عن أسباب الخلاف مهما كانت •• وفى ادراكه عليه الصلاة والسلام مداخل الشيطان بالفرقة والتنازع الى نفوس الناس ولو عن طريق الدين •

ولو ان المسلمين التزموا هذا الحديث وعضوا عليه بالنواجذ ما أوصلهم الجدل والمراء حتى على صغائر الامور الى تفرقهم فيما بعد عصر النبوة والخلافة الراشدة شيعا واحزابا . وصل الحال الى ان يضرب بعضها رقاب البعض الآخر ويكفر بعضها بعضا ، ويقطع الارحام التى أمر الله بها ان توصل •

والحق ان هذا الحديث يجعل الوحدة الاسلامية وصيانتها من كل ما يحدث فيها أية ثغرة فوق كل اعتبار آخر •• ولو كان هذا الاعتبار هو البحث عن الصواب فى مفاهيم الدين •

ولقد شدد الاسلام النكير والنهى عن التنازع بين المسلمين فى حالتى السلم والحرب وشدد التحذير من عواقبه فى مثل قوله تعالى : **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين)** وقوله **(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)** وقوله **(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** وقوله **(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** •

ومن هنا يكون أول واجبات مفكرى الاسلام الآن لاستعادة بناء الوحدة الاسلامية ان يرأبوا ما بين فرقهم وشيعهم من صدوع . وان يسدوا الثغرات التى ينسلل منها الافتراق والوهن وكيد الاعداء وفساد ذات البين ، وان يكون شعارهم الذى يرفعونه فوق شؤون حياتهم كلها : « اجتماع واتحاد على شر . أهون ضررا على الجماعة من افتراق على خير » ! ! وان يجعلوا الفهم الاسلامى للوحدة ، وحرص القرآن والحديث على توطيدها وتحصينها فى قلوب المسلمين مفتاح العمل والسعى لاقامة (الوحدة الاسلامية) بكل أجهزتها ، وان يضعوا ذلك أمام الساسة وجماهير المسلمين وبخاصة شبابهم المثقف.

2 ــ واذا كان العالم المسيحى على قوة دوله وشعوبه قد أخذت طوائفه وكنائسه تتقارب وتتجمع مع شدة ما كان بينها من اختلاف وشقاق وتنازع عنيف وحروب دامية ، سعيا منها الى التنسيق او التوحيد وتبادل الرأى فيما يواجهها جميعا الآن من مشكلات ومهام وقضايا ، كما حدث فى دورات المؤتمر المسكونى . وتبادل الزيارات بين البابوات ورؤساء الكنائس وكبار موجهى الحياة المسيحية ...

واذا كان العالم اليهودى كذلك ، قد وحد رأيه واجتمعت كلمته وخططه من قديم على ابراز كيانه وفرض سلطانه على فلسطين وما حولها ، بل على العالم كله .. لافساد حياته وتدمير آماله فى حياة السلام والمساواة والعدالة الممثلة فى (الامم المتحدة) .

واذا كان العالم الالحادى يتجمع كذلك ويخطط لنشر الالحاد والقضاء على الايمان بالله الخالق واهدار المؤمنين به .. فما بال أمم العالم الاسلامى . وهى أولى الناس بالوحدة ووضع شعاراتها التى طبع الله نفوسها عليها كما سبق القول ، لا تسعى الى وحدتها السعى الحثيث المدرك لخطورة الظروف العصيبة والمؤامرات الظاهرة والخفية على حياتها ، ومستقبل ديارها ومواريث دينها وحضارتها المعنوية والمادية ، مع انها فى اشد الحاجة الى التجمع والتعاون على مواجهة التحديات ودفع المؤامرات وتعريف غيرها من الامم بنفسها ودينها ؟ !

صحيح ان وحدة الشعور بين جماهير العالم الاسلامى ما تزال حية ، وان ارادة تلك الجماهير حاضرة لكل ما تطلبه الظروف منها

من تاييد وتضحيات اذا احسنت قياداتها توجيهها ، وان الشعوب الاسلامية برغم سقوط (الجامعة الاسلامية) والخلافة وزوالهـــا ، ما تزال مشبوبة الحنين ملهوفة التطلع الى اقامة تلك الجامعـــة التى يدركون انه لا وجود لوحدتهم الا بقيامها . تمهيدا لاقامة رمـزهـــا وهو الخلافة التى يتحتم ان تسبقها وتحيط بها (هيأة عليا) من قمم العالم الاسلامى فى الدين والفكر والحكمة والسياسة والقيـادة .. ليناط بها التفكير والتخطيط والعمل العصرى الذكى لقيام مقدمات الجامعة الاسلامية من جديد ولمواجهة التحديات ودفع الاخطـــــار والمؤامرات التى تحاول الاجهاز على الاسلام وطمس معالمه وآثـاره.. كما يناط بها تقديم الاسلام من جديد الى اهله والى الناس كافـــة تقديما عصريا مبينا ما فيه من امتياز وتفرد ، وسبق الى أصول كل فكر وعمل نافع صالح ، ومن قدرة على مواجهة (مشكلات الفـــكر والاعتقاد) و (مشكلات العيش) فى هذا العصر وفى كل عصر .

وفقدان هذه الهيأة او الجماعة العليا هو السبب الرئيسى لأوسع ثغرة فى بناء الوحدة الاسلامية ان كان لهذا البناء وجود فعـــال مؤثر بدونها . فيجب ان تسد هذه الثغرة بسرعة تمهيدا لايجـــاد (الجامعة الاسلامية) ورمزها وهو الخلافة التى تتطلع اليها وتحـــن اليها جماهير المسلمين لتجد فيها تجسيم افكارها ومثلها العليـــا ولترفع بها آمالها وتلبى نـداءاتها وهتافاتها الفطرية الى الوحـدة ، ولتشبع حاجتها الى اكتشاف ذاتها والى التعبير عن نفسها والى حماية مواريثها الدينية والحضارية . ولتعرض الاسلام بسلوكها وتفكيرهـا فى معارض المذاهب والآراء والاديان عرضا مشرفا ..

3 ـ ويدفعنى التفكير فى هذه الثغرة الى التساؤل التالى الـــذى مبعثه الحيرة والتعجب من بطء المسلمين المعاصرين ، ومن سلبيتهـم وضعف (رد الفعل) لتلك الاخطار فى نفوسهم وعزائمهم ..

لماذا تبطىء الدول الاسلامية هذا البطء القاتل فى اعادة الاسلام الى مكانه الصحيح من توجيه حياتها والسيطرة الكاملة عليها بـكل السرعة الممكنة بعد ان زالت عنها وصاية الاستعمار المعـــــادى للاسلام؟! أليست تلك الامم مقتنعة بتفرد الاسلام وامتيازه ، وانــه

لو لم يكن دينا موحى به من الله الخالق لكان المذهب العقلي الوحيد الذى لا مفر للتفكير السليم من ان يسلكه لحل مشكلات الفكر والاعتقاد ومشكلات العيش ، ولقدرته الكاملة على مواجهة الحياة الانسانية وحاجاتها بالحل والاقناع والاشباع ؟؟

فلماذا تضييع الوقت وتبديد العمر فى هذا الاهمال الحالى بعد الاقتناع بحتمية عودة المسلمين للاسلام لانقاذ انفسهم من الانحدار على منزلق الزوال الذى يعيشون فوق مهاويه وهم فى ذهول عن مصيرهم المحتوم ان لم يتداركوا انفسهم بالاعتصام بعرى الاسلام الاسلام الوثقى التى لا انفصام لها .

أجل ، لماذا نبطىء نحن المسلمين هذا البطء المهلك فى نفض عقولنا وحياتنا من كل ما رسب فيها او علق بها من آثار الاحتلال العسكرى والثقافى المعادى للاسلام . والتشكيك الاستعمارى فى ديننا وقيمه الحضارية وقدرته على تحقيق جميع مطالب الحياة العصرية بالفكر والروح والجسم ؟ ؟ ألسنا مقتنعين بعد بأصالة ذاتنا وعراقة ثقافتنا وحضارتنا التى مرت بسبعة ادوار تاريخية على الاقل . بينما الحضارة الغربية الراهنة هى الحضارة الثانية فقط فى تاريخ الشعوب الغربية منذ فجر التاريخ المعروف للآن ؟ ! وقد التقط الغرب بذور حضارته الحالية وغرائسها من مشاتل الحضارة الاسلامية فى مكة والمدينة ودمشق وبغداد ونيسابور والقدس والقاهرة واستانبول والقيروان وقرطبة وغرناطة .

ثم لماذا لا يسير قادة الامم الاسلامية على مواقع قدم مولى نفوسنا وسيد عقولنا محمد رسول الله خاتم النبيين وسيد أبطال الدنيا فى سيره لجمع كلمة امتهم الاسلامية الاولى ، واقامة كيانها وتحصينه من كل آفات الهدم وثغرات الفساد والضعف وبنائه بناء متكاملا بالدين والحضارة والعلم والقوة ؟ هل وجدوا بديلا من محمد فى قادة الدنيا وانبيائها وابطالها يستطيع ان يبنى حياتهم بناء أقوى أساسا وأعلى سمكا وأوسع استيعابا لكل حاجات النفس البشرية وأنجع حلولا لمشكلاتها وعقد حياتها ؟

ألا انه يتحتم على تلك الامم الاسلامية التى استقلت ان تسرع الى الأسوة والقدوة بقيادة مولانا محمد فى كل خطواته لجمع كلمة الامة الاسلامية الاولى ، ان كانت تريد لحياتها ودينها وديارها انقاذا من المصير الذى يضمره لها أعداؤها الكثيرون ·

كما ينبغى لها – ان كانت تريد اللحاق بمواكب أمم الحضـــارة والثقافة المعاصرة – ان تسابق الزمن فتخطو خطوتين فى وقـــت واحد : خطوة من الماضى المتخلف الى الحاضر المتقدم ·· وخطوة مـن هذا الحاضر الى المستقبل مع خطوات أمم السبق الحضارى الراهن ، حتى لا يتكرر تخلفها بتضخم الفرق بينها وبين غيرها من الأمـــم المتقـــدمـة ·

وانه لمن اكبر آفات الامم الاسلامية المعاصرة ومن أوسع الثغرات فى بنائها النفسى أنه ليس لدى اكثرها احساس بحركة الزمن وسرعة سيره بالناس . وبخطورة السبق لدى أعداء الاسلام الى كل أسباب القوة المادية ليكبلوا بها المسلمين ويسبقوهم الى مقاليد السيطـرة عليهـــم ·

ومن آفاتها كذلك أنها لا تفكر فى أعدائها كما يفكر أعداؤها فيها ، ولا تحاول ان تعرف ما يدور فى تفكير هؤلاء الاعداء بالنسبة لها · وهذا مما أشار اليه القرآن الكريم فى قوله (**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم · وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنـــا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ··**) (**لا تتخذوا بطانة مـن دونكم لا يألونكم خبالا · ودوا ما عنتم ··**) ·

4 – ومن هنا كان من ألزم الواجبات على قادة العالم الاسلامى ان يسرعوا الى ايجاد (هيئات القمم العليا) التى سبق القول عنها ، من أعلى رجال الفكر الدينى والحضارى والسياسة والقيادة والاخلاق الاسلامية ، ليفكروا ويخططوا ويوجهوا المسلمين جميعا ويشعروهم بوحدتهم وبخطورة ما يريده أعداؤهم ، فلا يقنع أى شعب منهم بان ينهض وحده تاركا اشقاءه من الشعوب الاسلامية الاخرى متخلفين قابعين لاصقين بالتراب ·· كأنه ليس مسؤولا عنهـــم ·· أو كأن نهضته هو وحده تغنيه عن نهضة اشقائه المسلمين فى كل مكـــان .

وانها تعفيه أمام الله من تبعة انزلاق غيره من الشعوب الاسلامية على منحدر الضياع والزوال بالجهل والتخلف والتحلل من قيم الاسلام ٠

أجل لابد ان تكون (هيأة القمم الاسلامية العليا) من أعلى مستويات القيادة والريادة وفقه الاسلام وممارسة عبقرياته الفكرية والخلقية والعملية في خوض صراعات العصر ومذاهبه . بحيث يمثلون في مجموعهم ظلالا من خلافة مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام في سعة معرفته بالله تبارك وتعالى ورحابة أفقه وعلمه وسماحة روحه وعظمة خلقه وتعدد جوانب شخصيته الفائقة المتكاملة ، وقدرته على بناء الاشخاص والدول ٠٠

ولعل تلك الجماعة العليا ان تهتدى الى اختيار شخص يتجمع فيه أكبر قدر من ظلال تلك الصفات والخلال المذكورة ليكون رمزا لخلافة مولانا رسول الله على رعاية شؤون المسلمين فى كل مكان وتمثيل وحدتهم وتقديم النموذج المتطلع المستهدى بنور الرسول ٠٠

وقد تكون هذه الجماعة على غرار أمراء (الفاتيكان) « كرادلته » فى تجمعهم وتنظيمهم واسلوب تمكينهم من اختيار البابا رئيس الكنيسة الكاثوليكية ٠

أو تكون على غرار جماعة (الحاخامين) الدهاقين التى تحيط بالجالس الرمزى الخفى على كرسى داود ٠٠ وتدبر شؤون اليهود فى كل مكان بل وشؤون التحكم فى العالم وتسييره وفق مصالح اليهود وحدهم ٠

ومع الاسف نرى ان هيئات المسلمين الدينية (كالازهر) و(القرويين) و(الزيتونة) و(النجف) يقتصر عملها وتفكيرها على المناهج الدراسية والوعظية لطلاب العلم والثقافة الدينية وليس من مهمتهم ان يشتركوا فى وضع سياسة أمتهم أو المسلمين عامة ، لانهم لم يؤهلوا لذلك ٠

وقد نشأ هذا الوضع العجيب من فصل الدين عن الدولة وعزل التعليم الدينى — بعد الاحتلال الاجنبى للبلاد الاسلامية — عن التعليم العام ٠ وصار طلاب علوم الدين يتنفسون ويعيشون فى جو غير جو طلاب علوم الحياة وممارسى شؤونها وتدبير سياستها ٠

ولعل فيما نحا اليه الازهر أخيرا من اقامة جامعة متكاملة الدراسات لشؤون الدين والحياة ما يقضى على هذه الانفصالية غير المعقولة بين رجل الدين ورجل الحياة • لان الاسلام لم يعرف هذه التفرقة فى عهد مولانا رسول الله وخلفائه الراشدين •• اذ كان الرسول واصحابه أعظم نماذج الحياة المتكاملة بالجسم والروح واحسان العمل والتجارة والسياسة والعسكرية والحكم والادارة والقضاء •• الى آخر شؤون الحياة الاجتماعية المتشابكة •• وقد قامت بهم دولة الاسلام الاولى التى لم تر الدنيا لها مثيلا فى تكامل شخصيات رجالها وحسن خلافتهم لله العليم الخبير بكل شيء •

5 ـ وانى اعتقد انه بعد موجة التقارب المسيحى الجديد بين الطوائف والمذاهب المسيحية للتعاون والتخطيط المشترك فيما بينها على تحقيق مطالب عقائدها ومصالح شعوبها ومواجهة غيرها بالعمل الطبيعى المنتظر من كل متدين يعتقد ان من التزامه الدينى ان ينصر دينه ويعمل على نشره ويحاول حمايته •• كما يشير الى ذلك القرآن فى أمر مولانا الرسول بأن يقول لقومه فى معرض التحدى بدينه والثقة فى عقبى انتصاره **(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى)** • وذلك أقصى ما يتصور من مبادىء الدعوة الى اطلاق حرية العمل أمام الجميع لنصرة عقائدهم •• بدون حجر أو تضييق على المخالفين فى الدعوة الى معتقداتهم بالاساليب المشروعة •

وبعد مد الموجة اليهودية التى يخطط الصهيونيون لاغراق العالمين العربى والاسلامى بها ، ويحضرون لظهور ملكها الكاهن الاعظم الذى يحكم العالم كله ، ويدمرون مراكز القوى المسيحية والاسلامية المضادة لهم •

وبعد مد الموجة المادية الالحادية التى تنكر الايمان بالله الخالق وتحبس نظر الناس وتفكيرهم على مسائل العيش المادى وحدها ، وترفض التفسير الدينى للكون والحياة وتعتنق التفسير المادى للتاريخ وحركاته ، وتحمل الانسان على أن يقنع من حياته على هذه الارض

بأن ينال كفايته من حاجات الجسد وحدها كأى حيوان بدون تطلع الى حل مشكلات الفكر والاعتقاد فيما يحكم الكون الكبير من الكمال العقلي والخلقى الذى ينبت فى كل جزء من اجزائه ، ويتجلى فيما يسيره من علم ونظام وحكمة وقدرة ورحمة ونعمة وجمال وايمان واصرار وثبات وعزة وقهر وقداسة وكبرياء ٠

أقول : أعتقد انه بعد مد هذه الموجات الثلاث وتخطيط قادة كل منها وعزمهم على غزو الحياة الانسانية بمفاهيمها (وأيديولوجياتها) الخاصة ٠٠ لن يعدل من غلو الموجة الاولى وهى المسيحية ، ولن يقاوم عنف الموجة الثانية ودمويتها وعنصريتها وعدوانيتها وتوسعها ورجعيتها ورفضها لسير التاريخ بالانسانية منذ أن طرد اليهود من فلسطين . وهى الموجة الصهيونية . ولن يوازن الموجة الثالثة وهى الموجة الالحادية ، لن يواجه هذه الموجات الثلاث الا تصدى الاسلام لها جميعا بربانيته الموحدة ، وماديته العلمية القرآنية ، وروحيته وعقلانيته وعدالته الاجتماعية . وسماحته الانسانية . وقدرته الفائقة على حل مشكلات الفكر والاعتقاد ومشكلات العيش ٠

ولن يمكن المسلمين من هذا التصدى لهذه التحديات الا قيام (الجامعة أو الوحدة الاسلامية) لتنهض بعزائم التصحيح والتنقيح والتقويم لانحرافات العقائد المغلوطة والمدخولة، وبعزائم الكفاح للموجة الدموية العنصرية الصهيونية العاملة على تخريب كل شىء اذا لم تحتكر هى وحدها السيطرة على كل شىء بأسلوب تفكيرها فى اسطورتها عن شمشون الجبار وهدمه المعبد على رأسه وعلى رؤوس أعدائه صائحا « على وعلى أعدائى يا رب ٠٠ » ٠

6 ــ ويحتاج المسلمون فى استرداد ايمانهم بضرورة قيام تلك الجامعة الاسلامية الى صحو عميق وادراك بصير لمكانتهم ومكانة الاسلام بين الشعوب والمذاهب ، والى تحصين انفسهم من كل دس وكيد وتآمر على تفريقهم وتشتيت شملهم ، والى اعداد حثيث لقواهم الايجابية والسلبية بالعمل الذكى وبالحذر والاحتراس الدقيق من أى أمر يفضى بهم الى التفرق والتشتت وحدوث ثغرات ينفذ منها الوهن والضعف الى كيانهم ٠

كما يحتاجون الى سد ثغرة على قدر كبير من الخطورة ، وهى شعور شبابهم بعقد النقص والانحطاط عن غيرهم من شباب أمم الحضارة الغربية الحالية .. ولا يكون سد هذه الثغرة الا بتوقيف الشباب وارشادهم الى العراقة والاصالة الحضارية التى لشعوبهم اكثر مما لغيرها من الشعوب الاخرى . والا باقناعهم بامتياز الاسلام كدين وفكر وحضارة ، وسبيل عدالة وانسانية عليا لا مثيل له ، وبتوحيد تفكيرهم ومقاييسه وذلك بجمعهم على الفهم العلمى للقرآن ووعى مضامينه وعدم الخروج عن منطقه العربى المبين الى الشطح أو التهويم أو الدروشة أو التأويل البعيد ، أو غير ذلك مما يبعده عن صحو العقل العربى الذى نزل اليه القرآن ، ولم يكن يهتدى ويسترشد ويحكم الا بمنطق الفطرة المستمد من السنن الالهية الثابتة التى تحكم ظواهر الطبيعة المادية .

والى هذه المعانى يشير قوله تعالى (**وكذلك أنزلناه حكما عربيا**) وقوله (**وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم**) وقوله (**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**)

وان اكبر ثغرة فى بناء الوحدة العقلية والنفسية للمسلمين المعاصرين هى خلو عقولهم من منطق القرآن بعلميته الواضحة وماديته الربانية الصارمة ، وخلو قلوبهم من روحية القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم .

وان الذين يعيشون حياتهم العقلية والقلبية بالقرآن يعيشون فى قمم الذكاء والعلم والشرف والنبل والكمال العقلى والخلقى ، لانهم يتلقون القرآن كما كان يتلقاه مولانا الرسول من لدن حكيم خبير . ويعيشون به دائما فى حضرة الله الخالق الذى عنده مفاتح الغيب ولا يغرب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض .

والقرآن هو الذى أقام بناء وحدة الامة الاسلامية وحصنه وأحكمه ولم يترك فيه ثغرة يتسلل منها أى فساد أو عامل هدم أو ضعف .. ولذلك خرجوا للعالم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا فى مواجهة معارك الاسلام ومعارك الحرب ، وقد اجتاحوا بقرآنيتهم أمم الحضارة والثقافة والديانة التى كانت تعاصرهم وكانت سيدة الارض فى ذلك

الحين ، فلم يسعها الا ان تسلم لهم قيادها عن طواعية واختيـــار وتدخل فى دين الله وتترك لهم حكمهـــا بالقرآن ٠٠ فلم تلبث ان جمعت حضارته الروحية والعقلية الى حضارتها المادية ، فرأت الدنيا أروع نموذج متعادل متوازن من الحياة الروحية المادية لم تر له نظيرا من قبل ، ولن ترى له نظيرا من بعد الا فى ظلال القرآن ٠

ولذلك يتحتم على الدعاة والمربين والموجهين ان يعيدوا المسلمين ، وخاصة الشباب منهم . الى القرآن وفقهه ليخرجوا به مما يرونه فى ديارهم وفى العالم كله من ظلام الآفاق المطموسة ، وليصنعوا بـــه ما صنعه أجدادهم لانفسهم وللدنيا بشعورهـــم بالامتيــاز الخلقى والرشد العقلى الفائق عـــلى الفـــرس والروم والاغريق والهنود والمصريين وغيرهم من أمم الحضارة والثقافة والديانة الـــتى كانت تعاصرهم ، والتى ما لبثت ان اسلمت لهم مقاليدها ٠

ولقد كان اجتياح المسلمين بالقرآن لاباطيل أمم الارض جميعها ، واكتساحه فى ثمانين عاما فقط لغثاء حياتها الدينية والفكريـــة والحضارية كبرى المعجزات فى التاريخ ٠ ويصح ان نجعلها قمـــة معجزات القرآن العملية ، اذ انه أخضع بها أعناق تلك الامم الجبارة الكبرى بالاقتناع بما فيه من سماحة وعدالة واخاء ومساواة بـين البشر جميعا ٠

وان معجزة اجتياح العرب لاقطار الارض بالقرآن هى الاطـــار العملى التطبيقى الذى احاط بالاعجاز النظرى بذات القرآن ونصوصه وصباغته الالهية الفذة المرضية لجميع العصور ٠

أجل لابد فى تربية الشباب المسلمين من السبق الى نفوسهم ، وهى فى دور التفتح ، بالفكر القرآنى والعلم القرآنى والخلق القرآنى حتى تنشأ على منطقه وتحكم بموازينه على ما تتعلمه وتتلقاه فيمـا بعد من الآراء والمذاهب الغريبة عنها ٠٠ وحينئذ سيجد هــــؤلاء الشبان المسلمون المثقفون ما وجده أسلافهم من العلماء والفلاسفـة والمفكرين من شمول الاسلام وسعته واسبقيته الى كل حق وعـدل وتقدم وامتياز وشرف ٠ فلا يهدده أى فكر آخر بالالحاد أو الـكفـر

والانكار أو المروق بعد أن سبق الى نفسه القرآن الحكيم بسعته وشموله واستيعابه وعقلانيته ٠

7 - ومن القبيح جـــداً ألا تقف الدول الاسلامية الموقف الجدى فى هذا العصر لانقاذ نفسها وانقاذ العالم قبل فوات الأوان ٠٠ ان مستقبل العالم وغده المأمول عند المسلمين لو أقاموا القرآن وأقاموا حياتهم عليه ٠

وانى لاتساءل دائما : هل كان يكون فى الارض قطر واحد ليس فيه للاسلام دولة لو ان المسلمين عاشوا بالاسلام القرآنى عيشة كاملة بالروح والجسد والخلق والعمل ، واستمروا على ما كان أسلافهـــم الصالحون قد بدأوا به بدءا عبقريا يحمل رسالة القرآن بقوة وادراك لما فيه من امتياز ؟ وتفرد وتطبيق كامل لشرائعه ومبادئه ؟ ٠ أكانت مقاليد السيادة والحضارة والثقافة والديانة تضيع منهم كما ضاعت وانتقلت الى غيرهم من شياطين الانس الذين يدمرون حياة الايمان والسلام والعدالة ويسعون فى الارض فسادا تفريقا وتشتيتا وفصما لعرى الانسيانية ، ويوقدون نيران العداوة والبغضاء والحروب بينها ؟

ان المسلمين بعد عصر الدولة الاسلامية الراشدة هم المسؤولون أمام الله والتاريخ عن ضياع أنفسهم وضياع فرص الهدى بالاسلام على الشعوب الاخرى ٠٠ وهم المسؤولون عن بقاء الوثنيات فى انحاء الارض للآن ، وعن التفرقة العنصرية ، وعن المظالم الاقتصادية وعن ألوان الطغيان والفساد اللذين شوها وجه الحياة كما آرادها الله وكما عهد بها اليهم صحيحة سليمة على يد مولانا خاتم النبيين وشريعتــه التى جعلتهم أمة وسطا فى مقام الهيمنة والشهادة على الناس ٠٠

هم المسؤولون عن طمس معالم عدل الله ورحمته اللذين أرادهما للناس جميعا بكفالة الحد الادنى من الرزق والمعيشة الانسانيـــة الكريمة ٠٠ فاذا الطغاة والجشعون يطمسون تلك المعالم ويحتجزون لانفسهم ما جعله الله مشاعا للناس ٠٠

هم المسؤولون عن حبوط ثورة القرآن عـلى مفاهيـــم الناس فى اسباب الغنى والفقر وعدم ايصال عدل الله ورحمته الى كل مولــود داخل للحياة بدعوة من الله الخالق الكافل الرزق والأمن لكل نفس ٠

ولو انهم عرفوا اسبقيتهم الى كفالة حقوق السائـل والمحروم والكادح ، والى حمايتهم ودفاعهم عن هذه الحقوق ولو بشن الحرب المقدسة باسم الله على طغاة المال والجشعين ، كما فعل الخليفة الاول ابو بكر فى حربه لمانعى الزكاة . فكانت أول حرب مسلحة فى التاريخ من أجل حق الفقير والمحروم ٠٠ لو انهم عرفوا اسبقيتهم تلك لاعتزوا بها وقدموها برهانا للمعاصرين من دعاة التقدم والعدالة وانصاف الطبقات الكادحة والمحرومة على انهم ذوو أصالة واسبقية الى كل عدل وتكافل وبر بين الناس . وبرهانا كذلك على ان الانخراط فى صف الدعوة الى انصاف الطبقات الكادحة المحرومة لا يحتاج الى انكار وجود الله وشن الحملة على الايمان به كما يفعـل دعاة المادية الالحاديـة المعاصرون ، لان الله تعالى هو الذى دعا الى اعلان الحرب باسمه على الطغاة الجشعين المحتكرين لنعمه المخلين بالاوضاع الطبيعيـة فى توزيع مال الله تعالى على عباده ، وهو الذى علم المؤمنين به أن يثوروا باسم القرآن على كل ألوان الطغيان والاستبداد والفساد والاحتكار ولو كلفتهم الثورة حياتهم أو الهجرة من أوطانهم ٠٠ فلم يكن الايمان بالله مخدرا عن المطالبة بكل حق فرضته ضرورات الحياة وشريعـة الله لكل نفس ، بل على العكس كان الايمان بالله الخالق مثيرا غايـة الاثارة لكل نفس أن تدافع عن حقها . والا حوسبت حسابا عسيرا أمام ربها على قبولها الاستضعاف ٠

واقرأوا قوله تعالى (**ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ٠٠ قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**) ٠

ومن القبيح كذلك بالمسلمين المعاصرين الذيـن وقعوا فرائس للاستعمار أنهم لا يحاسبون انفسهم على مسؤولياتها عما ينزل بهم من كوارث ونكبات سببها الاهمال والتفريط ٠٠ بل يلقون بالملام ويصبون جام غضبهم ولعنهم على أعداء الاسلام حينمـا يجدونهم يعملون لدينهم ويكيدون ويتآمرون على المسلمين ٠

وكأن هؤلاء المسلمين المعاصرين يتصورون أعداءهم فارغى القلوب من الايمان بأديانهم ومذاهبهم . وواهنى العزائم فى العمـل لنصرة

انفسهم ، وضعيفي النكاية لمخالفيهم ·· مع ان القرآن الكريم يقرر ويكشف أمام المسلمين عن طبيعة المتدينين بأى دين باطل ، وشدة غيرتهم عليه وحبهم له ودفاعهم عنه ، فيقول (**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ··**) ويقول (**واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ·· واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون**).(**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ·· كذلك زينا لكل أمة عملهم ··**) ·

وحقا لقد صارت مشاعر المسلمين المتأخرين مشاعر أمة غير طبيعية ·· وكأنها لا تعرف الصراع الدائم بين الاجناس والاقوام · ولا قوانين دفع الله الناس بعضهم ببعض حتى لا تفسد الارض ··

ان أوامر الله تعالى وتنبيهه باتخاذ القوة الايجابية فى قوله تعالى (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ··**) وباتخاذ القوة السلبية فى قوله (**خذوا حذركم ··**) وقوله (**ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة**) ·· أوامر صريحة واجبة التنفيذ والاداء كأوامره تعالى فى قوله (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**) سواء بسواء ·· فلماذا لا يتذكر المسلمون الاوامر بالاعداد والاستعداد والحذر كما يتذكرون الاوامر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ؟

وانا لا أدعو الى اضمار العداوة والبغضاء فى قلوبنا للمخالفين ، ولا لتدبير المكايد والمؤامرات ضدهم من غير مبادأة منهم لنا بذلك ، لان الاسلام ينهانا عنه ، ولكننى أقول : انه لا يليق بنا ان نكون ذاهلين بلهاء كالحملان الغافلة عن الذئاب المتربصة بها ··· لا يليق بنا ان نكون سلبيين مستسلمين لارادة اعدائنا بنا من التفكك والانحلال كما فعلنا منذ انهيار بناء الوحدة والقضاء على الخلافة وتفريغ نفوسنا من اشعاعات وجودها ، ليتمكنوا من القضاء على الاسلام والاستيلاء على المسلمين واوطانهم وابتلاعها جزءا جزءا ·

وكان اخشى ما يخشاه المخلصون على المسلمين المعاصرين ان تسبق الى نفوسهم ، بذهولهم وسلبيتهم واستسلامهم للاحداث التى يشق

أعداؤهم مجراها وطرق اطباقها عليهم بخبث ومكر ودهاء ، ارادة الزوال وخمول الانحلال وبلادة الشعور بالاثم العام الذى فى اعناقهم جميعا لتقصيرهم وتجمد سعيهم الى عودة جامعتهم الاسلامية ورمزها المجسم وهو الخلافة ‥ فلا يشعروا بحاجتهم الى الحياة عزيزة كريمة مؤثرة كما كانت لهم فى السابق ، ولا بحاجة الحياة اليهم شهداء على الناس وخير أمة أخرجت لهم ، كما جعلهم الله تعالى ووصفهم القرآن الكريم ‥ ولكن لله الحمد والمنة ‥ فقد جنبهم ارادة الزوال ومقدمات الانحلال وخمول الاستسلام لاعدائهم . وجرد من عزائم أكثر شعوبهم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ما حقق استقلالها وأقام دولها حرة ذات سيادة على ارضها ، تدبر شؤونها حسب رأيها ومصالحها ‥ وخاصة ما يتصل بشؤون عقيدتها وشريعتها واطراد تاريخها على خط سيره الاسلامى ‥

ومن هنا يتحتم عليها ان تسرع الخطوات الى تدارك ما فات بسبب التفريط فى صيانة بناء دينها ووحدتها الاسلامية واقامة رمزها .

وما من شك فى ان الذى عصم الجزائريين من الاستسلام لارادة أعدائهم وانقذهم من تدبير الفناء فيهم والانسلاخ من رابطتهم الملية والقومية ‥ هو استمساكهم بالاسلام واعتزازهم بالانتماء اليه واستجابتهم لما صبه فى قلوبهم من معانى العزة والحرية والكرامة والعبودية لله وحده ‥

والفضل الاكبر فى ذلك كله ـ كما علمنا ممن سعدنا وتشرفنا بلقائهم فى مصر من اخواننا واساتذتنا الجزائريين المجاهدين وعلى رأسهم الامام العلامة العظيم ، الكاتب الاديب الكبير الشيخ محمد البشير الابرهيمي تغمده الله برحمته ـ يرجع الى ما ظل يعمر صدور الامهات الجزائريات اللائى حرصن على الاحتفاظ بعزائم الاسلام ولغة القرآن فى صدورهن وبيوتهن ، وينقلنها الى صدور أولادهن وألسنتهم ، ويؤججن جذوة الدفاع عنها كلما هبت عليها ريح خبيثة تحاول اخمادها . وذلك تلبية منهن لدعوة بطل من ابطال

الجزائر العلماء الدعاة المربين المجاهدين ٠٠ ألا وهو الشيخ الامـام عبد الحميد بن باديس روح الله روحه برحمته ورضوانه ٠٠

وبذلك كله صنع الجزائريون أعظم بطولات الشعوب الاسلاميـة فى القرن العشرين ، وهو استردادهم الجزائر للوطن الاسلامى بعد محاولة اغتصابه نحوا من مائة واربعين سنة ! وهو انتصارهم عـلى جيش المستعمرين المستكلبين الذى كان عدده يزيد على ستمائة ألف جندى مسلحين بأحدث اسلحة العصر المخصصة لحلف الاطلنطى ٠٠ فالى أولئك الامهات المنجبات للابطال ٠٠ والى ابنائهن الذين مضوا الى ربهم مستشهدين والى المكافحين الاحياء البواسل ٠٠ والى البطل الجزائرى الاول الامير عبد القادر ٠٠ والى الشيخ المصلح عبد الحميد ابن باديس واخوانه ٠٠ والى غيرهم من الجنود المجهولين والمعلومين الذين صنعوا اسباب النصر واستنزلوه من الله باخلاصهم للاسلام ووطنه والاستبسال فى الدفاع عن حصن عظيم فخم ضخم مــــن أعظم قلاعه ٠٠

الى هؤلاء جميعا تحية المسلمين والاحرار من كل مكان فى العالم يضمخها عبق القرآن العظيم وعطر نفس مولى نفوسنا وسيد عقولنا محمد ٠٠ وقد خلص لهما وحدهما ولله الحمد جو الجزائر الحـــــرة المستقلـــة ٠

والسلام عليكم ورحمة الله ٠

جراحة التجبير (تقويم الأعضاء) العربية

الدكتور حسين كامل حساب
عضو الجمعية الملكية للجراحة - بانقلترا
ورئيس جراحة التجبير في جامعة الاسكندرية

كان موضوع الطب العربى موضع اهتمام وانتباه كثيرين من الكتاب الشرقيين والغربيين كمثل Brown (1921) و Myerhof (1931 ـ 1943) وحسين (1951) « وجميعهم يؤكدون ان كثيرا من المستشفيات المنظمة وهى عبارة عن مدارس طبية قد سبق وأنشئت فى القرنين التاسع والعاشر للميلاد فى العالم الاسلامى • وقام بالاشراف على ادارتها اخصائيون من اطباء وجراحيين واطباء عيون ومجبرين ، وكانوا يلقون على طلابهم وتلامذتهم المتخرجين المحاضرات ثم يقدمون لهم الامتحانات، وبعدئذ يمنحونهم الشهادات، وكذلك اتخذت الترتيبات لاعطاء دروس تطبيقية ، وترجمت الكتب والمصادر اليونانية والرومانية المشهورة فتجرى دراستها بصورة تامة ثم تطبق مع اعطائها أو الاضافة اليها بعض النواحى المعينة ولا سيما ما يتعلق بها من الناحية الطبية المسلكية Clinical وبعبارة أخرى فقد كانت جراحة التجبير وقتئذ علما للاختصاص معروفا ويتمركز على دراسة وتطبيق علمى • ولما كان هذا يقتضى معرفة كبيرة ذات درجة عالية من علمى التشريح والجراحة فكان لابد لمن يختص بذلك من النجاح فى امتحان خاص فى هذين الفرعين وذلك قبل منحه شهادة فى التخصص بالتجبير •

ومما يستدل على ان العرب كان لديهم معرفة أصيلة بتشريح الهيكل العظمى للانسان هو قيام العالم العربى « عبد اللطيف البغدادى » بزيارة لمقبرة قديمة بالقاهرة حيث اجرى فحصا على فك

الانسان واستدل منه انه لا يوجد فى اسنانه وبالقسم الاوسط منه « درزا » كما ذكر جالينوس بالنسبة للحيوانات ويوجد ، بالاضافة الى ذلك ، فى كتاب ألف ليلة وليلة رقم 450 وصف لجسم الانسان من احدى الفتيات الرقيقات وهذا ما يدل ان مثل هذه المعلومات معروفة لدى الناس (أنظر الفقرة العربية رقم 13) وليس هناك غرابة اذن اذا ما وضع ابن سينا فى قانونه « وصفا رائعا لهيكل الانسان يشتمل على معلومات صغيرة دقيقة كمثل « زاوية عنق عظم الفخذ فى وظيفة مفصل الفخذ » • أما بالنسبة للانسجة الرقيقة فلم يجروا عليها أى عملية تشريحية وهذا أمر اسف له (أبو القاسم الزهراوى) وهو من قرطبة وذلك عندما كتب فى مقدمة لكتابه المشهور فى الجراحة وكتبه فى القرن الحادى عشر وقام العرب أيضا وبعناية تامة بدراسة ما كتبه جراحو الاسكندرية العظماء فى القرن الثالث قبل الميلاد مثل Herophilus الذى قام بوصف اجزاء الاعصاب الحاسة والمتعلقة بالحركة،وكذلك اكتشف تشريحيا الفرق بين الشرايين والاوردة و Hegetor سنة 100 قبل الميلاد ، وهو الذى شرح شرحا وافيا عن علاقة مفصل الفخذ وكتب وصفا (للرباط المستدير) فى الفخذ وكذلك جالينوس (201 ـ 131) قبل الميلاد الذى اعطى وصفا للعضلات وقال ان الحركة الارادية تنبعث من الدماغ عن طريق الاعصاب التى تتصل بالعضلات •

ترجم العرب ودرسوا بدراية تامة ما كتبه هؤلاء العلماء اليونانيون والرومانيون والحقيقة تقال ان ما بقى من كتب جالينوس هو المترجم للعربية فقط •

وهنالك أيضا ، بعض ما قدمه العرب انفسهم وله أهمية،وهو على سبيل المثل،وصف الدورة الدموية الصغيرة (لابن النفيس) وجهاز الاوعية الشعيرية لعلى بن العباس المجوسى (Brown 1921) ونجد فى كتب ابقراط وجالينوس وبولص الاجينى وغيرهم معلومات بالنسبة للمواضيع الجراحية والكلينيكية (المستوصفية) واخذها العرب عنهم مباشرة،ولكن يوجد هناك مواضيع هامة قدمها العرب أنفسهم فى فروع

طبية وجراحية،كما أن من جهة أخرى يوجد اعمال علمية هامة منسوبة لليونانيين وهي ليست أصيلة عندهم بل اخـــذوا منها الكثير عــن المصريين القدماء الذين مارسوا على وحه التأكيد تقريبا تشريح جسم الانسان ولابد أنهم اثروا في مدرسة الاسكندرية ، في القرن الثالث قبل الميلاد.لاننا نجد في اوراق البردى الطبية التي كتبت منذ عدة آلاف سنة قبل الميلاد مواد طبية تشبه كثيرا ما هو موجود في (مجموعة ابقراط) مما يدل على ان هنالك علاقة ولكنها مجهولة ولهذا أصبــح معلوما لدى الجميع بان ما لدينا في الوقت الحاضر من المعلومات الطبية قد ظهرت في وادى النيل (حسين 1949 and 1951).

وكتب العرب مجلدات في الطب ولكن معظمها قد اندثر.وقـــام ابن سينا (980 ــ 1030) وهو أحد عظماء العلماء في العالم الاسلامي جمع ما كتبه اليونانيون في الطب بالاضافة الى ما قدمه العــرب في هذا الموضوع في كتابه الضخـــم واسمه (القانون في الطــب) . وسنأتي في الفصول القادمة على مراجعة ماله علاقة بالعظام والمفاصل في (قانونه) في هذه الدراسة ويتبين منها ان كثيرا من الامـــور الاساسية يجرى استعمالها في الوقت الحاضر . وسنشير أيضا الى أكبر جراح عربي (أبي القاسم الزهراوى) الذى عاش في قرطبة في القرن الحادى عشر،وكتب كتابه الشهير (التصريف) ووضع فيــه كثيرا من صور الادوات مع وصف دقيق للفن الجراحي .

الاصـــابـــات المفتـــوحة

فـــي

الاطـــــراف

كانت تجرى معالجة الجـــروح على أنواعها طبقا لمبادىء الجراحة الصحيحة العامة مع معرفة تامة بما ينطوى تحت ذلك من التهابات جراحية رغم جهل علم الجراثيم ، ومنها التهابات الجـــروح والتهاب النسيج الخلوى في الفخذ وما يسمى بالحجرة والغانغرين (الغازية) التي وصفت بانها عبارة عن تحجر في الانسجة الليـنـة دون مساس بالجلد وهذا ما يخالف النوع الآخر من (الغانغرين) الذى تموت فيه

الاطراف بمجموعها وكانت تجرى المعالجة بهذا الخصوص باستئصال قسم كبير من النسيج المصاب حتى يصل الى مكان يجرى الدم فيه بصورة صحية وعندئذ يتم كيه ويوقف النزيف بالضماد ٠

وكان يجرى وصف فتح الجروح Penetrating Wounds في مفصل الركبة بطريقة صحيحة على انها خطيرة وكثيرا ما تؤدى للوفاة واما قطع الاعصاب والعراقيب فكان يعار أهمية كبيرة ٠ وربما كان ابن سينا أول من فكر فى (درز) العصب (Bick 1948)

وكان مالدى المؤلفين العرب من المعلومات عن الكسر المركب وما يلحقه من صعوبات جراحية مجال واسع حقا فكانوا يتركون الجرح مفتوحا دون ان يترك فيه أفواه Pockets ثم يغطى بقماش من (الشاش) المنقوع بالكحول وغيرها من الاستعمالات التى يطلق عليها الآن اسم المعقمات Antiseptics وكان ينصح بعدم اجراء رد الكسر Reduction المبكر قبل دمل الجلد Callus Formation بالنسبة للخلع واذا كان هنالك تعفن فى الجرح فترجأ عملية الجبر خوفا من وقوع مضاعفات تكون ذات خطورة أكثر مما لو حصل تشويه نتيجة الالتحام الناقص Malunion وكانت تبدو لهم أخطار المضاعفات التعفنية بشكل واضح تماما ٠ فكانوا يزيلون العضلات الظاهرية ذات الاتصال بالخلع والا تكون قد تكلست وجمدت واذا حصل ذلك التحجر (وهو ما يسمى بغانغرين الغاز) فانه تجرى معالجته حسب ما ذكر من الطرق وضمن أصول صحيحة ٠ أما بالنسبة للالتهابات فى النخاع العظمى Osteomyelitis ومضاعفاتها فكانت معروفة لديهم اذ ان خروج القيح باستمرار يدل على وجود ما يجب فصله من العظام Sequestrum وهذا لا يجوز ازالته حتى يصبح منفصلا ومنحلا ٠

الخلـــع Dislocations

ويجب ان يلاحظ فى بحث تشخيص الخلع فى المفاصل مبدءان هامان عامان (1) مقابلة الجانب السليم فى المريض مع ذلك المفصل حتى تسهل رؤية العلامات الطبيعية الصحيحة (2) اجراء فحص على سهولة حركة المفصل فى كل الجوانب المعتادة وعمل فحص لمدى الحركة الكامل فى كل اتجاه ٠

أما ما يتعلق بالمعالجة ، فقد كانت تستعمل الوسائل الصحيحة فى رد العظام Reduction ـ وكان الكاتب يشدد على عدم الحركة بعد رد العظم حتى يسمح ذلك بشفاء الانسجة اللينة الممزقة وهذا المبـدأ الاخير أساسى حتى ان الاطباء الحديثين احيانا يسهون عن ان يعيروه الاهتمام المطلوب ٠

ان الخلـــوع المتكررة Recurred Dislocations كانـوا يصفونها ويعالجونها بالكى (انظر الشكل 1) ٠

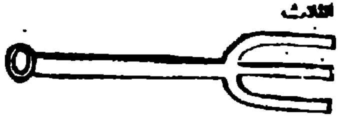


الفصل السادس والعشرون في كي الابط ،

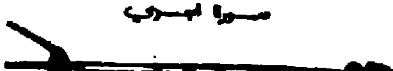
اذا انخلع رأس العضد بسبب رطوبات مزلقة او لم يتهيأ في حين رده بعد انخلاعه حتى يصير له ذلك عادة مرة ثم ينخلع عند ادنى حركة كما شاهدنا مراراً فينبغي ان يرد الخلع اولا ثم تستلقي العليل على ظهره او على الجانب الصحيح ثم ترفع الجلد الذي في داخل الابط الى فوق باصبعك من يدك اليسرى ان كان المفصل انخلع الى داخل ثم تحمي المكواة ذات السفودين التي هذه صورتها



ثم تكوي بها الجلد حتى تنفذها الى الجانب الاخر فيأتي شكل الكي اربع كيات وقد تكوى بمكواة ذات السفافيد الثلاث فيكون شكل الكي حينئذ ست كيات ويكون السفافيد رقاق الحديد وهذه صورة المكواة ذات السفافيد الثلاث



صورة اخرى



وقد تزاد على هذه العدد واحدة فيكون الكيات ثمانية ثم تحمل على الكي الضمادات المدلوكة مع الملح ثم تلزم العليل الدعة ولا تحرك العضو زماناً حتى تقوى ،

وعلى سبيل المثال انظر الفقرات العربية 1 2 3 4 ويظهر واضحا من هذه الفقرات بان الوصف السريرى Clinical كان على الاكثر شاقا فقد لاحظوا الخلع فى الكتف بما يتعلق بتجويفة المنكب Glenoid وازدياد حجم رأس العظم مع ملاحظة ما يتبع ذلك من طراوة فى الغطاء الغلافى Capsule وهى علامات تدل على وجود حركة طليقة فى ذلك المفصل ، اما فيما يتعلق بخلع المنكب فقد ذكر أن انحناء المكان الخارجى السليم يزول ويظهر مكانه نتوء واضح فى غور الذراع وهو ناتج عن خلع الرأس ويصبح الذراع معلقا بعيدا عن ناحية الصدر وتصبح الحركات محدودة ٠

وأول طريقة وضعت لرد هذا الخلع تشبه طريقة Kocher المشهورة وبدلا من رفع الرأس لهذا العظم بدوران خارجى وتقريبه من الذراع فانهم كانوا يشيرون باستعمال الضغط المباشر لذلك الرأس حتى يندفع الى حفرة المنكب اما الطريقة الثانية وتسمى بطريقة ابقراط فهى لا تزال تستعمل فى الوقت الحاضر وهى مكتوبة فى جميع الكتب المدرسية التى تبحث عن جراحة التجبير Orthopaedic ٠ وقد ابدى Watson Jones 1955 حديثا بما يتعلق بمعالجة الخلع المتكرر للمنكب بواسطة الكى ٠

واما عن وصف الشلل Paraplegia الناتج عن اصابات الفقرات فقد عرف مكان واصل عصب النفس Phrenic وبنتيجة ذلك تحدث الوفاة العاجلة اذا حصل اتلاف عامود النخاع فى اعلى المستوى الموجود واذا حصلت اصابات لذلك العمود الفقرى Cord فى مستوى منخفض فانها تكون أيضا خطيرة لانه يحبس البول والغائط ٠ وذكر أبو القاسم الزهراوى فى وصفه لهذه الحالة نفسها اضافة لما ذكر سابقا بوجود طراوة وعدم حس فى الاطراف ٠ ولا يهم هنا ما ذكروه عن ان الخلع التام هو فى الحقيقة خلع كسرى Fracture Dislocation

وصنف المؤلفون العرب بما كان لديهم من معرفة جيدة بتشريح مفصل الفخذ الخلع فى هذا المفصل الى أربعة اقسام وهى تطابق التقسيم الحديث وهى : ــ الخلفى Pubic والسدادى Obtyrator

والاليبى Gluteal والوركى Sciatic وكانوا يحققون من مكان النتوء الناتج عن الرأس المخلوع فى كل من هذه الحالات فاذا حصل قصر يكون فى القسم الخلفى والظهرى أو حصل امتداد فيكون الخلع فى القسم المتوسط Medial أو القدامى Anterior **ولاحظوا موضع الركبة** بالنسبة لهذا الخلع أى ان يتبع الاصناف المذكورة بالنسبة للحركة فقد يكون الخلع الى داخل أو الى خارج أو الى قدام أو الى خلف وكانت تفضل الطرق اليونانيــة فى السحب Traction كما هى موضحـــة بالرسم فيما يلى فى هذه الرسالة وهى طريقـــة ابقراط Scamnum بواسطة (انظر الفقرة العربية رقم 5) المخل أو غيره واذا لم يكـن جهاز خاص فيكتفى بلوح خشبى عريض وفيه وتد مثبت عاموديا فى وسطه كما هى الحالة مستعملة الآن فى التجبير الحـديث وطاولته ٠ فيضطجع المريض على اللوحة والوتد مثبت بين فرق الاليتين (العجان Perineum)ثم يستعمل الجذب لكلا الجانبين ، الجانب المخلوع والجانب السليم حتى تثبيت الحوض Pelvis **والا يكون المرض** قد انجر الى جانب واحد ويجرى كذلك السحب المخالف Counter-Traction اما بواسطة الآلات أو بواسطة مساعدين يقومون بذلك فى الجهة المقابلة فاذا حصل السحب من جهة وقابله السحب من جهة أخرى فان الرجل تصبح مائلة لجانب أو لآخر بطريقة تجعل القسم الفخذى يرتفع الى موضعه فى حق الفخذ Acetabulum ٠

الكســـــور (FRACTURES)

وبحث ابن سينا فى قسم عام عنوانه :

ـ تعريف واقسام وعلامات الكسر ـ

مع ذكر تغيير مواضيع الشظايا وما يتبع ذلك منورم Traumatic-Oedema وما قد يحـــدث من مضاعفات ناتجـــة عن اصابة الجـــزء المتصل بالشظايا المكسورة ، وذكر الكسور التى تتصل بالمفصل المجـــاور بصورة خاصة لما يتوقف على ذلك من تصلب المفصل ٠

وبحثت حالات تصليح الكسور فى مفصل منفرد ويجدر ذكـــر النقاط التالية التى تسترعى الانتباه :

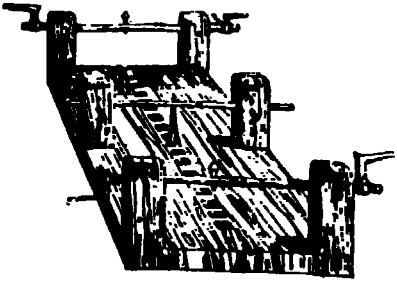
1) الورم وقد وصف بانه أولا غضروفى وقد تحقق منها العلماء حديثا ٠

2) عدم تحريك الشظايا امر جوهرى لجمعها وينتج عدم الجبر والالتحام من سوء الحركة التى تنتج من تغيير الضمادات أو ما يحدث من كثرة التدخل بالكسر باى حالة كانت او ان يسمح للمريض بالحركة قبل الاوان ٠

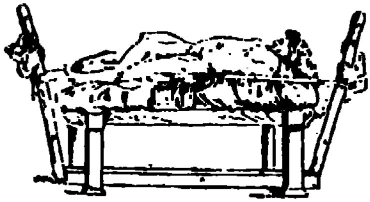
3) وينتج عدم جمع العظام من سوء التصليح لامكنة العظام أو سوء وضع المقومات Splenting بعد التصليح وقد يعالج هذا الوضع باعادة الكسر اما فى مكان الكسر او قريبا منه ، فاذا لم يتيسر ذلك فينصح باجراء عملية مفتوحة على تلك العظمة وهو ما يدخل فى موضوع الالتهاب العظمى (انظر الفقرة العربية 6) ٠

4) وقد وضعت المدد التقريبية لجمع العظام المختلفة واذا تأخر جمع العظام فتعالج بالحك الشديد لتلك القطع مع بعضها البعض حتى تعود لها نقاوتها التى كانت موجودة عليها قبل اعادة العملية وذلك على المبدأ نفسه بعدم الحركة (انظر الفقرة العربية 7) وظلت هذه الطريقة مستعملة حتى عهد قريب جدا فى بعض مراكز الجراحة التجبيرية الشهيرة فى وقتنا هذا ٠

وقد نصحوا باستعمال طريقة معينة من اجل فحص المريض فحصا سريريا Clinical ، وهى تشمل على فحص نبضه Palpation على ان يكون الفحص لطيفا (انظر الفقرة العربية 8) ٠ ويتم رد العظام فى حالة معالجة الكسور بواسطة السحب Traction وبسحب معاكس Counter-Traction مع تلمس مباشر للقطع المتكسر بغية اعادتهم الى وضعهم السليم (انظر الفقرة العربية رقم 9) وقد وصلت للعرب اجهزة للسحب متفرقة من اليونانيين ومنها السحب بواسطة العتلات Levers التى تستعمل مفردة أو مزدوجة (انظر الشكل 2) ٠



(شكل 3)



(شكل 4)

وجهاز ابقراط Scamnum الذى يحتوى على بكرات تسحب بالدواليب (الشكل رقم 3).وعلق على ذلك Griffiths and Brockbank 1949 بما يلى بالنسبة لاستعمال هذه الاجهزة فقالا : (ان اهتمام اليونانيين والقرون الوسطى وعصر النهضة فى ايجاد وسائل للسحب بشكل أقوى من السابق يظهر الجهل السائد فى عصرنا لاهمية المعالجة اليدوية المباشرة) وهذا الكلام لا ينطبق على العرب لان ابن سينا وان هو وضع فى قانونه شرحا دقيقا لهذه الاجهزة ولطرق استعمالها لكنه حذر من وجود خطر فى السحب الشديد ونصح باستعمال المعالجة اليدوية المباشرة (انظر الفقرة العربية 10) .

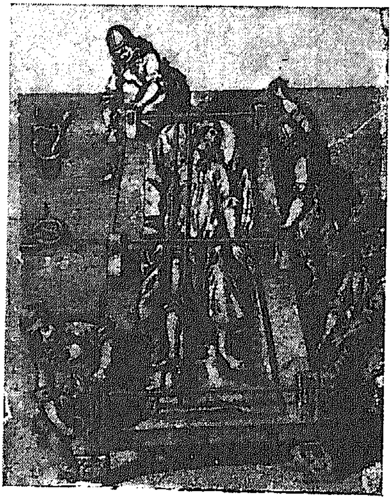
اما بالنسبة لعدم الحركة Immobilisation فانهم استعملوا العصائب وقطعا من الخشب Splints واعوادا خاصة بالكسر مع مزيج من المواد الجيلاتينية Gelatinous والصلصالية والنشوية لتقوية العصائب التى تستعمل دون غيرها فى الايام الاولى ثم يرجأ استعمال قطع الخشب لليوم الثالث على رأى ابقراط غير ان العرب كانوا أكثر حيطة فان ابن سينا نصح باستعمال هذه القطع بعد اليوم الخامس وذلك بغية زوال الورم وتجنب المضاعفات الخطيرة مثل الغانغرين Gangrene وذكر ابقراط بضرورة وضع الطرف Limb المصاب فى وضعه الطبيعى وشاع استعمال طريقة رفع هذا العضو أيضا .

اما بالنسبة لهذه القطع الخشبية فقد افرز فصل خاص لوضع الشروط المتعددة لعمل اعواد صالحة ، فيجب ان تكون صلبة ولكن يمكن لويها وان تكون ناعمة الملمس وخفيفة واذا استعملت فيجب وضعها بين مفصلين بدون ان تتجاوز فى وضعها المفصلين المذكورين

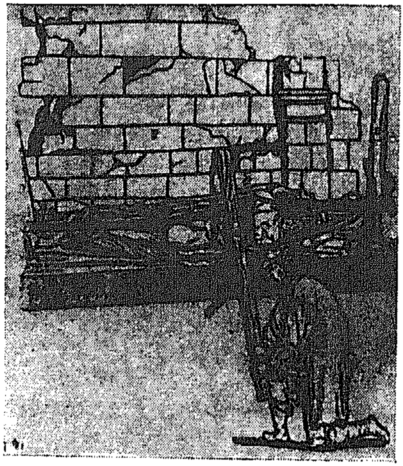
وهذا يخالف التعامل الحديث لان هذا يقول بعدم تحريك المفصل الواقع فوق الكسر والمفصل الواقع تحته ، اما بالنسبة لفترة الحركة فانها تتحرك حتى يتم الالتحام الثابت واذا زادت هذه الفترة فهي أفضل من حل الرباط المبكر وترك الحركة حرة • (انظر الفقرة العربية رقم 10) •

الكسور المنفردة

وجرى بحث اصابات العظام المنفردة فكانت معالجة كسور الانف والفك والعظام الطويلة لا تختلف كثيرا عن التطبيق الحديث واذا حصل كسر في الاضلاع فتكون علامة اصابة الرئة من احداث النزيف Haemoptysis • وقد كتب شرح يصف العمليات على الاضلاع وذلك باستعمال اداة خاصة صنعها بولس اجينا Paul of Aegina وهي توضع بين الضلعين والحجاب كي تحفظه • أما بالنسبة لصعوبة التغلب على ما يحدث من قصر في حالة كسر الفخذ فانهم اعترفوا بها واعتبروا العرج في هذه الحالات لا يمكن تجنبه ، مع العلم عناية خاصة كانت تحاول لاعادة حالة العظمة لاستقامتها الطبيعية مع قليل من الاحدوداب Convexity نحو الخارج وقليل من التقوس نحو الداخل Concavity أما معالجة عظمة الركبة Patella فهو أمر معقول جدا فتدفع القطع باليد ثم يجرى دفعها بواسطة ربط الطرف بعد امتداده تماما • وبقى هذا الاجراء البسيط الواضح مرعيا في المعالجة حتى ظهر وتقدم فن العماليات الحديثة من القرن التاسع عشر واعتبر كسر الكعب كخلع وكان يعالج على هذا الاساس برد العظام وعدم تحريكها وكان يمنع المشي عليه لمدة أربعين يوما • أما كسر عظمة القدم فيدخل في مجال التشخيص السمعي الردىء Prognosis وأما كسر العمود الفقري Spine فهو يتم تصليحه بوضع المريض ووجهه الى أسفل بجانب حائط وتوضع قطعة خشبية عريضة تستعمل لتصليح ذلك العطل وتشد ببكرة للحائط (أنظر الشكل 5) وبعد هذا التصحيح



(شكل 4)



(شكل 5)

تستعمل قطعة خشب أو معدن فوق مكان الاحدوداب وتثبت برباط جيدا بحيث تبقى على حالة تصحيح · ومن هذا يظهر أن ما ورد فى مبدإ تثبيت العمود الفقرى كان معروفا ومستعملا ·

أمراض العظام والمفاصل :

ان فى وصف التهاب العظام Osteomyelitis فهم كامل لمداواته ولاصول معالجته فشرحت أوضاع الاورام والشقوق فى الانسجة اللينة الموجودة حول العظام وما فيها من القيح كما وصفت أحوال الجيوب Sinuses ووجود شظايا العظام المكسورة فى الانسجة Sequestra وعندما يدخل المجس Probe فى الجزء الذى انتفخ بالقيح فانه ينفذ بسهولة ويصل الى العظم المجرد فاذا وصل ذلك الى سطح العظم الاجرد وظهر الفرق فى ذلك الجس بين العظم وغشائه فيستدل عندئذ على ان هناك تعفنا وقد وضع وصف للعظام المتكسرة الموجودة فى الانسجة وقد وجد من الافضل عدم ازالتها بعجل ويترك لها وقت كاف حتى تنفك من مكانها وعندئذ يسهل استخراجها بدون جهد · فاذا لم ترفع بكليتها فانه سيظل هناك قيح يخرج فوصف أبو القاسم حالة مريض بطريقة لطيفة الذى كان يشعر بحمى وكان له فى رجله جيوب وورم منذ مدة طويلة وكانت تخرج قيحا واضطر أن

يجرى العملية عليه فى فترات عديدة لسوء حالة المريض العامة وفى كل مرة كان يزيل قطعة صغيرة من القطع الباقية فى رجله وكانت بمقياس 20 سنتيمترا طولا وبرئ المريض تماما ويبدو من وصفه أنه كان واضحا أصيلا وأنه كان على درجة عالية من المحاكمة لانه عمل لحالة المريض العامة حسابا مناسبا (الفقرة 12) ٠

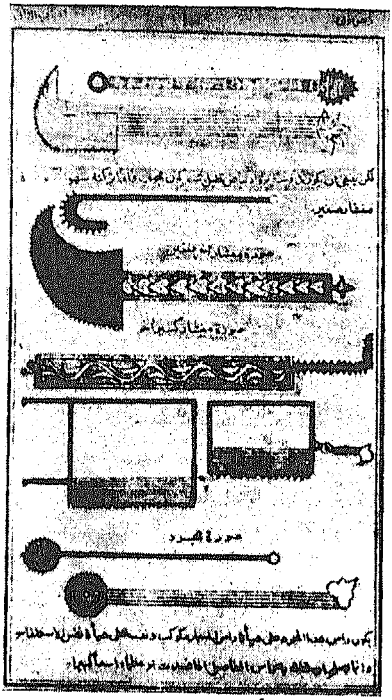
التشويهات فى العمود الفقرى :

وجرى وصف هذه التشويهات وان كانت ناتجة عن كسور أو خلع أو الى مرض وقد وضعت فى صنف يختلف عن الانحناءات فى العمود الفقرى الموجود فى اشخاص بصورة طبيعية وكلها ناتجة عن عادات خاطئة ٠ وهذا يدل على فهم تام بنظرية التشويهات الثابتة Static للعمود الفقرى كذلك فالتشويهات الناتجة عن العمر المتقدم Senile Kiphosis وصفت وجرت محاولات لتصليحها أو تقويمها كما جرى فى شرح حالات ما يحدث بعد الجروح Post-Traumatic وقد عرفوا عدم الجدوى من هذه المحاولات أى ان الحالة بقيت كما كانت قبل ألف سنة ٠

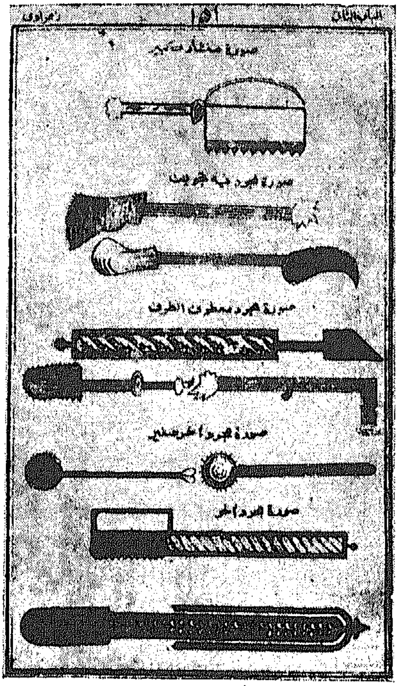
أما بالنسبة للسل Tuberculosis بصورة عامة فكان ابن سينا أول من كتب ان مرض التهاب الرئة معد 1945 Guthrie فقد اعطى وصفا سريريا ممتازا لمرض التهاب الرئة Pleurisy وبان معالجة هذه الاصابة لاتجدى طالما ظلت الرئات تتحرك دائما للتنفس ومن هذا جرى عمل تخدير حديث طبى وظلت العلاقة بين مرض الفقرات والسل الرئوى تنتظر طويلا حتى قام Delpech وعلماء الطب فى القرن التاسع عشر وقد تم شرح الخلوع منذ الولادة Congenital فى الورك كحالة من الاحوال المستبعدة Traumatic لانها تتعلق باعمال صعبة ٠ وكذلك الشلل فى القسم العلوى من الاطراف منذ الولادة اعتبر جزءا مما يحدث من خلع الكتف وكذلك التشويه الناتج عن نقص فى التغذية للجزء الدالى Deltoid فى المنكب اعتبر داخلا فى مواضيع خلع الكتف ٠

وقد جرى وصف حالات العظام المتصلة والتهاباتها بالتفصيل Arthritides ولكن لم تكن حالاتها المختلفة واضحة وجرى التشديد على اتباع « الرجيم » Regimen والعناية بالطعام المناسب وكذلك العناية بالامعاء واعتبر المناخ الجيد كذى أثر بالغ وخاصة فى أمراض الروماتزم المزمن ·

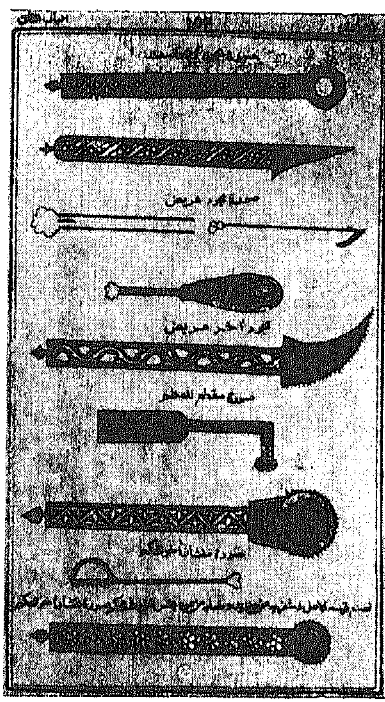
وكانت العمليات على العظام معروفة ومنها جراحة العظام Osteotomy وازالة العظام Sequestrectomy والبتر ونقل الادوات الى العرب الجراحون الرومانيون واليونانيون ما يتعلق بمعلومات كاملة عن مجموعة الادوات العظمية Armamentarium منها منقار العظام والمنشار ورافعات العظام وكماشات الاسد Milne 1956 وقد وضع أبو القاسم الزهراوى فى كتابه كثيرا من رسوم هذه الادوات المستعملة فى عمليات العظام وكان يستعملها العرب وتجد أشكالها موجودة هنا فى الشكل (6 ـ 7 ـ 8 ـ 9) ·



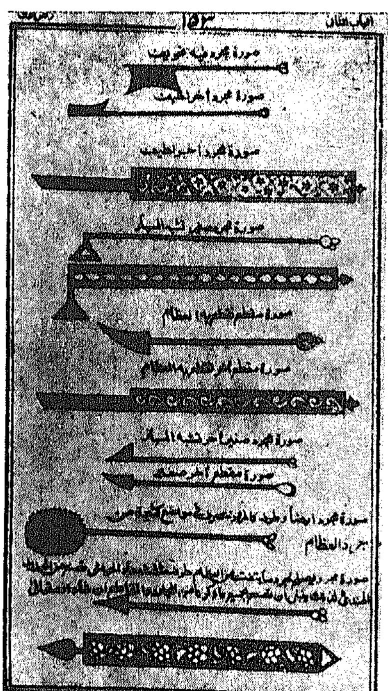
(شكل 6)



(شكل 7)



(شكل 8)



(شكل 9)

الفقرات المشار اليها فى النص

الفقرة -1-: (ابن سينا)

كلام كلى فى الخلع

تعريف : الخلع هو خروج العظم عن موضعه ٠

العلامات : انخفاض وغور غير معهود عند المفصل وذلك بالقياس والمقارنة بين الناحية العليلة واختها الصحيحة فى نفس المريض ذاته لا من غيره واذا رأيت المفصل لا يتحرك فاحكم بان الخلع تام كما أنه اذا تحرك حركته الى جميع جهاته وبلغ الى جميع مبالغه فليس بـــه علة متعلقة بالزوال ٠

فصل فى العلاج : الجبر يكون بالمد الى خلاف الناحية التى زال عنها حتى تتم محاذات العظم ثم يرد الى الموضع الذى خرج منه فيرتد وكثيرا ما يدل على ذلك صوت يسمع ثم يربط واذا صار العضو ينخلع فى كل حركة وكلما رد انخلع فلا بد من كى ٠

الفقرة -2- (ابن سينا)

فصل فى خلع المنكب : ينخلع الكتف بسهولة لان نقرته غـــير عميقة ورباطاته غير وثيقة وقد جعلت كذلك لتسهل الحركات ٠٠٠

العلامات : أن يرى تجويفا عند رأس المنكب وترى لرأس العضد المنخلع نتوءا كرويا فى جهته تحت الابط وترى العضد ليس جـــيد الالتصاق بالجنب جودة التصاق اليد الصحيحة وان حاول أن يرفع يده ويمس أذنه لم يتهيأ له وتعذرت عليه الحركات الاخرى ٠

المعالجـــات : فى الحالات السهلة فى لينى الابدان يمد ذراع بـــيد ويضغط باليد الاخرى عند الرأس المنخلعة لارجاعها مكانها ٠

فى الابدان القوية يدخل المجبر رجله فى جانب العليل ويمكـــن عقبه من قرب رأس العضد والعليل مستلق ويجذب اليد بيده عـــلى الاستقامة كأنه يريد قلعها من الكتف ويميل بيده يسرا الى داخــــل فيدخـــــل ٠٠٠

فاذا رد الخلع توضع كرة لينة تحت الابط ويربط مع المنكب بعصائب عريضة وينفذ العصب على التصليب الى المنكب الآخر ثم يربط العضد الى أسفل ويربط المرفق وطرف اليد الى فوق من ناحية العنق .

فان لج فى الانخلاع كلما أعيد فلا بد من الكى .

الفقرة – 3 – (ابن سينا)

الفقار اذا انخلع الخلع التام قتل لا محالة لانه يضغط النخاع ضغطا قويا فان كانت الفقرة الاولى من العنق وما يليها عدم الحيوان النفس ومات فى الحال لان عصب النفس ينضغط فلا يفعل فعله وان كان من فقر الصلب وانخلع الى البطن لم يمنع النفس ولكن يحبس الغائط والبول فقط وان أمهل اذا فلا بد من آفه تدخل النخاع والعصب تحت مكان الخلع فتجعل الفضول يخرج من غير ارادة كما تضعف الرجل ويضعف عضل المثانة والمقعدة .

الفقرة – 4 – (ابن سينا)

فصل فى خلع الورك : قد يكون الخلع الى داخل أو الى خارج ولكن أكثر انخلاعة الى خارج ويقل انخلاعه الى داخل وقد ينخلع أيضا الى قدام أو الى خلف .

العلامات : فى الخلع الى داخل ترى الرجل المخلوعة أطول من الاخرى والركبة أنتأ ولا يقدر أن يثنى رجله عند الاربية وترى الاربية منتفخة وارمة لان رأس الورك قد اندس فيها . فى الخلع الى خارج ترى الرجل قصرت وظهر فى الاربية عمق وعرض فيما يحاذيها من خلف نتوء وانتفاخ وتكون الركبة كانها منقعرة الى داخل .

العلاج : تمد الرجل وترد بعد التحريك يمنة ويسرة والعليل مستلق على خشبة عظيمة فى وسطها خشبة قائمة طولها قدم وغلظها قدر هراوة فاس بحيث تدور والعليل مستلق على ظهره فيما بين الاعفاج ورأس الفخذ كى تمنع الجسد من أن يتبع الذين يمدونه من ناحية الرجلين ...

الفقــرة ـ 5 ـ (ابن سينــا)

« والاسباب التى لاجلها لا ينجبر العظم كثرة التنطيل أو كثــرة حل الرباطات وربطها أو الاستعجال فى الحركة » ·

الفقــرة ـ 6 ـ (ابن سينــا)

ربما كان الكسر قد انجبر لاعلى وإجيه فيحتاج أن يعاد كســـره وان لم يمكن ذلك . عند الكسر غيره من الموضع وان لم يمكن فيشرح اللحــــم » ·

الفقــرة ـ 7 ـ (ابن سينــا)

« واذا عرض للكسر أن لا ينجبر جبرا يعتد به فيفعل به شيء يشبه الحــــك فى القروح التى لا تبرأ وهو أن تدلك باليدين حتى تنتحى اللزوجة الحسيسة الضعيفة التى كأنها ليست بشيء ويندفع اليـــه دم جيد جديد وينعقد عليه دشبذ قوى ·

الفقــرة ـ 8 ـ (ابن سينــا)

فصل فى وصايا المجبر ·· يجب على المجبر أن يمر بيده على موضع الكسر بالرفق واللطف ولا يجب ان يغتر بالاستواء المحسوس بالبصر قبل تمام العافية فان الورم يخفى كثيرا من السمج والاعوجاج ·

الفقــرة ـ 9 ـ (ابن سينــا)

« الجبر قاعدته مد العضو بمقدار ما ينبغى والنقصان منه يمنــع جودة الالتئام والنظم » ·

الفقــرة ـ 10 ـ (ابن سينــا)

« وكثيرا ما يعرض من الشد الشديد وأبطاء الحل وقلة تعهد ذلك أن يموت العضو ويعفن ويحتاج الى قطعه ···

« ولا ينبغى أن يبلغ بشد الرباطات والجبائر مبلغا يمنع وصول الغذاء والدم فذلك مما يمنع الانجبار » ·

الفقـرة ـ 11 ـ (ابن سينـا)

« ولا تستعجلن فى رفع الجبائر وطرحها وان آنست التصاقا فربما عرض من ذلك أن يكون الدشبذ لم يستحكم بعد فيعـوج العضو ، ولان تبقى الجبائر مع الاستغناء احرى من أن تضعها عنه قبل الاستغناء فلا تستعجل وأخر » .

الفقـرة ـ 12 ـ (الزهراوي)

وأنا أخبرك بزكام كان قد عرض لرجل فى ساقه لنجعله مثـالا وعونا على علاجك .. كان هذا الرجل حدث السن ، من أبناء نحـو الثلاثين سنة ، قد عرض له وجع فى ساقه ، عن سبب تحرك عليه من داخل البدن حتى اتصلت المواد الى الساق ، وتورم ورماً عظيما ، ولم يكن له سبب من خارج ، فتمادى به الزمان مع خطأ الاطباء حتى انتفخ الورم وجرت منه مواد كثيرة واسىء فى علاجه ، حتى تزكم السـاق ، وصارت فيه أفواه كثيرة ، كلها تمد القيح ، يورطوبات البدن تميـل اليه ، فعالجه جماعة من الاطباء نحواً من عامين ، ولم يكن فيهم حاذق بصناعة اليد حتى قصدت فرأيت ساقه ، والمواد تسيل من تلـك الافواه سيلانا عظيما والرجل قد نحل جسمه واصفر لو نه ، وادخلت المسبار فى احد تلك الافواه فافضى المسبار الى العظام ، ثم فتشـت الافواه كلها فوجدتها يفضى بعضها الى بعض من جميع جهات السـاق فبادرت وشققت على احد تلك الافواه حتى كشفت بعض العظـم فوجدته فاسدا قد تآكل واسود ، وتعفن ، وتنقب حتى نفذ الى المخ ، فنشرت ما انكشف لى وتمكن من العظم الفاسد وأنا أظن أن ليس فى العظم غير ذلك الفساد وانى قد استأصلته ، ثم جعلت اجبر الجـرح بالادوية الملحمة مدة اطول فلم يلتحم ، ثم عدت فكشفت عن العظـم ثانية ، فوق الكشف الاول ، فوجدت الفساد متصلا بالعظم فنشرت ما ظهر لى أيضا من ذلك الفساد ، ثم رمت اجباره فلم ينجبر ولا التحم ثم كشفت عليه أيضا فلم أزل اقطع العظم جزءا جزءا وأروم جبره فلا ينجبر حتى قطعت من العظام نحوا من شبر وأخرجته بمخه ، ثـم جبرته بالادوية فالتحم سريعا وبرأ . وانما وجب هذا التكـرار فى

عمله وشقه لحالة ضعف العليل ، وقلة احتماله وخوفى عليه من الموت ، لانه كان يحدث له فى كل الاوقات من افراط الاستفراغ غشى ردىء فبرأ برءا تاما ، وثبت فى موضع العظم لحم صلب وصلحت حاله فى جسمه ، وتراجعت قوته ، وتصرف فى احواله ، ولم تعرض فى المشى آفة البتة .

الفقرة - 13 -

ليالى العرب

قصة الجارية « تودد » فى الليلة الموفية للخمسين بعد الاربعمائة من ليالى ألف ليلة وليلة . « قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما قال لها الطبيب اخبرينى عن هيكل العظام ، قالت هو يؤلف من مائتين وأربعين عظما وينقسم الى ثلاثة أقسام ، رأس وجذع وأطراف ، أما الرأس فتنقسم الى جمجمة ووجه فالجمجمة مركبة من ثمانية عظام ويضاف اليها عظيمات السمع الاربع ، والوجه ينقسم الى فك علوى وفك سفلى فالعلوى يشمل على احدى عشر عظما والسفلى عظم واحد ويضاف اليه الاسنان وهى اثنان وثلاثون سنا وكذا العظم اللامى ، وأما الجذع فينقسم الى سلسلة فقارية وصدر وحوض فالسلسلة مركبة من أربعة وعشرين عظما تسمى الفقار والصدر مركب من الفص والاضلاع التى هى أربع وعشرون ضلعا فى كل جانب اثنتا عشرة ، والحوض مركب من العظمين الحرقفيين والعجز والعصعص ، وأما الاطراف فتنقسم الى طرفين علويين وطرفين سفليين فالعلويان ينقسم كل منهما أولا الى منكب مركب من الكتف والترقوة وثانيا الى عضد وهو عظم واحد وثالثا الى ساعد مركب من عظمين هما الكعبرة والزند ورابعا الى كف ينقسم الى رسغ ومشط وأصابع فالرسغ مركب من ثمانية عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل على أربعة عظام والمشط يشتمل على خمسة عظام والاصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاثة عظام تسمى السلاميات الا الابهام فانها مركبة من اثنين فقط والطرفان السفليان ينقسم كل منهما أولا الى فخذ وهو عظم واحد وثانيا الى ساق مركب من ثلاثة عظام

القصبة والشظية والرضفة وثالثا الى قدم ينقسم كالكف الى رسغ ومشط وأصابع فالرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفين الاول فيه عظمان والثاني فيه خمسة والمشط مركب من خمسة عظام والاصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاث سلاميات الا الابهام فمن سلاميين فقط . قال : أحسنت ... وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح » .

مراجع

أبو القاسم الزهراوى :

أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى الاندلسى (توفى سنة خمسمائة هجرية : « التصريف لمن عجز عن التأليف طبع تحت ادارة المكنى بأبى الحسنات قطب الدين أحمد سنة 1336 هـ (1890 م) فى المطبع النامى الكائن ببلدة لكنؤ ـ محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة (طب 1035) » .

ليالى العرب :

ألف ليلة وليلة الربع الثانى ص 513 و 514 ـ طبعة وليم حى مكناطن سكرتير الدولة الانجليزية فى الممالك الهندية سنة 1839 . نقلا عن نسخة كتبت بالديار المصرية (محفوظ بمكتبة جامعة الاسكندرية تحت رقم 15211) .

ابن سينا :

أبو على الحسين بن سينا (980 ـ 1030 م) القانون فى الطب طبع فى مصر نقلا عن نسخة اصلية مخطوطة (محفوظ بمكتبة كلية الصيدلة بجامعة الاسكندرية) .

حسين م. ك (1951) :

الدكتور محمد كامل حسين (1951) متنوعات : تاريخ الطب عند العرب ص 163 ـ 190 بردى ادوين سميث ص 191 ـ 220 . القاهرة مطبعة مصر .

نشاط الملتقى من خلال الصحافة

لاعطاء فكرة شاملة لدارس كتاب :

« الملتقى السابع للتعرف علـى الفكـر الاسلامى » عن صدى هذا الملتقى فى العالم وخاصة فى البلاد الاسلامية ، أدرجنا هـذا الباب : «الملتقى من خلال الصحافة» نستعرض فيه مقتطفات مما نشر عن الملتقى فى بعض ما اتصلنا به من جرائد ومجلات .

ولم نذكر فى هذا العرض الجرائد والمجلات التى اقتصرت على نشر المحاضرات والتوصيات.

المؤتمر الاسلامي

مجلة « الجيش » : (جويلية 1973)

ـ لسان المحافظة السياسية للجيش الوطنى الشعبى ـ

كتبت فى تعليق لها عن الملتقى ما يلي :

دابت وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية على توجيه دعوة كل سنة الى رجال الفكر الاسلامى لعقد ملتقى فوق أرض الجزائر التى تعتز باسلامها وبعروبتها ، والتى استطاعت طيلة 132 سنة أن تحتفظ بهما رغم ما جنده المستعمر من الوسائل الجهنمية للنيل منها .. وذلك لان ايمان الجزائر باسلامها وعروبتها كانا اصيلين .

وليس من السهل أن يلتقى رجال الفكر الاسلامى على أرض الجزائر لو لم تتوفر فيها الشروط لهذه الملتقيات .. لانه من اليسير جدا أن تجمع الناس حول أمر ما تؤمن به ايمانا عقائديا لا مجال للشك أو التردد فيه .. كما انه من الصعب جدا أن تجمع الناس حول ما لا تؤمن به ، وان صادف ووقع مرة فلن يكون أخرى .. لذا نجد على مر الزمن الناجحين فى أعمالهم هم المؤمنون بما يدعون اليه .

وعقد مؤتمر اسلامى كل سنة كهذا منذ سبع سنوات على أرض الجزائر له دلالته العميقة ، ومغزاه البعيد فى نفوس رجال الفكر الاسلامى الذين يهمهم أمر المسلمين على المدى القريب والبعيد ..

ونعتقد أنه لـو لم يكن للوزارة المعنية غير هذا لكفاها عملا ، اذ استطاعت أن تجمع بين رجال الفكر الاسلامى وتهيىء جو التقارب والتعارف بينهم على اختلاف اجناسهم وبعد ديـارهم .. وجعلهم يتطرقون الى قضايا طالما كانت أبوابها موصدة فى وجه مفكـرى الاسـلام ..

وكانت فرصة ثمينة للمثقفين الذين تتبعوا باهتمام اشغال الملتقى السابع طيلة أيامه .. ولا اخالنا انه ما من أحـد فى غنى عن هذه الملتقيات ..

قضايا وآراء ... في الملتقى السابع

نشرت مجلة « المجاهد »
(اللسان المركزى لجبهة التحرير الوطنى)
فى عددها 676 بتاريخ :
29 جمادى الثانية 1393 الموافق لـ 29 يوليو 1973

الآراء : اتضح لدينا من خلال اتصالنا بالعديد من الاساتذة والطلبة اثناء الاستراحة ، وخلف الكواليس • ان هناك تفاوتا ملحوظا فى الآراء ، يبلغ حد التناقض احيانا !

يقول الدكتور عبد القهار متكر عميد كلية الحقوق بالجامعة الاسلامية باندونيسيا : مما يسجل بالشكر للجزائر ، أنها قربت المسافات بين المسلمين ، ثم يستدرك مبتسما : ولكن يبدو أن فلوسكم كثيرة ! فانتم تتحملون عبئا كان يجب ان تشارك فى حمله كل الدول الاسلامية !

أما الدكتور محمود قاسم العميد السابق لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة فيقول بأن المناقشات تشعر بكبير الامل فى امكان العثور

على الحلول الايجابية لكثير من المشكلات المتصلة بالواقع الاجتماعي للمسلمين · وأخذ الدكتور قاسم على بعض المعقبين تطويلهم الممل واعتمادهم الخطابة عوضا عن الاسلوب العلمي الهادىء · وعلق الطالب الافريقي عبد الله انجاي (جامبيا) على الملتقى بقوله : ان للملتقى هدفا ساميا هو التعريف بالفكر الاسلامي وهذا جهد تشكر الجزائر عليه ، وأتمنى أن تحذو الدول الاسلامية حذوها فيـــه ، وكنت أتمنى أن يفسح مجال أوسع لاسئلة الطلبة ·

أما الشاعر الجزائري المعروف الاستاذ مفدي زكريا ، فقد انتقد الملتقى بقـــوله : أرى أن العروض الفقهية هي المهيمنة ، وان هذه العروض تكرار لبعضها ! كما ألمس أن هناك معركة خفية بين فقهاء السنة والشيعة !

ونوهت السيدة حبيبة البورقادي بهذا الملتقى فقالت : أنني معجبة بتنظيم الملتقى ، وخاصة الشعارات التي رفعها وعلى رأسها الشعار الرئيسي الذي يتصدر القاعة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) !

وذهب الاستاذ عبد العـــزيز الحبابي الى انه مجـــرد اجتماع للشيوخ ! وان المسائل المطروحة مما تجاوزه الزمـــن : وتساءل : هل الربا ــ مثلا ــ مشكل حقيقي حتى يستحق كل هذا الكلام ؟ !

هذا ·· وفي الايام الاخيرة اتصلنا بلفيف من ابنائنا الطلبة الذين عاشوا أياما مفيدة بقدر ما هي مضنية ! وقد أجمعوا على انهـــم جاءوا الى الملتقى بمعلومات ناقصة ومشوشة عن الاسلام وانهـــم سيعودون منه بفهم واضح شامل ، وايمان عميق راسخ !

وقبل أن نصل بمقالنا الى نهاية المطاف ، يجدربنا ان نشير الى ان الايام الاخيرة تميزت بتكوين لجان خمـــس ، تعمـــل على صياغة القرارات والتوصيات في مختلف المسائـــل المطروحة على بســـاط البحث · ومما يسجل لادارة الملتقى بالتقدير انها اشركت الطلبة في هذه اللجان ·

ــ عاطف يونس ــ

جولات ومحاضرات لبعض المشاركين في
الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

ونشرت جريدة « الشعب » اليومية التى تتبعت نشاط الملتقى يوما بيوم ، فى عددها المؤرخ فى 26 جمادى الثانية 1393 الموافق لـ 26 يوليو 1973 مـا يـلى :

اثر اختتام الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاســلامى الذى انعقد بمدينة تيزى وزو نظمت وزارة التعليم الاصلى والشــؤون الدينية جولات لعدد من الاساتذة المشاركين فى الملتقى يقومون خلالها بالتعرف على مناطق البلاد والوقوف على الاثار التاريخية والمنجزات الحديثة فى مختلف الميادين الثقافية والصناعية ·

وسيلقى هؤلاء الاساتذة محاضرات ويعقدون ندوات فى المــدن التى سيتوجهون اليها حسب الجدول التالى ··

الاستاذ مصطفى الزرقاء أستاذ بكلية الشريعة فى جامعــة الاردن ، يزور كلا من بجــاية ، جيجل ، قسنطينة ، عنابة ، ســوق اهراس ، قالمة ، تبسة ، باتنة ، سطيف ·

الاستاذ عثمان الكعاك مؤرخ تونسى ، يزور كلا من القليعة ، المدية ، شرشال ، الاصنـام ·

الدكتور محمود قاسم عميد كلية دار العلوم جامعة القاهـــرة والدكتور توفيق الشاوى أستــاذ بكلية الشريعة والحقوق بالمملكة

الاستاذ محمد عبد الله عنان مؤرخ مصرى ، والاستاذ عمر عبد الله من زنجيبار « تانزانيا » والاستاذة زينب الغزالى الجبيلى كاتبة مصرية ، والاستاذ عز الدين العرادى ليبيا ، والاستاذ فى كـــل من وهـــران وتلمسان ٠

الاديبة المصرية زينب الغزالى فى غـــرب البلاد

تقوم الاديبة المصرية السيدة « زينب الغزالى الجبيلى » بجولـــة عبـــر الغرب الجزائرى ، ومن المعروف انها جاءت الى الجـــزائر للمشاركة فى الملتقى السابع للتعرف على الفكـــر الاسلامى الذى انعقد مؤخرا بتيزى وزو تحت اشراف وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية الاخ مولـــود قاسم ٠

وعلى هامش أعمال هذا الملتقى تقوم الاديبة المصرية بجولة تزور خلالها تلمسان حيث تلقى محاضرات الاولى بعنوان « واجب الامومة فى الاسلام » بدار الحديث فى الساعة الخامسة مساء وتخصص الثانية بالمركز الثقافى البلدى تحت عنوان « عقيدتنا نظام شامـــل للحيـــاة » ٠

ومن المقرر أن تعـــود السيدة زينب الغزالى الجبيلى اليوم الى مدينة وهران حيث تلقى محاضرتين فى نفس المواضيع الاولى بالمركز الثقافى الاســـلامى بحي النطاح بمقر المفتشية فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، اما الثانية فستنظم بالنادى الثقافى لمدينة وهران نهج ابن محرز الوهرانى « نهج لورميل سابقا » ٠

د٠ عنان يحاضر اليوم فى تلمسان حول الاسلام فى الاندلس

اما الدكتور محمد عبد الله عنان المؤرخ المصرى فقد القى أمس محاضرة فى قاعة « دار الندوة » بتلمسان عالج فيها مرحلة مـــن تاريخ الاسلام فى الاندلس ٠

وبدون شك فان هذه التظاهرات الثقافية التى تجرى تحت اشراف المفتشية الجهوية للتعليم الاصلى والشؤون الدينيـــة ستجد اهتماما كبيرا من طرف الجمهور ٠

وستلقى فى نفس الاسبوع محاضرة ثانية حول « قيم الاسلام » تنشطها الكاتبة المصرية زينب الغزالى الجبيلى التى حضرت هـى الاخرى الملتقى السابع حول الفكر الاسلامى بتيزى وزو ٠

الاستاذ عثمـاه الكعـاك يحاضر بالمـدية

ومن جهته القى مساء امس الاول الاستاذ عثمان الكعاك المـؤرخ التونسى الشهير محاضرة قيمة بمسجد النور بالمدية حضرها ممثلو السلطات المحلية مـن بينهم رئيس الدائرة ورئيس المجلس الشعبى البلدى وممثل الحزب والمفتشين الجهويين لوزارة التعليم الاصـلى والشؤون الدينية فى كل من ولاية المدية والاصنام وتيارت واعضاء السلك الدينى بالمدية وجمع كبير من المواطنين والشباب ٠

وقد تطرق المحاضر فى ندوته الى دور الحضارة الاسلامية فـى بعث العلوم وتطويرها فى مختلف مجالاتها ، واشعاع هذه الحضارة على الغـرب والدول الاوربية مشيرا الى ان العامل الاساسى فى اثراء هذه الحضارة يرجع اساسا الى الدين الاسلامى واللغة العربية التى ساهمت بقسط وافر فى بعث هذه الحضارة التى ما زالت دول الغرب تقتبس منها ٠

ونشير الى ان زيارة الاستاذ الكعاك تدخل ضمن جولة سيقوم بها عبر الوسط الجزائرى وخاصة منها الاصنام وشرشال والقليعة وتنس حيث سيلقى عدة محاضرات وندوات ثقافية بطلب من وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ٠

حول قضايا هامة
على هامش الملتقى

« المجـــاهد » عـــد 677

6 رجب 1393 الموافق لـ 5 أوت 1973

أجرى مبعوث « المجاهد » استجوابا مع السيد مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية نورده فيما يلي :

لقد ترددت طويلا قبل أن أتقدم الى الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية ، بطلب هذه المقابلة ·· فقد كنت الاحظ عن كثب مبلغ الجهد المتصل ، الذي يبذله داخل الملتقى وخارجه ·· كما كنت ألمس بوضوح ذلك الارهاق الذي حرص الاخ الوزير على اخفائه والسيطرة عليه !

كان الرجل دائما في مقدمة الداخلين الى القاعة ، وفي الفوج الاخير من مغادريها !! ولم يكن انتهاء الجلسات في ساعة متأخرة من الليل يعني أن أشغاله قد انتهت ، وأن وقت راحته قد حان ! فقد كان اذا أفلت من تلفون الطوارىء يتوجه من فوره الى احدى الثانويات ، حيث يشرف بنفسه على المحاضرات الليلية التي كانت تلقى على الطلبة ، وتمتد الى ما بعد منتصف الليل أحيانا !!

وازاء هذه الحال ‥ شعرت بان الذوق يقتضينى العدول عن المقابلة ، غير ان هذا الشعور عجز فى النهاية عن الصمود امام الحاح المهنة واصرارها !

ـ المجاهد : اعلنتم امام الملتقى عن مشروعين جديدين : الجامعة الاسلامية ، وقانون الاسـرة فى الجزائر ··· فهل لكم ان تعطونا مزيدا من التفاصيل حول هذين المشروعين ؟

ـ الاخ الوزير : اعلن الرئيس عن انشاء الجامعة الاسلامية فى الخطاب الذى القاه بجامع عقبة بن نافع فى القيروان ، اثناء زيارته الرسمية لتونـس ·

والنواة الاولى لهذه الجامعة متقدمة فى البناء ، وقد زار الاخ الرئيس ورشة العمل بمناسبة انعقاد مجلس الوزراء مؤخـرا فى قسنطينة · وستكون هذه الجامعة كاملة الكليات ، شاملة لجميع انحاء البلاد ‥ من سوق أهراس الى مغنية · كما انها ستكون على غـرار الجامعات الحديثة ، فـلا تقتصـر عـلى الكليـات التقليدية بل تضـم كافـة الكليات النظـرية والعملية · وعلى سبيـل المثـال ، فان دارس الطـب سيتلقاه بالعربيـة أولا ، ثـم ياخذ نفس المادة التى ياخذها زميله فى سائر كليات الطب · وفضلا عن ذلك ، فانه سيدرس تاريخ الطب فى الحضارة الاسلامية ، ويتزود باخلاقيات الطبيب من وجهة نظر اسلامية ·

وباختصار فان مهمة هذه الجامعة هى تكوين الطبيب او المهندس او الصيدلى ‥ تكوينا مهنيا وروحيا وتربويا ·

أما بالنسبة لقانون الاسرة ، فقد عرض مشروعه على اللجنـة الوطنية الاستشارية ، ومثل وزارة التعليم الاصلى فى المرحلة الاخيرة من المشروع نحو عشرة أشخاص · وقد تبادلنا وجهات النظر مـع وزارة العدل فى بعض النقاط ، فاقترحنا بضعة تعديلات أو اضافات·

وبديهى ان الغاية من هذا المشروع هى التوفيق بين القانون المدنى المعمول بـه قديما ، وبين مصادر الشريعة الاسلامية ، ومكونات شخصية امتنا ، ومقتضيات مجتمعنا الحالى ·

ـ المجاهد : ما هى فى رايكم الوسائل الكفيلة بانقاذ النشء من خطر التبشير فى الداخل ، وخطر الذوبان فى الخارج ؟

ـ الوزير : أولا التربية فى الاسرة ، وحرص الاسرة بالدرجـة

الاولى ، وعــــدم التفريط فى واجباتها ‥ ثانيا : المدرسة ٠ ثالثا : الاجهزة المختصة بالدولة ٠

ومن جهتنا ، فقد نبهنا مرارا رجال الدين المسيحى فى الجـزائر وخارجها ، ممن زارونا او استدعيناهم ، وحذرناهم من الاستمرار فى تشويش أذهان أبنائنا والنيل من تماسك اسرتنا ووحدة أمتنا ٠

وما يقال عن شبابنا فى الداخل ، يقال عنهم فى الخارج ، مــن حيث ضرورة استمرار الرعاية من طرف الدولة والمنظمات الفرعية فى اجهزتها ٠

وبخصوص ابناء جالياتنا فى اوروبا ، فاننا نعتقد ان المؤسســة الثقافية التربوية التى اعلن الرئيس بومدين عن تأسيسها بمناسبــة الاجتماع الخاص بالهجرة ، الذى انعقد بالجزائر منذ بضعة اشهر ، الى جانب مفتشية وزارة التعليم الاصلى التى صادق مجلس الثــورة والحكومة على اقامتها فى اوروبا ‥ نعتقد بان هاتين المؤسستين ستلعبان دورا كبيرا بالتعاون والتنسيق مــع سفاراتنا وقنصلياتنا والودادية ٠

ونرجو أن تقابل جهودنا فى هذا الصدد بحسن التفهم من قبــل سلطات الاقطار الاوروبية التى يتواجد لنا فيها جاليات ‥ ليكون شباب الهجرة مؤقتا جسرا بشريا ـ اذا جاز التعبير ـ ريثما يعودون الى بلادهم نهائيا ٠

ـ المجاهد : قلتم بان بعض الذين يسلمون من الاجانب يهدفــون الى تخريب الاسلام من الداخل ‥ فكيف توضحون ذلك ؟

ـ الاخ الوزير : هنا يكفى ان اذكر لكم مثلا واحدا مستمدا مــن تجارب الماضى ‥ وهو أن « ليون روش » الذى كان وزيرا مفوضا فى وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية ، فى القرن الماضى ، قــدم الى الجزائر ليسلم وينضم الى الامير عبد القادر ويكون كاتبــه الخاص ! وبعد أن اطلــع على جميع اســراره ، وعرف العشائر والمواقع فى جميع انحاء البلاد ، فر منه وانضم الى الجيش الفرنسى وأصبح أمين سر للجنرال بيجو ٠ وقد قام بمهام فى عدة بلدان عربية اسلامية ليؤلبها على الجزائر ، كما نجح فى تأليب بعض العشائــر فى جنوب البلاد على الامير عبد القادر ، مما ساعد على دفعه الى اليأس وتسليم نفسه بعد سبعة عشر عاما من الكفاح المرير ٠

ثم ان « ليون روش » بعد عودته الى فرنسا الف كتابا فى ثلاثــة اجزاء تحت عنوان : « 30 سنة فى الاسلام » وهو حافل بالسخرية منا والاستهزاء بنا وبغفلتنا وسذاجتنا ! ٠

ان عددا كبيرا ممن يسلمون اليوم ، انما يسلمون لحاجة فى نفس يعقوب ! ويصدق على هؤلاء حديث شريف حول الذاهب الى الحج « لامرأة ينكحها أو تجارة يصيبها » !

وبالفعل ٠٠ فان منهم من يتزوجون بجزائريات (بعد الامــر الواقع) ! ومنهم من يتسللون فى الاوساط لاعتبارات أخرى لا محـل لذكرها هنا ! ونحــن نعــرف أن الشيء ذاته قد حدث فى كثير مــن البلدان العــربية ٠

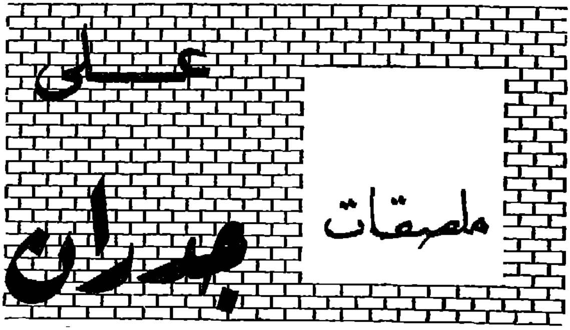
ـ المجاهد : كيف تفسرون غياب بعض الجهات عن هذا الملتقى ؟

ـ الوزير : هناك بلد عربى واحد تغيب ، وفى اعتقادنا ان ذلك عائد الى فهمه الخاطىء للتقدم والتقدمية ! ٠

ـ المجاهد : على ضوء الملتقى الحالى وما سبقه من ملتقيات الفكر الاسلامى ٠٠ هل ترون أن حجم الفائدة يشجع على استمرار الجزائر فى احتضانها كل سنة ؟

ـ السيد الوزير : من وحى تجربة الملتقيات الاربعة الاخيرة فى كل من قسنطينة ، وهران ، الجزائر ، تيزى وزو ٠٠ لا نستطيع الا أن نؤكد على ضرورة استمرار هذه الملتقيات رغم ما تأخذه منا من جهد طيلة نصف سنة على الاقل ! اذ ان النتيجة تبرر هذا التعب ٠

وما عليكم الا أن تنظروا الى اقبال المترشحين الذين لا نستطيع ـ غالبا ـ ان نقبل منهم الا اقـــل من النصف ، نظرا لضيق قاعات الاجتماعات ، فحتى قاعة قصر الامم لم تكفنا فى السنة الماضية ! وقد رأيتم بنفسكم جو الملتقى هنا ، من حيث حرص هؤلاء الطلبة عــلى الاستفادة ، وكذلك اهتمام الاساتذة من سائر انحاء العالم الاسلامى بالمشاركة فى هذا الملتقى الذى يجد امتداده فى أجهزة الاعــلام ، فتصل فائدته الى جالياتنا فى أوروبا ، والى اقاصى افريقيا ٠٠ أضيف الى ذلك الكتاب الذى يصدر اثر كل ملتقى ، ويشتمل على جوانب من حياة الامة والذى تتنوع مواضيعه ، فتتناول كل سنة بضعة جــوانب من حياة الامة الجزائرية ، وحياة الامة الاسلامية على العموم ٠



الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

كما نشرت مجلة « المجاهد » الاسبوعية فى عددها 677
المؤرخ فى 6 رجب 1393 الموافق لـ 5 أوت 1973
التعليـــق التـالي :

كنت فيما كتبته عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى ، ابان انعقاده ، حريصا على ان اقدم لقرائنا الاعزاء خلاصة دقيقـة وأمينة لأهم ما قـــدم فيه من عروض وتعقيبات ·· وبتعبير صحفى محض ، فقد حرصت على تغطية الملتقى دون تدخل !

وهكذا ، فقد خلا الموضوعان السابقان الا مما لم ار بدا ! ومـا ذلك الا لاننى رأيت من غير الحكمة أن اصف الجنين قبل الاكتمال ، وان اسميه قبل الوضع !

كما اننى من جهة ثانية ـ خشيت أن يفسر تدخلى قبل الاوان باننى أتيت الملتقى بموقف جاهـــز ·· وكل من يعرف للحرف قدسيته ، وللمهنة اصولها واعتباراتها ، لا يمكـــن أن يقـــر منطق المواقف الجاهـــزة !

وارضاء للحق ابدا بالقول : ان الجهود التى بذلتها وزارة التعليم الاصلى ، والسلطات المحلية لمدينة تيزى وزو تفوق كـل التقديرات المسبقـة !

فهذا العدد الهائل من المشاركين أساتذة ، وطلبة ، وصحفيين ٠٠ لم تكن استضافته أمرا هينا علي هذه المدينـة الصغيرة ، المحدودة الامكانيات ٠ ومع ذلك فقد كانت الضيافة حاتمية بالفعل ولقد بدا سكان المدينة كما لو كانوا جميعا مجندين لانجاح الملتقى ، وتوفير كل اسباب الراحة للملتقين ٠

اما بالنسبة للادارة ، فلا أعدو الحقيقة اذا قلـت بان فروعها العديدة كانت طيلة انعقاد الملتقى خلايا نحل تعمل ليل نهار ، ودون كلل أو ارتخاء والحقيقة أن كافة جنود الادارة بذلوا جهودا مضنية ، واخص بالذكر الاستاذ عبد المجيد شريف ، أما الاخ الوزير فحدث عنه ولا حـرج !

ومن ابرز الجوانب التنظيمية التى حظيت باعجاب الكثيرين ٠٠ تلك اللافتات والشعارات الرائعة ، الذكية الاختيار ، التى ازدانت بها تيزى وزو اجواءا ، وجدرانا ، وواجهات ، اضف اليها ذلك الجـو الاسلامى النقى الذى تميزت به المدينة على امتداد اسبوعين ٠٠ اذ خلت المنطقة تماما من المسكرات ، وكل أدوات الفساد ومظاهره !

ومن الايجابيات العديدة التى امتاز بها تنظيم هذا الملتقى ، تلك العناية الملحوظة التى خص بها ابناؤنا الطلبة فقد فسـح المجال أمامهم للاشتراك فى المناقشات واللجان ، وتركت لهم حرية اختيـار الاستاذ الذى يحاضرهم فى أماكن اقامتهم بعد الجلسات ٠

أما الرحلات السياحية ، فهى ـ بحـق ـ من اذكى مـا تضمنه برنامج الملتقى اذ انها اتاحت للاساتذة والطلبة فرصة التعرف على بعض المعالم التاريخية ، والمناطق السياحية الخلابة كما ان لقاء هذا الجمع من المسلمين بالمواطنين على قمم الجبال ، وتناولهم الغـذاء عند العائلات ، من شانه أن يذيب الفواصـل والمسافات ، ويمتـن الاواصر بين الاشقاء ومن شانه ايضا ـ وهو الاهم ـ أن يعكر صفو المبشرين ، ويشعرهم بانهم ليسوا بعيدين عن الاعين ، وان الميدان لم يعد خاليا لحمدان !! وكم كان رائعا لو استغلت هذه الرحلات لاهداف اكثـر عملية واعمق اثـرا !

التطوع والإسلام

زار سماحة الامام موسى الصدر اثر انتهائه من اشغال الملتقى ، ورشات التطوع وقبل مغادرته للجزائر نشر سماحة الامام الكلمة التالية للشباب الجزائرى المتطوع فى مختلف ميادين البناء والتعمير ·

ايتها الشبيبة المتطوعة :

لقد وقفت أمام حركتكم التطوعية خلال رحلتى الى الجزائر البطلة بانتباه واحترام ، فشعرت أن هذه الحركة تزرع فى القلوب بنور الامل الكبير ·

لم اقصد بهذه الكلمة تشجيعكم ، فقد لاحظت مقابلتكم مع الرئيس القائد بومدين ، فشاهدت الاندفاع ، ولمست الحماس ·

ولكنى احببت فى كلمة وداعية أن أحدثكم عن انطباعاتى عن عملكم ، وأن ارسم لكم ابعاده وامتداداته ، املا منى بأن أكون قد ساهمت فيه متطوعا مساهمة متواضعة ·

ايها الشباب المتطوع

ان عملكم التطوعى هذا يتجاوز فى ابعاده بناء القرية ومساعدة الفلاح وحتى تطوير الزراعة فى البلاد بشكل ثـورى ٠

بل انه فى الوقت بداية صنع انسان وخلق مواطن ، وصناعة امة

ان المحنة الكبرى فى حياة الانسان ، منذ ان كان ، انه كان يعيش لنفسه ، يحس بمصالحه الخاصة ، يتحرك لكي يبنى ذاته ، ويشبع انانياته ، وبالتعبير القرآنى : « اتخذ الهه هواه » فعبد نفسه ٠

وجاء الانبياء وجاء المصلحون وقادة الامم يحاولون بشتى الوسائل ان يوسعوا دائـــرة احساسه وتحركه ، ويشعروه بآلام الآخـرين وآمالهم ، ذلك لكي يسعى لبناء مجتمعه الذى ينمو باستمرار فيسعد ويسعـــد ٠

ان الدين هو هذا السلوك ، اى التحول من عبادة الذات الى عبادة الله ، وافضل عباداته خدمة خلقه والاسلام فى كافة تعاليمه ، فى ثقافته وعقائده ، فى واجباته واخلاقه ، يرسم تفاصيل هذا التحول العميق ٠

القرآن الكريم يؤكد ان اساس التقوى ، بعد الايمان بالله وبعـد ترسيخ هذا الايمان بالصلوة ، هو اشراك الآخرين فيما وهبه الله للانسان من مال ، او جاه ، او طاقة او علم وخبرة (1) وهذا كلـه يتلخص فى كلمـة التطوع ٠

ان رسولنا العظيم يعتبر هذا التطوع فى حديث له هو الطريق الى الجنة (2) كما انه ينفى الايمان عن الذين يتنكرون لآلام الآخرين ولا يتحركون لخدمتهم (3) ٠

---

1) قرآن كريم : سورة البقرة اية 2 ٠

2) حديث شريف : قال رســـول الله صـلى الله عليه وســـلم لاصحابه : « هل ادلكم على طريق الجنـة ؟ قالوا : نعـــم ٠ قال : « انفقوا مما انفق الله عليكم » ٠

3) حديث شريف : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره جائعا » القرآن الكريم ـ سورة ـ الماعون ـ « ارايت الـذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين» ٠

أيها الشباب المتطوع :

ان عملكم التطوعى هذا له بعدان ، فهو ببعده الخارجى يعمر الارض ، ويبنى القرية ، ويرفع مستوى الحياة لدى المزارع ، ويقوى الوطن والامــة ٠

وفى بعده الداخلى والنفسى يبنى ويعمر انسانا جديدا ، كبيرا فى تحسســه وتفكيره ، واسعا فى اهتماماته ومسؤولياته ، فتقدمون بذلك من انفسكم أناسا ومواطنين لرفع مستوى وطنكم وامتكم ٠

انكم باتجاهكم نحو القرية ونحو توسعة الذات تتحركون بعكس اتجاه العالم اليوم ، فانه بشرقه وغربه يتحرك نحو المدينة ونحو تضييق الذات يعمق الانانيات ، ويرسخ المنافع الذاتية ٠

انكم تحولون انفسكم الى أمة واحدة ، والعالم يحول الامة الى فئات وافراد ، ويضع لكل منها ولكل منهم اطارا صلبا ٠

انكم تتحدون العصر ، وكـــم فى تاريـــخ الجزائر من تحديات ومعجـزات !

أيها الشباب المتطوع :

هذهرؤيتنا لعملكم ، بل ان هذه رؤية الاسلام ، ورؤية التاريخ لكم ، فسيروا على بركة الله ، وقدسوا عملكم ٠

ان عملكم التطوعى أيها الاعزاء بداية لاشرف أنواع الثـورات الذى يرفض التقلص والانانية ، ويتنكر لعبادة الذات ، مستقـبل مفتوح يعبد فيه الله رب العالمين ، ويخدم فيه الانسان كل انسان ٠

ان عملكم التطوعى أيها الاعزاء بداية لأرشف أنواع الثـورات المعاصرة ، واكثرها شمولا وانسانية ، انها ثورة على النفس وعلى الغير ، ثورة على كل انحراف وتخلف ، انها الجهاد ٠ فالى الجهاد فى أرض الجهاد ، يا أبناء المجاهدين ٠

المغرب

في رحاب الملتقى السابع ...

نشرت مجلـــة « دعـوة الحـق » الصادرة عن وزارة الاوقاف والشؤون الاســـلامية والثقافة بالمملكة المغربية فى عددها الثـانى من السنة 16 ـ المؤرخ فى رمضان 1393 ـ اكتوبر 1973 ـ افتتاحية لرئيس تحريرها الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله تحت عنوان :

« فى رحاب الملتقى السابع »

نقتطف منه مـا يلي :

فى مدينة « تيزى وزو » من القطر الجزائرى الشقيق التى تأنقت فيها يد الطبيعة ، وتألقت بها قدرة الله ، وازدانت جنباتها بالحدائق الغلب ، وتفيات الدوح الباسق ، والشجر الوريف ، فطفحت بالبركة والخير ، وفاضت بالامل والنعيم ، وربضت على عيون وكنوز ومقام كريم ، ما يمـلأ الخيال بالتأمل الحالم ، والذهن بالتفكير الرفيع ، والشعور بالطرب المنعش ، والوجدان بالفرح الباسط ...

وفى احضان جبال جرجرة الشاهقة ، وقممها السامقة التى تناغى السحاب وتحمل قمتها اســم للا خديجة ام البطلة المناضلة فاطمة « نسومر » التى أيقظت بنضالها وتضحياتها وبسالتها وعى الامـة الجزائرية فى القبائل الكبرى ، وأوقدت نار الثورة ، وقادت كتائب الجهاد ، وكافحت الجيش المعتدى الذى كان يقوده سبـع جنرالات على رأسهم الحاكم العـام الفرنسى فى الجزائر المارشال راندون الذى عمل ، فى مكر وخبث ، على اذلال الامة الجزائرية الصابرة ،

فعوق نهضتها ، وفرق كلمتها ، وبدد ثروتها ، فجرعته مر العـذاب ، وعلقم الاوصاب فى ثورة عارمة زلزلت اقدامه ، وهزت اركانه ، واتت بنيانه من القواعد ،وأخذته ، فى قـوة وضراوة واستماتة ، أخذة رابيـــة ٠٠ !

وفى رعايـــة الحكومة الجزائرية المسلمـــة ، وحفاوة علمائها الملتزمين الاوفياء الذين فكروا فى تحضير مؤتمر اسلامى جامــــع يرمى الى تحقيق غاية واحدة يهتدى اليها من ضل ، ويتوافى عليها من تأخر ، وعناية شبابها المتوثب الذين فاضت فى نفوسهم الحيـاة وزخرت فى صدورهم القوة ، وانتعشت بهم الامال فاسترجعوا المجد الذاهب ، واستردوا الحق المغصوب ، واجلوا عن وجه بلادهم الوسيم القسيم غبرة القرون ، وذلـة الاحداث ، وعنجهية الدخيل فاضفوا على الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى روحا وثابا ، وابعادا جديدة حيث نزلـــوا الى ميدان الملتقى جنودا متطوعين وعــمالا متواضعين يهيئون الجو الملائم المنعش لنجـاح الملتقى ، ويؤكدون حضورهم بانهم يشقون طريقهمالقاصد لانقاذ بلادهم العظيم الراقى من احتلال فكرى قاهر ، شديد الخطر ، قبيح الاثر خلفه اجنبى واغل طغى بيده ، وبغى بلسانه وكفر بالقيم الانسانية ، والمثل العليا ٠٠٠

فى هذه الاجـــواء العبقة ، والظروف المواتية احتضنت مدينـة « تيزى وزو » فى الصيف الماضى الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى بمشاركة وفود جاءت من شتى الجهات ومختلف انحـاء العالم الاسلامى تضـــم نخبة من الباحثين والمفكرين فى القضايا الاسلامية المتنوعة ٠

وانعقاد هذا الملتقى الاسلامى فى القطر الجزائرى الشقيق وفى كل سنة له دلالة وابعاد ٠٠٠ فالجزائر الاسلامية ظلت طيلة ثـلاثة عشر قرنا متمسكة بمبادىء الاسلام ومثله العليا ، وقيمـه الخالدة تحميها وتذود عنها ، وتعمل لها ، وتدعو اليها فى ظروف عسيرة قاتمة الافق ، حالكة السواد ، كما شاركت بصفة خاصة فى بنـاء الحضارة الاسلامية فى هذه المنطقة من العالم الاسلامى فكانت الدرع الواقى التى تحطمت على صفاتـــه كل موجات الغـــزو التبشيرى التخريبى الذى قام به ابالسة الانس ، وسماسرة القلوب ، وشياطين الضمائر ٠

وفكرة الملتقى الاسلامى ، كما هو معلوم ، عبارة عن لقاء يضـم

عدة وفود من البلدان العربية والاسلامية تضم نخبة ممتازة من العلماء والمفكرين والاساتذة والشخصيات الاسلامية والاجنبية تقوم بادوار هامة في انحاء الوطن الاسلامي ، وتعكف على معالجة جوانب من حياة الامة الاسلامية ، والكشف عن مآثر الفكر الاسلامي المبدع الخلاق ، ودوره البارز في اثراء الحضارة الانسانية ، واخراج بني البشر من ظلمات الجهل والفساد الى رحاب العلم وحياة العدل والامن والاستقرار ...

وفي هذا الملتقى ، الذي يتميز بالجدية والارتفاع الى مستوى المسؤوليات ، يجري الحوار الهادف حول مجموعة من المسائل التي تهم الشعوب الاسلامية في مجالات مختلفة وقضايا متنوعة .

وقد انعقدت اجتماعات ومجالس بين علماء مسلمين في مناسبات عدة ، وفي عواصم مختلفة من عالمنا الاسلامي الاوسع الرحيب ، ولكن لاول مرة في العصر الحديث تحركت في الجماعة الاسلامية حوافزالسمو ، ونوازع الكمال ، وانبعثت رواقد الاماني ، فاجتمع في القطر الجزائري ، وفي « تيزي وزو » مدينة ابن معطي صاحب الالفية ، رجال من سائر المذاهب الاسلامية في صعيد واحد ، وفي ايمان صادق ، ويقين واثق ونية خالصة لتجديد ما درس من مفهوم الاسلام ، وتوضيح ما التبس فيه ، ونفي ما غشيه من أضاليل النحل واباطيل القرون وترهات علماء السوء ، وتبادل وجهات الرأي حول المصير الواحد والقرابة الواشجة ، واللغة الواحدة والوطن المشاع حتى يعيدوا للاسلام جدته وللامة الاسلامية منزلتها من صدر الحياة ومكانتها من قيادة النـــاس ...

فقد تلاقى في مدينـــة « تيزي وزو » الســادة المالكية والزيدية والشيعية والاباضية والحنفيـة والشافعية والحنابلـة والظاهرية ، وعلماء الدين من كل مكان ، انسلخوا من جمود المذهبية ، وتحللوا من عقد التسامي والاستعلاء ، ونفروا من كل فرقة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

وفي هذا الملتقى الاسلامي الرائع الضخم الذي حضره ما يربو على الفي طالب نسلوا اليه من كل جهات العالم الاسلامي ، سادت الفكرة الاسلامية التي يحـــس المسلم معها ان اخوانه سواسيـة ، متفقون في الشعور ، متحدون في الوجهة ، متعاطفون في المكروه ، متناصرون في الشـدة ، فلا يتنابذون بالمذهب ، ولا يتنافرون في

الوجهة ولا يتعادون فى الخلاف ·· فيقولون هذا سنى ، وهذا شيعى وهذا درزى ، وهذا اسماعيلى ··· وانه ليس لمسلم فضــل على مسلم الا بالتقوى ، وان الوحدة الاسلامية هى التى حررته اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، وعقيدة التوحيد هى نواة الاصلاح ونقطــة التحول التى تملك غرس الوئام فى النفوس واقرار السلام فى العالم ، فلا تبقى معنى للنعرات المذهبية التى طالما غرسها الاستعمار ، وعمق جذورها فى الارض وبثها فى نفوس المذبذبين تحقيقا لمطامعه واغراضه وشهواته فكانت فى تاريخنا الحافل بالاحداث والعبر علة العلل فى انتشار الامر ، وانحلال العقدة ، وانقسام الرأى وانشقاق العصـا وتعدد الدول التى تتقاطع فى الدين وتتجافى فى الدنيا وتتطاحن على الاغراض والشهوات ·

ويكفى أن نشير الى جدول أعمال الملتقى الذى عكفنا على دراسة موضوعاته الهامة أيام المؤتمر طرفى النهار وزلفا من الليل لندرك الاهداف والغايات التى ترمى الى تحقيق فكرة الجماعة الاسـلامية المنشودة التى هى الغاية المحتومة التى تتوافى عندها أمم الاسـلام فى يوم آت لا ريب فيه ، لانها تتضمن نظاما الهيا أجدر النظم بكرامة الانسان يقوم أساسه على الاخاء فى الروح ، والمساواة فى الحــق والتعاون على الخير لتكون كلمــة الله هى العليا ، وعقيدته هى الوثقى ، ودينــه هو الصحيح ، ودولته هى القائمة ، وحزبه هــو الغالــب ···

وبعد استعراض نقاط الملتقى استمرت المجلة الشقيقة :

تلك هى المواضيع التى أدرجت للدراسة فى جدول أعمال الملتقى ، ووفقت فى اختيارها وزارة التعليم الاصــلى والشؤون الدينية فى الحكومة الجزائرية الشقيقة ، وهى فى ذات الوقت مواضيع جــد هامة فى الظروف الحاضرة لانها تمس حياة الاسلام ، وأوضــاع المسلمين ، وواقع تشريعهم فى حاضر العالم الاسلامى ، وتتناول ، ايضا ، أخطار العزلة القاتلة ، والاندماج الذى يتعرض له أبنـــاء الجاليات الاسلامية فى الهجرة ، وواجب الدول الاسلامية نحوهم ، وتستحث العلماء ودعاة التجديد الى أن يصدعوا بالحق ، ويبينوا للناس ما نزل اليهم ، ويكشفوا حقائق الاسلام ، كما انزلها اللـــه سبحانه وتعالى ، بالتوجيه المرشد ، والتنبيه الموقظ ، لمن اعمتهـم الضلالة ودفعتهم شهوة الاباحية ، وجهلهم التام ، وعلمهم الناقص ورأيهم الفطير الى أن يشتروا الضلالة بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويؤثروا ان يكونوا كالذين كفروا يتمتعون ويأكلون كمـا تـأكل الانعام ··· » ·

ولاية تيزي وزو بالجزائر تحتضن
الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

نشرت جريدة « العــــلم » المغربية

المؤرخة فى 29 جمادى 2 ــ 1393 هـ الموافق لــ 29 يوليو ــ 1973 م
انطباعات احد الطلبة الذين حضروا اشغال الملتقى فى المقال التالى :

عاد الى المغرب ، الوفد الطلابى الذى حضر الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى الذى دأبت الجزائر على تنظيمه منذ سنوات ٠

وقد وصلتنا من احد المشاركين الكلمة التالية حول الملتقى :

1 ــ لماذا ولاية تيزى وزو بالذات ؟

تشمل هذه الولاية معظم القبائل الكبرى ، او ما يسمى ببلاد زواوة تمييزا لها عن القبائل الصغرى ، وقبائل الحدرة ٠

اما اهلها فينتمون الى العنصر البربرى الذى اتخذ الاسلام دينا ، والعربية لسانا قوميا ، والبربرية لغة تخاطب وتفاهم ٠

وان فرنسا لم تستطع أن تهيمن على بلاد القبائل ، لما عـــرف به رجالها من صمود وشجاعة نادرة ، وعزيمة فولانية لا تقهر ، وان ما قاله الجنرال هانوطو اكبر دليل على شهامــة رجالها ــ كالثائر الشهير الشريف بوبغلة ، والزعيمة المجاهدة للا فاطمة نسومر ــ قال هانوطو ما نصه : « ان الامة الجزائرية التى يوجد فيها مــثل هذا النوع من المقاتلين لا ينبغى أن نغتر ونشبهها بالهنود » ولم تشتهر

القبائل ببسالة رجالها فحسب بل بعلمائها ومفكريها وعلى رئاستهم الشيخ المهدى الكسلاوى البراتنى ·

واختيرت الولاية بالذات لانها كانت مــوطن الرجال البيض ، والقساوسة الذين كانوا يدعون الناس للتنصير ، وشيدت بها أهم الكنائس فى المنطقة ، الا انها أصبحت فى عهد الاستقلال مهد التشريع الاسلامى وتحولت الكنائس الى مساجد كبرى يذكر فيها اسم اللــه ، وتعلو فيها كلمته الخالدة : الله أكبر الله أكبر ·

اهــداف الملتقى وابعــاده

فى خضم هائل من الامواج الفكرية والايديولوجية الغربية التى تغزو عالمنا الاسلامى اليوم سعيا وراء النيل منه ــ وخاصة الشباب ــ نجد أن ديننا الحنيف ، وعقيدتنا السمحاء تقف أمام هذه الامــواج عقيدة خالدة ، أصلهــا ثابت وفرعها فى السماء لا تزعزعه الهزات العنيفة ، ولا الافكار الدخيلة ، ولا الايديولوجيات الموقوتة ، وتحت شعار « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ·

أبت الجزائر ايمانا منها بالله ايمانا يصل هذه الامة به صلة قوية وثيقة قيدها بأسباب المكث على الارض والتمكين فيها لحراسة مبادئه ونشر دينه دين الحرية والامن والعزة والسلام ، والوقوف فى شمم واباء وقوة وصمود أمام كل معتد أثيم يريد أن ينال من هذه المبادىء ، أو يقهر القائمين بها ، والناشرين لها · فكانت دعوة الجزائر الى هذا الملتقى الاسلامى أكبر من الاحداث وأقوى وأسمى والسمو والعلــو جعلها تستدعى جهابذة الفقه والقانون فى العــالم الاســـلامى · كالدكتور وصفى ابى مغلى (فلسطين) والدكتور عبد القهار مذكــر عميد كلية الحقوق ، جامعة جاكارطا ، والدكتور محمد الغزالى ، واخته زينب الغــزالى والاستاذ عثمان الكعاك ، ــ مؤرخ تونسى ــ والاستاذ عــلال الفاسى ، والدكتور المهدى بن عبــود ، والاستاذ ادريس الكتانى ، ومن لف لفهم من علماء التشريع الاسلامى ، وفقهاء المذاهب الفكرية فى العالم العــربى ·

الملتقى السابع للتعرف على

الفكر الإسلامي

نشرت جريدة « العلم » المغربية سلسلة من المقالات بقلم السيدة حبيبة البورقادية تعرضت فيها الى كل ما دار فى الملتقى .

ونورد فى ما يلي المقال الافتتاحى الذى نشر فى العدد المؤرخ فى 14 رجـب 1393 هـ الموافق لـ 13 أوت 1973 م

من جبال « تيزى وزو » الشماء معقل البطولة والجهاد ، وموطن القبائل الكبرى الأبيـــة التى قاومت الاستعمار ببسالة طيلة مائـة وعشرين سنة ، فلم يستقر له قرار بهذه المعاقل . معاقل المجاهدين الذين قاوموا الاستعمار دفاعا عن كلمة اللـــه ، وتمسكا بشــريعة الاســلام السمحاء .

غابات من الارز الظليل ، وادغال كثيفة يتدفق بينها ماء الشلالات الزلال . وكل موطيء قدم يحكى قصصا من البطولة والكفاح تتزعمها

للا فاطمة نسومر وللا خديجة الى البطل عميروش رحمهم الله ، عهود مظلمة ، واراض مضمخة بالدماء ، تعود بك الذكريات اليها · ذكريات الاستعمار السوداء ، الاستعمار الفرنسي البغيض ، وعهود مشرقة تبشر بمستقبل زاهر للجزائر الحديثة ، جزائر البناء والتشييد جزائر البحث عن الذاتية ، والايمان بالوجود والشخصية ، قد تعترضها مشاكل غير ان مرحلة الانتقال تقتضي ذلك ، فطريق البناء ليس مليئا بالورود الغضة الناعمة بل تتخللها أشواك وطفيليات ليست على عزيمة الامة الجزائرية بمنيعة ولا مستحيلة الاقتلاع ·

نعم حظيت للمرة الثانية بحضور ملتقى التعرف على الفكر الاسلامي بدعوة كريمة من البطل المجاهد وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية فأحببت أن أنقل لقراء جريدة «العلم» أهم ما راج في الملتقى المذكور الذي اعتبره مظاهرة فكرية وعلمية تلفت أنظار الكثيرين منا ممن كيفتهم مدرسة التغريب تكييفا فتح هوة سحيقة بين ابناء الوطن الواحد ، بل الاسرة الواحدة ، وجعل الكثير منهم في أمس الحاجة الى الاطلاع على ثقافتهم الاصيلة ، وتدارسها ، وخدمتها ، وربطها بعجلة العلوم العصرية ، واخضاع تلك العلوم لروح الشريعة الاسلامية ونظمها السامية لتنعم البشرية السائرة في هذا السبيل بتوازن يحد من طغيان المادة وجموحها التي استعبدت بني البشر واستغلت التقدم العلمي لتدمير الانسان واذلاله ·

حقا لقد استطاع الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي بما حضره من خيرة علماء العالم الاسلامي الاجلاء أن يتدارس الموضوعات المقترحة من طرف وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية ، فاثار هؤلاء العلماء في دراساتهم المستفيضة كثيرا من الجوانب التي تهم المسلمين عامة وتمس قضاياهم في الصميم ·

حضر الملتقى من علماء المسلمين ما يزيد علي المائتين من بينهم خيرة علماء الجزائر · والشيخ ابو زهرة على رأس وفد كثير العدد من مصر الشقيقة والشيخ مصطفي الزرقاء من الاردن والامام موسى الصدر رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ، من لبنان ، والدكتور جعفر شهيدي أستاذ بكلية الاداب بجامعة طهران والدكتور معروف الدوالبي من الحجاز وغيرهم من اجلة علمائنا الافذاذ الذين اعتذر عن ذكر أسمائهم جميعا وهم هداتنا في جاهلية القرن العشرين ·

وقد كان من بين العلماء المدعوين الرئيس الاستاذ علال الفاسي الذى لم يحضر للاسف لاسباب صحية غير انه بعث ببحثه القيم الذى كان موضوعه « نشاط التبشير ودوره الاستعمارى التخريبى بالامس واليوم وما يجب القيام به ازاء هذا الخطر » · ولمس المؤتمرون على مختلف المستويات ـ علمـــاء وطلبة ـ الفراغ الهائل الذى خلفته شخصية الاستاذ علال الفاسي ، رغم الجهد المشكور ، بل الاطلاع الواسع الذى تجلى فى محاضرته والتى وزعت على نطاق واســـع صبيحة اليوم المقرر لالقائها ، اتم الله عافيته وامد فى عمـره حتى يتحقق للامة الاسلامية على يده وعلى يد خيرة المسلمين ما تصبو اليه.

كما حضره من الطلبة والطالبات واغلبهم من جامعات الجـزائر ما يعد بالف ومائتين وفيهم المغــربى والتونسى والمالى والسينغالى والسورى واللبنانى والتركى والباكستانى وبعض الممثلين للمنظمات الطلابية.وليتصور القراء الكرام الرصيد الهائل من البحوث الذى يمكن ان تكون نواة لكل دارس وباحث بل عالم يهتم بشؤون المسلمين وقضاياهم العامــــة ·

رصيد ضخم يمكن لمسلمى العالم ان يستفيدوا منه استفادة كبيرة ان تدارسوه على مستوى الشعوب كل فى قطره ·

ـ احدى عشرة محاضرة فى موضوع « روح الشريعة الاسلامية وواقع المسلمين اليوم » ·

ـ محاضرة للدكتور عبد العزيز كامل « نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الدينية ووزير الاوقاف بمصر ومدير جامعة الكويت » حول الوحدة الاسلامية ومقترحات لارسائها ·

ـ واخرى حول المؤامرات التى تتعرض لها هذه الوحدة ·

ـ ست محاضرات عن التبشير والمبشرين فى العالم الاسلامى ·

ـ محاضرة عن الاقليات الاسلامية وما يهدد معظمها من خطــــر الفنــــاء ·

ـ محاضرة حول الجاليات الاسلامية واخطار عزلتها واندفاعها فى المجتمعات غير الاسلامية ·

ـ محاضرتان حول الاعلام ودوره فى تقويم او تعقيم الاجيال ·

كل هذا فضلا عن التعقيبات التى تبرز اهمية المحاضرات نقـــدا وتمحيصا وتحبيذا بكل تجرد وموضوعية ·

مجلس الأمة الإسلامي
والأعمدة السبعة لدستوره

نشرت جريدة « الجمهورية » بتاريخ 3 اغسطس 1973 مقالا هو صدى لما درسه الملتقون حول النقطة الثانية للملتقى وما دار حولها من تعقيبات ومناقشات (انظر ذلك فى باب النقطة الثانية) نورده فى ما يلي :

لم يذهب نداؤنا سدى ، وبين لنا الحق ان كلمة الحق لا تضيع ·· وبعد عشرة اشهر بالضبط من ندائنا على صفحات « الجمهورية » بعنوان « وحدوا المنظمات الاسلامية فى تشكيل عالمى واحد » بدأ مؤتمر الجزائر الاسلامي يضع هذا النداء على طريق الدعوة التنفيذية ·· فقد قرر هذا المؤتمر بالاجماع العمل على انشاء « مجلس الامة الاسلامى » ·· وكان لهذا القرار الذى يمكن ان يرتفع الى مستوى القرارات التاريخية قصة اعلنت عنها جريدة « الجمهورية » منذ عشرة أشهر ·

ففى التاسع من سبتمبر سنة 1972 افتتح فى القاهرة المؤتمر السابع لمجلس البحوث الاسلامية · وفى اليوم السابق عليه نشرت « الجمهورية » بعنوان كبير يكاد يكون بعرض صفحة « الجمعة » مقالا طالبت فيه بأن يتركز اهتمام هذا المؤتمر على اقامة تشكيل عالمى يضم شتات الهيئات الاسلامية المنتشرة فى جميع انحاء العالم

ورغم ان مؤتمر البحوث الاسلامية الذى انعقد يومئذ كان له جدول اعمال حددته لجانه من قبل ، ورغم ان مقال « الجمهورية » لم ينشر الا قبل انعقاد المؤتمر بساعات فقد وجدت هذه الفكرة طريقها الى الترحيب بها من جانب مؤتمر البحوث دون أن يكون هناك متسع لبحثها وتفتيتها ·

وجاءت المناسبة التالية لعرض هذه الفكرة على مؤتمر الجزائر الاسلامى الذى افتتح ، رسميا ، فى العاشر من شهر يوليو سنة 1973 ·وكان هذا المؤتمر اكثر قابلية لبحث الافكار الجديدة لانه انعقد اصلا لا لينظر فى شؤون المذاهب الاسلامية التى يختص بنظرها مؤتمر البحوث الاسلامية ــ بل لينظر فى كل احوال المسلمين الاجتماعية والعمرانية فضلا عن شؤونهم الروحية ·

من القاهرة الى الجزائر

اخذت الفكرة فى مؤتمر الجزائر الاسلامى طريقها الطبيعى ·· تحدث فيها الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف المصرى ، ثم تحدث وزير الاوقاف الجزائرى ، ثم عرض لنفس الفكرة الاستاذ الشيخ بيصار السكرتير العام لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ·· وكان هناك علماء ومفكرون ووزراء ومقننون من دول اسلامية كثيرة توفروا على مناقشة هذه الفكرة ·

ثم وقف الدكتور محمود دياب عضو الوفد المصرى فى المؤتمر فالقى فى هذا الموضوع بحثا خاصا يقنن فيه هذه الفكرة على أساس انشاء « جامعة الشعوب الاسلامية » · وعلى هذا الاساس دار البحث · وتمت الموافقة ·· ثم ابديت ملاحظات متعددة على اسم التشكيل : هل يكون « المجلس الاسلامى العالمى » ام يكون « جامعة الشعوب الاسلامية » ·

وهنا تعددت الآراء ، وابديت على كل تسمية ملاحظات اهمها الحرص على ان يكون اسم التشكيل اسما على مسمى والا يأخذ التشكيل طابعا حكوميا بحتا ولا طابعا « اهليا » بحتا ·· وعند هذه النقطة اقترح الوزير الجزائرى أن يكون الاسم الذى يطلق على التشكيل المقترح هو « مجلس الامة الاسلامية » فوافق المؤتمر بالاجماع ، لان هذا الاسم يحقق معنى « جامعة الشعوب الاسلامية » دون التورط فى مسميات « المجالس العليا » ·· وكان هذا القرار

نصرا ميدنيا للفكرة التى نادت بها « الجمهورية » منذ عشـــرة اشهر ·

الاعمـــدة السبعـة

ان بلورة الفكرة الى « مجلس أمة » يمثل الشعوب الاسلامية تعنى ان هذا التشكيل سيأخذ طابع التمثيل الاجتماعى لكل المسلمين فى المشرقين والمغربين ، وان يكون لهذا المجلس بهذه الصفة أن يدرس احوال المسلمين فى جميع انحاء العالم دراسة مسئولية نيابية ·

ثم بقى شىء ، هو كيف تكون لقرارات هذا المجلس ، بعد تشكيله ، قـوة التنفيذ ·

هذه « الكيفية » ينبغى أن تكون منذ الان موضع دراسة اللجنـة التحضيرية التى احسب ان المؤتمر قد فوضها فى هذا البحث ·· وفى رأيى أن من واجب هذه اللجنة ، عند بدء عملها ، أن تضع دراستها أمام الجماهير الاسلامية فى جميع انحاء العالم لتقول فيها كل جماعة من الجماعات الاسلامية رايها ·

ولكي يتم التنسيق بين هذه الآراء فمن حق اللجنة التحضيرية فى رأيى أن تعقد اجتماعا عالميا عاجلا يحضره ممثل على الاقل عن كل منظمة اسلامية يحمل معه وجهة نظر الجماهير الاسلامية التى تعمل كل منظمة فى نطاقها ·· ولتكن من اولئك الممثلين هيئة تأسيسية للمجلس المقترح تضع مشروع دستوره ثم تدعو المجلس نفسه الــى انعقاده الاول بتطبيق هذا الدستور ·

وليس شك أن دستور مجلس الامة الاسلامى المقترح يحتاج الى عناية خاصة فى دراسة جميع الملابسات السياسية والاجتماعية التى تكتنف المجتمعات الاسلامية المختلفة فى جميع أنحاء العالم بكل ظروفها المحلية والعالمية معا ·· لكننا نستطيع أن نضع منذ اللحظة الاولى الخطوط الاولية العريضة لهذا الدستور فيما يلي :

ـ الوحدة الاسلامية وحدة روحية تراعى فيها الروابط الاجتماعية والعمرانية بين المسلمين ·

ـ الوحدة الاسلامية لا تتعارض مع أى مفهوم اقليمى أو دولى آخر ولا تتعرض له الا فى حدود اقامة العدل للمسلمين بينهم وبين بعض وبينهم وبين الاخرين ·

ـ التجمع الاسلامى تجمع سلامى يناهض استخدام القوة ، لكنه يضع كل امكاناته لصالح المسلمين فى حالة العدوان عليهم ٠

ـ التجمع الاسلامى تجمع حضارى يهدف الى مساهمة المسلمين فى رفع شان الانسان وتحريره من الخوف والرذيلة والاستعباد ٠

ـ مجلس الامة الاسلامى يرحب بكل الجهود الانسانية التى تتعلق بانصاف المسلمين وتحقيق الاخاء الانسانى بينهم وبين الناس جميعا على اساس العدل والفضيلة والمساواة ٠٠

ـ مجلس الامة الاسلامى يناهض كل تيار يقف فى وجه النماء المعنوى او المادى للمسلمين ولمن يتعايشون معهم ٠

ـ للمسلم على المسلم فى جميع انحاء العالم حق الرعاية والمساندة والتآخى فى كل الظروف الممكنة ٠

على هذه الاعمدة السبعة يمكن لنا ان نبنى دستور مجلس الامة الاسلامى ٠ وان نتخذ من هذا الدستور طريقا الى يقظة جديدة تحفظ للمسلمين تراثهم وكرامتهم وتؤهلهم للفوز فى سباق الحضارة بمفهومها الاسلامى العريق الذى لا يتنافى مع اى تجديد سليم ٠

كلمة الهلال

مجلة الهلال :

اصدرت مجلة الهلال فى شهر اكتوبر 1973 عددا خاصا عن « الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى » نشرت فيه رسالة الرئيس محمد انور السادات الى الملتقى ، وكلمة افتتاح الملتقى للسيد مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالجزائر ، ومجموعة من محاضرات الملتقى ، وصدرت الكل بكلمة افتتاحية تحت عنوان :

كلمة الهلال

لرئيس تحريرها الشاعر المعروف الاستاذ صالح جودت

ومما جاء فى هذه الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

« فى مطلع هذا الشهر المبارك الذى نزل فيه القرآن هدى للناس ، نضع بين يدى القارىء هذا العدد عن دولة الاسلام ، وفيه لمحات وضيئة من بحوث ملتقى الفكر الاسلامى ، الذى عقد بالجزائر هذا العام ، وشهده علماء المسلمين من مشارق الارض ومغاربها ، الذين احتشدوا ليرسموا صورة مشرقة لدولة الاسلام المأمولة ... »

هذا وان « مجلة الهلال » قد نشرت فى عدد سابق لها نص محاضرة الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الدينية ووزير الاوقاف بجمهورية مصر العربية .

24 يوما في الجزائر

مجلـة المصــور :

العدد 2549 ـ المؤرخ في 18 رجب 1393
الموافق لـ 17 أغسطس 1973
جاء فيها مقال للاستاذ صبري ابو المجد تحت عنوان
24 يــوما في الجــزائر

تحدث فيه عــن :

ـ « الاستعدادات الجارية في الجزائر لعقد مؤتمر دول عــدم الانحيــاز •

ـ تطوع عـدة آلاف من طلبة الجزائر للعمل في الريف الى جانب الفلاحــين •

ـ الملتقى السابـع للتعرف على الفكر الاسلامي •

ومن الموضوع الاخير نقتطف ما يلي :

كان يوما تاريخيا رائعا ذلك الذي اعلنت فيه بالاجماع في مـدينة تيزي وزو توصيات الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي ، الذي استمر اربعة عشر يوما كاملة ، حيث وقف خمسة مـن المشاركين في الملتقى بوصفهم رؤساء للجان الملتقى ، الخمسة يعلنون ما استقر عليه رأيهم من قرارات وتوصيات •

وبعد انتهاء جلسات الملتقى ، كان لنا أكثر من لقاء مع الاخ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى الجزائر ، والقوة الضاربة فيما يتعلـق بالملتقى الاســـلامى فى دوراته الاربع الاخيرة ، ونستمع الى الاخ مولود قاسم عن امانيه واحلامه فى الملتقى الثامن للفكر الاسلامى ، الذى سيعقد فى العام القادم فى ولاية سطيف (ببجاية) « فى الناصرية بالذات عاصمة الناصر الحمادى ، مـــدينة النور قبل باريس بأربعة قرون ، المدينة التى جابت اساطيلها البحار ، وبهرت الانسانية بعلومها وفنونها ، ولألأتها ، واضاءت اوربا والعالم بجامعاتها ، وشموعها » ويقول الاخ مولود : اننا لم نستقر بعد عـلى موعد الملتقى هل يكون فى الخريف أم فى الربيع ؟

ويتطرق الحديث مع الاخ مولود عن أهداف التعليم الاصـــلى فى الجزائر ، واستمع الى الاخ الوزير وهو يحـــدد الاهداف التى تسعى لتحقيقها معاهد التعليم الاصلى على النحو التالى :

تكوين جيل صاعد من الشبان والشابات يتوفر فيهم التكوين العلمى بأوسع معانيه مع التربية الاسلامية المتينة وتركيز اللغـة العربية ، حسب الطرق العلمية ونشرها على اوسع نطـــاق بالسرعة الكافية ، لدعمها وفق مقتضيات العصر ، وانقاذ ابنائنا الذين حرموا من التعليم العام ، أو فاتتهم السن القانونية للدخول فى المدارس ، أو كانوا دون السن المطلوبة للدخول فى المدارس المهنية ، وتكوين اطارات دينـية متينة قادرة على تحمل رسالتها بصدق ، ويقـين ، وعاملة على ازالة ما يعلق بالتعاليم الاسلامية من شوائب المغرضين وافتراءات الدساسين ٠ واعرف من السيد الوزير أن مؤسسات عديدة للتعليم الاصـــلى قد انشئت على نطاق واسع فى جميع انحاء الجزائر أشرفت ، وتشرف على تخريج الـــوف من الطلبة ــ فى كـــل مستويات التعليم الابتدائى والثانوى ، والجامعى ــ يكونون حمـاة طبيعيين للشخصية الجزائرية الاصيلة ، وامتدادا للتفكير الاسلامى السليم المتفتح ٠

ومع المقال نشـــرت الصورة التالية ٠



فى بنى ينى على قمة جبل يرتفع 5 آلاف قدم عن سطح البحر ، أخذت هذه الصورة للقاضى عبد الله الشماحى مع هذه الحسناء ، وهى طالبة فرنسية فى جامعة باريس ، كان للقاضى الشماحى كل يوم اكثر من قصيدة غزل فى الجزائر ، قصيدة هجائية واحدة صاغها القاضى عند ما غادر الجزائر وأحد موظفى الامن فى مطار الجزائر على ان ياخذ منه سيفه حرصا على الامن بالطائرة !

أكبر لقاء إسلامي
في أرض المليون شهيد

كما نشرت مجلة « المصور » مقالا للسيد صبري أبو المجد تحت عنوان :

« اكبر لقاء اسلامي في أرض المليون شهيد »

نقتطف منه ما يلي :

هذه هي المرة الثانية ، التي أزور فيها الجزائر وكانت المرة الاولى في أواخر عام 1967 ، عندما كنت أزور البلدان العربية ، للتمهيد لعقد المؤتمر الثاني للصحفيين العرب بالقاهرة ، ولم تستغرق الزيارة سوى ثلاثة ايام لم اخرج فيها من الفندق ، الا لزيارة وزير الاعلام أو غيره من المسؤولين عن الاعلام ، ولم أر شيئا من الجزائر الا بعض شوارع من حي القصبة ذي الشهرة التاريخية ، والنضالية ، لذلك فانني اعتبر زيارتي الاولى للجزائر مجرد مشروع زيارة ، لا اكثر ولا اقل !

اما هذه الزيارة فكانت بدعوة من الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية ، وقد تاهبت ، لهذه الزيارة منذ وقت طويل ، فعدت الى أوراقي القديمة ، عن حرب التحرير ، التي واكبتها منذ الفاتح من نوفمبر 1954 .

وأقر ان السعادة ملأت كل جوانحى وانا اتأهب لزيارة الجزائر ، التى بدت لي ـ اجمالا ـ اشبه بصديق ، قديم لم أزره منذ سنوات عديدة • ولست ابالغ اذا ما قلت ان سعادتى بزيارة الجزائر لم تكن تقل عن سعادتى بالعودة الى مصر بعد غيبة طويلة •

ومنذ اللحظات الاولى لوصولى الى مطار الجزائر لمست تغييرات جوهرية فى كثير من الامور ، اللغة العربية التى كانت مختفية فى مطار الجزائر لا يتحدث بها الا قلة من الناس ، قد اصبحت اللغـــة الغالبة ، لغة التعامل ، حتى أوراق الدخول ، والخروج واقرارات الجمارك ، وغيرها وغيرها ، التى كانت فيما مضى باللغة الفرنسية فقط ، اصبحت العربية تحتل المكان الاول •

ومطار الجزائر ، الذى كان فيما مضى مقصورا على ابناء الجزائر والفرنسيين فقط ، أصبحت ترى فيه كل الجنسيات العربية والدولية ، **لقد عاد الى مطار الجزائر ، وجهه العربى السليم وعاد الى الجزائرى فخـــره باللغة العربية بعد ان كان الحديث باللغــة العربية ـ ايام الاستعمار ـ جريمة ، أو اشبه ما يكون بالجريمة ! !**

وفى شوارع مدينة الجزائر ـ العاصمة ، البطلة ـ تلمس ايضا التغير فى كل شـــىء ، المبانى الجديدة ، وخاصة فى الضواحى ، اضعاف اضعاف المبانى القديمة ، التى تشمل الى جانب المساكن ، العديد من المصانع ، والمعامل ، والمدارس ، والمستشفيات والفنادق التى حملت فى ابرز مكان اسماءها العريقة كعنوان لما حققه الاستقلال من تقـــدم •

واستطيع ان اقول وبدون مجاملة ان حركة البناء فى الجـزائر ، التى شملت كل نواحى الحياة ، من الامور التى يجب ان يبتهج لها كل عربى ، لقد اثبت الجزائريون بحق انهم ممتازون ، فى البناء ، كما كانوا ممتازين فى القتال •

وقبل أن انتقل بسرعة من الجزائر العاصمة الى « تيزى وزو » الولاية ، والعاصمة ، استمعت ، واستمتعت بحديث تاريخى عن ولاية تيزى وزو التى لعبت دورا هائلا فى حروب التحرير ، التى اشعلها الشعب الجزائرى ضد الاستعمار الفرنسى منذ عام 1830 حتى تحقيق الاستقلال • وتيزى معناها « الثنية » ووزو عبارة عن اسم لنبـــات شوكى صغير ، له نوار أصفر يكثر بالمنطقة ويسمى القندول أي ان اسم المدينة باللغة العربية « ثنية القندول » •

وولاية تيزى وزو ، لها تاريخ قديم يعود الى ما قبل مولد المسيح عليه السلام • وكانت الولاية ، مقرا ، لكثير من الحكومات ، التى سيطرت من تيزى وزو ، على المناطق المجاورة ، كدولة آل المقرانى ، ودولة آل ابن القاضى ، وكان ابناء الولاية ، دائمى الثورة على اى احتلال أجنبى • ويشير المؤرخون الى كثير من ثورات أبناء القبائل ضد الاحتلال الرومانى ، والاحتلال العثمانى والاحتلال الفرنسى •

والجدير بالذكر ، أن ولاية تيزى وزو ، قاومت الاحتلال الفرنسى ، مقاومة عنيفة للغاية واستعصى أمر احتلالها على قواته •

وقد بذل الحاكم الفرنسى العام ـ على الجزائر ـ المارشال راندون منذ عام 1851 حتى 1858 جهودا مضنية للاستيلاء على منطقة القبائل وكان من زعماء القبائل ، الذين قاوموا الاحتلال الفرنسى الثائر الشهير الشريف محمد بن عبد الله مولى الساعة الشهير بـ « بوبغلة» الذى خاض معارك عنيفة فقد فيها المستعمرون الفرنسيون الوف الجنود• وقد ظهر فى تلك الفترة « جماعة المسبلين » أى الذين قدموا ارواحهم فى سبيل الجهاد ، وكانوا يحاربون وهم مربوطون معا بالحبال حتى لا يتراجع احدهم ، والمعروف أن القتال فى هذا الوقت ، وفى هذه البقاع كان بالسلاح الابيض ، وكان من وراء فرق « المسبلين » النساء ، يشجعن الرجال ، ويحرضنهم على الاستبسال والاستشهاد ، ويقمن بالاسعافات الاولية ، ومد الرجال بالمؤن والذخائر ، وقد كتب كثير من قادة الجيش الفرنسى ، الكثير عن فرق المسبلين وقال أحدهم فى مذكراته وتقاريره الرسمية أن شعبا يوجد فيه هذا النوع من المقاتلين ينبغى أن يحسب له ألف حساب •

وقد فوجىء الجيش الفرنسى وعلى رأسه الحاكم العام المارشال راندون بظهور ، « لالا فاطمة نسومر » التى كانت تحرض « المسبلين » والسكان على المقاومة ، ولالا فاطمة من عائلة شريفة كان أبوها وهو شيخ زاوية قد علمها القرآن وزوجها ـ بعد أن كبرت بأحد اقاربها ، ولم يكتب لحياتهما الزوجية التوفيق ، فطلبت الطلاق ، غير أن زوجها رفض واعتبرها ناشزا ، وقد شاركت الشريف بوبغلة فى قيادة المقاومة الشعبية ، فلما استشهد الشريف بوبغلة فى احدى المعارك البسيطة فى ضواحى « تازمالت » وانفردت لالا فاطمة بقيادة المقاومة واستطاعت ان تهزم ـ فى أكثر من موقعة ـ الجيش الفرنسى الذى كان يقوده سبعة جنرالات على رأسهم الحاكم الفرنسى فى الجزائر ،

المارشال راندون وجرعتهم ـ كما يقول الاخ مولود قاسم ـ مر العذاب واعطتهم على راس جيشها من المسلمين صورة حية عن الفداء والجهاد ، « لقد كانت لالا فاطمة امراة من اعاظم الرجال » ، واستخدم الجيش الفرنسي سياسة « الارض المحروقة » بحيث لم يدع الجيش الفرنسي اشجارا ، او منازل او خياما ، او غير ذلك الا واحرقها بعنف ، وفظاعة ، ووقعت لالا ـ وكلمة « لالا » ، تعنى الشريفة ـ فاطمة اسيرة فى يد الكابتن فورسم الذى قدمها للمارشال راندون فامر بوضعها فى زاوية بنى سليمان هى وافراد اسرتها تحت الاقامة الجبرية وظلت فى الاسر ، الى ان ادركها الاجل فماتت فى 1863 وبموتها انتهت الى حين المقاومة فى جبال جرجرة التى استعصت على الجيش الفرنسي وظلت وحدها ـ تقاوم اكثر من 33 سنة ٠

ثم عادت المقاومة من جديد فى صور جديدة اتخذت شكل ثورة عارمة فى عام 1871 التى اشترك فيها مائتا الف من ابناء القبائل وكان عددهم بما فيهم الاطفال والنساء والكهول لا يتجاوز 80،000 وكان الجيش الفرنسي الذى اعد للقضاء على هذه الثورة يزيد على 82،000 مدججا بالسلاح ٠

وقد خاض الجيش الفرنسي من اجل القضاء على تلك الثورة 340 معركة حامية الوطيس قدم فيها الالوف من جنوده ٠

ويطول بنا المقام لو حاولنا الافاضة فى التاريخ النضالى لولاية تيزى وزو وما جاورها فهو امر يحتاج الى مجلدات ٠

وصلنا الى تيزى وزو التى زينت كعروس حلوة ، جميلة ، ساحرة للاحتفال بعقد الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى ٠ وقد شارك ابناء تيزى وزو فى الملتقى فاضفوا عليه ابعادا جديدة ، بفضل علمهم وادبهم ، وفكرة الملتقى الاسلامى كما اوضحها الاخ مولود قاسم ، عبارة عن لقاء ، يضم عدة وفود من البلدان العربية والاسلامية تضم نخبة ممتازة من العلماء ، والمفكرين والناخبين ، والاساتذة ، والشخصيات الاسلامية الذين يلعبون ادوارا هامة فى انحاء الوطن الاسلامى ، وفى هذا الملتقى يجرى الحوار ، الهادف حول مجموعة من القضايا ، والمسائل التى تهم الشعوب الاسلامية فى مجالات مختلفة ٠

وقد جرى التركيز مثلا فى الملتقى السادس ، الذى عقد فى العام الماضى فى الجزائر العاصمة على التاريخ ، بصفة خاصة من حيث

اعادة كتابته أو من حيث طريقـــة الكتابة فى الماضى ســـواء من الاستعماريين أو غير الموضوعيين وهم الاكثر من بين المؤرخين أو من كثير من المؤرخين المسلمين ، الذين تأثروا بهـــم بالاضافة الى موضوع يقظة العالم الاسلامى ، الفعال فيها امام تحديات العصر ، ومختلف أنواع الغزو ، والاستلاب » •

وتميز هذا الملتقى بعدة أمور فى مقدمتها ـ مثلا ـ وجود اكثـر من الف شاب من طلبة السنتين النهائيتين ، من التعليم الثانوى ومن طلبـــة الجامعات الجزائرية شبابا وشابات للاشتراك فى الملتقى واستجابة لرغبة الطلبة وهم المعنيون بالدرجة الاولى بهذه الملتقيات تقرر أن يكون عدد المحاضرات فى الملتقى السابع ، قليلا جدا بالنسبة للملتقيات الماضية لافساح المجال أمام المناقشات الحرة ، التى تقدح الزناد ، ويتتبعها الطلبة باهتمام ، اكبر ، ويستفيدون منها اكثر •

وقد وصف الاخ مولود قاسم ، هذا الملتقى ـ بعد انتهائه ـ بانه حدث اسلامى عظيم : لقد انعقدت اجتماعات ومجالس بين علمـــاء مسلمين فى مناسبات عدة وفى عواصم مختلفة من عالمنا الاســلامى الاوسع ، ولكن لاول مرة ربما فى العصر الحديث يجتمع رجـــال من سائر المذاهب الاسلامية فى صعيد واحد ، لتبادل وجهات النظر حول المصير الواحد •

لقد تلاقى فى تيزى وزو الســـادة المالكية والزيدية ، والشيعة والاباضية والحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية ولم يخلف أحد الميعاد • بل جاء كل منهم بحسن النية ووافر الزاد •

ولقد تباحث الجميـــع ، فى ربوع تيزى وزو الشريعة الواحدة واتفقوا على ضرورة ارجاع الامة الى الطريق المستقيم ، الواضـح المعالم ، على هدى النقل والعقل وحصنوا البنيان بالاركان• وجعلوا الشعب يحمى الديار ويقيها من العـــار والدمار » وقد تميز الملتقى بالجدية ، والارتفاع الى مستوى المسؤولية وتميزت الطالبات اللاتى شاركن فى الملتقى بحســـن السلـوك والانضباط ، والحرص على الاستفادة والمساهمة الواعية فى مناقشات الملتقى وفى اعطائه صفته الاسلية • كما تميز الطلاب بالنضج والاهتمام المتجلى فى الاسئلة ، ولم ينس الاخ مولود ان يوجه للطلبة ملاحظة قال فيها بصراحتـه المعهودة : ولئن استعملنا مع بعضكم الشدة أحيانا الا اننى انصـح منظمى الملتقيات المقبلة بان يكونوا معكم اكثر ضبطا وصرامة فى

صالحكم ولخير الامة • كما تميز هذا الملتقى بالاهتمام بالشعر فالقى شاعرنا الكبير صالح جودت قصيدتين جديدتين رائعتين قوبل كل بيت من أبياتهما بالاستحسان والتصفيق كما القى شاعر الثـــورة الجزائرية الاستاذ مفدى زكريا كثيرا من قصائده التى جاءت ضمن اليانته الجزائرية •

وقد قام اعضاء الملتقى فى يوم الجمعة باداء صلاة الجمعة فى مسجد الشيخ أرزقى الشرفاوى ، والمسجد تحفة فنية رائعة ساهـم ابناء تيزى وزو فى تكاليفـه والشيخ أرزقى الشرقاوى من قـــرية الشرفاء الواقعة شرقى مدينة العزازقة بثلاثة اميال وقد حفظ القرآن ــ فى صغره ــ والـــم بمبادىء الدين واللغة وقد واصـل دراسته بالازهر الشريف الى أن حصل على الشهادة العالمية وقد اجبرتـه ظروف قاهرة على الاقامة بمصر حيث قام بالتدريس فى الازهر الى أن تمكن من العودة الى أرض الوطن سنة 1932 حيث انضم الى الحركة الاصلاحية وساهم فيها بتعليمه ، وقلمه وبكل جهوده الى أن تـوفى فى عام 1944 حيث دفن فى قرية الشرفاء مسقط رأسه •

وقد ساهم الشيخ أرزقى الشرفاوى بنشاطه الثقافى والاصلاحى فى الحركة الاصلاحية وقد حاول الاستعمار اكثر من مرة عرقلة نشاطه بواسطة اذنابه الذين يمثلون البدع ، والخرافات فلم يثنه ذلك عـن مواصلة نشاطه الاصلاحى الذى كان من ثمراته أن تخرجت على يديه افـــواج عديدة من الشباب الذى حـــمل مشعل النهضة الوطنيـة فيما بعـــد ، كما حـــرر عقـــولا كثيرة كان يغلفهـا ظـــلام البدع ، والخرافات التى كان يحمل لواءها جماعة من الذين يتاجرون باسم الدين ويتعاونون مع العدو ، فى تضليل الشعب والذين كانوا يفزعون من مقالاته التى كان ينشرها انذاك فى الصحف والمجلات الاصلاحية ومن التقاليد الجميلة ، التى استنها ابناء تيزى وزو انهم استضافوا ، اكثر من مرة اعضاء الملتقى فكانت كل أسرة تستضيف على الغـــداء فى منزلها بعض اعضاء الملتقى من قبيل التـــكريم والتعارف •

وقد قام أعضاء الملتقى خلال يوم عطلة برحلة سياحية دراسية الى الجبـــال فزاروا منـــاطق وبـــلادا عديدة مـن بينها ثامازيرت والاربعاء بنى ايراثن ، والشريفين ، وعين الحمام ، وآيت هيثـم وكوكو والشرفاء وتناول الجميع الغداء ــ بعد صلاة الجمعة ــ فى

مسجد الشرفاء فى ضيافة ابناء قرية الشرفاء وكانت العودة عن طريق ، عزازقة ، واعكورن ٠

والحق لم أجد مناطق جبلية ، أغنى واجمل من هذه المناطق ، التى زرناها وفى يوم عطلة آخر زرنا أيضا مناطق جبلية وساحلية عديدة جعلت بعض أعضاء الملتقى الذين لا يقولون الشعر ، كالاستاذ الزرقاء تنطلق قرائحهم ، بكثير من عيون الشعر ، وتميزت هذه الرحلة بوجود مرشد هو الاستاذ حموين الذى كان يشرح المواقع ، التاريخية،التى قامت فى تلك المناطق ، وخاصة الاماكن التى شهدت المعارك ، التى خاضها الشعب الجزائرى بقيادة بوبغلة ولالا فاطمة ! ومن القرى التى زرناها فى تلك الرحلة وادى عيسى ، وثاخوجت وبوعدنان وبنى ينى ، وتيقجدا والبويرة ، والاخضرية وبنى عمران وبرج منايل وذراع بن خدة و٠٠ و٠٠

والحديث عن الملتقى ـ وخاصة العقل المفكر ، الذى نظمه خير تنظيم الاخ مولود قاسم ، يحتاج ، الى فرصة أخرى فالى لقاء قريب٠

14 يوما في البلوى
على هضبة الشوك

ومن المقالات الطريفة التي كتبها الاستاذ صالح جودت
مقال في مجلة « حواء » عدد 1150 بتاريخ 14 اغسطس 1973
تحت عنــوان
14 يوما فى البلوى على هضبـــة الشـــوك

جاء فيه مــا يلي :

كنت أتصور ـ عندما ودعت القارىء العزيز وقلت له انى ذاهب الى الجزائر ـ اننى ساعود منها لاقص عليه عشـــرات ومئات من الحكايات عن الادب والشعر والفن فى الشقيقة المجاهدة العزيزة ٠

ولكن ٠٠ هانذا اعود ـ بعد ثلاثة اسابيع ـ وانا لا اكاد اجد بين يدى حكاية واحدة !

ذلك اننى لا استطيع ان ازعم اننى رايت الجزائر ٠٠ تماما كما لو جاء أمريكى من بلاده ، وهبطت به الطائرة فى محافظة الشرقية ـ مثلا ـ وظل هناك ثلاثة أسابيع لا يرى فيها اكثر من مدينة الزقازيق ٠

لا يرى الهرم ، ولا ابا الهول ولا الهلتون والشيراتون ، ولا المسارح ولا دور السينما ولا الكاباريهات ٠٠ ولا حتى الجامع الازهر وسيدنا الحسين ٠

هل يستطيع مثل هذا الامريكى بعد عودته الى بلاده ، أن يزعم انه رأى مصـــر ؟

هذا ما حدث لنا هناك ٠٠ فقد أخذونا من المطار الى منطقة القبائل رأسا ، على مسيرة : مائة كيلو متر من العاصمة الجزائرية وهـــى منطقة محافظة ، شديدة التزمت ، صارمة التقاليد ، قلما يسمح فيها انسان لشفتيه بضحكة أو ابتسامة ٠

ولهذا كانت هذه المنطقة اشد المناطق صلابة فى الثورة ، وقسوة على المستعمرين الطغاة ، الذين دكـوا بيوتها دكا ، وتركوها قاعا صفصفا خاوية ، الى ان بناها الجزائريون من جديد بعـــد انتهاء معـركة التحرير ٠

نزلنا فى مدينة « تيزى وزو » ٠٠ عاصمة ولاية القبائل ٠٠ لنشارك فى الملتقى الاسلامى الذى عقد هناك ٠

وهذه التسمية بربرية ٠٠ فكلمـــة « تيزى » معناها « هضبــة » و « وزو » معناها « الحسك » ٠

اى ان اسم المدينة بالعربية هو « هضبة الحسك » والحسك هــو الشوك ٠٠ ذلك لان هناك نوعا من الشوك ينبت فى جبال هذه المنطقة بكثرة ، وينتج نوعا من الكحل تتكحل به النساء ٠

والفندق الذى نزلنا به ، اسمه ، « فندق البلوى » ٠

اى اننا كنا فى بلوى ، على هضبة الشوك ٠٠

فماذا تنتظر منى ايها القارىء من الحكايات !

وهذه « البلوى » لا تعنى معناها بالعربية ، وانما هى على اسم رجل له قبر فى قمة عالية من قمم الجبال المجاورة للمدينة ٠

وقد اختلف فى امره الرواة الذين سألناهم عن حكايته ، فقال لنا بعضهم ان اسمه الحقيقى هو « بولوا » أي « أبو اللواء » ٠٠ وانه كان مجاهدا ٠٠ وقيل انه كان من اولياء الله الصالحين ٠

٠٠ وقال لنا البعض الآخـر ان الكلمـــة محرفة ٠٠ وان اصلها « لو فالوا » ٠٠ وهو اسم مبشر فرنسى سكن هذه المنطقة حينـا ، وكان يحسن الى الناس ويعالج مرضاهم ويتقرب اليهم بكل وسيلة ، مما حملهم على تقدير صنيعه بعد وفاته ٠٠ والله أعلم ٠

المهم ٠٠ اننا اقمنا طوال أيام الملتقى فى البلـــوى ، على هضبة الشـــوك ٠٠

ولكننا احتملنا البلوى ، وسمعنا ثمانى وعشرين محاضرة فى مختلف الشؤون الاسلامية ، يضاف اليها ان عشرة من المعقبين كانوا يعقبون على كل محاضرة ، أى اننا استمعنا الى اكثر من ثلاثمائة حديث فى الدين ، فى اربعة عشر يوما ٠٠ من الثامنة صباحا الى التاسعة مساء ٠٠ كل يوم ٠٠ بلا اجازة جمعة ولا أحد !

احتملنا كل هذا ٠٠ فى سبيل الرسالة الجليلة التى ينهض بها هذا الملتقى كل عام ـ وهذا عامه السابع ـ والتى حملت الجزائر امانتها وحدها ، واستضافت من اجلها علماء الاسلام وفلاسفته ومفكريه وشعراءه وادباءه من كل فج عميق من مشارق الارض ومغاربها ٠

واجمل ما فى هذا الملتقى ، ان حكومة الجزائر تدعو اليه كل مرة نحو الف من شبابها الطلاب ـ من الجنسين ـ ليتفقهوا فى أمور دينهم ، وليوجهوا الاسئلة الى المؤتمرين فى كل ما يخفى عليهم من شؤون العقيدة ٠

كانت احصائية الملتقى كما يلي :

44 من الجزائر و 21 من مصر و 10 من المغرب و 5 من لبنان و 4 من السعودية و 3 من تونس واثنان من كل من الكويت وسوريا واليمن الجنوبية واندونيسيا والاردن والسنغال ، وواحد من كل من ايران وتوجو وعمان واليمن الشمالية وتانزانيا والهند وباكستان ويوغوسلافيا واستراليا ٠

وكان نصيب مصر من المحاضرات ستا ، من مجموع المحاضرات الثمانى والعشرين ٠

وقد مثل الجنس الآخر ، اربع من الجزائر ، واثنتان من المغرب ، وواحدة من مصر ٠

أوحدة مائة مليـون.. أم وحـدة ألف مليون ؟

الاستاذ صالح جودت الشاعر المصرى المعروف

كتب عدة مقالات تحمل آراءه وانطباعاته ومشاعره حسب مـا شاهده فى الجزائر والايام التى عاشها فى تيزى وزو بين الملتقين ·

ونشرها فى مجلات مختلفة مثل : « الهلال الشهرية » و « المصور الاسبوعية » و « حواء النسائية » و « الكواكب الفنية » ·

نقتطف من مقال الاستاذ صالح جودت الذى نشر فى « المصور » تحت عنـوان :

على هامش ملتقى الجزائر :

اوحدة مائة مليون أم وحدة الف مليون ؟

مـا يلي :

من قدرنا — وسبحان صانع القدر — ان الله قد اختار لمصر ان تكون — جغرافيا — امة وسطا بين المشرق والمغرب العربيين ، وكان الله قد اختار لها هذا الوضع لتلعب دورها التاريخى فى تأسيس الوحدة العربية ·

ومن قدرنا ايضا ، ان الله قد جعل مصر أمة وسطا فى سويداء القلب الجغرافى للعالم الاسلامى ، وكان اللـه قد اختار لها هذا الوضع هو الآخر ، لتلعب دورا تاريخيا آخر فى تأسيس الـدولة الاسلامية التى ارسى نواتها محمد عليه الصلاة والسلام ، وبشر بدعوتها فى العصـر الحديث ، الوالدان الخالدان عبد الرحمن الكواكبى وجمال الدين الافغانى ، طيب الله ثراهما ·

ذكرت كل هذا ، والطائرة تقلـع بى الى الجزائر ، لاشارك فى الملتقى الاسلامى الكبير الذى يعقد هناك مرة كل سنة — منذ سبع

سنوات ـ والذى عقد هذه المرة فى مدينة « تيـزى وزو » عاصمة ولاية القبائل ·

وتساءلت : هل يمكن ان يكون هناك اى تناقض بين الدعوتين : الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، بحيث يستحيل الايمان بهما معا ، ام انه من الميسور ان تكون كل منهما قوة مساندة للاخرى ، متعاونة معها على البر والتقوى ، مناهضة الاثم والعدوان !

وهناك رحت استعرض المؤتمرين فى هذا الملتقى ·

عمائم بيض سنية من مصر ، على راسها شيوخنا الاجلاء محمد خاطر ، مفتى الديار ، ومحمد ابو زهرة ، استاذ الشريعة ، واحمد الشرباصى ، ومحمد الغزالى ·

وعمائم بيض ، سنية ايضا ، من المشرق والمغرب ·

وعمائم سود ، شيعية ، على راسها الامام موسى الصدر ، رئيس المجلس الشيعى الاعلى بلبنان ·

وعمائم ملونة زيدية على راسها القاضى عبد الله الشماحى اليمنى

ولفائف بيض ، اباضية ، على راسها الشيخ بيوض الجزائرى ·

وشيوخ مطربشون من مذاهب مختلفة ، اذكر منهم الاستاذ عجاج نويهض ، الدرزى ·

وازياء متضاربة ، من اندونيسيا وايران وماليزيا والسنغال وجزر القمر ·· الخ

وفلاسفة متفقهون فى شؤون الاسلام او تاريخ الاسلام ، وفى طليعتهم الدكاترة والاساتذة عبد العزيز كامل ومحمود قاسم ويحيى هويدى وعثمان امين ومصطفى محمود وعمر فروخ وجميل بيهم وعبد الله عنان ومحمد يمانى وعبد المنعم خلاف واحمد الحوفى ومصطفى الزرقا ومحمد على رفعت ومحمد عزيز الحبابى وعبد القهار مذكر وغيرهم ·

تأملت كل هذه الوجوه المؤمنة ·· لاتملى القاعدة العريضة التى تمثلها ، والهدف الكبير الذى جاءت من اجله ·

ان هذه الوجوه تمثل الف مليون مسلم ·· بعضهم يحتشد فى تجمعات كبيرة ، كمصر وباكستان واندونيسيا وايران · البعض الاخر يعيش فى مشتبكات يمكن لها ان تلتقى لتصبح مجموعة كبيرة ، كمجموعة المغرب العربى ـ تونس والجزائر والمغرب ـ وغيرها ·· الى جانب بعض ثالث من الاقليات الاسلامية ،

الموجودة فى دول غير اســــلامية ، كالهند والفيلبين ، والجاليات الاسلامية التى تعيش فى أوروبا وامريكا ، وهم عدة ملايين ٠

وعلى الرغم من أن هناك خلافات مذهبية صغيرة بين هذه الملايين الكثيرة ـ الف مليون ـ فان هناك عبارة واحدة معدودة الكلمات ، تشد قلوبها جميعا ، وتفعل فيها فعل السحر الى حد الاستشهاد ، هى قولة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ٠

الف مليون ٠٠ بينما لا تمثل الدعوة العربية أكثر من مائة مليون !

لن أصف للقارىء العزيز ما دار فى الملتقى على مدار ايامــــه الاربعة عشر ، فقد تركت هذا الحديث الصحفى للزميل صبرى أبو المجد ، الذى كان هناك ٠

ولكنى التقط من هذا الملتقى قضية الراى ٠٠

لقد القيت هناك محاضرات كثيرة ، ودارت مناقشات كبيرة حول الف مسألة ومسألة من مسائل التشريع والتبشير والتحرير وغيرها ٠

ولكن القضية الكبرى ٠٠ القضيــــة الجادة المثمرة الاولى التى طرحت على بساط البحث فى هذا الملتقى ، والتى كانت ـ فى تقديرى ـ هى كل الملتقى ، هى القضية التى انبثقت من البحث العلمى المنهجى السامق ، الذى قدمه الدكتور عبد العزيز كامل ـ نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف ـ وطرح فيه مشروعا متكاملا لنواة الاسلامية كما يجب أن تكون ٠٠

واحب ـ قبل أن أختتم حديثى عن هذا البحث ، أن أوجه عنايــة القارىء الى اكثر من مشكلة يحلها تطبيق مثل هذا المشروع :

ـ انه كفيل بالقضاء على النعرة المذهبية ٠ ولنتكلم بصراحة ٠٠

ولـــنعترف بأنها موجودة بالفعل فى أكثر من بلد عربى ، وفى أكثر من بلد اسلامى غير بلد عربى ايضا ، وقد شبت لهذه النعرة أكثر من شرارة أثناء الملتقى ، مما لا أحب أن أشير اليه اخمادا لجذوته ٠

واحقاقا للحق ، اقول ان الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية الجزائرى ، الذى رأس الملتقى وكان قوة ديناميكية كبرى فيه ، كان له فضل حاسم فى اخماد هذه الفتنة ٠

اقول ـ وهذه مشكلة لا نحسها فى مصر ، لاننا جميعا مسلمون سنيون ـ ان المسلمين فى بعض البـلاد العربية ، كلبنان مثلا ، لا يفتأون يتنابذون بالمذاهب ٠٠ ويقولون هذا سنى ، وهذا شيعى ، وهذا علوى ، وهذا درزى ، وهذا اسماعيلى ، وهذا زيدى ٠٠ الخ ـ

ولكن ·· حينما تسود الفكرة الاسلامية ، ويحس المســلم ان المسلمين سواسية كاسنان المشط ، كما قال النبى صلى اللــه عليه وسلم ، وانه ليس لمسلم فضل على مسلم ، ولا لابيض فضــل على احمر أو أسود أو أصفر ، الا بالتقوى ، وان الوحدة الاسلامية هى التى حررته اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، فانه لن يعرف يومئذ معنى النعرات المذهبية ، التى طالما غرسها الاستعمار وعمق جذورها فى الارض تحقيقا لاطماعه ·

ـ واخيرا ·· ولنتكلم بصراحة دائما ·· تبقى مسالة الطوائف غير الاسلامية عندنا وعند غيرنا ، كلبنان أولا ، ثم سوريا والعراق ·

ماذا يمكن ان يضير مثل هذه الطوائف من قيام مثل هذه الفكرة ، ما دامت قائمة على مبدا المساواة ، وكافلة حقوق الانسان ، ومــا دامت الدعوة العربية ـ بكل مذاهبها وطوائفها ـ تحيا مكرمة معززة نابضة فى حضن الوحدة الاسلامية ؟

ان المســـلم يستطيع ان يعيش مطمئنا كل الاطمئنان فى فرنسا وايطاليا وانجلترا ، وهي دول مسيحية ، فى ظل قوانينها التى لا تفرق بين مسلم ومسيحى ·

فماذا يضير المسيحى اذن لو انه عاش فى ظل الوحدة الاسلامية · ما دام القانون يسوى بينه وبين المسلــم فى جميع الحقوق وجميع الواجبات ؟

مشروع ·· قد يبدو لاول وهلـــة انه من المثاليات ، كجمهورية افلاطـــون ·

ولكن جمهورية افلاطون كانت أول نواة للاشتراكية ، وان كانت اشتراكية خيالية ·

وجمهورية اقبال ·· هل كانت فى أول امرها اكثر من فكرة فى رأس شاعــر ، بشـــر بها بين الناس ، فجعلوا يؤمنون بها رويدا رويدا ·· الى أن خرجت الى النور بعد وفاته بعدة سنوات ، وكانت ـ كما أراد لها أن تسمى ـ دولة باكستان ؟

ان جميـــع الاعمـــال الكبرى فى التاريخ قد ولدت من المثاليات والاحـــلام ·

الجزائر

الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

نشرت جريدة « الثورة » اليمنية سلسلة من المقالات عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى بقلم القاضي عبد الله المجاهد الشماحى ، فى اعدادها 1715 ـ 1734 ـ 1735 ـ 1736 ـ 1737 ـ 1738 أوت سبتمبر 1973 ، جاء فيها :

انعقد فى الجزائر بمدينة (تيزى وزو) مركز احد الوية الجمهورية الجزائرية ، انعقد الملتقى السابع وامتدت الجلسات من 10 ـ 25 جمادى الثانية سنة 1393هـ ، الموافق 10 ـ 25 يوليو سنة 1973 م .

القيت فى هذه الجلسات اكثر من ثلاثين محاضرة حول التشريع الاسلامى وروحه وواقعه فى العالم الاسلامى اليوم ومصادر ووسائل استعادة سلطانه وتطبيق عدالته الاجتماعية الملتقى فيها المسلم وغير المسلم ، وايجاد الوسائل الكفيلة باحلاله محل القوانين المستوردة التى غـزت العالم الاسلامى على موجات المطـامع السياسية والنزعات الاستبدادية وعلى تيارات النظريات الهدامة من تبشير يهودى ونصرانى والحادى الى غير ذلك مـن المواضيع التى سنشرحها فى الحلقات الآتية حول هذا الملتقى السابع الذى ضم اكثر من مائة عالم من أقطار العالم الاسلامى من :

اندونوسيا ، واستراليا ، وأوروبا ، وايران ، وبومباى ، وتركيا ، وتونس ، والجزائر ، والسعودية ، وسوريا ، والسودان ، والسنغال ، والطوغو ، وفلسطين ، والكويت ، ولبنان ، والمغـرب ، وموريتانيا ، ومالى ، والهند ، واليمن ، ويوغسلافيا ، ويوغندة وغيرها .

وقبل الكلام عن هذا الملتقى التاريخي وما جاء فيه من محاضرات وحوار ونقاش ووقفات أدبـــية وشعرية وما اصدره من اقتراحات وتوصيات فاني أرغب ان أرسل من هنا من اليمن الابية تحية اليمن جباله وأبطاله ، شبابه وعلمائه الى أرض الايمان والبطولات الجزائر ، واسدي شكري وتقديري لوزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية على اقامتها مثل هذا الملتقى وما بذلته هذه الوزارة ووزيرها الصالح المتفتح معالي الاستاذ (مولود قاسم) من جهود واهتمام وكـــرم تمكن معها ارباب الفـــكر الاسلامي المجتمعون في الملتقى من اطـــلاق طاقاتهم وسلكاتهم في هذا الملتقى الذي بقاعته الرحبة تعانق اعـــلام البيان والفكر الاسلامي يحيي بعضهم بعضا لا فرق بين ابيض ولا أســـود ولا عربي ولا غيره ، تعانق الاعلام في ساحة القاعة المكتوب في غـــرة واجهتها (شعار الاسلام ، ان الدين عند الله الاسلام ، الاسلام دين ودولة ، عبادة وعمل ، مصحف ومدفع ، مسجد ومصنع ، جهاد وعدالة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)٠

يتقبلهم شباب الجزائر المـــؤمن القوي يرحب في حرارة وتقدير باولئك الاعلام ، والى ما لديهم من علم وتجارب وتوجيه يتطلع في تفهم وتعمق ، ثم يقف اولئك الاعلام في الصفوف الاولية كانهم نجوم بهم يهتدي السارون ، ويقف من ورائهم وحول القاعة الشباب المتوقـــد ايمانا كانهم الهالات حول الاقمار وهذا اللقاء بين الشيوخ الاعـــلام وبين الشباب المؤمن المقدام هو الاساس للدعوة ورسوخها ومبعث الامل في نجاح المسيرة ان شاء الله ٠

ومن الاعتراف بالحقيقة أني صدرت من هذا الملتقى بامل جديد ما كان يصحبني عند الورود ، فلقد شعرت في أول جلسة مـــن هذا الملتقى بان العالم الاسلامي وفي مقدمته شبابه بدأ يصغي الى توجيه قاداتـــه المفكرين وبدأ يشاركهم الشعور بالواقع الاسلامي المرير ويشاركهم بالاحساس بالاخطار الحقيقية المهـــددة ، ويتلمس العـــلاج ، وهذا الاحساس والشعور المقرونان بالبحث عن الدواء الناجع في جـــدية وتصميم هو مبعث الامل الجديد قال ابن الرومي :

ان فحص الطبيب عن داء ذي الد   اء قبـــيل الـــدواء اس الـــدواء

فالامة الاسلامية تعيش اليوم فترة هامة وخطيرة تتميز بوعى ثقافى قد نسميه بمرحلة الصحو الاسلامى ، وهى مرحلة مبشرة ومنذرة ، مبشرة بان الامة الاسلامية بدأت تنفض غبار التخلف والجمود الفكرى ، وتتجه نحو النهضة الحضارية وهدفها ان يستعيد الاسلام قيادة العالم اما كون مرحلة الصحو منذرة فان المسيرة اذا انحرفت فانها ستدور فى حلقة مفرغة من التيه لا يزيد الامة الاسلامية الا ضعفا وعن حقيقة الاسلام وروحه بعدا ومروقا خلا ان هذا الملتقى يبعث على الامـل فى النجاح مما جعلنى اكثر تفاؤلا .

ولم اخف تفاؤلى حينما القيت كلمتى فى الجلسة الافتتاحية ، التى تناول النقاش بهـا هـل يثبت أول الشهر القمرى بواسطة التقويم والمرصد لئلا يبقى اختلاف فى يوم عرفة وأول الصوم والفطر والاعياد لما فى وحدة مواقيت الشعائر من مظهر للوحدة الاسلامية وتدعيم لها وقد انتهى النقاش لما سنذكره فى الحلقات الآتية .

وفى الجلسة الثانية وقف الشعر ليأخذ مكـانه وفى هذه الوقفة عبرت عن احاسيسى فى هذه القصيدة :

هنا يالقـومى ، بالجزائـر مظهـــر

(انظر باب « من وحى الملتقى » فصل الشعر)

ثم جاء فى العدد 1734 وما بعده التقرير التالى :

على اثر عودة مستشار العـدل القاضى العلامة عبد اللـه المجاهد الشماحى من الجزائر وافانا بكلمة تمهيدية عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى الذى عقد هذا العام بمدينة « تيزى وزو » نشرناها بالعدد 1715 الاثنين 8 رجب 1393 هـ ووعد بانه سيتابع الحديث عن الملتقى وعن الجزائر ولكنه تعرضت له اعمال حالت دون متابعة احاديثه وها هو اليوم قد عاد لمواصلة احاديثه وشرح انطباعاته عن الجزائر .

والملتقى الذى يراها القراء فى قراره المقدم الى معالى وزير العدل القاضى العلامة على السمان وعن وزير العدل تلقينا قراره وهذا القرار يتناول موضوعين اولهما صورة حية للجزائر والملتقى السابع وثانيهما نص قرارات وتوصيات الملتقى السابع وهى على جانب من الاهمية .

فالى القراء نقدم هذه التحفة عن التفكير الاسلامى الصحيح الذى شهدته الجزائر واحتظنت اعلامه ٠

وهذا نص القـرار :

معالى وزير العدل الولد القاضى العلامة على بن على السمان حياكم الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد ـ
يسرنى ان اقدم الى معاليكم صورة مصغرة حافلة عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى الذى اقامتـه الحكومة الجزائرية وشعبها بمدينة « تيزى وزو » ٠

وقبل ذلك اسجل اولا شكرى للشعب الجزائرى وحكومته ووزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ووزيرها السيد (مولود قاسم) على كرم الضيافة التى غمرت بجودها وحفاوتها كل وفود الاقطار الاسلامية واسجل ثانيا تقديرى لما يبذله الشعب الجزائرى الابى المؤمن القـوى من عناية ومال فى سبيل انهاض الامة الاسلامية مـن عثرتها واحياء التراث الاسلامى واعلاء كلمة الله ومحاولة شـق الطريق لتطبيق الشريعة الاسلامية والاخـذ بتعاليمها ونظمها عن طـريق البرهان والاقتناع ، جهود وجهاد لمسنا اثرهما فى جيل الجـزائر الصاعد وشباب الجزائر الطامح ٠ ولا غرابة فالشعب الجزائرى شعب أصيل الحضارة قوى الايمان والاباء ، وقد ذاق مرارة الاستعمار الاستيطانى وشرب كأس تلك المرارة حتى الثمالة فلم يهن ولا استسلم بل صمد صمود الشعب اليمنى فى وجه الغزاة ، صمد الشعب الجزائرى حـين لا سند له فى نضاله الطويل الا فتوة فتيانه وبطولة وايمـان ابنائه الذين عمر الله قلوبهم بالايمان وروح الاسلام ٠

ان المستعمر سلب من الجزائر كل شيء حتى اللغة العربية لغـة القرآن ولكنه لم يتمكن من سلب بطولات ابناء الجزائر ولا فى اطفاء شعلة الروح الاسلامية المتوقدة فى نفوس اولئك الابناء الجزائريين الذين بتلك البطولة وبتلك الروح السماوية قدموا قوافل الشهداء ومشوا على الجماجم والدم المهدورة فانتصروا بعد ما ضحوا وصبروا وصابروا وكان الله على نصرهم لقدير ، فدحروا المستعمر وطهـروا أرضهم من مخلفاته واصبحت الجزائر حرة مستقلة كل ابنائها مسلمون

سنيون يأخذون بمذهب الامــام العظيم « مالك » بن انس الاصبحى اليمنى عالم المدينة وفيهم جماعة (سنيون اباضيون) ولا توجـد فى الجزائر طوائف ولا اقليات غير مسلمة ، ولذا فما ان حققت الجـزائر استقلالها الا وقادتها وابناؤها ومفكروها كلهم مقتنعون عـن برهان انهم بروح الاسلام انتصروا .

ومن هنا راى علماؤهم وقاداتهم ان تحتفظ الجزائر بهذه الـروح السماوية وان على الجزائر ان تكون فى مقدمة الساعين الى احياء الشريعة الاسلامية ونشر تعاليم الاسلام وتوحيد الامة الاسلامية عـن طريق الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وعن دراسة وتفكير شرعت الجزائر تضع الخطط لهذه الغاية السامية ومن تلك الخطط اقامة « الملتقى للتعرف على الفكر الاسلامى » والى هذا الملتقى دعت الجزائر جميع الاقطار الاسلامية ومنذ سبعة اعوام وهذا الملتقى يقام فى ارض الجزائر كل عام مرة وفيه يلتقى اعلام الاسـلام من كل بلد اسلامى وجماعة مسلمة ، وقد يحضره علماء مستشرقون وغير مسلمين ، وفى العام الماضى اقيم الملتقى السادس فى العاصمة الجزائر تحت اشراف معـــالى وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية السيد مولود قاسم ووزارته ، ولم يســبق لليــمن ان حضرت فى المؤتمرات الستة السابقة لعوامل وظروف معروفة اما فى هذا العام والملتقى السابع فان اليمن ارسلت الى الملتقى وفدها .

وفى ثامن يوليو كان وصولى الى مطار العاصمة الجزائر وكان فى استقبالنا المسؤولون من وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية مع سفير اليمن بالجزائر الولد العقيد عبد الله بركات واعضاء السفارة وفى المطار قدمت لنا الحكومة الجزائرية سيارة خاصة وعليها يصحبنا المرافق الخاص ذهبنا شرقا فى طريق تخترق السهول والربى المكسوة بالمزارع المظللة بالاشجار المتنوعة المرصعة بالقرى والمدن وفى هذه الطـريق وتحت افياء الدوحات الباسقة واصلنا السير الى ان اقتحمنا حـدود ولاية « تيزى وزو » فاذا بنا نمر تحت اقواس الترحيب المنصوبة وقد كتب عليها الى جانب كلمات الترحيب بالوفود كلمات الاشادة بالاسلام وشريعة الاسلام وما زلنا نشق الطــريق بين هذه المناظر وهتـاف الترحيب الى مدينة « تيزى وزو » التى اختيرت مقرا للملتقى السابع .

تيزى وزو والملتقى السابع

تيزى وزو ، جملة بربرية مركبة من كلمتين يراد بها ربوة الزهر • وهى مدينة جميلة قديمة تبعد عن العاصمة الجزائر 100 كيلو وهى مركز ولاية تيزى وزو ، يحد الولاية من الشرق والجنـــوب الشرقى ولاية سطيف ـ وغربا ولاية عاصمة الجزائر وبعض ولايـــة (لمدية التيطرى) وجنوبا ولاية لمدية التيطرى وشمالا البحر الابيض المتوسط وولاية تيزى وزو من اهـــم ولايات الجزائر عسكريا واقتصاديا فلها جبالها الشامخة المكسوة بالغابات الغنـــية بالمياه والمزارع العامرة بالقرى والمدن كما إن سهولها على جانب عظيم من الخصب والعمران ، ومواطنوها من البربر من قبائل زواوة فصيلة مـن قبيلة « كتامة » وكلهم مالكيون شديدو التمسك بالاسلام وذوو نجدة واباء وغيرة وكرم ووسامة ويكادون يجمعون ان اسلافهم جاءوا الى الجزائر من اليمن فى عصور ما قبل التاريخ وكم كان ابتهاجهم بنا ونحن نتجول فى جبالهم وبين قراهم، وان انتسابهم الى اليمن يقرره معالى الدكتور محمد معروف الدوالبى احد اعضاء الوفد السعودى ويقويـه تقارب العادات كما سنبينه فى فرصة أخرى ، وقد اختيرت مدينة تيزى وزو مقرا للملتقى السابع لاهمية مركزها المشار اليه المتناسب مع أهمية المواضيع التى درست فى هذا الملتقى فكلها مواضيع اسلامية صرفة • ولذا فانه لم يدع الى هذا الملتقى اى عالم غير مسلم •

الملتقى السابع من 10 ـ 25 رجب 1393 هـ الموافق 10 ـ 25 يوليو 1973 م حضره اكثر من مائة عالم يمثلون معـــظم الاقطار الاسلامية والاقليات المسلمة من اندنيسيا واستراليا واوروبا وايران وباكستان وبومباى وتركيا وتونس والجـــزائر وزنجبار والسعودية وسوريا والسودان والسنغال وسلطنة عمان والطوغو وفلسطـــين والكويت ولبنان وليبيا والمغـــرب ومصر وموريتانيا ومالى والهند واليـــمن ويوغسلافيا ويوغنده وغيرها وحضره من الشباب اكثر من اربعة آلاف والقيت فيه اكثر من ثلاثين محاضرة رئيسية والى جانبها وقف الشعر والادب والنقاش والحوار وقفـــة العمالقة وشارك الشباب فى تلك الوقفات •

وفى هذا الملتقى الفكرى العلمى الادبى كان للشعر صولة وجولة ادلى فيها اليمن بدلوه ومن عمالقة الشعر فى هذا الملتقى الاستاذ الاديب الاخ صالح جودت المصرى رئيس تحرير مجلة الهلال والاستاذ الكاتب الشاعر مفدى زكريا شاعر الثورة الجزائرية وقد راهنتهما اليمن فى حلبة الشعر كما احتل اليمن مركزه فى الحوار والتعقيب والمحاضرات الشفوية ولعلنا سنكتب عن ذلك وقد انتهى الملتقى باصدار التوصيات المرفقة مع هذا ٠

وقد جاءت تلك التوصيات نتيجة ما ألقى من محاضرات ومن حوار ودراسة وتفكير واقعى ٠

وبعد املائها القيت كلمات الوفود وقد ختمت كلمتى الختامية بهذه القطعة الشعرية :

انا هاهنا فى معشرى وبموطنى — فلست هنا ضيفا ولست بمظعن
جزائر صنعاء للجميع مواطن — لكل ابي طاهر النفس مؤمن
وهذا نداء الله وهو شعارنا — ونادى به اريانئا وبومدين
شعار لشبان الجزائر من به
اعادوا بطولات ابن معد (1) و (مقرن)
حكاها لابطال الجزائر فعلهم — وفى عمل الانسان اقوى مبين
شباب لهم روح الشريعة قائد — فأنعم بهم من تابع لمقنن
وهم ورثوا هذى الخلال من الاولى — تحدوا فرنسا بعد روما ولندن
تحداهم الطغيان قرنا وثلثه — فلم يلف منهم غير طعن مبطن
فردوه مدحورا على رغم بوجر«2» — حمى الغاب باس الليث من طرق مقرن
وأنا وانتم نلتقى فى محامد — يمجدها الاسلام اصدق معلن
محامد غذاها القرآن بروحه — فاوجد منا كل قرم ومحسن
بها قادة الاسلام غذوا شبابنا — يردون مجد الشرق فى كل موطن
فحيا الحيا ارض الجزائر انها — لنقطة بيكار لبان ومتقن
جبالهم الشماء منهم صمودها — صمود ابي مقدم متدين

---

1) عمرو بن معد يكرب الزبيدى بطل القادسية والنعمان من مقرن ٠
2) قائد فرنسى ٠

وداعـــا بنيها اننا عنـــكم غـــدا سنرحل والافكار فيـــكم بمأمن
لها فاحفظوا ثـــم اهضموها فانها هـــدية آباء لأكـــرم مجتـــن

وفى خلال انعقاد المؤتمر وبعد الانعقاد قامت الوفـــود يصحبهم الشباب ووزير التعلـــيم وموظفو وزارة التعليم برحلتين سياحيتين دراسيتين اولاهما يوم الجمعة 20 جمادى الثانية الى جبال جرجرا من ولاية (تيزى) وفيها مرينا بعدة اودية وربى ومدن وقرى حال صعودنا هذه الجبال الشامخة شموخا يقرب من جبـــال السراه باليمن وقـــد تمنطقت تلك الجبال بالسحب وتجلببت قطيفة خضراء من المـــزارع والاشجار ومن مدنها وقراها التى مـــررنا بها « ادنى » و (ثاميرك) و « عزوزة » و « الاربعاء » و « نايث ايراثن » و « اشريفن » و « عين الحمام » و (آيت هيثم) و « كوكو » و « الشرفة » وفى الشرفة صلينا الجمعة وتناولنا طعام الظهيرة لدى عائـــلات الشرفة ، وعلى عاداتهم الشبيهة بعاداتنا اليمنية مطعما ونوعا وكيفية وادوات ، وكل مواطنى هذه الجبال بل وولاية تيزى هم من البربر ، وهم فى اقتـــناع انهم كغيرهم من الاخوان البربر ينحدرون من اصل يمنى • «2» الرحـــلة الثانية يوم الثلاثاء 24 جمادى الاخيرة الى جبال القبائل من تيرتى وهى تشبه جبال جرجرا وسكانها من البربر ومن المناطق التى مرينا بها عدة اودية وانهر وغابات ومدن منها وادى عيس ، ومدينة «شاخرخت» و (ثاسافث) و « بوعدنان » و « اغيل ياماس » و « بنى ينى » وفى بنى ينى تناولنا وجبة الغداء مع العائلات فى كيفية عربية مطابقة لما شاهدناه فى مدينة الشرفة ، ثم عدنا الى تيزى ، عن طريق جبلية ثـــم سهلية مارين بعدة مدن وقرى وغابات ومياه متدفقة ومزارع نظـــرة ومن تلك المـــدن والقـــرى « ثيقجدا » و « البويرة » و « الاخضرية » و (بنى عمران) و « يسر » و « برج منائل » و (تادميت) و « ذراع ابن خده » •

وفى خلال مرورنا بالسهل كان البحر الابيض عن الشمال والجبال عن الجنوب وبينهما السهل كصدر من زبرجد بين ذراعين ذراع الشمال من مياه وامواج وذراع الجنوب من جبال متجلببة قطيفة خضرى متمنطقة بالسحب منظر بحق خلاب • أرض خضراء منضدة بالقرى والقصور

وسماء زرقاء تحجبها كثير من السحب المتمنطقة للجبال الشامخة برسوخها وقممها وحلتها السندسية وبحر لجى تنطبع على صفحته خضرة الارض وحيويتها وزرقة السماء وبروق سحبها ، وقد اجتذبتنا هذه المناظر الى وقفة على شاطىء البحر الابيض لم ننفلت منها الا حين وافى الليل فحلت نجوم السماء محلنا فقد اخلينا لها البحر وشاطئه وعدنا الى تيزى وزو ، لنودعها ولها وللجزائر فى مشاعرنا ووجداننا اثر لا يمحى وانا لنرجو ان يحقق الله الآمال فيعيد الى الامة الاسلامية وحدتها وعزتها وخلافتها وقيادتها للعالم على منهج الشريعة السماوية وعدالتها الاجتماعية ·

وسبحان الله وبحمده وصلى الله على محمد وآله وصحبه ·

ثم استرسلت الجــريدة فى سرد التوصيات التى اسفر عنها الملتقى ، والتى ذكـرت فى بابهـا « توصيات الملتقى » من المجلد الرابع ـ فاكتفينا بذلك عن نشرها مرة أخرى ·

الهادي في
الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

نشرت المجلة الاسلامية الايرانية « الهادى » فى عددها الرابع ـ السنة الثانية ـ عرضا وافيا عن الملتقى بقلم السيد « هـــادى الخسروشاهى » نقتطف منه مايلي :

تلقينا دعوة كريمة من (وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى الجزائر) للاشتراك فى الملتقى العالمى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى • وقد انعقد المؤتمـــر فى يوم 10 جمادى الثانية 1393 هـ الموافق 10 تموز 1973 ولمدة اثنىعشر يوما،وحضرته مندوبا عنالحوزة العلمية فى قم المقدسة ، ومبعوثا من اسرة مجلة (الهادى) الغراء •

وقد انعقد المؤتمر هذا العام فى مدينة (تيزى وزو) التى تبعد بمقدار 120 كم عن الجزائر (العاصمة) وفى قاعة معهد التكنولوجيا العالي ، وقد حضر جلسات المؤتمر المتتابعة ما يقرب من 1500 شخص

يشكل ما يقرب من مائتى شخص منهم العلماء والمفكرون والشخصيات الاســـلامية اللامعة والاساتذة المشهورون فى الاقطار الاســـلامية المختلفة فى حين يشكل القســم الاكبر منهم الطلاب الجامعيون فى الجزائر والذين اختيروا للحضور بالقرعة . وبالطبع فان عقد هذا المؤتمر فى الجزائر سنويا يهدف بالاضافة الى العرض العام للافكار الاسلامية التى يحملها علماء اجلة ومفكرون لهم سابقة فى الدعوة ومناقشة هذه الافكار ، بالاضافة الى ذلك فانه يهدف لتعريف الشعب الجزائرى وخصوصا الجيل الشاب المثقف والطلاب الجامعيون بذلك وصولا الى الثقافة الاسلامية المركزة والاصيلة ، ويمكننا ان نتبين اهمية ذلك اذا لاحظنا ان الجزائر المسلمة كانت ترزح وخلال 130 سنة تحت نير الاستعمار الخارجى الذى حمل فيما حمل مهمة الاستعمار الفكرى ، والتبشير المسيحى ، ومع ان الجزائر كانت قد اكدت رغم كل الظروف على شخصيتها الاسلامية وقاومت كل حبائل الاستعمار وحاربت مخططاته ولكن ورغم كل ذلك كان الاستعمار قد ترك بعض الاثار غير المرغوب فيها من تشويش فكرى وايجاد جهل متعمد وغير ذلك ، وعندما استقلت الجزائر رافعة علمها بيد مخضبة بدم الجهاد واجهت بعض المشاكل الاجتماعية وبعض سوء الفهم للاسلام ممــا دفــع المسؤولين فى الجزائر لان يطرحوا تلك المشاكل فى مثل هذه المؤتمرات محاولين حلها على حسب الموازين الاسلامية .

وعقيدتى الشخصية فى المجتمع الجزائرى واكثريته الساحقة هى ان الاستعمار والتبشير المسيحى لم يستطع ان يؤثر بعمق فى الآداب والعادات الاسلامية والبرامج الحياتية ، ومع غض النظر عن الامور التى نلاحظها كظواهر غريبة فى كل العواصم الاسلامية او عطلة يوم الاحد محل يوم الجمعة ومن قبيل ذلك فان الجزائر حافظت وبكل رجولة على روحها الاسلامية .

واختتم الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى اعماله بعــد ثلاثة عشر يوما اضيف اليها يومان للتجول والسياحة عبر جبــال القبائل ومدنها وقراها وقد تناولت الدراسات والمناقشات والمحاضرات خمسة مواضيع رئيسية توزعت عليها خمس لجان متفرعة عن الملتقى (وقد اشتركت فى اللجنة الثالثة للتبشير) والخامسة (الاعــلام) واعدت التوصيات النهائية بشأنها . وقرئت فى الجلســة الختامية يوم الاثنين بعد ختام كلمات الوفود وقد تحدثت آنذاك بحديث مختصر بصفتى ممثل الجامعة الاسلامية فى قم مهنئا باسم إمام الجامعــة

واساتذتها وطلابها بالجهود التى تبذلها جزائر الثورة فى سبيل احياء الشريعة الاسلامية وتطهير المجتمع من الافات ثم القى الاخ مولود قاسم كلمة الختام وشكر فيها الاساتذة والعلماء الذين تحملوا المتاعب فى سبيل المشاركة فى الملتقى ثم تعرض الى التوصيات فقال « ان هذه التوصيات تتخذ للمرة الاولى فيما نعلم على مستوى العالم الاسلامى واننا لنرجو من متابعة تنفيذها العلاج لكثير من امراض مجتمعاتنا الاسلامية والانطلاق من جديد نحو تدارك ما فات واسترجاع ما فقد وتحقيق المجتمع الفاضل الذى تسعى اليه الانسانية كلها ويحثنا عليه الاسلام » .

ثم اكد انه رغم اجتماعات العلماء المسلمين فى عواصم مختلفة من عالمنا الاسلامى الواسع فانه لاول مرة ربما فى العصر الحديث يجتمع رجال من سائر المذاهب الاسلامية فى صعيد واحد لتبادل وجهات النظر حول المصير الواحد للامة الواحدة ثم اضاف « فهنيئا يا تيزى وزو بما اتيح لك ان يتلاقى فيك السادة المالكية والزيدية والشيعة والحنفية والشافعية والحنابلة ، ولم يخلف لك احد الميعاد بل جاء كل منهم بحسن النية ووافر الزاد وكنت لعلماء الاسلام المجمع والمسجد الجامع ، لقد تباحثوا فى ربوعك بشؤون الشريعة الواحدة واتفقوا على ضرورة ارجاع الامة بها الى الطريق المستقيم الواضح المعالم على هدى النقل والعقل وحصنوا البنيان بالاركان وجعلوا السقف يحمى الديار ويقيها من العار والدمار وتركوا بهذا الشرط باب الاجتهاد واسعا مفتوحا » ، وهكذا انتهت جلسات هذا الملتقى الاسلامى العامر بالفكر البناء والحرف الرسالى المقدس فنرجو له ان يتحقق فى كل عام فيقدم للامة نتاجه المعطاء الذى يتحول الى سراج وضاء ينير للامة دربها اللاحب .

نبذة تاريخية عن ولاية تيزي وزو

للأستاذ المهدي البوعبدلي
عضو المجلس الإسلامي الأعلى وبمائة - الجزائر

هذه الولاية تشمل معظم القبائل الكبرى أى ما يسمى ببلاد زواوة ، وهى على تقسيمها الحالى تحدها من الشرق والجنوب الشرقى ولاية سطيف ، وغربا ولاية عاصمة الجزائر وبعض ولاية لمدية (التيطرى) وجنوبا ولاية لمدية (التيطرى) ، وشمالا البحر الابيض المتوسط .

جوانب من تاريخها الجغرافى

يرجع تاريخ تقسيمها الجغرافى الى عهد الرومان ، فالرومان الذين حكموا بلاد افريقيا الشمالية بتمامها (المغرب العربى) من ثلاثينات القرن الاول المسيحى الى تسعينات القرن الثالث منه قسموا البلاد الى أربع دول :

الاولى : افريقيا وكانت تطلق على الجمهورية التونسية الحالية وعاصمتها اذ ذاك قرطاجنة ·

الثانية : نوميديا وكانت مساحتها تمتد ما بين طبرقة ووادى بجاية وعاصمتها سيرتا (قسنطينة) ·

الثالثة : موريطانيا القيصرية « السيزارية » من وادى بجاية الى الى وادى ملوية ـ حدود المغرب ـ وعاصمتها شرشال ·

الرابعة : موريطانيا التنجيتاتية (Mauritanie Tingitane) وهى المملكة المغربية الحالية وعاصمتها طنجة ·

كانت هذه الناحية أى بلاد القبائل تابعة فى أول عهدها الرومانى لنوميديا وكان حاكمها ماسنيسا يتمتع بالاستقلال الداخلى وبعد ثورة يوغرطة حول حكمها الى موريطانيا السيزارية (شرشال) بدلا من نوميديا وصارت تحت حكم روما المباشر بدلا من الاستقلال الداخلى ·

كانت بلاد القبائل قطعة من قبيلة كتامة الممتدة من دلس الى القالة وبعد تداول الدول الفاطمية ثم بنى زيرى وانتقال عاصمة الحماديين من القلعة الى بجاية بقيت بلاد القبائل تابعة لحكم بجاية فى عهد الحمادين ثم فى عهد الموحدين فالحفصيين وفى أواخر العهد الحفصى احتل الاسبان بجابة وذلك فى سنة 917 هـ الموافق لـ 1510 م ، فعندئذ تكونت فى بلاد القبائل دولتان أو امارتان ، القبائل الصغرى وكان يتداول حكمها آل المقرانى وكانت قاعدتها قلعة بنى عباس ثم مجانة ، والامارة أو الدولة التانية دولة آل ابن القاضى وكانت تحكم بلاد القبائل الكبرى وقاعدة الحكم جبل كوكو ، كان مؤسس هذه الدولة الشيخ أحمد بن القاضى الزواوى قاضى بجاية فى عهد الحفصيين ولعب دورا خطيرا حيث كان المتسبب فى احتلال عروج وخير الدين للجزائر وطرد الاسبان · والمؤرخون متفقون على هذا الا أنهم اختلفوا فى كيفية الاتصال فمنهم من قال بانه كاتب الخليفة العثمانى عندما رأى البلاد مهددة بالخطر الصليبى والحقيقة انه سهل على عروج لما كان بجيجل الدخول الى العاصمة ـ الجزائر ـ وكان معه سالم بن التومى الثعالبى أميرها اذ ذاك ولما احتل الاتراك الجزائر أساءوا به الظن وبرفيقه سالم بن التومى ، فقتل عروج سالم بيده ، وتحارب

مع احمد ابن القاضى الى ان قتل فى بعض المعارك بتنية بنى عائشة ٠ ان ابن القاضى كانت بينه وبين جيرانه آل المقرانى منافسة الجوار ، ولما صهر الاتراك المقرانى وكانوا يستعملون سياسة التفرقة ، أوقدوا نار الفتنة ، واتهموه بموالاة الاسبان ، فكانت الحرب التى لقى فيها حتفه ، وتوارث حـــكم الامارة بعده افراد اسرته الى أواخر العهد التركى ، بخلاف ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن الامارة ذهبت مع مؤسسها ، وهذا الحسين الورتلانى (1125 ـ 1193) ذكر فى رحلته انه لما وصل الى جامع الصهاريج بالقبائل الكبرى قال (ونزلنا عند المعظم سيدى محمدبـن القاضى الشريف سلطان زواوة وعاهدنا (1) على الحج ومشى معنا ثم مات رحمة الله عليه بعد خروجنا من المدينـة المشرفة ودفن بباب الينبع فى شهر محرم سنة 1180 » ٠

كان الحكم التركى ببلاد القبائل صوريا وكثـــيرا ما كان الاتراك يكتفون بتعيين بعض القـــواد وفرض الضرائب الرمزية وفى الحقيقة كانوا هم الذين يسترضون بعض القبائل بالعطايا ، ومن ذلك ما ذكره المؤرخ مرسى Mercier فى كتـــابه : « تاريخ افريقيـــا الشمالية » Histoire de l'Afrique septentionale

قال : « وفى صيف 1823 ثار قبائل بنى عباس واحتلوا البيبان (الممر الرئيسى بين الجـــزائر وقسنطينة) ومنعوا الجيش التركى من المرور ، وذلك لسبب أن باى قســـنطينة تعهد لهم بدفع خمسمائة كبش سنويا ، وتأخر فى تلك السنة عن موعده ، فثاروا على الاتراك ودامت هذه الثورة ما يقرب من سنتين هاجم اثناءها قبائل بنى عباس بجاية وقتلوا واليها « لجبر يطول » كان سكان هذه المنطقة باتفاق معظم المؤرخين اباة الضيم يثورون المرة بعد المرة على الحــكام كيفما كانت اجناسهم ودياناتهم ونظام حكمهم ، اعترف لهم الفينيقيون بالاستقلال الداخلى طيلة عهدهم (2) ، وتقربوا الى رؤسائهم بالمصاهرة

---

(1) ان الورتلانى لما عزم على الحج عقد رحلة الى القبائل الصغرى والكبرى ليدعو الناس الى الحج حسب العادة المتبعة اذ ذاك ٠

(2) ذكر ذلك بتفصيل المؤرخ ستيفان غسيل Stephane Gsell فى تاريخه الذى خصصه للامارات البربرية بين عهدى قرطاجنة وروما

وكذلك الرومانيون في أوائل عهدهم ، الا انهم بعـــد ثورة برغرطة نكصوا على اعقابهم ، واستبدلوا الاستقلال بالحكم المباشر . ولهـــذه الاسباب ثاروا عليهم عندما اتيحت لهم الفرصة للانتقام .

لم يشر أى مؤرخ الى هذه الثورات التى وقعت ابتداء من سنة 253م ودامت الى سنة 260 ، ثم من سنة 290 الى ســنة 297 م وتعرض لهـا مؤرخو العهد الرومانى منهم كاط فى كتابه تاريخ الشمال الافريقى (E. CAT., Professeur de l'École Supérieure d'Alger).
ج 1 ص 85 قال «ان البرابرة اغتنموا فرصة خلافات حكـام رومـا فثاروا عليها سنة 253 وكانت ثورة خطـــيرة ، وان لم يتحـدث عنها المؤرخـــون الا ان نقوش الحفريات التى عثـــر عليها فى عدة جهات خصوصا فى حفريات سور الغزلان ومدينـــة«تازولت لامبيز» دلتنا عليها ، فمن جملة الثوار نجد سكان جبال بابور الذين كانوا يسمون بابار (Babares) وسكان جبال القبـــائل الكبرى الذين كانوا يسمون : (Quinquegentiens) كانكوحونتيان ثم ذكر قبائل اخرى فقال « ان هؤلاء الثوار كان يقودهم أربعة رؤساء يسمون ملوكا وكان الثائرون من القبائل الكبرى والصغرى فقصدوا مدينـة سور الغزلان وبعد حصارها قاومهم (Q. Gargilius Martialis) قائد البلدة فانهزم الثـــوار وعلى رأســـهم القائد البربرى فراكس (Farax) ثم تابع قائد السور (Martialis) ســيره نحو جبال بابور ليلتقى مع زميله ماكرنوس دسيانوس (Macrinus Decianus) رئيس نوميديا ، الا انه لم يصل اليه ، فقتله الثوار فى معركة وكان هؤلاء الثوار راجعين من تخريب ميلة » الخ ثم تجددت هذه الثورة بعد سنوات اى سنة 290 ولم تنته طيلـة سبع سنوات الى أن جاء امبراطور روما نفسه لمحاربة القبائل الكبرى

وقد سجل هذا الانتصار بنصب تذكارى وجد فى حفريات كنيسة بجاية بعد الاحتلال الفرنسى . ثم تعرض كاط الى التقسيم الادارى الذى وقع اثر اخماد نار الثورة وختم حديثـــه فى الموضوع بقـــوله : (الامبراطورية الرومانية كانت تحس انها مهددة فى كل جهة من البربر ، وقد بذلت نهاية الجهود لانقاذها من الخراب العاجل) وهذا نص مقاله :

(L'Empire romain se sentait partout menacé par les Berbères et on faisait les derniers efforts pour le sauver d'une ruine imminente).

كان الرومانيون في عهدهم خططوا طرقا كتب لها الخلود ، فمن ذلك الطرق التى تشق القبائل الصغرى والقبائل الكبرى ثم قبائل الحدره ٠

كانت هذه المنطقة فى أواخر العهد التركى وفى أوائل عهد الاحتلال الفرنسى تعرف بهذا التقسيم :

القبائل الكبرى ــ ولاية تيزى وزو الحالية

القبائل الصغرى ــ وادى بجاية

قبائل الحدرة من حبال بابور حيث توجد ايكجان ــ مركز انطلاق الدعوة الفاطمية ودولتها ــ ببنى عزيز قرب مدينة جميلة الاترية ، وتمتد الى الميلية وجيجل وبعض أهلها ينتمون كبقية القبيلتين الى العنصر البربرى الكتامى الا أنهم تعربوا بخلاف القبائل الصغرى والكبرى فقد احتفظوا بلغتهم الاصلية ٠

فالطريق التى كانت تربط بين بجاية ودلس وتشق بلاد القبائل الكبرى اذ تمر على قصر كبوش فحامع الصهاريج فتورقة ثم دلس ، هى التى بقيت فى العهد الاسلامى تمر عليها الفوافل ، وآخر من سجل المرور على بعض مدنها الرحالة الورتلانى حوالى 1180 هـ ٠

كما تحدث الرحالان الشهيران البكرى والادريسى على الطريق الساحلى ومدنها كما سنبينه ٠

ثم الطريق التى تشق القبائل الصغرى أى من بجاية الى سور الغزلان وتمر على تيكلات ، آقبو ، مشدالة ، سور الغزلان فانها بقيت مستعملة الى أن جددت فى العهد الفرنسى والثالثة التى تشق قبائل الحدرة وهى المعروفة الآن بالطريق الساحلية التى تربط بجاية بجيجل وتمر على زيامة المنصورية ٠

ذكر الادريسى الطريق الساحلية التى تربط عاصمةالجزائر ببجاية فقال : « من الجزائر الى تامدقوس شرقا 18 ميلا ومن تامدقوس الى مرسى الدجاج 20 ميلا ٠٠٠ ومدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر ، لها

حصن دائر ، وبشرها قليل ، وربما فر عنها أكثـــر أهلها فى زمن الصيف خوفا من قصد الاساطيل اليها (كالنورمانيون ملوك صقلية كانوا يشنون الغارات على السواحل اذ ذاك) ولها مرسى مأمون ولها أرض ممتدة وزراعات متصلة ، واصابة أهلها فى زرعهم واســعة ، وحنطتهم مباركة ، وسائر الفواكه ، واللحـــوم بها كثيرة ، وتباع بالثمن اليسير ، والتين يحمل منها شرائح طوبا ومنثورا الى ســائر الاقطار ، وأقاصي المدائن والامصار ، وهى بذلك مشـــهورة ، ومن مدينة مرسى الدجاج الى مدينةتدلس 24 ميلا وهى على شرف متحصنة لها سور حصين وديار متنزهات وبها من رخص الفواكه والاســعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله ، وبها الغنم والبقـر موجود كثيرا ، وتباع جملتها بالاثمان اليسيرة ، ويخرج من أرضــها الى كثير من الآفاق ومنتدلس الى مدينة بجاية فى البـــر 70 ميلا وفى البحر 90 ميلا (1) .

وقد وصف قبله زميله ابو عبيد البكرى (المتوفي ســـنة 487 هـ الموافقة لـ 1094 م) فى كتابه « المســـالك والممالك » بعض هذه النواحى التابعة لولاية تيزى وزو الحالية ، فذكر الطريق التى تربط بين أشير ـ عاصمة زيرىبن مناد وولده بلكين ـ ومرسى الدجاج وتمر على حمزة (البويرة) فقال : « حمزة ، وتعرف بسوق حمزة ، وهى مدينة عليها سور وخندق ، وبها آبار عذبة ، وهى لصـــنهاجة وكان نزلها حمزة بن الحسين بن سليمان بى الحسين بن على بـن الحسن بن على بن أبى طالب (منها) الى بنى جناد وهى مدينة صغيرة على جبـــل بينها وبين البحر نحو ميل ، ومنها الى مرسى الدجاج » .

وقد قال البكرى فى أول تعريفه لمدينـــة حمزة ما يلى : « وهناك مدينة تسمى حمزة . نزلها وبناها حمزة بن الحسن ... والحسن بن على هو الذى دخل المغرب، وكان له من البنين حمزة هذا . وتسير من حمزة الى بلياس وهى فى جبـــل عظيم ومن بلياس الى مرسى الدجاج ومدبنة مرسى الدجاج قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح ، وقد ضرب سور من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، ومن هناك يدخل اليها،

(1) من كتاب نزهة المشتاق للادريسى (548 هـ 154 م) .

وأسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور ، له باب واحد ، ولها مرفأ غير مأمون لضيقه ، وقرب قعره ، وبها عيون طيبة يسكنها الاندلسيون ، وقبائل من كتامة (وهذا دليل على أن كتامة كانت تمتد من القالة الى دلس وتجاوز دلس الى مرسى الدجاج التى أظن انها رأس ماتيفو Cap Matifou وبشرقيها مدينة بني جناد وهي أصغر منها » ·

وقال البكري فى موضع آخر بعد أن ذكر مرسى الجزائر وسماها جزائر بنى مزغنى قال « مرسى الدجاج وهو صيفي ويليه مرسى مدينة بجاية ازلية آهلة عامرة بأهل الاندلس بشرقيها نهر كبير ، تدخله السفن محملة وهو مرسى مأمون ·· ومرسى بجاية هو ساحل قلعة ابى الطويل (قلعة بنى حماد) وعلى هذا المرسى فى تلك الجبال قبائل كتامة وهي شيعة يكرمون من مال الى مذهبهم ويبرون من وافق اعتقادهم ثم يلي مرسى بجاية سببية وعلى مرسى سببية فى جبل كتامة عين الاوقات (وقد ذكر غرائب لهذه العين) ·· ثم قال ·· ومن هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل الى افريقيا وغيرها وبهذا الجبل حجر اللازورد الطيب » ·

ثم نجد فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى الرحالة الحسين الورتلانى يذكر كثيرا من المدن والقرى التى مر عليها بعد ان غادر مسقط رأسه ، فمر على تمقرا ، ثم قلعة بنى عباس ، ثم بوجليل فأولاد سيدى بهلول ، فبنى منجلات ، وبنى يترون ، وبنى عيسى ، فدلس ·

وعند رجوعه من دلس مر على بنى فراوسن وذكر أنها بلاد ابن معطى النحوى صاحب الالفية الذى عناه ابن مالك فى الفيته حيث قال : (فائقة الفية ابن معطى) ثم جامع الصهاريج (وفى جامع الصهاريج ذكر الورتلانى انه نزل عند محمد بن القاضى سلطان زواوة) ثم مر على بنى بوشعيب ، وبنى يحيى ، وورجة ، ثم تمقرا ، فبنى ورتلان ·

هذه فى الجملة الخطوط الرئيسية لتاريخ ولاية تيزى وزو عبر تاريخها الفنيقى والرومانى والاسلامى قبل الاحتلال الفرنسى ·

ان احتلال هذه المنطقة تأخر الى أن انتهت مقاومة الامير عبد القادر أي في 23 ديسمبر 1847 ·

فعندما ألقى الامير السلاح ، كانت فرنسا تهيمن على بلاد الجزائر بحدودها الحالية ، من المغرب الى تونس ، ما عدا بلاد القبائل :الكبرى والصغرى وقبائل الحدرة ، أي ما بين سهول متيجة غربا ، ومرفأ القل شرقا ، ومرتفعات مجانة وسطيف جنوبا ·

كانت الحكومة الفرنسية مترددة في الاذن لقادة جيشها على شن هذه الحرب ، اذ كان جل جيشها بحروب شبه جزيرة القرم Crimée في البحر الاسود في آسيا ، ولم تأذن لهؤلاء القادة الا بعد رجوع الجيش ، فدامت حرب القبائل من سنة 1849 الى 1857، اختار الجيش الفرنسي بعد حصوله على موافقة الحكومة على الحرب ، اسهل المناطق الثلاث ، وهي منطقة قبائل الحدرة ، فهاجمها الكولونيل سانطارنو Saint Arnaud وكانت ميادين القتال ما بين ميلة وجيجل ورغم الجهود التي بذلت فقد باء بالفشل الذريع ، وانسحب الجيش الفرنسي ، وبقيت الحالة على ما كانت عليه ، الى أن عين الماريشال راندون Randon واليا عاما بالجزائر من سنة 1851 الى سنة 1858 ، وفي تلك الاثناء ظهر في بلاد القبائل الثائر الشهير الشريف بوبغلة وقتل كثيرا من القواد الذين عينتهم (1) فرنسا اختارت فرنسا الماريشال راندون Randon لانه قضى مدة قائدا عسكريا بالجزائر أي ابتداء من سنة 1838 ثم انه تولى ادارة الشؤون السياسية بوزارة الحرب التي كانت الجزائر تابعة لها ثم تولى وزارة الحرب سنة 1850 وقد هيأ خطة لفتح بلاد القبائل والقضاء على الثائر الشريف بوبغلة وبمجرد وصوله الى الجزائر سلك طريق روما فابتدأ بتخطيط وتعبيد الطرق فأحيا

---

(1) كانت فرنسا اتصلت ببعض القبائل واقرتهم على تعيين رؤسائهم قواد واغوات وامناء الا ان هذا التعيين كان صوريا ولقى معارضة من جل القبائل المتمردة والمعارضة لتدخل الفرنسيين في شؤونهم ·

الطريق الرئيسية الرابطة بين بجاية ودلس ، ثم طريق ما بين مدينة سور الغزلان وسطيف فبجاية ، وعندئذ هاجم قبـــائل الحدرة ثم القبائل الصغرى ، ففضى على المقاومة بهما ، وقد كان سبقه للهجوم على القبائل الصغرى سلفه المارشال بيجو الذى هاجم سنة 1844 قبائل بنى عباس فأحرق دورهم ، وقطع اشجارهم ، الا انه لقى مقاومة ألزمته الانسحاب ، قضى راندون على المقاومة بالقبائل الصغرى ، وبقبـائل الحضرة ، وتتبع خطته الجهنمية فى القبائل الكبـــرى وكان الشريف بوبغلة ظهر حوالى سنة 1850 بالقبائل الكبرى ثم هاجم بجاية سـنة 1851 وبعد انتقاله الى وادى سيباو حاربه الماريشال راندون والماريشال Pelissis والجنرال بوسكى Bosquet فرجعوا بخـفي حـــنين ثـم استشهد بوبغلـة فى معركـة بسيطـة مـع السكان بضواحى تازمالت لجبر يطول وذلك سنة 1854 وفى هجـومات الوالى العام راندون على القبائل الكبرى ظهرت المقاومة العنيفة لاول مـرة فى تاريخ حرب الجزائر لم تسبق مشـــاهدتها للجيش الفرنسى ، فبهرته ، ولما بحث عنها وجدها فرقة المسبلين ، وكتب عن نظامها كثير من قادة الجيش ، وصرح واحد منهم فى مذكراته وتقاريره الرسمية لرؤسائه ان شعبا يوجد فيه مثل هذا النوع من المقاتلـين ينبغى ان يقرأ له ألف حساب ، وللذين كانوا يدعون الى اتخاذ الاســـتعمار الانكليزى لبلاد الهند مثلا يقتدى به قال الجنرال هانوطو : « ان الامة الجزائرية التى يوجد فيها مثل هـــذا النوع من المقاتلين لا ينبغى ان نغتر ونشبهها بالهنود » كما بهرت الجيش الفرنسى وعلى رأسه الوالى العام راندون ، المجاهدة للا فاطمة نسومر ، اذ هى التى كانت تحرض المسبلين والسكان على المقاومة بحيث ان جل من كتب على مقاومة بلاد القبائل الكبرى ذكروا ان المقاومة خفت من وطأتها بل انتهت ، عندما وقعت للا فاطمة نسومر فى قبضة الفرنسيين أسيرة ·

ففى هذه الحرب وبعد القاء القبض على الزعيمة للا فاطمة احدثت مدينة تيزى وزو وبنى فيها حصن عسكرى وذلك ســـنة 1856 كما احدث حصن آخر بسوق الاربعاء لبنى يراثن سمى بحصن نابليون ثم صار الحصن الوطــــنى (Fort National) بـعـد انتـــهاء

مقاومة بلاد القبائل الكبرى حوالى سنة 1857 فرضت فرنسا ضريبة مالية فادحة على السكان واخذت منهم رهائن الا أنها أبقت نظمهم الداخلية التى جرى العمل بها عندهم منذ قرون منها انتخاب المجالس البلدية والعمالية وتعيين الامناء وأمناء الامناء والعوائد فى كثير من الاحكام وما الى ذلك .

الاحكام وما الى ذلك (1) .

التقسيم الادارى لولاية تيزى وزو

وقع هذا التقسيم بقرارين حكوميين الاول مؤرخ فى منتصف نوفمبر 1851 بالنسبة الى منطقة ذراع الميزان ، والثانى مؤرخ فى أوت 1854 بالنسبة الى منطقة دلس ، وهاتان المنطقتان هما اللتان كانتا تشملان معظم قبائل زواوة الذين تتكون منهم ولاية تيزى وزو الحالية وقد بقيت قبائل أخرى اضيفت اذ ذاك الى مناطق برج بوعريريج كبني مليكش وغيرها .

منطقة ذراع الميزان

كانت تشمل مجموعة قبائل قشتولة : فريقات بنى اسماعيل ، بنى كوفى، بنى منداس، بنى بوغردان، بنى بوغدو، مشت راس ايغيل ايمولا ، الشرقة الخ ثم قسمة جرجرة التى كان يطلق عليها فى العهد التركى (باشا غاليك جرجرة) وتشمل بنى صدقة التى كانت بدورها تشمل قبائل بنى بوشناشة ، اقدال ، أولاد على ، أويلول ، بنى رقان ، بنى شبالة ، بنى أحمد ، تاقمونت الجديد ، ثم مجموعة زواوة أو اتحادية قرى زواوة (Confédération) وهى تشمل قبائل بنى ينى ، بنى وسيف ، بنى بوعكاش ، بنى بودرار ، بنى منقلات ، بنى عطاف ، بنى بويوسف ، ايليتن الخ . ثم جنوب جرجرة الشرقى بنى قانى ، بنى أوعكور ومشدالة .

---

(1) ذكر هذا التقسيم الكولونيل Laoust فى مذكراته المسماة : « مذكرات ووثائق متعلقة بثورة القبائل الكبرى (1846 — 1857 »
(Notes et Documents concernant l'insurrection de 1856-1857 de la Grande-Kabylie).
طبع جوردان بالجزائر 1902 .

وكانت تشمل ما كان يعرف فى العهد التركى ببشـاغاليك وادى سيباو : عمراوة ، بنى خليفة ، بترونة ، معاتقة ، بنى عيسى بنى دوالة ، بنى واقمون فليسة البحر ، العزازقة ، بنى يتـورغ ، بنى فراوسن ، بنى يرائن ، بنى ثور ، تاورقة ، يسر ، بنى يجر ، وكانت مدينة تيزى وزو (I) ـ مركزا عسكريا ـ تابعة لمنطقة دلس ، هذه فى الجملة القبائل التى تتكون منها هذه الولاية وقد اشتهر الكثير منها فى مختلف مراحل العهود الاسلامية بمراكز علمية ما زالت منـها بقايا الى يومنا هـذا تحتفظ بقوانينـها الداخليـة التى أثارت اعجاب المتخصصين فى بحوث تطور التعليم فى العالم وذلك كمعهد اليلولى واحمد بن ادريس وغيرها ، ومن يجهل اليوم من رجالات العـلم فى مختلف بلاد العالم الاسلامى اسماء لامعة كالمشـذالى ، واليتورغى ، والمنجـلاتى ، والغبرينى ، واليراتنى ، والفراوسنى ، واليليتنى وغيرهم فأسرة المشـذالى انجبت كثيرا من كبار العلماء أبو القاسم المشذالى وولده أبو الفضل الذى انتقل الى دمشق وملأ ذكره الدنيا ، وترجمه تلميذه السخاوى فى« الضوء اللامع فى بيـان علماء القرن التاسع » كما ترجمه جلال الدين السيوطى ، وناصر الدين المشذالى الذى احدث ثورة ثقافية فى عهده ، تطور بسببها الفقه المالكى وماشى عصره ، ونفى عنه الجمود الذى كان يتهم به رجاله ، وقد خصه العالم الشيخ الفاضل ابن عاشور قبل وفاته بدراسة قيمة نشرها فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، والمنجلاتى الذى اخذ عنه ابن زاكور الفاسى وجاوره سنين وترجمه فى كتابه القيم : « نشر ازاهر البستان فيمن اجازنى بالجزائر وتيطوان » وقد جدد طبعه أخيرا بالقصر الملكى فى المغرب ، كما اشتهر كثير من أفراد اسرة المنجلانى وأسرة الغبرينى ومنهم أبو العباس احمد الغبرينى صاحب « عنـوان الدراية » الذى ترجم لكثير من علماء زواوة واشـتهرت اسرة الغبرينى بكثـير من

(I) وانما اختيرت قاعدة الدائرة ثم الولاية لموقعها الجغرافى ،الذى جعلها وسط القبائل خصوصا وان دلس التى كانت قاعـدة منقطعة ومنعزلة .

أفرادها توارثوا العلم واستوطنوا تونس وعبد الرحمن الوغليسى (I) المؤلف الشهير وتلميذه عبد الكريم اليتورغى وقد اشـــــتهرت بلاد القبائل بأنها حافظت على علم القراءات الى العهد الاخير أى القـــرن الحادى عشر وكانت هذه القراءة مشهورة بقراءة زواوة ، وقد شـــد الرحال العالم المقرىء أبو العباس احمد برناز الحنفى التركى الاصل التونسى البلد شد الرحال الى بنى وغليس للاخذ والرواية عن احـــد كبار المقرئين من تلامذة الشيخ عبد الرحمن اليلولى وذكر فى فهرسته انه فى مدة اقامته ببنى وغليس اجتمع عند شيخه بشبح شيخه عبد الرحمن اليلولى ، فحقق تاريخ وجود عبـــد الرحمن البلولى وحدده ، توفى احمد برناز هذا بتونس سنة 1138 هـ وترك عــدة تآليف كما اشتهرت بالقبائل الكبرى زيادة عن القرى المذكورة قرية كانت من أعظم المراكـــز العلميـــة وهى قرومة بدائرة الاخضرية قيل انها من مؤسسات اللاجئين الاندلسيين وقد انجبت كثيرا من العلماء كما حـــل بها أفراد من أسرة المقرى التلمســـــانى توارثوا العلم فيها الى عهد الاحتلال الفرنسى ولم يفارق العلم هذه النواحى ، فقد هاجــــر بعد الاحتلال الفرنسى ثلة من علماء زواوة الى دمشــــــق صحبة المجاهد الشيخ المهدى السكلاوى اليراتنى ، وقد كان من حسن الحظ ان حظوا بتراجم من معاصرهم الشيخ عبد الرزاق البيطار 1253 هـ ــ 1335 هـ فى تأليفه القيم (حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر) اقتطفنا منه بعض الفقرات لنستدل بها على ان كثيرا من الباحثين يجازفـــون فى أحكامهم على ذلك العهد ويبالغون فى وصمه بالانحطاط وضعف الثقافة الخ • قال البيطار فى ترجمة المهدى السكلاوى اســــتاذ ابن الحداد بطل ثورة 1871 قال « وقد اخذ عنه كبراء دمشــــق وعلماؤها وحكامها وفضلاؤها واخذ عنه الوزيرالكبير والمشير العظيمالخطير احمد عزت باشا والى دمشق اذ ذاك (هذه الحظوة لم ينلها الامير عبد القادر مع غزارة علمه وسمعته فى الجهاد الطويل) ، وكان رفيقه فى الهجرة تلميذه صالح السمعونى (1240 ــ 1285 هـ) وهـــو من بنى وغليس

(I) قد نقل فتاويه صاحب « الدرر المكنـــونة فى نوازل مازونة » والونشريسى فى « المعيار »

قال فى ترجمته البيطار : « له منظومة فى الفقه المالكى وحشاها ، ثم شرح الرسالة فى علم الميقات قد جمع فيه ما نشرته يد الشتات ، وله تاريخ على طريق الرمز والايماء والاشارة ، وصل فيه لقدوم محمد رشدى باشا ... وله فيه اسلوب عجيب وطربق نادر غريب ، وكان صالحا تقيا ، وفالحا نقيا ، رفيع المقام ، وافر الاحترام » الخ .. كما كان من جملة المهاجرين من بلادالقبائل محمد المبارك الدلسى حفيد المهدى السكلاوى وغيرهم ، وكان لصالح السمعوتي ولد اشتهر فى المشرق والمغرب وهو الشيخ طاهر الجزائرى المولود سنة 1268 هـ وقد ترجمه كثير من العلماء كصديقه احمد تيمور باشا فى كتابه « اعلام المغرب » والمستشرق هنرى لاوست (1) Laoust وتلميذه العالم السلفى الشهير محب الدين الخطيب المتوفى أخيرا نقتطف منها بعض الفقرات لان الرجل أحق بالعناية وقد كان بارا لوطنه (الجزائر) فقد زارها قبل الحرب العالمية الاولى وزار معالمها وكان يتكلم القبائلية الاصيلة ، قال محب الدين الخطيب فى مقال عنوانه : « شيخى » نقلته مجلة الشهاب بعددها المؤرخ فى جمادى الاولى 1356 الموافق ليوليو 1937 : « هو الذى ربى عقلى ،وهو الذى حبب الى هذا الاتجاه الفكرى، منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ، ولا اعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ فى ديار الشام الا وقد كانت له صلة بهذا المربى الاعظم ، واستفاد من عقله وسعة فضله ، أما مباشرة أو بواسطة الذين استفادوا منه ، وكل الذين جاهدوا هناك لاجل الحرية ، وفى سبيل المعارف ولاحياء علوم السلف ، ولاعادة مجد العروبة والاسلام ، انما كانوا من اخوانه وهو واسطة عقدهم ، ورأس مجالسهم ، أو من طبقة تلاميذه ، وهو مضرب الامثال عندهم فى كمال عقله وسعة اطلاعه التى لا حد لها »..
الى أن يقول .. « وأهم كتب السلف النافعة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه ، وانا وكل من نشر لسننا الا قطرة

---

(1) نشر هنرى لاوست هذا بحثا قيما فى مجلة « المجرب الجديد » المؤرخ فى ربيع 1354 — 1935 التى كانت تصدر بتطوان تحت عنوان « الحركة الاصلاحية السنية المعروفة بالسلفية » تحدث فيه عن « المجلة السلفية » التى اصدرها طاهر الجزائرى سنة 1917

فى بحر الخير الذى كان يتدفق من صدر هذا العالم العامل الذى كانت الدنيا لا تساوى عنده جناح بعوضة وليس له فيها أمنية الا أن يرى عز الاسلام يعود كما كان فى أيام القوة والعدل والعلم وتقوى اللـه عز وجل ، انى لأرمى نفسى بالعقوق وانـــكار الجميل كلما فكرت فى ابطائى حتى الآن عن القيام بحقه على التاريخ ٠٠ وحياة الشيخ طاهر الجزائرى حياة دور من أدوار الاصلاح بل هى تاريخ الامة فى حقبة من حياتهاولابد ان أقوم بهذا الواجب فى يوم من الايام الخ ٠

وقد أذاع أخيرا أحمد الجندى رئيس دائرة المجمع العلمى العـربى بدمشق حديثا خصه للراحل الكريم باذاعة لندن فى مارس 1969 قال فيه : (٠٠ اما عمله فى حياته فقد اتجه الى ناحية الاصلاح رغم علمه الغزير فعمل على نشر العلم والثقافة وتنبيه الجيل ٠٠ وبعد ان تحدث عن وظائفه فى التعليم قال ٠٠٠ كان هذا الرجل يحب العرب ويعطف على قضيتهم ويسعى الى تقدمهم وتعليمهم ، وأبرز ما كان عند الشيخ حافظته العجيبة فاذا قرأ شيئا حفظه ٠٠ وبعد ان استدل على ذلك بعدة أدلة قال ٠٠ لجأ الشيخ الى ذاكرته فاتخذها وسـيلة الى العيش عيش الكفاف يستعين بها على الحياة فكان يشترى المخطوطات باثمـان بخسة ويبيعها فيربح بها دريهمات تساعده على الانفاق ، وكانت نفسه تأبى ان يمد يده الى أحد مهما تكن منزلته ، حتى لقد كان العظماء فى زمنه يرهبون ان يعرضوا عليه العون المـــــادى فاذا فعلوا كان ذلك ايذانا بالفرقة التى لا لقاء بعدها وكان استاذا لجيله ، وهو الذى عمل على تأسيس المكتبة الظاهـــــرية فجمع لها ٠٠ وللشيخ فى المكتبة الظاهرية مجموعة من الاوراق المكتوبة والتعليقات التى سطرها بخطه أثناء مطالعته الكثـيرة الطويلة ، ولا ندرى متى يتـــاح الظهور لهذه الافكار المبثوثة ؟ ومن الذى يقدم على فض هذه الاوراق والاطلاع على ما فيها من نفائس) (1) ٠

---

(1) أليس من العقوق ان تغفل الجزائر على مثل هــذا الابن البار الذى ملأ ذكره الدنيا ، ثم أليس من حق الجـزائر ان تجيب الكاتب الذى ذكر هذه المذكرات وتساءل « ولا ندرى متى يتاح الظهور لهذه الافكار المبثوثة ؟ » ٠

وانني أردت ان أذكر ناحيتين أو صفتين امتاز بهما المرحوم ويعلم كل باحث مستقل الفكر لا يغتر بالظواهر والمجاملة ان سبب افلاس اعادة الدين ومتفمصيــه فى البــلاد الاســلامية عامــة ، وفي بلادنا بالخصوص هو الطمع فى الاغنياء ومد الايدى للطالح والصالح ووقــوع الداعى فى فخ ممديه الجهال أو المغرضين الذين يتحكمون فى الداعية فيوجهونه كيفما شاءوا ، وينخدع لاحكامهم عليه حتى يغتر بنفسه ، فاننا رأينا انه كان يعتمد على نفسه وجل تلامذته وزراء وذوو شأن فى الحكومة ووصلت به نزاهته الى ان صار اقرب الناس اليه يخشون من مقاطعته ان عرضوا عليه الاعانة أو « الوعدة » والشيخ رحمه الله كان من علماء الحديث وان علماء الحديث شعارهم فى توصياتهم التى يختمون بها اجازاتهم هو قولهم « اتركوا اليأس مما فى ايدى الناس تعيشوا أعزة » (فأين هؤلاء ؟) وقد مثلها مترجمنا فى وقت طغت فيه المادة وقال لاوست عن نشاطه فى سوريا « حذق اللغات العربية والتركية والفارسية على السواء مع مشـــــاركة فى مبادىء العلوم الغربية ، وأسس خزانة دمشق ، وقام فى ســنة 1878 تحت اشراف مدحت باشا بتنظيم التعليم فى سوريا التى ما يزال ذكره فيها محفوظا فى روعته كما انه شن الغارات على الاستعمار التركى » ، ولنختم هذه الدراسة بالرجوع الى الحديث عن ولاية تيزى وزو فانها بعد ان احتلها الفرنسيون سنة 1857 ولاقوا فيها نوعا من الهدوء اندلعت ثورة 1871 فكان من نتائجها الغاء التصرف الداخلى للجماعات وفرض ضريبة على مجموع السكان قدرها 32 مليون فرنك ومصادرة نصف مليون هكتار (وزعت فيما بعد على المســتعمرين) والذى يلفت النظر واهتم له الفرنسيون هو أن ثورة 1871 شارك فيها وحمل السلاح مائتــا ألف قبائلى : رجال ونساء وصبيان من مجموع السكان الــذين كان يبلغ عددهم ثمانمائة ألف (800 000) وهذه النســبة نادرة فى تاريخ مقاومة الشعوب والامم ، كما اعترف قادة الجيش الفرنسى ان عـــدد جيشهم الذى خاض غمار هذه الحرب لقمع الثـــورة بلغ عدده 82000 مقاتل ، مدجج بأحدث السلاح ، وخاضوا 340 معركة حامية الوطيس ، وقد اعترف وزير الحرب الجنرال Du Barail ان هذه الثورة

ان كانت لم تصل الى اخراج الفرنسيين من الجزائر نظرا لقوة الجيش النظامى اذ ذاك والسلاح ووفرة التموين ولكنها كلفته (وكانت تكلفه أكثر) عددا من الضحايا وخسائر فى الاموال وهزائم شـــنيعة لولا استعمال الخديعة والمكر وتفرقة السكان ... الخ .. حظيت هـــذه الثورة بلفت نظر الكتاب الفرنسيين والاجانب وخصصـوها بتآليف اهتموا فيها بدراسات العنصر البربرى والطريقة الرحمانية ، وموقف ابن الحداد البطولى (رجل جاوز الثمانين سنة أعلن الحرب وشـــارك المحاربين وهو محمول على اكتـــافهم) وقد تعرض للعنصر البربرى مؤرخونا من قديم ولنذكر قبل الختـــــام رأيين لكاتبين حللا العنصر البربرى احدهما كاتب عربى مشهور وهو ابن خلدون وثانيهما كاتب بربرى مشهور وهو أبو القاسم الزيانى المغربى الذى علق على ابـن خلدون ورد عليه بعض وجهات نظره ثم ما وصفهم به صاحب الثغـر الجمانى وهو قريب عهد بالنسبة الى الكاتبين الاولين بل هو معاصر للزيانى وكلامه ينطبق تماما على ما اجمع عليه مؤرخو العالم فى مختلف العصور فى وصف هذا العنصر قال صاحب الثغر الجمانى :

« وقد كان لهذه الامة من الانفة والمنعة والاباية ما كان يمنعهم من الانقياد الى الملوك والرضا باستدامة الدول ، والدخول تحت جنـاح الذل ، فكانوا لا يقرون لملوكهم على قرار ، ولا يزالون ينــــورون على حكامهم فى سائر الاعصار والاقطار ، فلا يقوم لهم قائم الا وطالبه من خلفه ، ولا تتم قوة سلطان الا والثورة تبشره بضعفه ، حتى شـعف الطالب والمطلوب » وقال قبل هذا بقليـــــل : «.ولم يزل لهذه الامم البربرية فضل مشهور ، وباع فى المحامد من أول الدهور ، ولم ينفك منهم قائم يصادم بهم اعداءه ، ويجسم من قطرهم داءه » الخ (I) .

رأي ابن خلدون فى البربر

قال ابن خلدون : (واما تخلقهم بالفضائل الانسانية ، وتنافسهم فى الخلال الحميدة ، وما جلبوا عليه من الخلق الكريم ، ومرقاة الشرف والرفعة بين الامم ، ومراعاة المدح والثناء من الخلق ، من عز الجـوار

(I) نقله الزيانى فى رحلته « الترجمانة الكبرى » ص 72

وحماية النزيل ، والادمة ، والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاره ، والثبات فى الشدائد ، وحسن الملكة ، والاغضاء عن العيوب ، والتجافى عن الانتقام ورحمة المساكين ، وبر الكبير ، وتوقير اهل الدين ، وحمل الكل وكسب المعدم وقرى الضيف ، والاعانة على النوائب وعلو الهمة ، واباء الضيم ، ومشاقة الدول ، ومقارعة الخطوب ، وغلاب الملك ، وبيع النفس من الله فى نصر دينه فلهم فى ذلك آثار ينقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة يحفظ منها ما يكون اسوة لمتبعيه من الامم ، وحسبك ما اكتسبوه من حميدها ، واتصفوا به من شريفها ، أن قادتهم الى مراقى العز ، وأربت لهم على ثنايا الملك حتى علت الايدى على ايديهم ، ومضت فى الخلف بالبسط والفيض احكامهم ، وكان منهم مشاهير فى كل طبقة من طبقات الاسلام بعد اسلامهم » الخ ثم علق الزيانى على ما نقله من كلام ابن خلدون بقوله : « قال كاتبه ابو القاسم بن احمد الزيانى ما وصف به ابن خلدون هذا الجيل البربرى من الاوصاف الحميدة ، والمناقب السنية العديدة ، معلومة للعرب الكرام ، فى الجاهلية والاسلام ولما ساءت احوالهم ، وخالف فعلهم مقالهم ، حل الله بها هذا الجنس البربرى قبل ان يخون ويفترى ويزيغ على الحق ويمترى ، ولما خالفت الافعال منهم الاقوال ، وعاثوا فى النفوس والاموال سلبهم الله الملك والعز والسلطان ، اذ ازلهم الشيطان وضربت عليهم المغارم فى كل الاوطان وانعكس حالهم ، فيما وصفهم به من الخصال ، وسعوا فى طريق الانفصال بعد الاتصال ، ولم يبق لهم وفاء يعتمد ، ولا جوار لمن أراد المستند ، وصار ما صار لمن قبلهم من العرب يستبقون للخذلان والهرب ، شنشنة لبسوها من عادات جيرانهم عرب البسائط يستعملونها فى الحروب بالوسائط ، ولم يبق منهم متخلق بتلك الاخلاق الحميدة ، والاوصاف الفريدة الا برابر الصحراء المنقطعون فى القفر ، لا يعرفون الغدر والحقد ، متنفرين عن ممالك الارياف مقيمين لرسم الوفاء والانصاف ، فهم مع هؤلاء البربر أهل الجبال وان كانوا اخوانا ، وفى العصبية اعوانا ، فالواحد منهم كالدينار ، يصرف بالدراهم ، وصغيرهم ينفع المراهم ، صان الله جوهرهم عن الفساد ، وابقاهم مصلحة للعباد » ، ا هـ كلام ابى القاسم الزيانى (1147 — 1149 هـ) فى « الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمورة برا وبحرا » نشر لجنة احياء التراث القومى بالرباط سنة 1387 هـ 1967 م (ص 72 و ص 74) .

تصحيح أخطاء

هذه بعض الاخطاء التى رصدناها فى كتاب الملتقى السابع وقد تكون هناك أخطاء أخرى لم نلحظها نعتمد فى التنبه اليها على نباهة قرائنا الكرام وشكرا •

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
253	5	كتتم	كنتم
596	19	، أمهاتكم	أمهاتكم
717	العنوان	العنوان خطأ	العنوان هو تعقيب الاستاذ سيدى محمد يوسف جيرى ـ باماكو ـ مالى
852	الاخير	المسحد	المسجد
880	العنوان	العنوان معكوس	
987	14 آية	قالوا	قولوا
1025	8	نابلون	نابليون
=	17	spycholc.gie	psychologie
1029	26	ولو لم يحصلون	ولو لم يحصلوا
1053	العنوان :	الانسان	الانسانية
1087	3 ، 4	1844	de 1844
1093	1	لا يبق	لا يبقى
1104	15	غير واضحة	فى الحجاب ، وكان فى الحجاب الذى يستر

فـــهرس المجلـــد الخـــامس

ملحق : دراسات وزعت اثناء الملتقى

مطبعة البعث
قسنطينة ـ الجزائر
1395 هـ ـ 1975 م

وزارة
التعليم الأصلي والشؤون الدينية

تيزي وزو

من 10 - 22 جمادى الثانية 1393 هـ
10 - 22 يوليو 1973 م